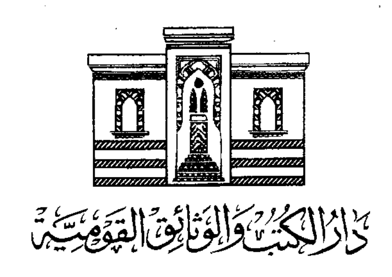


الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم

المعروف باسم

(المقصد الرفيع المنشا الهادي لديوان الإنشا للخالدي)

تأليف

شمس الدين محمد السخاوي

المتوفى عام ٨٦٨ هـ/ ١٤٦٤ م

دراسة وتحقيق

د. أشرف محمد أنس

مراجعة

أ.د. حسين نصـــار

الجزء الأول

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. محمد صابر عرب

السحماوى، شمس الدين محمد.

الثغر الباسم فى صناعة الكاتب والكاتم، المعروف، باسم المقصد الرفيع المنشا الهادى لديوان الإنشا للخالدى/ تأليف شمس الدين محمد السحماوى؛ دراسة وتحقيق أشرف محمد أنس؛ مراجعة حسين نصار. - القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2009-

مج 1 ؛ 29 سم.

تدمك 6 - 0669 - 18 - 977

١ - الإنشاء الأدبى (أدب عربى)

أ - أنس، أشرف محمد (دارس ومحقق)

ب - نصار، حسين (مراجع) جـ - العنوان.

٨١٩

إخراج وطباعة:

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٩/١٩٦٠٦

I.S.B.N. 977 - 18 - 0669 - 6

الثغر الباسم
في
صناعة الكاتب والكاتم



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مثلت كتب الدساتير فى عصر المماليك نوعاً مهماً من أنواع المصادر التى يعتمد عليها الباحثون فى التأريخ لتلك الفترة، سواء على النطاق التاريخى أو الأدبي، وقد تمثلت هذه الأهمية فى تتبع التطور الإدارى لوظائف الدولة، وتتبع التطور الحادث فى هذه الوظائف علواً وهبوطاً، وذلك من خلال الألقاب المستحقة لكل وظيفة، وأيضاً العلاقات الدبلوماسية بين مصر فى عصر المماليك وغيرها من دول العالم فى ذلك الوقت .

وعلى الرغم مما تمثله هذه المصادر من أهمية تاريخية كبيرة، إلا أنها خضعت لمعيار كونها كتبا ذات قيمة ضعيفة تاريخياً، اللهم إلا كتاب القلقشندى "صبح الأعشى فى صناعة الإنشا"، لما حواه هذا الكتاب من ذخائر معرفية تعدت الدور المرسوم لهذا الكتاب، وهو أن يكون كتاباً فى صناعة الإنشاء. وبجانب ذلك، فإن هذه النوعية من الكتب، ظل التعريف بها قاصراً على أنها نوع من المؤلفات الأدبية، التى تساعد فى تفسير بعض الحوادث التاريخية، ولا توجد لها استقلالية الغرض فى التأليف فيها، أو أنها تعبر عن فن جديد ظهر، وأخذ يستكمل أغراض بنائه، حتى اكتمل فى عصر المماليك.

كل ذلك استدعى المحاولة للتأصيل لهذه الكتب، والتأريخ لظهورها، ومدى ما أسهمت به فى الدراسات التاريخية، ومحاولة النظر إليها نظرة موضوعية، تتسم بالإنصاف، وتغيير الرأي القائل بأن هذه النوعية من الكتب كانت متشابهة فى أغراضها ومناهجها، سواء على مستوى التنظيم، أو المصادر التى استقت منها معلوماتها.

ومن أجل ذلك فقد عمدت إلى تحقيق كتاب مشهور لدى المشتغلين بالتاريخ باسم "المقصد الرفيع المنشا الهادي لصناعة الإنشا" للخالدي، لكي تكتمل به سلسلة المؤلفات الكبرى فى ديوان الإنشاء وصناعتها، بدءا من الشهاب العمري إلى القلقشندي، وكما يظهر من خلال الدراسة السابقة على تحقيق الكتاب، أمكن التوصل إلى نتائج عدة، من أهمها أن الكتاب الذى بين أيدينا عنوانه فى الأصل " الثغر الباسم فى صناعة الكاتب والكاتم " لشمس الدين محمد بن محمد السحماوي الشافعي المتوفى عام ٨٦٨هـ، وأن ما درج عليه السابقون من نسبته للخالدي لم يكن أكثر من خطأ سار عليه السابقون أمكن تصحيحه عند تحقيقنا لهذا الكتاب.

ولكن بعد تحقيقي للكتاب بأربع سنوات، اتضح لي أن هناك من حاول تحقيقه من قبل خارج مصر، فى كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة القديس يوسف ببيروت عام ١٩٨٨م، وهو الأستاذ خليل شحادة، وعلى ذلك حاولت العثور على النسخة التى حققها للوقوف عليها والنظر فيها، وبالفعل قمت بدراسة مقارنة بين ما قمت به، وتحقيقه، وها أنا ذا أقدم بعض الملاحظات التى أمكن رصدها وليس جميعها وأترك الحكم للقارئ اللبيب.

تنقسم هذه الملاحظات النقدية إلى قسمين، الأول دراسته للمخطوط ومنهج تحقيقه، والثاني حول طريقة التحقيق وأوجه القصور بها.

أولاً: دراسته للمخطوط ومنهجيته فى التحقيق:

بدأ المحقق دراسته للتحقيق التى استمرت حتى صفحة ٥٥، ويمكن أن نتناول طريقة دراسته فى عدة أمور.

١ ـــ أنه لم يقم بالتعرض لكاتب المخطوط أو التعريف به أو بنوعية هذا الكتاب أكثر من أنه تناول الكتب التى اعتمد عليها فى تحقيقه سواء التعريف للعمري، أو التثقيف لابن ناظر الجيش، أو صبح الأعشى للقلقشندي، فذكر ما هو معروف بدون إضافة وذلك فى الصفحات ٦: ١٦.

٢ ـــ فى القسم الثاني الخاص بالبحث عن المؤلف ومنهجه والموجود فى صفحات ١٧: ٢١، لم يذكر فيه أي جديد عن المؤلف إلا أنه مجهول وأنه يبدو أنه من كتاب ديوان الإنشاء فى عصر برسباي، ولم يشر من قريب أو من بعيد لمنهج المؤلف المجهول بالنسبة له فى طريقة كتابته.

٣ ـــ أنه اعتمد فى التحقيق على المقارنة بمصادر سبقت هذا الكتاب وهي طبعاً التعريف للعمري، والتثقيف لابن ناظر الجيش، وصبح الأعشى للقلقشندي، ولم يفطن إلى أن بجانب هذه المصادر الهامة هناك عدة مصادر كانت جديرة بالمقارنة بينها وبين نص المخطوط لكون المؤلف اعتمد عليها مباشرة فى عدة أقسام من الكتاب، مثل كتاب " الجوهر الثمين " لابن دقماق الذى اعتمد عليه كاتب المخطوط فى القسم الثاني الخاص بالقسم التاريخي منذ حديثه عن دولة الخلافة الراشدة حتى نهاية القسم، بالإضافة إلى المسالك والممالك للعمري فى القسم الثالث والخامس، ونهاية الأرب للنويري فى القسم الثاني الخاص بالسيرة النبوية.

٤ ـــ أنه يعزو لكاتب المخطوط أنه عامي العبارة ولم يلتفت إلى التناقض فى كون كاتب الكتاب كما يظهر من كُتَّاب الديوان، فكيف بعباراته تكون عامية بهذا الشكل، والأمر ببساطة أن الجزء الذى قال بعاميته لدى المؤلف، لم يكن أكثر من نقل حرفى من ابن دقماق فى جوهره، والمعروف أن ابن دقماق كان عامى العبارة، نظراً لأصوله المملوكية التركية. ولكن لتحليل هذه النقطة فإن طريقة اعتماد المؤلفين على السابقين عليهم كانت تتم بطريقة النقل الحرفى فى بعض الأحيان بدون غضاضة من المعاصرين، وذلك لانتشار هذه الطريقة بين الكتاب، ولذلك فإن القول بعامية المؤلف عامة ليست صحيحة إذ كيف يكون عامياً لدرجة كاملة فى جزء، ومتوازنا فى بقية الأجزاء إلا إذا كان بالكيفية التى ذكرها أنفاً.

٥ ـــ أنه فى بقية صفحات المقدمة تعرض بالتأريخ للعصر المملوكى فى النواحى التاريخية والاقتصادية والاجتماعية، ولم يذكر ما صلة ذلك بالمؤلف، بل أنه من خلال التعرض لأهمية الكتاب، اختصر هذه الأهمية فيما ذكر فى القسم التاريخى، من غير التعرض للعديد من الأهمية لهذا الكتاب، مثل القسم الرابع الذى انفرد فيه المؤلف بما لكاتب السر من مهام بالتفصيل، ورصده للوظائف التى استجدت أو ألغيت بعد عصر القلقشندي وغيرها.

ثانياً: طريقة التحقيق وأوجه القصور بها:

١ـــ أنه اعتمد فى مصادر تحقيق المعلومات على الكتب المتوافرة لديه حتى ولو كان هناك ما يجبها من حيث المعاصرة للحدث أو الأهمية فى التعريف والتعليق على معلومات التحقيق، مثلما اعتمد اعتماداً كلياً على البداية والنهاية لابن كثير فى التعريف بالشخصيات المعاصرة للرسول صلى الله عليه وسلم، تاركاً كتب الطبقات والسيرة المعتبرة، بل أنه اعتمد على كتاب العبر لابن خلدون فى التعريف ببعض الشخصيات المملوكية، مثلما حدث عند التعريف بالأمير بدر الدين بكتاش الفخرى، على الرغم من وجود كتب التراجم المعاصرة التى تبز كتاب العبر فى هذا المجال.

٢ ـــ أنه قام بالتعريف بالشخصيات المعروفة والتى لا تحتاج إلى تعريف سواء لشهرتها مثل الخلفاء الراشدين، أو لذكرها داخل الكتاب بالتفصيل مثل بعض خلفاء بني أمية وبني العباس. وفي المقابل لم يقم بالتعريف بأي من الشخصيات غير المعروفة من الأمراء والوزراء وغيرهم.

٣ ــ لم يقم بالتعريف بالعديد من الأماكن الجغرافية أو الأثرية، وخاصة فى مصر، والغامض منها على وجه الخصوص مثلما غفل عن التعريف عن جامع الفكاهين، وسوق الشوايين، وذلك حدث فى العديد من أجزاء المخطوط من غير حصر.

٤ ــ وجود العديد من الأخطاء فى قراءة المخطوط بل وتزيين القراءة الخاطئة بالتعليق بطريقة مبالغ فيها، سواء بالتعليق على الكلمة، أو بالاستغراب من وجودها، فعلى سبيل المثال حينما ذُكر أن الناصر محمد راك البلاد قرأها (زال) بل علق عليها (زال قال فلان يزول فى الناس أي يكثر الحركة ولا يستقر)، فلم يعرف أن من أهم ما قام به الناصر محمد بن قلاوون هو إعادة مسح الأراضى الزراعية أو ما يعرف بالروك الناصرى. ومثال آخر حينما ذكر مقتل الخليفة الظافر الفاطمى، وسبب القتل، جاء ذكر الملك عباس وزيره وولده نصر، فاستغرب المحقق وعلق بجانب الكلمة بــ (كذا) ولو كان اجتهد قليلاً فى مصادر التاريخ الفاطمي لوجد الوالد والولد بالتفصيل عند ابن ميسر فى أخبار مصر، والمقريزي فى اتعاظ الحنفا. بالإضافة إلى قوله عن حبس المعونة (حبس المعزية)، بلدة شندويل (سندويل)، سندبيس (سندبس) وذلك فى المتن والفهارس.

٥ ــ لم يحاول أن يقارن بين ما كتب فى المخطوط وبين من قارنه معهم، بل حط من قدر المؤلف بحيث جعله مجرد ناقل ولو قارن مثلاً بين ما ذكر عند القلقشندي وعند صاحب المخطوط عن تحويل السنين فسيعلم أن صاحب مخطوطه أصوب من القلقشندي بعد مقارنته بما ذكر عند معظم المؤرخين المعاصرين أمثال ابن حجر والمقريزي.

٦ ــ تركه للعديد من الفراغات بدون محاولة البحث عن بعضها لدى المصادر الأخرى، بالإضافة إلى أنه كان هناك العديد من الكلمات موجودة فى الأصل الموجود بالمكتبة الأهلية بباريس إلا أنه لم يذكر ذلك مثلما قال عن وقف الفائز على الأشراف ورقة ٦١ظ [وأوقف (بياض) على الأشراف] والبياض الذى ذكره هو بلدة بلقس التى لم يقرأها جيداً، وإن كان له العذر فى بعض هذه الفراغات التى كانت مكتوبة بالفعل، ولكنها فى الأصل باللون الأزرق فلم تظهر فى التصوير.

وهناك العديد من المآخذ على هذه الشاكلة، ولكن تم اختصارها حتى لا يكون هناك تكرار ولذلك فقد ذكرت مثالا أو اثنين فى كل حالة.

السحماوي وكتابه الثغر الباسم:

نأتي إلى صاحب الكتاب الذى يتم تحقيقه ونشره، ومحاولة معرفة منهجه فى الكتابة، وتسليط الضوء على الكاتب والكتاب، لكى نستطيع رسم صورة متكاملة عن كتب الدساتير ومؤلفيها فى عصر المماليك، على اعتبار أن كتاب الثغر الباسم المعروف لدينا باسم " المقصد الرفيع " هو آخر ما وصل إلينا من الدساتير المعنية بديوان الإنشاء فى عصر المماليك [١].

مؤلف الكتاب:

درج العديد من المؤرخين المحدثين على الاستعانة بمخطوط " المقصد الرفيع المنشا الهادى ـ الحاوى ـ لديوان الإنشا " لمؤلفه عبيد الله بن عبد الله بن لطف الله بن محمد بن بهاء الدين العمري الخالدى. وهذا المخطوط توجد منه نسخة وحيدة فى المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم **Arabe٤٤٣٩**، منه صورة بجامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٤٥، وأخذت منه دار الكتب المصرية صورة ميكروفيلم تحت رقم ٢١٠٣١ ز. ويقع هذا المخطوط فى ٣٣٠ لوحة [٦٦٠ صفحة]، عدد الأسطر فى كل صفحة ٢٣ سطر، ومقياس الصفحة ٢٨٠× ١٨٥×٧٠ مم.

ولم تكن هناك معلومات كافية عن الكاتب والكتاب، إلا محاولات اجتهادية للمحدثين بناء على قراءهم للكتاب، التى تركزت فى أن كاتب الكتاب أحد العاملين بديوان الإنشاء[٢] عهد الأشرف برسباى ٨٢٥ ـ٨٤١ هـ | ١٤٢٢ ـ ١٤٣٧ م، وإن كان د| أحمد دراج قد أشار إلى أن الكتاب قد ألف فى عهد الأشرف إينال ٨٥٧ ـ٨٦٥ هـ | ١٤٥٣ ـ ١٤٦٠م[٣] ـ بناء على ملاحظة وحيدة فى الكتاب تُظهر ذلك [٤] ـ، والبعض أرجع تاريخ

(١) أحمد دراج: صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية ، مكة ١٤٠١ هـ، ص١١٢.

(٢) محمد مصطفى زيادة: المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر، القاهرة ١٩٤٩، ص٢٥؛ بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ق٦ص٤٥؛ أحمد دراج: السابق، ص١١٢؛ العمري: مسالك ـ أيمن فؤاد سيد ـ مقدمة المحقق، ص٢٧ م؛ عفاف صبرة: ديوان الإنشاء وتطوره فى عصر الأيوبيين والمماليك ، رسالة ماجستير ، آداب القاهرة ١٩٧٠ ، ص٩. **Ahmad Darrag , L'Egypte sous le règne de Barsbay,DAMAS,١٩٦١.P. VII**

(٣) السابق، نفس الصفحة.

(٤) انظر فيما بعد.

وفاة الكاتب إلى عام ٩٣٧ هـ [1]. ولكن على مستوى الكتب المتخصصة فى التأريخ للكتب ومؤلفيها ككتاب كشف الظنون لحاجى خليفة فلم تكن هناك إلا إشارة واحدة ذكرها حاجى خليفة عن الكتاب قال فيها " المقصد الرفيع " ليس إلا [2].

وقد قام المؤرخ الفرنسى جوزيف رينو بكتابة ملاحظاته على عدة أوراق بيضاء من أصل الكتاب ـ لعلها كانت معدة من قِبل المؤلف لكتابة المقدمة ـ أوضح فيها بناء على ما ذُكر فى الورقة " ٢ ب " ـ الربع الأول منها ـ أن مؤلف هذا المخطوط هو أحد أفراد الأسرة العمرية الشهيرة التى عمل أفرادها بديوان الإنشاء فى عصر المماليك البحرى والجركسى [3].

وعلى جانب آخر فقد أطلق العديد من الباحثين ـ وبخاصة الأوروبيون منهم ـ على الكتاب اسم "ديوان الإنشاء" [4]، ولعل ذلك نتيجة ما كتبه عنه المؤرخ الفرنسى دى سلان فى المجلد الخاص ـ كتالوج ـ بالمخطوطات الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس.

ولقد كانت هذه الاجتهادات تقرب حيناً إلى الحقيقة، ولكنها فى مجملها غير صحيحة، وتؤدى فى النهاية إلى أن اسم الكتاب واسم المؤلف غير صحيحين بالمرة.

فأما الشيء الوحيد الذى اقترب من الحقيقة فهو أن المؤلف أحد العاملين بديوان الإنشاء، وأنه ألفه فى عهد الأشرف برسباى، وذلك لعدة إشارات ذُكرت بداخل الكتاب منها أنه يشير دوماً إلى عهد برسباى بقوله " خلد الله ملكه " [5]، وهو دعاء لا يقال إلا لمن كان حياً من الملوك والسلاطين. ومنها أنه يشير إلى أقصى تاريخ وصل إليه عند كتابته هذا الكتاب هو عام ٨٤٠ هـ | ١٤٣٦م [6].

---

(١) عبد المنعم ماجد: نظم دولة المماليك؛ محمد الحويرى: أسوان فى العصور الوسطى؛ البيومى إسماعيل الشربينى: النظم المالية فى عصر المماليك.

(٢) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، ١٩٤٣، ج٢، ص١٨٠٦.

(٣) انظر اللوحة رقم ٣.

(٤) **Gaudefroy-Demombynes, op.cit.pp.V-VI , Sauvaget.J, La Poste aux Chevaux dans l' Empire des Mamelouks , paris ١٩٤١. P.٣.**

(٥) انظر فيما بعد، ورقة ١٥٤ ب.

(٦) انظر ورقة ١٩ أ، ٢٦٠ أ.

وأما عن ملاحظة د | أحمد دراج من أن الكتاب كتب فى عهد الأشرف إينال، فكان بناء على ما ذكر بالكتاب من أسماء لكتاب السر حتى عهد هذا السلطان، فهى تحمل نصف الحقيقة. فكونه ذكر هذه الأسماء فهذا ليس دليلاً على أن الكتاب كله أُلف عهد إينال وذلك لأن هذه القائمة التى يعينها د | دراج تقع فى الورقة [١٦ ب]، وهذه الصفحة دونما صفحات الكتاب الآخرى عدد سطورها خمسة وعشرون سطراً، وكل صفحات الكتاب تبلغ سطورها ثلاثة وعشرين سطراً. ولما كان مؤلف الكتاب ـــ كما سيظهر فيما بعد ـــ قد عاش حتى عهد الأشرف إينال فإنه بعد فراغه من تأليف كتابه بسنوات أضاف إلى قائمته أسماء كتاب السر اللاحقين على تأليفه له.

وأما كونه توفى أوائل القرن العاشر الهجرى وعلى وجه التحديد عام ٩٣٧ هـ | ١٥٣٠ م، فقد أُعتمد هذا التاريخ بناء على ما هو موجود بغلاف المخطوط بدون الــتمعن فى قراءة ما قبله، فهذه الكتابة عبارة عن صيغة ملكية للكتاب جاء فيها: " ملكه من فضل الله تعالى وجزيل عطايه محمد بن على بن أحمد بن رجب الطالبى بلداً الشافعى مذهباً الموقت الشهير بالأبار لطف الله فى شهور سنة ٩٣٧ من على أيوب الشيخ بالكتبيين كان "[١].

هذا من حيث تاريخ وفاته، أما عن اسمه الذى اعتمده المحدثون، وأشاروا إليه به وهو "الخالدى " وبقية اسمه كما هو على الصفحة [٢ ب] من المخطوط، فهو أيضاً صيغة ملكية لم تقرأ جيداً على الرغم من وضوحها وهى: " تملكه أضعف عباد الله تعالى عبيد الله بن عبد الله بن لطف الله ابن محمد بن بهاء الدين العمري الخالدى الشهير ببهاء الدين زاده عفى عنهم"[٢]. وبهاء الدين زاده هذا أحد العلماء الفقهاء فى العصر العثمانى توفى ببلدة قيصرية عام ٩٥٢ هـ | ١٥٤٥م[٣].

أما عنوان الكتاب " المقصد الرفيع " فيبدو أنه من وضع أحد قراء الكتاب، غُم عليه معرفة عنوانه، فقام بتوليف هذا العنوان من موضوع الكتاب، بطريقة يغلب عليها السجع، ويظهر ذلك من الصفحة الثانية أ، ب حين تراوح العنوان بين " المقصد الرفيع المنشا الهادى

(١) انظر اللوحة رقم ١.

(٢) انظر اللوحة رقم ٣.

(٣) نجم الدين بن غزى: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، بيروت، ١٩٧٩، ج٢، ص٢٩_٣٠.

لصناعة الإنشا " و" المقصد الرفيع المنشا الحاوى إلى صناعة الإنشا " [١]. وهو العنوان المثبت على غلاف المخطوط.

إذن من مؤلف الكتاب وما عنوانه؟

لقد قمت بمحاولة معرفة شخصية الكاتب، أو اسم الكتاب الأصلى من خلال طريقين، الأول بالبحث بكتب التراجم، والثانى بالبحث بفهارس المخطوطات بالمكتبات المختلفة.

أما الطريق الأول: فبتتبع تراجم العديد ممن عملوا بديوان الإنشاء، أو قاموا بتصنيف كتب عنه خلال تلك الفترة ـ أى فترة الأشرف برسباى وما بعدها حتى عهد الأشرف إينال ـ بناء على قائمة أسماء كتاب السر الموجودة بالمخطوط، وبعض الملاحظات بداخله التى تتمثل فى:

١- أن الكتاب ينبئ عن أن مصنفه من العاملين بالديوان العالمين بدقائق أموره الوظيفية.

٢- أنه من خلال إطرائه القول فى بعض أعلام ديوان الإنشاء، ووصف كريم سجاياهم، يعطى انطباعاً بأن الكاتب لابد أن يكون قريباً منهم، وخاصة أنه كتب فى هامش إحدى الصفحات ملحوظة تؤيد ذلك، فقال عن الشيخ ناصر الدين الفاقوسى (ت ٨٤١ هـ | ١٤٣٧م): " رأيت فى منامى فى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة رجلاً عليه سمت الخير قال لى: هذا الرجل ـ ويشير بيده إلى القاضى ناصر الدين المشار إليه ـ يسطر فى كل يوم فى صحيفته عشر حسنات " [٢].

إلا أن كتب التراجم لم تعط إشارة مؤكدة لاسم الكتاب المعروف به ـ المقصد الرفيع ـ، أو لمؤلف قام بتأليف كتاب مشابه له وهو مفقود بدوره فى تلك الفترة غير كتاب لخليل ابن شاهين الظاهرى (ت ٨٧٢ هـ | ١٤٦٧م) اسمه " المنيف فى الإنشاء الشريف " ذكره كل من ابن تغرى بردى والسخاوى [٣]. ولكن تم استبعاد كون خليل بن شاهين كمؤلف للكتاب للأسباب التالية:

---

(١) انظر اللوحة رقم ٢.

(٢) انظر ورقة ١١٦ ب.

(٣) ابن تغرى بردى: المنهل، ج٥، ص٢٥٨_٢٦١، ت رقم ١٠٠٣؛ السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .، ج٣،ص١٩٥_١٩٧، ت رقم ٧٤٨.

١- أن فترة نضوج خليل بن شاهين المولود عام ٨١٣ هـ | ١٤١٠م فى التأليف الديوانى، تتعارض مع ما ظهر من خلال الكتاب بتمتع مؤلفه بالعمل داخل الديوان، وهو ما لم يتيسر لخليل بن شاهين.

٢- أن الفترة التى أُلف فيها الكتاب، كان خليل بن شاهين يتولى الوزارة للأشرف برسباى، ولم يورد ذلك فى هذا الكتاب قط.

٣- أن أسلوب خليل بن شاهين فى تأليف كتابه زبدة كشف الممالك، يكشف عن تباه ونرجسية فى كلامه عن نفسه، ومحاولته إبراز الشعر فى كتاباته، وهو ما لم يظهر فى هذا الكتاب.

٤- أنه بمقارنة ما كتبه خليل بن شاهين فى " كشف الممالك " [(١)] عن ديوان الإنشاء بما جاء بالكتاب، لم أجد أى تقارب بين الاثنين، بل إنه لم يضف على ما ذكره فى الزبدة الشيء الكثير.

وعلى ذلك فقد تم استبعاد خليل بن شاهين كمؤلف لكتاب المقصد الرفيع.

والطريق الثانى: بالبحث فى فهارس المكتبات الحاوية للمخطوطات العربية لم أجد ـ على حد علمى ـ أى مؤلفات خاصة بديوان الإنشاء غير ما هو معروف، إلا كتاباً يقع فى فهرست مخطوطات دار الكتب المصرية يسمى " العرف الناسم من الثغر الباسم فى صناعة الكاتب والكاتم " لمحمد بن حسن بن على بن حسام بن محمود السحماوى الشافعى. ضمن المخطوطات التى اقتنتها دار الكتب المصرية [(٢)] تحت رقم ٣١٥٨ أ ميكروفيلم. وقد ذُكر فى تعريف هذا الكتاب " اختصره مؤلفه من كتابه المسمى: الثغر الباسم فى صناعة الكاتب والكاتم، ورتبه على ثمانية أبواب، وفرغ من تأليفه فى شهر شعبان سنة ٨٤٦ هـ | ١٤٤٣م"[(٣)].

وبالرجوع إلى حاجى خليفة وجد أنه ذكر اسم كتاب الثغر الباسم فى صناعة الكاتب والكاتم، ولكن اسم المؤلف مختلف فأطلق عليه اسم " محمد بن الحسن بن على السخاوى "،

---

(١) عثر الدكتور محمد عيسى صالحية على نسخة من كتاب كشف الممالك يعكف حالياً على تحقيقها، ولقد قام مشكوراً بإعارتى الجزء الخاص بديوان الإنشاء الموجود بالكتاب.

(٢) فؤاد سيد: فهرست المخطوطات، نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥، القسم الثانى، القاهرة ١٩٦٣، ص١٢٣.

(٣) فؤاد سيد: نفسه.

وقال عنه: قسم على ثمانية أقسام وفرغ فى شعبان سنة ٨٤٦ هـ، ثم لخصه وسماه العرف الباسم، وهذا الأول والأقسام المذكورة للعرف دون الثغر " (١). وبقراءة نسخة العرف الناسم وجد اسم مؤلف الكتاب كما هو مثبت فى دار الكتب فى آخر ورقة من المخطوط " محمد بن حسن بن على بن حسام بن أيوب بن محمود السحماوي الشافعى ". ويبدو أن رسم اسم السخاوى، والسحماوى قد اختلطا على حاجى خليفة ومن نقل عنه (٢) فنسبوا كتاب الثغر الباسم إلى محمد السخاوى.

وبمحاولة الرجوع إلى كتب التراجم الخاصة بالقرن التاسع الهجرى عُثر على ترجمة للسحماوى فى كتابى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى، والضوء اللامع للسخاوى. فقال عنه ابن تغرى بردى فى وفيات سنة ٨٦٨ هـ | ١٤٦٣م " القاضى شمس الدين محمد ابن الشيخ بدر الدين محمد بن السحماوي الشافعى، أحد أعيان موقعى الدست الشريف بالديار المصرية، فى ليلة السبت خامس عشر ذى الحجة، ودفن صبيحة يوم السبت المذكور عن اثنين وثمانين سنة، وكانت لديه فضيلة وعنده حشمة وأدب وتواضع، باشر التوقيع أزيد من خمسين سنة، وخدم بالتوقيع عند جماعة من أعيان الأمراء، آخرهم الملك الظاهر خشقدم إلى أن تسلطن"(٣).

وعلى مثل ذلك ذكره السخاوى مع بعض التغييرات فقال " محمد بن محمد الشمس بن البدر السحماوي القاهرى الشافعى الموقع، مات ليلة السبت منتصف ذى الحجة سنة ثمان وستين عن اثنين وثمانين سنة، وكان شيخاً ساكناً جامداً كثير التواضع والأدب والحشمة مع فضيلة ما، باشر التوقيع أزيد من خمسين سنة، بل خدم أيضاً عند جماعة من أعيان أمراء مصر، أولهم يشبك الإينالى فى سنة نيف وعشرين، وآخرهم الظاهر خشقدم إلى أن تسلطن وكان يتوقع تقديمه له فما قدر، عمل كتاباً فى مواكب الترك وشبهها، وقد كثر اجتماعى معه، وفهمت اعتناءه بالحوادث، ولكن لم أر شيئاً من ذلك " (٤).

---

(١) كشف الظنون، ج١، ص٥٢١.

(٢) رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج٩، ص٢٠١_٢٠٢.

(٣) النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٣٥.

(٤) الضوء، ج١٠ص٣٧.

وبالاطلاع على كتاب العرف الناسم أو مابقى منه بدار الكتب المصرية ـ إذ تبلغ عدد لوحاته ١٠٧ لوحة [٢١٤ صفحة] ـ وجد أن الكتاب يحوى ستة أقسام لا ثمانية كما ذُكر فى تعريفه عند حاجى خليفة، وفهرس مخطوطات دار الكتب. والأجزاء المتبقية منه جزء كبير من القسم الخامس والقسم السادس كله. وجد أن هناك تطابقاً فى الأسلوب والمعلومات الواردة فى كلا الكتابين بما لا يدع مجالاً للشك فى أن كتاب " المقصد الرفيع المنشا الهادى لديوان الإنشا" هو نفسه كتاب " الثغر الباسم فى صناعة الكاتب والكاتم ".

وتوجد عدة أدلة على هذا الرأى وهى كالآتى:

١. دليل موضوعى. يرجع إلى فترة تأليف كلا الكتابين، فكتاب المقصد الرفيع يرجع تاريخ تأليفه إلى عام ٨٤٠ هـ نتيجة الإشارات التى أوردها كاتب المخطوط ـ إذا ما نحينا جانباً قائمة كتاب السر التى يتضح لكل قارئ له أن السطور الأخيرة قد أضيفت للمخطوط ولم تكتب مع بقية الكتاب ـ، وأن كتاب العرف الناسم قد فرغ مؤلفه منه عام ٨٤٦ هـ، وهو بدوره ملخص عن الأصل الثغر الباسم. فقرب التاريخين ٨٤٠، ٨٤٦ هـ لا يتيح لكاتبين مختلفين أن يأخذ أحدهما عن الآخر ـ إذا ما افترضنا أن صاحب المقصد شخص آخر ـ وعلى ذلك فإن المنطق يقول إن كتاب المقصد هو كتاب الثغر الباسم.

٢. دليل منهجى. فكتاب العرف الناسم يسير على نفس التقسيم المنهجى المتبع فى كتاب المقصد الرفيع، فمما بين أيدينا من كتاب العرف، نجده يشتمل على بقية القسم الخامس الذى يقابل القسم الحادى عشر من المقصد، والقسم السادس يقابل القسمين الثانى عشر والثالث عشر على الترتيب، وذلك بالنسبة للتقسيم الكلى. أما عن التقسيم الجزئى لعناصر هذين القسمين فنجد تطابقاً بين عناصر تلك الأقسام وبعضها. فعلى سبيل المثال:

أ ـ الباب الخامس فى العرف " فى رسم كتابة المطلقات والبرالغ والملطفات وكتب الجواز وأوراق الطريق والبطايق " [1].

---

(١) ورقة ٥ ب.

يساوى فى المقصد الفصلين الرابع والخامس، "الرابع، فى رسم كتابة المطلقات لأرباب الوظائف بهذه المملكة. الخامس، فى رسم كتابة الملطفات وأوراق الجواب والطريق والبطايق".

ب _ الباب السادس فى العرف " فى رسم المكاتبة إلى ملوك الإسلام وحكام الأقاليم والبلاد شرقاً وغرباً فيمن جرت العادة بالمكاتبة إليهم " (١).

يساوى فى المقصد النوع الأول من الباب الثامن " فى رسم المكاتبات الصادرة إلى ملوك الإسلام وحكام البلاد والأقاليم ومن يجرى مجراهم ممن جرت العادة بالمكاتبة إليه ".

وهكذا نجد أن أقسام وأبواب وفصول العرف تتتابع فى تقسيمها مع المقصد الرفيع، وأن تجميع بعض العناصر أو الفصول فى عنصر واحد كان بقصد تلخيص الثغر الباسم، ولعل ذلك يظهر فى قول حاجى خليفة: وهذا الأول والأقسام المذكورة للعرف دون الثغر (٢). بالإضافة إلى ذلك نجد السحماوي فى العرف يذكر بعض المعلومات عرضاً ولا يسهب فى شرحها اعتماداً على وجودها فى كتابه الثغر الباسم، فنجده يقول عن: ما يكتب من ديوان الجيش من أمر الإقطاع لا يتعدى أربعة أمور، إما مثال، وإما نزول، وإما قصة، وإما مربعة من الممالك الشامية، وقد أوضحت متعلقاتها فى كتابى الثغر الباسم (٣). وهذه الأمور التى لم يفصلها السحماوي فى العرف نجدها مفصلة فى كتاب المقصد على نفس الترتيب والمكان بين عناصر الكتاب من ورقة ٢٩٠ ب إلى ٢٩١ ب (٤).

ونجده فى موضع آخر يقول فى العرف عن الشروط التى يجب أن يراعيها الكاتب عند كتابة الهدنة بين ملك مسلم وآخر غير مسلم فيقول: ولها شروط يجب على الكاتب معرفتها، وقد أوردها فى كتابى الثغر الباسم (٥). وهذه الشروط مفصلة فى الفصل الأول من الباب الخامس بالقسم الثالث عشر بالمقصد ورقة ٣١٨ ب إلى ٣٢١ ب (٦).

---

(١) ورقة ١٤ ب.

(٢) السابق، ج٢ص٥٢١.

(٣) ورقة ٦٣ أ.

(٤) انظر فيما بعد.

(٥) ورقة ٩٠ ب.

(٦) انظر فيما بعد.

٣. دليل نصى، وهو يشتمل على وجود دلائل نصية بين العرف الناسم وبين الثغر الباسم، من حيث ضرب بعض الأمثلة التوضيحية بين العرف والثغر، وإن تغير تنسيقها الترتيبى بعض الشيء، وهو أمر مفهوم إذا ما أخذنا فى الاعتبار أن الأول ملخص للثانى، وهى على سبيل المثال:

أ ـ العرف: أما شيخ الخدام بالحجرة الشريفة، ويعبر عنه بشيخ الحرم ومكاتبته "هذه"، ثم كتب فى أيام الأشرف برسباى للقاضى ولى الدين بن قاسم بالعناية " أدام الله " مع "الجناب"[(١)].

المقصد: شيخ الخدام بالحجرة الشريفة، ويعبر عنه بشيخ الحرم، وكان رسم المكاتبة إليه "هذه المكاتبة ". فلما استقر القاضى ولى الدين بن قاسم فى سنة ثمان وثلاثين كتب له " أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى " [(٢)].

ب ـ العرف: إذا كان أحد من الأمراء المقدمين بالحضرة متولى نيابة صغيرة مع تقدمته، وضمه مطلق شريف يكتب بعد نائب صفد، وقبل نائب غزة [(٣)].

المقصد: إذا تولى أحد مقدمى الألوف بالأبواب الشريفة نيابة مستجدة بالبلاد الشامية، وكانت التقدمة مستمرة بيده كما كانا نائبى الرها وملطية، فيضاف فى المطلقات الكبار بعد نائب صفد، وقبل نائب غزة [(٤)].

ج ـ العرف: وقد وقع التحويل فى زماننا فى القرن التاسع فى عام اثنين وثمانمائة إلى سنة ثلاث، وفى سنة خمس وثلاثين وثمانمائة إلى سنة ست وثلاثين، ويقع من سنة سبع وستين وثمانمائة إلى سنة ثمان وستين [(٥)].

---

(١) ورقة ٥ أ.

(٢) انظر فيما بعد، ورقة ٢٤٥ ب.

(٣) ورقة ٨ أ، ب.

(٤) انظر فيما بعد، ورقة ٢٤٨ أ.

(٥) ورقة ٧٠ ب.

المقصد: ووقع التحويل فى زماننا فى سنة [كذا] التاسع فى سنة اثنين وثمانمائة إلى سنة ثلاث وثمانمائة، وفى سنة خمس وثلاثين وثمانمائة إلى سنة ست وثلاثين، ويقع فى سنة سبع وستين إلى ثمان وستين [١].

بل إن هناك بعض ما ذُكر فى العرف من أخطاء أو معلومات مغايرة لما ذكر فى الدساتير السابقة كانت هى نفسها المذكورة فى المقصد. ومثال ذلك ـــ وهى على سبيل المثال لا الحصر:

أ ـ العرف: قال فى التعريف: إنها من نهر بلخ إلى مطلع الشمس على [سمط] الوسط[٢].

المقصد: قال فى التعريف: وهى من نهر بلخ إلى مطلع الشمس على [سمط] الوسط[٣].
وصحتها [سمت] كما فى التعريف وصبح الأعشى [٤].

ب ـ ما ذُكر فى المقصد عن صاحب كرمينان، عاد وذكره صاحب العرف كما هو[٥] على الرغم من أن ما ذُكر كان خاصاً بصاحب برسا كما فى التعريف وصبح الأعشى [٦].

وبناء على تلك الأدلة يمكن أن نقول إن كتاب المقصد الرفيع هو نفسه كتاب الثغر الباسم، بل إن النسخة الوحيدة الموجودة منه هى النسخة التى كتبها صاحبها بخط يده وذلك للآتى:

١. أن الإضافة فى قائمة كتاب السر كانت بنفس الخط لنفس الشخص.
٢. أن بعض التعليقات فى هوامش بعض الصفحات كانت بنفس الخط أيضاً.
٣. أن كاتب الكتاب لم يكن قد قرر الانتهاء منه. وعلى ذلك فقد ترك عدة صفحات منه لكتابة المقدمة.

---

(١) انظر فيما بعد، ورقة ٢٩٦ ب.

(٢) ورقة ٢٦ أ.

(٣) انظر فيما بعد، ص٢٦٥ أ.

(٤) التعريف، ص٦٥؛ صبح، ج٧، ص٢٩٣.

(٥) العرف، ورقة ٣٤ ب، الثغر ورقة ٢٧٠ ب، ٢٧١ أ.

(٦) التعريف، ص٦٤؛ صبح، ج٨ص١٥.

منهج السحماوى فى كتاب الثغر:

لسوء الحظ لم يقم السحماوى بكتابة مقدمة أو خاتمة لكتابه الثغر الباسم، وإن كان حاجى خليفة قد ذكر أن بداية الكتاب كانت " الحمد لله الذى أنشأ "، ولعل الأمر اختلط عليه فأورد مقدمة العرف على أنها مقدمة الثغر ـ وذلك على اعتبار أن النسخة الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس هى النسخة الأصل والوحيدة إلى الآن، وهى بغير مقدمة للمؤلف ـ، ولسوء الحظ أيضاً فقدان الجزء الأكبر من العرف الناسم بما فيه مقدمة الكتاب، فلم نستطع التعرف على منهج الكتابة، والغرض الذى من أجله قام السحماوي بتأليف كتاب الثغر الباسم، ثم لخصه فى العرف الناسم.

ولكن يمكن التعرف على الغرض الأساسى للكتاب من عنوانه، وإشارة وحيدة ذكرها داخل كتاب الثغر تُظهر هذا الغرض، التى من خلالها يمكن تحليل منهجه فى الكتابة. فالسحماوى اختار العنوان لكى يتماشى مع هدفه الأساسى لتأليفه فكان " الثغر الباسم فى صناعة الكاتب والكاتم "، أى أن الكتاب يشمل منهجاً عاماً هو صناعة الكتابة، وهدف خاص هو دور وأهمية وظيفة كاتب السر.

بالإضافة إلى ذلك نجده قد وضع كتابه كدستور جديد من دساتير ديوان الإنشاء، بل إنه وضعه كدستور مكمل لدستورى العمري وابن ناظر الجيش، وذلك من خلال العبارة الوحيدة التى تكلم فيها عن كتابه ونفسه فقال " وفضلاء الكتاب فى كل زمن يتصرفون فى ذلك بالزيادة والنقص، والتقديم والتأخير، ومراعاة التحسين بحسب ما تؤدى إليه قرائحهم، وتسنح به ينابيع أفكارهم، إلى أيام المقر الشهابى ابن فضل الله، فحرر الألقاب، ورتب الوظائف، وصنف كتابه التعريف، وجعله عمدة ديوان الإنشاء من أيام الناصر محمد بن قلاوون إلى أيام الأشرف شعبان بن حسين، فانتقلت بعض الألقاب الأصول إلى ما فوقها من الرتبة. ثم إن القاضى محب الدين بن ناظر الجيش ثقف كتاب التعريف بأصول ومكاتبات استقر الحال عليها، وصارت عمدة فى هذه الصناعة فى زماننا. ثم غيرت منه بعض مراتب، وأبطلت منه بعض مكاتبات يسيرة، ثم أعان الله على ما أتيت به هنا مما هو المصطلح عليه فى زماننا من كل قسم، وبه المستعان فيما بقى إنه ولى ذلك والقادر عليه وبالإجابة جدير " [١].

---

(١) ورقة ٢٢٨ أ، ب.

وعلى ذلك يمكننا أن نقول إن منهج السحماوي فى كتابه كان تأصيلاً للفكرة العامة للكتاب وهى فكرة تهتم فى المقام الأول بالوصف العملى لمهنة صناعة الكتابة، بما يعنى أنه اتخذ المنهج الوصفى فى تأليف كتابه. وتمثل هذا المنهج فى ثلاث عناصر هى:

١. التكوين العلمى لكاتب الإنشاء.

٢. المهام الوظيفية لكاتب السر.

٣. السمات المهنية فيما يخرج عن الديوان من أعمال.

ولتوضيح ذلك نستعرض أقسام كتاب الثغر فنجدها مقدمة وثلاثة عشر قسماً وهى:

المقدمة: فى تعلق ديوان الإنشاء وكُتّابه. وقسمه إلى بابين: الأول، فى التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه فى الإسلام وتفرقه بعد ذلك فى الممالك. وفى بيان لقب صاحب هذا الديوان الجارى عليه قديماً وحديثاً، وفى بيان ترفع قدره وشرف محله وصفته وآدابه.

الثانى، فى كُتّاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن كتب بعدهم إلى آخر دولة الأمويين وابتداء الدولة العباسية واتخاذ الكتاب وزراء، واتخاذ كتام السر بالديار المصرية من أيام أحمد بن طولون وإلى زمن المؤلف.

القسم الأول: فيما يحتاج إليه كاتم السر من المواد العلمية والمعرفة بها. وقد قسمه إلى عشرة أنواع يجب على كاتب السر، وكاتب الإنشاء عامة أن يلم بها ويدرسها دراسة جيدة وهى، حفظ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، ومعرفة الأمور الفقهية، ومعرفة اللغة والنحو والصرف والمعانى والبيان والبديع، ومعرفة صنعة الكلام من سجع وإيجاز وإطناب ومساواة، ومعرفة أيام العرب المشهورة، والوقائع التى دارت بين العرب وبعضهم بعضا، وبين العرب وغيرهم من الأمم كالفرس والأحباش.

القسم الثانى: فى معرفة التاريخ. وقد قسمه إلى سبعة أبواب فى دراسة تاريخية كاملة كان الغرض الأساسى منها استعراض تاريخ موجز لدولتى الخلافة الأموية والعباسية، واستعراض تاريخ مصر منذ تاريخ الخلافة الفاطمية إلى زمن المؤلف عهد المماليك الجراكسة.

القسم الثالث: فى معرفة الممالك والأقاليم والطرق الموصلة إليها براً وبحراً. وهو استعراض جغرافى بحت، يذكر من خلاله الجغرافيا العامة فى شكل الأرض والبحار والمحيطات والرياح وأقاليم الأرض السبعة. ثم يفصل وصفه الجغرافى فى ذكره للأقاليم الجغرافية الواقعة تحت سيطرة السلطنة المملوكية فى مصر والشام والحجاز.

القسم الرابع: فيما يتصرف فيه كاتم السر بنظره وتدبيره وما يتصرف فيه بقلمه. وهو يتحدث فيه بالتفصيل وبطريقة مستقلة عن مهام كاتم السر، سواء فيما ينظر فيه ويتدبره وظيفياً من مهام، غير الإشراف على المكاتبات الخارجة عن الديوان، وهو يفصل بدقة مهام الديوان، ومهام كاتب السر، وما يتصرف فيه بقلمه من أعمال الديوان المعروفة والمحددة المهام، ككتابة الرسائل والتواقيع والمناشير وغيرها من الأعمال الديوانية. وفيه أيضاً يذكر الوظائف المعاونة لكاتب السر من نائب الديوان، وكتاب الدست والدرج، والدوادار، والمدراء.

القسم الخامس: فى ترتيب مملكة الديار المصرية وما يختص بسلطانها وأمرائها، وموضوع الوظائف بها، وقدر ما يستحقه كل أحد من أرباب الوظائف من قطع الورق حين ولايته. وهذا القسم يُعنى فى الأساس بوصف كامل لنظم السلطنة المملوكية من شعار الملك الخاص بالسلطان، لذكر أرباب الوظائف من أرباب السيوف والأقلام وأرباب الوظائف الدينية فى تسلسل إدارى منسق.

القسم السادس: فى ذكر الممالك الشامية وأرباب الوظائف بها، ومقدار ما يكتب لهم من قطع الورق. وفصل فيه على غرار القسم السابق ترتيب الوظائف لأرباب السيوف والأقلام ببلاد الشام فى دمشق، وحلب، وحماة، والكرك، وصفد، وغزة.

القسم السابع: فى ذكر أرباب الوظائف بالأقطار الحجازية وعربانها الأشراف، وعربان الممالك الشامية، ومقدار ما يكتب لهم من قطع الورق. وهو خاص بوصف وظائف الأقطار الحجازية، مكة، والمدينة، وينبع، والعربان الداخلين فى نطاقها، وعربان البلاد الشامية.

القسم الثامن: فى أمور تشترك فيها الولايات والمكاتبات وغيرها من الأمور المهمة التى يحتاج إليها بديوان الإنشاء. وهو أول الأقسام الخاصة بصناعة الكتابة والمصطلح التى يُعنى فيها السحماوي بأهم أعمال ديوان الإنشاء من وصف للألقاب والأسماء والكُنى، وتفاوتها علواً وهبوطاً سواء كانت مفردة أو مركبة، ورتبة كل لقب، وعلى من تطلق هذه الألقاب واستحقاقها على أهل الدولة من أصحاب الوظائف سواء كانوا من أرباب السيوف أو الأقلام، مع تذكير الكتاب بما يجب أن يراعوه من ضوابط خاصة بكتابة هذه الألقاب والنعوت.

القسم التاسع: فى معرفة الورق المستعمل بديوان الإنشاء وما يناسبه من الأقلام والليق والنشا الملونة، والفواتح والخواتم واللواحق. وهو قسم يُعنى بالإطار النظرى التعليمى فى ما يستعمل بديوان الإنشاء من أدوات وأوراق. ويضم أيضاً الأصول الحرفية فى صناعة الكتابة،

وفيما يجب أن تكون عليه الرسائل والمكتبات، من حيث التنظيم الشكلى من كيفية الافتتاح والختام، وما تستدعيه بعض الأحيان من إضافة بعض اللواحق للرسائل والمكاتبات، وفى أى موضع توجد داخل الرسالة، أو الكتاب الخارج عن ديوان الإنشاء، بالإضافة إلى ترتيب الكتاب، وتفحص الكاتب لما كتبه لعله يجد بعض الأخطاء التى يجب أن تقوم.

القسم العاشر: فى ولايات أولى الأمر بهذه المملكة وما ينبه عليه حين ولاياتهم. وهو يشتمل على أنواع البيعات منذ صدر الإسلام إلى عهده، سواء بيعات الخلفاء والملوك، وعهود الخلفاء للخلفاء، وما يكتب فى تلك الكتب.

القسم الحادى عشر: فى رسم المكاتبات الصادرة. وهو أهم أقسام الكتاب، يبدؤه السحماوي بذكر أمور تتعلق بالمكاتبات التى يجب على الكاتب معرفتها، ثم يعرض فى تسلسل تاريخى لمصطلح مفتتح الكتب من أيام النبى صلى الله عليه وسلم وإلى زمنه، والأساليب المختلفة فى افتتاح المكاتبات سواء عن الخلفاء للملوك أو عن الملوك لولاة العهد. ثم يعرض رسم المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية لأرباب الوظائف بالدولة، وهو يشرح أنواعها سواء كانت مطلقات أو ملطفات وأوراق الجواب والطريق والبطائق على أجنحة الحمام. ثم يأتى إلى أهم أنواع المكاتبات وهى المكاتبات الخارجية للملوك والسلاطين سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، مع تقسيم رتب المكاتبات والألقاب لكل ملك على حسب أهمية علاقاته مع سلطنة المماليك.

القسم الثانى عشر: فى الإقطاعات والمسامحات والإطلاقات والطرخانيات وتحويل السنين. وهو قسم يحتوى على أنواع المكاتبات الآخرى التى تخرج عن ديوان الإنشاء على الرغم من اختصاص دواوين أخرى بإقرارها إلا أنها لا تخرج إلا عن ديوان الإنشاء ولا تُعتمد إلا بكونها من مكاتباته.

القسم الثالث عشر: فى الأيمان والأمانات والدفن وعقد الذمة والهدن الواقعة بين ملوك الإسلام وملوك النصارى والصلح بين ملكين مسلمين والفسوخ الواردة على العقود السابقة. وهو هنا يتابع ما قام به فى القسم الثانى عشر من وصف لباقى أنواع المكاتبات التى يعتنى بها ديوان الإنشاء وتخرج عنه.

بعد استعراض أقسام كتاب الثغر الباسم، يمكن أن نرصد المنهج الخاص بالسحماوى، الذى تجلى فى غرضه الذى ألف كتابه من أجله، وهو ما ظهر فى رؤيته الخاصة لتنظيم

موضوعاته، بحيث يمكننا أن نقول إنه كانت له رؤية مستقلة عن ما سبقه من الكُتّاب، على الرغم من أن المتصفح لكتابه يظن للوهلة الأولى أنه ناقل فقط لكتاب القلقشندي، أو على الأقل قام بتلخيص كتابه[1]. وهذا الرأى فيه بعض الصحة بالنسبة لمادة الكتاب التى كان فيها القلقشندي أيضاً ناقلاً مجمعاً للمعلومات أكثر منه مبدعاً فى خلقها، ولكن ذلك الأمر يظل مفهوماً خاصة إذا ما نظرنا إليه على أنه أمر عادى فى الحياة الثقافية والفكرية فى هذا العصر. ولكن على مستوى رؤيته لتصنيف هذه المادة وتنظيمها داخل كتابه فالأمر مختلف إذا تتبعنا طريقة تنظيمه الخاصة، مع الوضع فى الاعتبار العناصر الثلاثة السالفة الذكر.

١. التكوين العلمى لكاتب الإنشاء:

فالسحماوى نظم مادة كتابه بحيث أفرد الأقسام من الأول للثالث فى وصف للديوان والشروط الواجب توافرها للعاملين بصناعة الكتابة، بحيث إنه بعد المقدمة التقليدية لأصل كلمة الديوان ونشأته فى الإسلام خصص القسم الأول للتكوين العلمى لكل كاتب أيا كان انتماؤه للعمل داخل دواوين الدولة، من حسن الإعداد اللغوى والأدبى اللازم لعمل الكاتب عامة. ثم فصل بين بقية الكُتّاب ووظيفة كاتب الإنشاء، حينما أفرد القسمين الثانى والثالث لتاريخ مصر، وجغرافية العالم وما يقع تحت سيطرة الدولة المملوكية على الترتيب. وهو هنا وفقا لرؤيته الخاصة لما يجب أن تكون عليه ثقافة الكاتب نظم موضوعات كتابه وفقاً لهذه الرؤية.

٢. المهام الوظيفية لكاتب السر:

ويظهر ذلك الاهتمام بوظيفة كاتب السر، ومهامه الخاصة بوظيفة الكتابة بجانب مهام أخرى، تتعلق بوضعه السياسى الوظيفى فى تخصيصه لقسم كامل هو القسم الرابع فيما يتصرف فيه كاتم السر بنظره وتدبيره وما يتصرف فيه قلمه. وعلى ذلك فإنه حين أفرد له قسماً خاصاً يعالج هذا الأمر بعيداً عن الأمور الخاصة التى تتداخل فيها المفاهيم بين الكاتب عموماً وكاتب السر على وجه الخصوص، قد سار على منهجه الخاص فى الفصل بين الكتابة والكاتب، وقد تحكم فى رؤيته هذه عمله بالديوان لمدة طويلة تربو على الخمسين عاماً، والتى جعلت نظرته للديوان والقائم على رأسه تستدعى منه تخصيص قسم خاص للحديث عنه.

---

(١) ذكر هذا الرأى كثير من الباحثين المحدثين. انظر: حسن الباشا: الألقاب، ص ٥٨؛ عفاف صبره: ديوان الإنشاء، ص ٩؛ **Gaudefroy-Demombynes, op.cit,p.V-VI**.

٣. السمات المهنية فيما يخرج عن الديوان من أعمال:

وتظهر هذه السمات فى قيام السحماوي بتخصيص إطار نظرى لأهم ما يتعلق بأمور الديوان، وهو وصف دقيق لوظائف الدولة فى مصر والشام والحجاز، بحيث يمثل قاعدة معلومات لكاتب الإنشاء الراغب فى معرفة التسلسل الوظيفى، ومن يكتب لهم من ديوان الإنشاء فى بقية أنحاء السلطنة المملوكية، ولذلك خصص الأقسام من الخامس للسابع لهذا الغرض.

ثم استكمل السحماوي منهجه فى عرض للأصول الفنية الواجب على كاتب الإنشاء معرفتها، من حيث ما تشترك فيه أنواع الكتابة من ألقاب إلى المكتوب إليهم، والكُنى المطلقة عليهم حسب درجاتهم، بحيث لا تختلط الأمور على كاتب الإنشاء، وتكون الأمور واضحة فيما تشترك فيه أنواع المكاتبات، سواء رسائل أو مكاتبات رسمية. ولذلك فقد خصص القسم الثامن لذلك، ثم استتبعه بآخر الأقسام التعليمية أو المهنية وهو القسم التاسع الخاص بتنظيم شكل المكاتبات، ومقادير الورق، وهى كلها أمور فنية تُظهر إصراره على تقرير المنهج التعليمى فى وحدة متتابعة لا يفصل بينها قسم يخل بمنهجه الذى قرره لنفسه.

ولأجل ذلك نجده خصص الأقسام من العاشر إلى الثالث عشر لأنواع هذه المكاتبات، بعد أن يكون قد وضح جميع الأمور الفنية الخاصة بشكل المكاتبة، ولعل ذلك يظهر فى أنه قد وضع الوصف الجغرافى للبلدان الخارجة عن السلطنة المملوكية، مع وصفه للمكاتبات الخاصة بملوكها، حفاظاً على وحدة الموضوع، وعدم تشتيت القارئ بين أن يسهب فى الوصف الجغرافى فى مكان غير مناسب، وهو بذلك قد خالف القلقشندي، الذى خصص للوصف الجغرافى مقالته الثانية، ثم بعد ذلك ذكر المكاتبات الخاصة بملوك هذه المناطق ضمن أنواع المكاتبات فى المقالة الخامسة.

وعلى ذلك يمكننا أن نقول إن منهجه القائم على وصف لمهنة الكتابة والعاملين فيها، قد أثر تأثيراً كبيراً على رؤيته لتنظيم موضوعاته، بحيث سار على درب واحد، بدأه بتمهيد عام لما يجب أن يكون عليه العامل فى صنعة الكتابة، وانتهى بوصف لما يخرج من الديوان من أعمال تشمل كل أنواع المكاتبات، وعلى ذلك نستطيع أن نقول أيضاً إن السحماوي تطابق منهجه مع عنوان كتابه بصورة كبيرة.

مصادر الكتاب.

يلاحظ القارئ لكتاب الثغر الباسم، اعتماد السحماوي بصورة كبيرة ومبالغ فيها على كتابي القلقشندي، صبح الأعشى، ضوء الصبح المسفر، بما يعطى انطباعاً بأنه كان ينقـل عـن القلقشندي نقلاً تاماً بدون إضافة. ولكن على الرغم من ذلك يمكن رؤية العديد من أشـكال المصادر الخاصة بالسحماوى اعتمد عليها فى كتابه، وهى مصادر متنوعة سواء كانت ذاتيـة أو شفهية أو مصادر مكتوبة.

فأما المصادر الذاتية لديه فهى واضحة كباقى مؤلفى الدساتير لكونه كان عاملاً بـديوان الإنشاء لمدة خمسين عاماً، وعلى ذلك سوف نجد المصادر الذاتية لدى السحماوي تظهر فى قوله " رأيت فى بعض الدساتير "، وهو ما كان يقصد به المكاتبات الخارجة من ديوان الإنشاء [(١)].

بالإضافة إلى ذلك فإنه يمكن رصد المصدر الذاتى فيما كتبه السحماوي عن كاتم السـر وما يتصرف فيه بنظره وتدبيره وما يصرف فيه قلمه، فهذا القسم بكامله يمثل الخـبرة الذاتيـة المكتسبة من عمله بالديوان، ورؤيته عن قرب لمهام كاتب السر، وأعمال الديوان عامة ووصفها بدقة تنبئ عن كاتب قريب مما يصف.

ولعل ذلك الأمر يتضح فى الاختلافات الواقعة بين ما سطره القلقشندي عـن كاتـب السر، وما خالفه فيه السحماوي من تقديم بعض الأنظار، وإهمال بعضها، ووصف مركـز لمـا يُكتب فيما يخرج عن الديوان [(٢)]، ويدل ذلك على تيقظ السحماوي الذى اتخذ له منهجاً قائماً على رصد المتغيرات فى أعمال الديوان وأشكال الكتابة، وهو ما يعنى أن خبرته الذاتية مثلـت مصدراً من مصادر كتابه.

والشكل الثانى الذى تتضح فيه الخبرة الذاتية يظهر فيما قام بتتبعه مـن علـو بعـض الوظائف، وهبوط بعضها، بل فى استحداث بعض هذه الوظائف فى عصره مثل وظائف نـاظر جدة، ونائب دمياط، أو ما يكتب لشيخ خدام الحجرة النبوية الشريفة . أو ما قام بتوثيقه مـن رسائل متبادلة بين السلطنة المملوكية وغيرها من الممالك فى الفترة التى قـام خلالهـا بتـأليف الكتاب، وهى الفترة التالية لوفاة القلقشندي ٨٢١ هـ حتى عام ٨٤٠ هـ وهى على سبيل

---

(١) انظر فيما سبق.

(٢) انظر القسم الرابع من المخطوط.

المثال، رسالة لملك الهند عام ٨٣٨ هـ [١]، ورسالة صاحب الدشت [٢]، وغيرهما مما ذكر فى الكتاب.

وأما عن المصدر الشفهى، فإن هذا الشكل من المصادر لم يُمَثّل لدى السحماوي إلا مرة واحدة فقط، حين تحدث عن ملك البرنو فقال: وأخبرنى مقبول الرواية أن فى زماننا تغلب صاحب الكانم على مملكة البرنو وأخذها [٣].

أما عن مصادر السحماوي المكتوبة من الكتب والمؤلفات السابقة فيمكن القول إنها لم تخرج عن مصادر القلقشندي وزِيد عليها كتاب صبح الأعشى للقلقشندى الذى ذكره فى غير موضع من كتابه [٤]، ومصدر آخر لم يستخدمه القلقشندي وهو كتاب " الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين " لابن دقماق، وقد اعتمد عليه بصورة كاملة وأساسية فى كتابة القسم الثانى من كتابه بجانب كتاب " نهاية الأرب " للنويرى الذى اتخذه مرجعاً فى كتابته الجزء الخاص بعصر النبوة، ومما يتضح من قراءة ذلك القسم أن السحماوي عندما يذكر أى كتاب عرضاً فى ذلك القسم يكون موجوداً أيضاً عند ابن دقماق، وبالتالى يمكن القول أن السحماوي سار على دروب السابقين فى الاعتماد على نفس المصادر.

وقد قام التحقيق على النسخة الخطية الوحيدة المحفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٤٤٣٩. وبناء عليه فقد كانت المقارنة النصية قائمة بين المخطوط والكتب المشابهة له، والتي استعان بها فى تأليفه لكتابه مثل كتابي القلقشندي صبح الأعشى، وضوء الصبح المسفر، وكتابي العمري عرف التعريف والتعريف، وكتاب ابن ناظر الجيش تثقيف التعريف، وكتاب ابن دقماق الجوهر الثمين، هذا بالإضافة إلى ملخص كتابه الثغر الباسم المعروف باسم العرف الناسم من الثغر الباسم فى صناعة الكاتب والكاتم .

---

(١) انظر، ورقة ٢٧٠ أ.

(٢) انظر، ورقة ٢٦٦ ب.

(٣) انظر، ٢٧٥ أ.

(٤) انظر، ورقة ٢٦٦ أ، ٢٨٤ ب، ٣٢٤ أ.

منهج التحقيق

وقد كان منهج التحقيق قائما على تقويم النص وضبطه على غيره من الكتب المتعلقة بنوعيته، ووضع الاختلافات بين نصوصها فى الهامش، سواء كانت أخطاء تاريخية ترتبط بالأشخاص، أو التواريخ المتعارضة مع ما هو معروف ومثبت فى المصادر التاريخية والأدبية والجغرافية .

أما بالنسبة لطريقة الكتابة المعروفة فى ذلك العصر من إهمال الهمزة وكتابة أسماء الأعلام بطريقة مغايرة للإملاء الحديث، أو الأخطاء النحوية مثل سير المؤلف على قاعدة (أكلونى البراغيث) أى يأتى بالفاعل الضمير ثم الظاهر بعده، وهى لغة عامة مصر فى ذلك الوقت، فقد تم تقويمه فى النص بدون الإشارة إليه اكتفاء بذلك التنويه ، بالإضافة إلى التعليق على ما ورد فى المخطوط من معلومات تحتاج إلى إيضاح أو إبراز، وتوضيح ما اختلف فيه السحماوى عن غيره فى إيراد هذه المعلومات وتبيان صحتها .

وقد تم ترقيم صفحات المخطوط بحيث يكون ترقيم كل لوحة تحتوى على صفحتين ــ على سبيل المثال اللوحة ١٠٠ ــ الصفحة اليمنى [١٠٠ أ] واليسرى [١٠٠ ب] ووضعت الترقيم بين حاصرتين .

ثم تلى ذلك فهارس الكتاب والتي حوت فهرساً للأعلام ، وآخر للألقاب الاصطلاحية والوظائف ، وآخر لأسماء الأماكن والمدن الجغرافية.

وفي نهاية هذه التقدمة لابد من التوجه بالشكر إلى العديد من الأشخاص ممن كان لهم الأثر البالغ على إخراج هذا الكتاب الذى كان فى أصله جزء من رسالة دكتوراه بجامعة المنصورة أجيزت عام ٢٠٠٤م، ومنهم الأستاذ الدكتور حسين عليوة، والأستاذة الدكتورة فرانسواز ميشو الأستاذة بجامعة السربون، وهما المشرفان على الرسالة، والأستاذ الدكتور أحمد دراج، والأستاذ الدكتور أحمد عبد الرازق، وهم بقية أعضاء لجنة المناقشة والحكم، وذلك لمواقفهم المؤيدة لما توصلت إليه من نتائج وثنائهم على هذا العمل.

والشكر الأكبر والغالي لأستاذي الدكتور أيمن فؤاد سيد على مواقفه الداعمة لي، والتي كان لها أكبر الأثر على إخراج هذا الكتاب إلى الوجود، بالإضافة إلى سابق توجيهاته القيمة لي أثناء الدراسة بباريس.

ويبقى فى النهاية الشكر للزملاء والأخوة والأصدقاء الذين كان يعز عليهم بقاء هذا الكتاب فى صورته الأولى كرسالة لا يطلع عليها إلا قليلون، فدفعوني بصادق مشاعرهم إلى طبعها وهم أخوتي على الدرب الدكتور شلبي إبراهيم الجعيدي، والدكتور مجدي حشيش، والدكتور عماد هلال، والدكتور محمد رفعت الإمام، والدكتور ياسر نور.

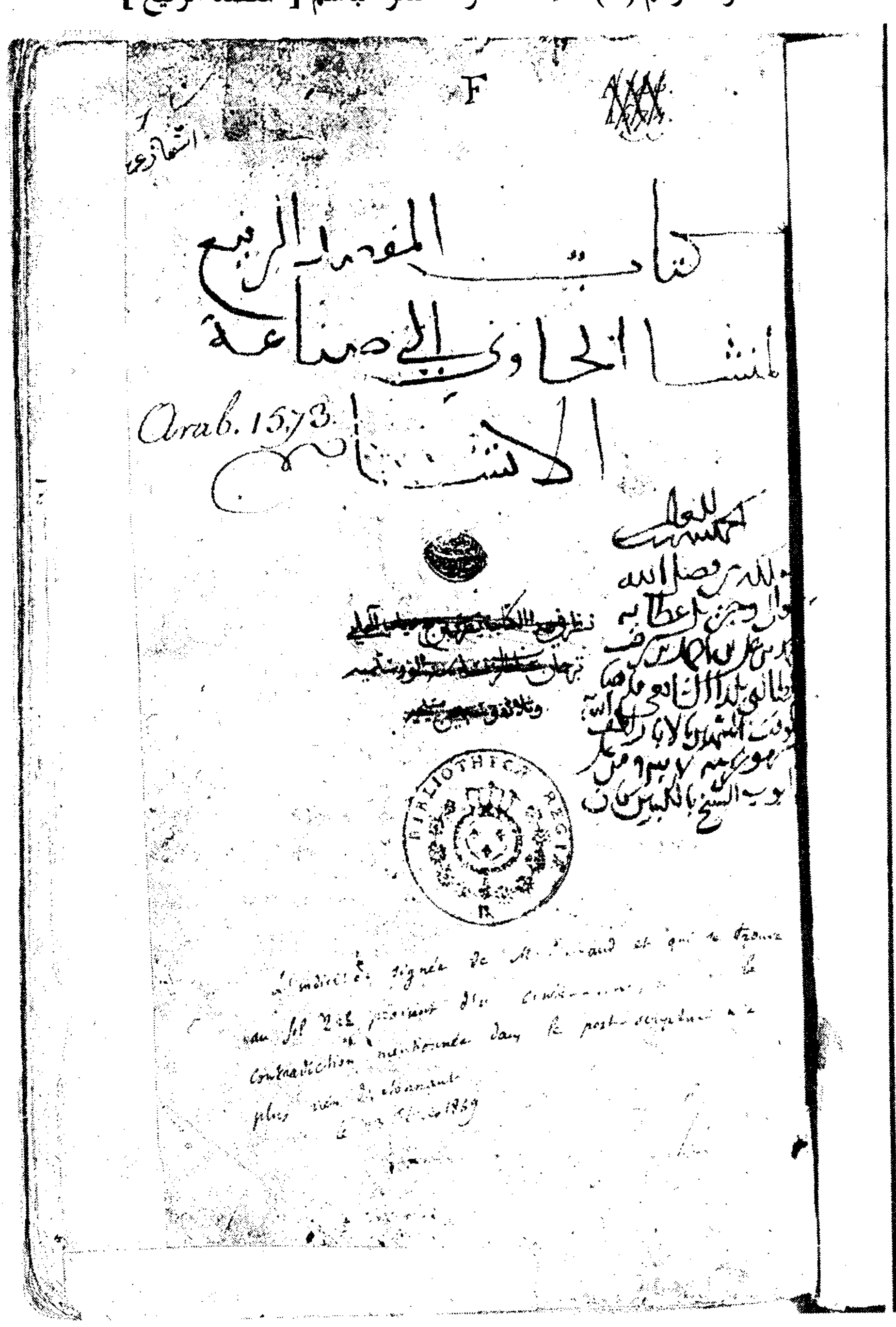
بالإضافة إلى شكر دار الكتب المصرية العريقة، ومركز تحقيق التراث على نشر هذا الكتاب وإخراجه إلى النور، مع خالص تقديرى وامتنانى للأستاذ الدكتور حسين نصار، وهو من هو فى مجال تحقيق التراث، على تفضله بمراجعة هذا العمل حتى يخرج فى أبهى صورة ممكنة.

وبعد هذا هو كتاب " الثغر الباسم فى صناعة الكاتب والكاتم " لشمس الدين السحماوي يظهر للوجود بعد نسبته طوال قرون عديدة لغير صاحبه ومؤلفه مما يؤكد أن الحقوق دائما ما تعود لأصحابها مهما طال الزمن.

اللوحات



اللوحة رقم (١) غلاف مخطوط الثغر الباسم [المقصد الرفيع]



اللوحة رقم (٢) الورقة رقم ٢أ من مخطوط الثغر الباسم [المقصد الرفيع]

دلى

كتاب المقصد الرفيع المنشى
الهادي الى صناعة الانشا

كتاب كتاب المقصد المنشى

Hic liber manuscriptus arabicus Diuan El Anchia inscribitur, estq. collectio rerum omnium, quę ad scribendas epistolas regias conducunt
seu uno uerbo Author cuius nomen hic desideratur, ea omnia, quę ne=
cessaria sunt secretariatus regii muneri, prout patet, prolixa methodo
hic congerit. diuiditur liber in proemium et [illegible] partes. in proe=
mio itaque agitur de ethimologia Diuan, eiusq. p.a positione, deque
epistolis, quas Mahometus pseudopropheta Heraclio Grecorum Impe=
ratori scripsit, deq. aliis, qui post ipsum scripserunt usq. ad finem
Ommiadum Dynastię, cui successit Dynastia Abbasidum. in prima
uero parte tractatur de obiectis, quę secretarius sua assequi cogni=
tione debet. eaq. ad decem reducuntur, scilicet p.o scire debet librum
Alcorani 2.o dicta et facta Mahometi pseudoprophetę, 3.o iurispru=
dentiam, rerumq. diuinarum scientiam 4.o Grammaticam 5.o rethori=
cam, 6.o uerborum uim et efficaciam 7.o rythmicam oration=
em, uariamq. eius differentiam 8.o styli qualitatem sublimitatem et
compendiositatem 9.o Idiomatis, quo utendum est cognitionem perfectam.
10.o cognitionem dierum ac annorum celebriorum Arabum, in quibus
gesta fuerunt bella. in 2.a parte disseritur de necessaria chronicorum
cognitione, ubi per septem capita enumerantur Mahomettanorum
principatus et Dynastię. in 3.a probatur necessitas, qua secretarius
regius tenetur bene callere regna uaria, atq. climata uiasq. quę ad
ea terra marique deducunt, eorundemq. distantiam numerumque
urbium ac portuum, quę in eis sunt. in quarta parte tractatur de
secreto a secretario seruando ubi demonstratur modus, quo in scriben=
dis litteris seruari debet. in 5.a de ordine, qui in regno Egyptiaco
seruatur in eo quod Regem Duces aliasq. dignitates spectat, atq.
de quantitate papyri, qua scribendum sit cuiq. prout eius dignitas.
in 6.a agitur de celebrioribus Dynastiis et de quantitate papyri
qua ad easdem scribendum sit. hę uero Dynastię sunt p.o Damasc=
na 2.o Alepina, 3.a Appamiensis, 4.o Syrotripolitana, 5.o Saceph=
tina; his adiunguntur alię duę prouincię, scilicet Gazensis in Pal=
estina, et Karac. in 7.a disseri=
tur de dignitatibus, quę sunt in Hygiaz seu Arabia petrea;
in 8.a agitur de nonnullis rebus, quę diuersis Dynastiis sunt commu=
nes, et de uariis quę in scribendis epistolis sunt necessaria, nempe de

اللوحة رقم (٣) الورقة رقم ٢ب من مخطوط الثغر الباسم [المقصد الرفيع]

post scriptum

2 N° 2486

Kitab Al Inschia, idest
Liber epistolaris.

Hoc manuscriptum arabicum in fol. trecenta ac viginti et septem complectens folia quae nullo aritmetico numero [illegible] tantum ad calamo [illegible] paginarum appositis designantur est que mediocriter scriptum, et corio fusco ligatum continet methodum scribendi epistolas regias, seu ad Secretariatus كتاب المقصد الرفيع المنشا regii munus recte exercendum, inscriptum الهادى الى صناعة الانشا ut supra, et compositum ab anonymo.

دخل فى ملك الفقير يحيى عفى عنه ١٢٧٨

Tituli, qui cuiuslibet dignitatis sunt proprii. in 9° loquitur Author de qualitate papyri et Calamorum, et atramenti [illegible] variis speciebus, quibus utendum est. in 10° de Praefectis qui in hoc regno sunt scilicet quibus tituli donandi sint [illegible] de modo, quo Califae se gerere debeant erga Reges et [illegible] in 11.° proponuntur variae epistolarum exemplaria. [illegible] licet agitur de more a tempore Mahometi [illegible] usque ad tempora Authoris in scribendis epistolis regiis [illegible] uato. ubi Author in plures aliq. copiosissime diffunditur [illegible] 12.° agitur de methodo, qua in diversis Dynastiis scribebatur [illegible] demonstratur necessitas cognitionis in reducendis annis solaribus et lunaris. in 13° et ultimo agitur de qualitate, qua debent [illegible] pacta inter Mahometanos, et Christianos, et de modo [illegible] recipiendi alios in fidem, et Clientelam de securitate [illegible] [illegible] praestanda, ac de modo quo cum iisdem pax [illegible] sit, et de verbis in ea adhibendis, et de aliis [illegible].

Joseph Ascari 1734

L'auteur de cet ouvrage est Chehab-eddin abou [illegible] Mohammed abd-al-ouahhab, surnomme al-omari, qui mourut l'an 717 de l'hégire. on trouve [illegible] dans le [illegible] 1086 de l'ancien fonds, fol. 137 [illegible]

Reinaud

اللوحة رقم (٤) الورقة رقم ١٦ب من مخطوط الثغر الباسم [المقصد الرفيع]

16

وتولى السلطنة الظاهر ططر فمضى مدة سلطنته إلى أن توفي
الظاهر ططر وتسلطن ولده الصالح محمد فمضى إلى أن خلع الصالح
وتسلطن مولانا الإمام المالك الأشرف برسباي عز نصره واستقر
في الوظيفة جمال الدين ... فأقام مدة يسيرة ثم انفصل واستقر
القاضي شمس الدين الهروي فأقام مدة يسيرة ثم انفصل واستقر القاضي
علم الدين ... فأقام مدة يسيرة ورفع منه ... جاني بك الدوادار
ثم عليه فانفصل انفصالاً ... واستقر القاضي بدر الدين ابن مزهر
... إلى أن توفي وتولى عوضه ولده القاضي بدر الدين فمضى مدة يسيرة
ثم انفصل واستقر عوضه السيد الشريف شهاب الدين الحسيني فأقام
إلى أن توفي بالطاعون واستقر بعده القاضي شهاب الدين ابن السفاح
الحلبي فأقام إلى أن توفي واستقر عوضه الصاحب كريم الدين ...
مضافاً إلى الوزارة فأقام مدة يسيرة ثم استعفى عن كتابة السر
والوظيفة الاستادارية وأعيد إلى كتابة السر القاضي جمال الدين
ابن البارزي المشار إليه فأقام ... إلى أن انفصل واستقر بكتابته القاضي
محب الدين ابن الأشقر وكان شيخ الشيوخ بخانقاه سرياقوس فأقام مدة يسيرة
ثم انفصل واستقر بكتابته القاضي صلاح الدين ... فأقام
مدة يسيرة وتوفي فاستقر في الوظيفة عوضه والده الصاحب ...
فأقام إلى أن توفي الأشرف برسباي وتولى السلطنة السلطان
الظاهر جقمق فباشر في أيامه مدة يسيرة ثم طلب القاضي كمال الدين ابن
البارزي من الشام وأعيد إلى وظيفة كتابة السر بالديار المصرية وكان
صهر السلطان الظاهر جقمق فأقام مدة طويلة إلى أن درج بالوفاة إلى رحمة
الله تعالى واستقر بعده العبد ... القاضي محب الدين ابن الأشقر إلى
الآن فأقام بقية أيام الظاهر جقمق ومدة أيام ولده المنصور عثمان ومدة
من أيام الأشرف إينال الأجل واستقر بكتابته القاضي محب الدين ...
فأقام ستة أشهر وانفصل ثم أعيد إلى الوظيفة القاضي محب الدين ابن الأشقر

اللوحة رقم (٥) الورقة الأخيرة من مخطوط الثغر الباسم [المقصد الرفيع]

330

عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح
نصارى الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر بن الخطاب
أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا إنكم لما قدمتم علينا سألناكم
الأمان لنفوسنا وذرارينا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا أن
لا نحدث في مدائننا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا صومعة
ولا نجدد ما خرب منها وما اندثر ولا ما كان منها في خطط المسلمين في ليل
ولا نهار وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل وأن ننزل من مر بنا
من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نأوي في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوسا
ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شركنا ولا ندعو
إليه أحدا ولا نمنع أحدا من ذوي الأقرباء وإذا
أراد الدخول في الإسلام وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم في مجالسنا إذا أرادوا
الجلوس ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم ولا نتكلم بكلامهم ولا نتسمى بأسمائهم
ولا نركب في السروج ولا نتقلد بالسيوف ولا نتخذ شيئا من السلاح
ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتيمنا بالعربية ولا نبيع الخمور ولا نجز مقاديم
رؤوسنا وأن نلزم زينا حيثما كنا وأن نشد الزنانير على أوساطنا ولا
نظهر صلباننا ولا نظهر شيئا من كتبنا في طرق المسلمين ولا في أسواقهم ولا
نجاور موتى المسلمين بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام
المسلمين ولا نطلع على منازل المسلمين قال عبد الرحمن بن غنم فلما أتيت
عمر بن الخطاب بالكتاب زاد فيه ولا نضرب أحدا من المسلمين شرطنا
ذلك عليها وعلى أهل ملتنا وقبلنا عليه الأمان فإن نحن خالفنا شيئا
مما شرطناه لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم منا ما يحل
من أهل المعاندة والشقاق فكتب عمر أن امضوا ما سألوه وألحقوا فيه
حرفين لا يشترون شيئا من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده

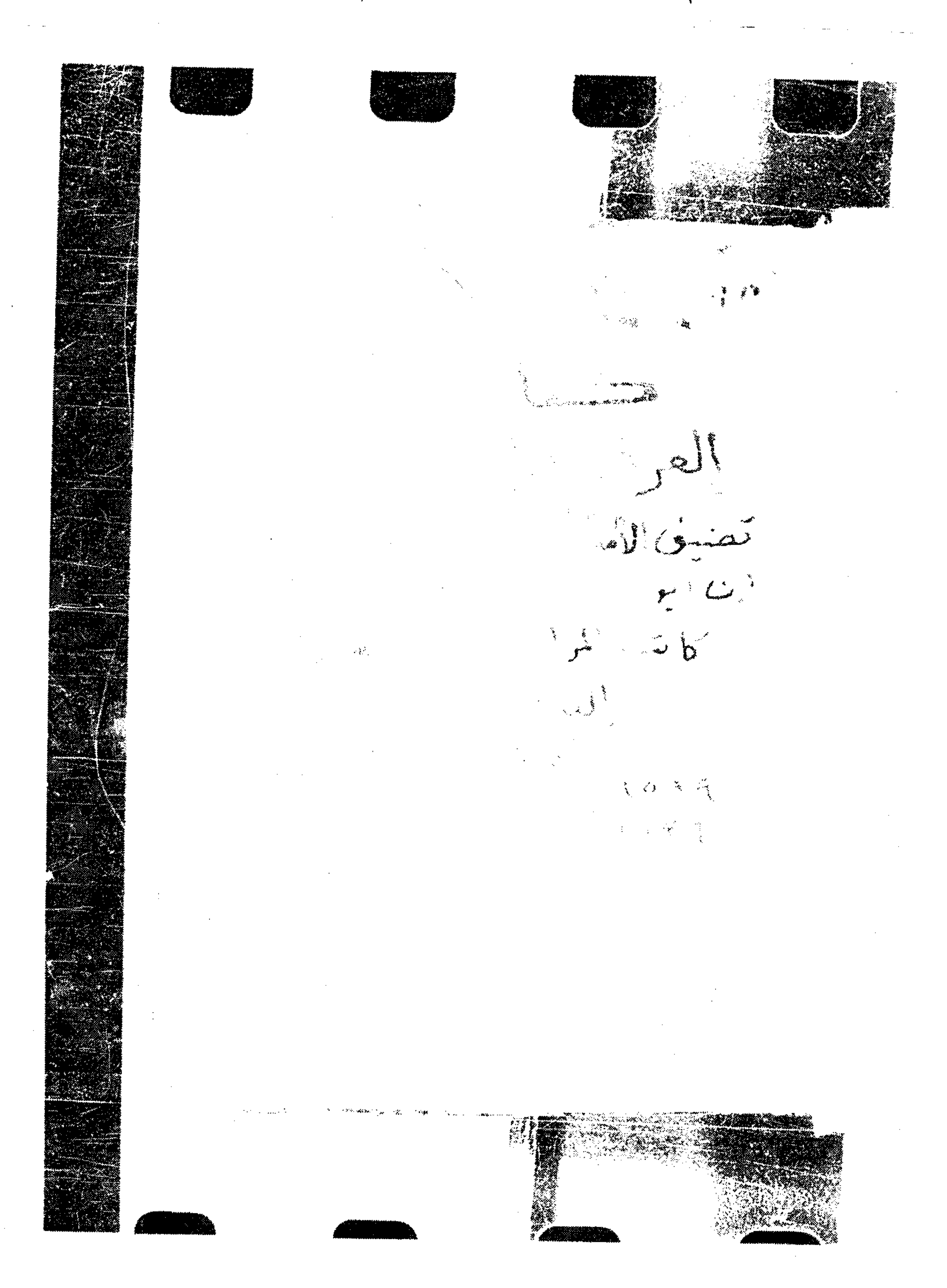
دوا

بهم

دم

وهذا نص العهد الذي كتبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على نصارى الشام

اللوحة رقم (٦) غلاف مخطوط العرف الناسم من الثغر الباسم



اللوحة رقم (٧) الورقة الأخيرة من مخطوط العرف الناسم

الأمان بالنصح لهم وحط قدرهم ورفعة الإسلام وشرف
قدره كما قيل إن المتوكل على الله حين حج سمع رجلاً يدعو
عليه ثم يقتله فقال والله ما قلت إلا الذي سمعت بالمود
ما سمع مالي ثم أمر بتخليته فقال له قد تسلط
استطال الكتاب أهل الذمة على المسلمين في كلام
طويل وصغى له واستحسنه وشكروه عزمه وخرج لمير
المؤمنين بأن يلبس النصارى واليهود ثياب العسل ولا
يمكنوا من لبس الناس وأن يكون ركبهم خشبا وأن يهدم
بيعهم المستجدة ولا يدخلون حمام المسلمين وأن يفرد لهم
حمامات خدمها ذميون ولا يستخدموا مسلما في حوائجهم
لنفوسهم وفرق عليهم محتسبا لذلك وليس إلا الأمان
واقتدوا به بعض الملوك في ذلك تم كتاب العرف
الناسم من الثغر الباسم بيد الفقير إلى الله تعالى محمد بن حسن
ابن علي بن حسام بن أيوب بن محمود السماوي الشافعي عفا الله
له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين

الفهرس

[٣ أ]

مقدمة الكتاب

فى تعلق ديوان الإنشاء وكتابه

القسم الأول

فيما يحتاج إليه كاتم السر من المواد العلمية والمعرفة بها

النوع الخامس: معرفة النحو والتصريف. [٣ ب]

النوع السادس: معرفة المعاني والبديع.

النوع السابع: فى صنعة الكلام.

النوع الثامن: معرفة السجع وأحكامه واختلاف أحواله.

النوع التاسع: معرفة الإيجاز والإطناب والمساواة.

النوع العاشر: معرفة أيام العرب والسنين المشهورة والأيام التى كانت فيها الوقائع بين العرب.

القسم الثانى

معرفة التاريخ

وفيه سبعة أبواب:

الباب الأول: فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم.

الباب الثانى: فى معرفة من ولى الخلافة بعده وإلى آخر دولة الأمويين.

الباب الثالث: فى ذكر الخلفاء من بنى العباس وإلى زماننا.

الباب الرابع: فى معرفة الدولة العبيدية الواردة من المغرب وتملكهم الديار المصرية إلى حين وفاة العاضد وتملك بنى أيوب.

الباب الخامس: فى معرفة السلاطين من بنى أيوب بالديار المصرية والبلاد الشامية.

الباب السادس: فى معرفة من ولى السلطنة بالديار المصرية من ملوك الترك.

الباب السابع: فى معرفة من تولى السلطنة بمصر من جنس الشراكسة وإلى زماننا.[٤ أ]

القسم الثالث

فى معرفة الممالك والأقاليم والطرق الموصلة إليها براً وبحراً ومسافاتها وما يدخل تحت ذلك من المدن والسواحل

وفيه ثلاثة أبواب:

الباب الأول

فى شكل الأرض والبحر المحيط والرياح والأقاليم السبعة الممتدة من الشرق والغرب

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: فى شكل الأرض وما ينخرط فى سلك ذلك.

الفصل الثانى: فى البحار.

الفصل الثالث: فى الأقاليم السبعة الحقيقية.

الباب الثانى

فى معرفة الديار المصرية ومضافاتها من الممالك الشامية وغيرها

وفيه فصلان:

الفصل الأول: فى مملكة الديار المصرية.

الفصل الثانى: فى الممالك الشامية، وهى على ست قواعد:

الأولى: دمشق. الثانية: حلب. الثالثة: حماة. الرابعة: طرابلس. الخامسة: صفد. السادسة: الكرك.

الباب الثالث

مما أضيف إلى مملكة الديار المصرية من جزيرة العرب من الأقطار الحجازية ومضافاتها

وهى على أربع جهات:

الجهة الأولى: مكة. الثانية: المدينة النبوية. الثالثة: ينبع. الرابعة: مراحل الحجاز.

القسم الرابع

فيما يتصرف فيه كاتم السر بنظره وحسن تدبيره وما يصرف فيه قلمه

وهو على ثلاثة أبواب:

الباب الأول

فيما يتصرف فيه بنظره وحسن تدبيره

وهو على عشرة أنظار:

الأول: النظر فى الرسل المتوجهين إلى ملوك الأرض شرقاً وغرباً. الثانى: النظر فى أمر البريد. الثالث: النظر فى أمر السعاة والنجابة وحاملى الملطفات والجواسيس. الرابع: النظر فى الفداوية. الخامس: النظر فى المهمندارية والتراجمة. [٤ ب] السادس: النظر فيما تتفاوت به المراتب فى المكاتبات والولايات من قطع الورق ووسع البياض وقطة القلم والافتتاح والألقاب والدعاء. السابع: النظر فى رد الأجوبة. الثامن: النظر فى أمر الحمام الرسائلى المعد لحمل البطاقة. التاسع: النظر فى تدبر قراءته بين يدى ملكه. العاشر: النظر فى مرءوسيه الجارى عليهم لقب التوقيع.

الباب الثانى

فيما يصرف فيه كاتم السر قلمه

وهو على ثلاثة أنواع:

الأول: التوقيع على القصص. الثانى: التعيين على كُتَّاب الديوان. الثالث: محل وضـــع كتابـــة التوقيع والتعيين.

الباب الثالث

فى ترتيب ما كان عليه ديوان الإنشاء قديماً وما هو عليه الآن

وهو على حالين:

الحال الأول: ما كان عليه الأمر فى دولتى الفاطميين والأيوبية. الحال الثانى: ما استقر عليه الأمر من ابتداء الدولة التركية وإلى زماننا.

القسم الخامس

فى ترتيب مملكة الديار المصرية وما يختص بسلطانها وأمرائها وموضوع الوظائف بها وقدر ما يستحقه كل أحد من أرباب الوظائف من قطع الورق حين ولايته

ويشتمل ذلك على ستة أبواب:

الباب الأول

فيما هو مختص بالسلطان من شعار الملك الذى لا يشاركه فيه غيره

الباب الثانى

فى ذكر أرباب الوظائف بالمملكة من أرباب السيوف والمهاترة المتولين من الحضرة

وفيه ثمان مقاصد:

الأول: فى ذكر أرباب السيوف. الثانى: أرباب الوظائف بالحضرة من الأمراء المقدمين. الثالث: أرباب الوظائف من الأمراء الطبلخاناه. الرابع: أرباب الوظائف من الأمراء العشرات.الخامس: أمراء الخمسات. السادس: المشدين. السابع: الجند. الثامن: مهاترة البيوتات.

الباب الثالث

فى ذكر من يتولى بالحضرة من أرباب الوظائف الدينية بالديار المصرية وقدر ما يكتب لكل منهم من قطع الورق على ما استقر عليه الحال، [٥ أ]

وهو على أربعة أنواع:

النوع الأول: القضاة والمفتين. الثانى: المدرسين ومشايخ الخوانق والخطباء والأئمة. الثالث: أنظار الوظائف الدينية. الرابع: ما هو خارج عن الأنظار من الوظائف الدينية.

الباب الرابع

فى ذكر أرباب الوظائف الديوانية المستقرين متوليها من الحضرة وذكر أتباعهم وما يكتب لهم من قطع الورق

وهى عشرة وظائف:

الأولى: كتامة السر وأتباعها. الثانية: الوزارة وأتباعها. الثالثة: نظر الخواص وأتباعها. الرابعة: نظر الجيش وأتباعها. الخامسة: نظر ديوان المفرد. السادسة: نظر الخزانة. السابعة: نظر الاسطبلات. الثامنة: صحابة ديوان المماليك. التاسعة: نظر الأملاك والذخيرة. العاشرة: نظر العمائر.

الباب الخامس

فى ذكر وظائف ذو[1] الرئاسة والمعلمين وزعماء أهل الذمة

وهى على مقصدين:

الأول: وظائف ذو[2] الرئاسة والمعلمين. الثانى: زعماء أهل الذمة.

الباب السادس

فى ذكر أرباب الوظائف الخارجين عن القاهرة بالديار المصرية وأمراء العربان ومشايخهم وأنفارهم

وهم على ثلاثة مقاصد:

الأول: أرباب الوظائف بالإسكندرية. الثانى: أرباب الوظائف ببلاد الريف. الثالث: العربان بالوجهين القبلى والبحرى.

---

(١) الصواب: ذوى.

(٢) الصواب: ذوى.

القسم السادس

فى ذكر الممالك الشامية وأرباب الوظائف بها ومقدار ما يكتب لهم من قطع الورق

ويشتمل على خمس ممالك وعملين لكل منها نيابة:

المملكة الأولى دمشق، وفيها مقصدان:

المقصد الأول: فى حاضرتها. الثانى: عمل برها.

المملكة الثانية من الممالك الشامية حلب، وفيها مقصدان:

الأول: فى حاضرتها. الثانى: ما هو خارج عن حاضرتها.

المملكة الثالثة من الممالك الشامية حماة، وفيها مقصدان:

الأول: فى حاضرتها. الثانى: ما هو خارج عن حاضرتها.

المملكة الرابعة من الممالك الشامية طرابلس، وفيها مقصدان:

المقصد الأول: فى حاضرتها. الثانى: عمل برها.

المملكة الخامسة من الممالك الشامية مملكة صفد، وهى على مقصدين:

المقصد الأول: فى حاضرتها. الثانى: [٥ ب] عمل برها.

العمل الأول من البلاد الشامية غزة العمل، الثانى الكرك

القسم السابع

فى ذكر أرباب الوظائف بالأقطار الحجازية وعربانها الأشراف وعربان الممالك الشامية ومقدار ما يكتب لهم من قطع الورق

ويشتمل على ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: فى ذكر أرباب الوظائف وترتيبهم بالأقطار الحجازية. الثانى: فى ذكر الأشـــراف الأمراء بأقطار الحجاز. الثالث: فى ذكر عربان البلاد الشامية.

القسم الثامن

فى أمور تشترك فيها الولايات والمكاتبات وغيرها من الأمور المهمة التى يحتاج إليها بديوان الإنشاء

ويشتمل على خمسة أبواب:

الباب الأول
فى الكنى والألقاب
الباب الثانى
فى ألقاب أرباب الوظائف

وهو على أربعة أنواع:

الأول: ألقاب أرباب السيوف. الثانى: ألقاب أرباب الوظائف من النصارى. الثالث: الألقاب التى تتفرع عنها الألقاب فى الولايات والمكاتبات. الرابع: الإتيان لصاحب كل لقب من الألقاب الأصول بما يلائمه من الأوصاف.

الباب الثالث
فى تفاوت الألقاب فى العلو والهبوط

وهى على خمسة أنواع:

النوع الأول: الألقاب المفردة. الثانى: الألقاب المركبة المعبر عنها بالنعوت المختصة بأرباب السيوف. الثالث: ألقاب القضاة والعلماء.الرابع: ألقاب كتام السر والوزراء ونظار الجيوش والخواص ومن دونهم من الكتاب. الخامس: ألقاب أهل الصلاح.

الباب الرابع
فى تفاوت الألقاب بالتقديم والتأخير

وهو على نوعين:

النوع الأول: الألقاب المفردة. الثانى: ما تتفاوت فيه مراتب الألقاب بالتقديم والتأخير فى الألقاب المركبة.

الباب الخامس
فى ترتيب الألقاب الفروع بحملها على الألقاب الأصول وذكر أصول فى ترتيب [٦ أ] الألقاب والمناسبة بين الفروع والأصول

وهى على أربعة أنواع:

النوع الأول: ألقاب الخلافة ومن فى معناهم. الثانى: الألقاب الملوكية. الثالث: الألقاب العامة لسائر الطوائف.الرابع: فى ذكر أصول يعتمدها الكاتب فى ترتيب الألقاب والمناسبة بين الفروع والأصول من الألقاب.

القسم التاسع

فى معرفة الورق المستعمل بديوان الإنشاء وما يناسبه من الأقلام والليق والنشا الملونة والفواتح والخواتم واللواحق

وهو على خمسة أبواب:

الباب الأول

فى معرفة الورق وما يناسبه من الأقلام

وهو على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: ورق البغدادى. الثانى: الورق الشامى. الثالث: الورق المصرى.

الباب الثانى

فيما يحتاج إليه بديوان الإنشاء من الليق

وهى خمس: الليقة الأولى: المداد. الثانية: الحبر. الثالثة: الذهب. الرابعة: اللازورد. الخامسة: المغرة العراقية ويلحق بذلك النشا.

الباب الثالث

فى الفواتح

وهى خمس: الفاتحة الأولى: البسملة. الثانية: الحمدلة. الثالثة: التشهد فى الخطب. الرابعة: الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم. الخامسة: أما بعد.

الباب الرابع

فى الخواتم

وهى ست: الخاتمة الأولى: المشيئة. الثانية: التاريخ. الثالثة: المستند. الرابعة: الحمدلة. الخامسة: الصلاة. السادسة: الحسبلة.

الباب الخامس

فى اللواحق

وهى على ثلاثة أمور:

الأمر الأول: ما يؤمر الكاتب بإلحاقه فى كتابه بعد الانتهاء. الثانى: التتريب. الثالث: نظر الكاتب فى الكتاب بعد فراغه وتأمله له.

القسم العاشر

فى ولايات أولى الأمر بهذه المملكة وما ينبه عليه حين ولاياتهم

[٦ ب] ويشتمل على ثلاثة أبواب:

الباب الأول

فى بيعات الخلفاء والملوك

وهى على نوعين:

النوع الأول: مبايعات الخلفاء وما ينبه فيها. الثانى: بيعات الملوك وما ينبه فيها.

الباب الثانى

فى العهود وما ينبه فيها

وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: عهود الخلفاء إلى الخلفاء. الثانى: عهود الخلفاء للملوك. الثالث: عهـود الملـوك لولاة العهد بالملك.

الباب الثالث

فى الولايات الصادرة عن الخلفاء والسلاطين

وفيه فصلان: الفصل الأول: فيما يكتب من ذلك عن الخلفاء.

الثانى: فيما يكتب من الولايات عن الملوك.

القسم الحادى عشر

فى رسم المكاتبات الصادرة

ويشتمل على عشرة أبواب:

الباب الأول

فى ذكر أمور تتعلق بالمكاتبات يجب على الكاتب معرفتها وأصول يعتمدها

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: فى أصول يتعين على الكاتب مراعاتها. الثانى: فى مواقع الإيجاز والإطناب ومـا يلائم ذلك. الثالث: فى بيان لواحق الكتب من العنونة والترجمة.

الباب الثانى

في مصطلح مفتتح الكتب من أيام النبى صلى الله عليه وسلم وإلى زماننا

وهو على ثلاثة أساليب:

الأسلوب الأول: أن تفتتح المكاتبة من فلان إلى فلان. الثانى: ما يكتب به عن الخلفاء أيضاً. الثالث: أن تفتتح المكاتبة بالحمدلة.

الباب الثالث

في الكتب الصادرة عن ولاة العهد بالخلافة

وهو على حال واحد.

الباب الرابع

في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن فى معناهم إلى الخلفاء

وهو على خمسة أساليب:

الإسلوب الأول: أن تفتتح المكاتبة بلفظ من فلان إلى فلان أو لفلان من فلان. الثانى: أن تفتتح المكاتبة بالصلاة على الخليفة. الثالث: أن تفتتح المكاتبة بالسلام على الخليفة. الرابع: أن تفتتح المكاتبة بالحمدلة. الخامس: أن تفتتح المكاتبة بالدعاء للديوان العزيز.

الباب الخامس

[٧ أ] فى رسم المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن فى معناهم إلى ولاة العهد بالخلافة

وهو على أسلوبين:

الأسلوب الأول: ما كان عليه الأمر فى الزمن القديم. الثانى: ما عليه المصطلح الآن.

الباب السادس

فى رسم الكتب الصادرة عن الملوك ومن فى معناهم إلى الملوك ومن فى معناهم

وهو على خمسة أساليب:

الأسلوب الأول: أن تفتتح المكاتبة بأما بعد. الثانى: أن تفتتح من فلان إلى فلان. الثالث: أن تفتتح المكاتبة بلفظ كتابنا بنون الجمع المقتضية للتعظيم. الرابع: أن تفتتح المكاتبة بلفظ كتابى على الإفراد. الخامس: أن تفتتح المكاتبة بالدعاء للمجلس وما يتبعه كما كان قديماً واستنبط منها المصطلح الآن.

الباب السابع

فى رسم المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية على ما استقر عليه الحال

وهو على خمسة فصول:

الفصل الأول فى رسم المكاتبات الصادرة لأهل المملكة، وفيه ست مقاصد:

المقصد الأول: فى المكاتبات الخاصة بأرباب السيوف. الثانى: فى المكاتبات الخاصة بأرباب الوظائف الدينية بالديار المصرية. الثالث: فى المكاتبات الخاصة بأرباب الوظائف الديوانية. الرابع: فى المكاتبات الخاصة بمشايخ الصوفية. الخامس: فى مكاتبات العربان بالديار المصرية. السادس: فى رسم المكاتبة الخاصة بالخوندات.

الفصل الثانى فى رسم المكاتبات الصادرة إلى أرباب الوظائف بالممالك الشامية، وهى على خمس نيابات: [المذكور سبع]

النيابة الأولى: نيابة دمشق وعملها. الثانية: نيابة حلب وأعمالها. الثالثة: نيابة حماة. الرابعة: نيابة طرابلس. الخامسة: نيابة صفد. السادسة: نيابة غزة. السابعة: نيابة الكرك.

الفصل الثالث فى رسم المكاتبات الصادرة لأرباب الوظائف بالأقطار الحجازية، ويشتمل على ثلاث قواعد:

القاعدة الأولى: مكة المشرفة. الثانية: مدينة يثرب على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام. الثالثة: الينبع ويلتحق بذلك جزيرة سواكن.

الفصل الرابع فى رسم كتابة المطلقات لأرباب الوظائف بهذه المملكة، وهى على أربعة ضروب: الضرب الأول: المطلقات المكبرة. الثانى: المطلقات إلى كفلاء الممالك دون نائب الشام. الثالث: المطلقات المصغرة. الرابع: [٧ ب] البرالغ.

الفصل الخامس فى رسم كتابة الملطفات وأوراق الجواب والطريق والبطائق، وهى على أربعة أنواع:

النوع الأول: الملطفات. الثانى: أوراق الجواز. الثالث: أوراق الطريق. الرابع: أوراق البطائق.

الباب الثامن

فى رسم المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية إلى من هو خارج عن هذه المملكة من ملوك الأقطار وأتباعهم على ما كان الأمر عليه وما استقر عليه الحال

وينقسم ذلك على أربع جهات:

الجهة الأولى جهة الشرق عن الديار المصرية وهى تشتمل على ثلاثة ممالك: المملكة الأولى: مملكة إيران. المملكة الثانية من الممالك الشرقية: مملكة توران. المملكة الثالثة من الممالك الشرقية الإسلامية: مملكة الهند وفيها رسم مكاتبة صاحب البلغار والسرب إذا كان مسلماً.

الجهة الثانية جهة الشمال عن الديار المصرية وتسمى بلاد الدروب وهى بلاد الروم وغالبها بيد ابن عثمان وعدها فى التثقيف إحدى وعشرون مدينة وإحدى وعشرون أميراً وقد أوضحتها هنا.

الجهة الثالثة جهة الجنوب عن الديار المصرية وتشتمل على ثلاث نواح: الناحية الأولى: جزيرة العرب سوى بلاد الحجاز المتقدم ذكرها وتشتمل على إقليمين: الإقليم الأول: اليمن وفيه مملكتان: المملكة الأولى: مملكة إمام الزيدية. المملكة الثانية من ممالك اليمن: مملكة بنى رسول. الإقليم الثانى من جزيرة العرب: بلاد البحرين. الناحية الثانية من الجهة الجنوبية عن الديار المصرية: بلاد السودان. الناحية الثالثة من الجهة الجنوبية عن الديار المصرية: الطراز الإسلامي وهى من بلاد الحبشة إلى ساحل بحر القلزم مما يقابل اليمن.

الباب التاسع

فى رسم المكاتبات الصادرة إلى ملوك الإسلام فى جهة الغرب

[٨ أ] ويشتمل على أربع ممالك:

المملكة الأولى: إفريقية وقاعدها مدينة تونس. المملكة الثانية من الممالك الإسلامية: مملكة المغرب الأوسط وقاعدها مدينة تلمسان. المملكة الثالثة من الممالك الإسلامية: مملكة المغرب الأقصى وقاعدها مدينة فاس. المملكة الرابعة من الممالك الإسلامية الغربية: مملكة الأندلس وقاعدها مدينة غرناطة.

الباب العاشر

فى رسم المكاتبات الصادرة إلى ملوك النصارى

وهم بأربع جهات:

الأولى الجهة الشرقية وتشتمل على ثلاث ممالك: الأولى: مملكة الكرج وقاعدها مدينة تفليس. الثانية: مملكة الأرمن. الثالثة: مملكة صاحب باب الأبواب.

الثانية الجهة الغربية، وبها ثلاث ملوك: الأول: الأذفونش ويقال الفنش وقاعدة ملكه مدينة طليطلة. الثانى: صاحب برشلونة ويقال برجلونة. الثالث: الريد إفرنس ويقال الفرنسيس وقاعدة ملكه إفرنسة.

الثالثة الجهة الشمالية، والمكاتب بها اثنا عشر حاكماً: الأول: الباب ومقره مدينة رومية. الثانى: صاحب القسطنطينية. الثالث: حكام جنوة. الرابع: صاحب البندقية. الخامس: صاحب سنوب. السادس: صاحب البلغار والسرب. السابع: متملك رودس. الثامن: صاحب جزيرة المصطكا. التاسع: متملك قبرص. العاشر: صاحب الماغوصة. الحادى عشر: ملك مونفراد. الثانية عشر: صاحب نابل.

الرابعة الجهة الجنوبية، والمكاتبون بها من ملوك النصارى ملكان: الأول: ملك أمحـرا وقاعـدة ملكه مدينة جرمى. الثانى: صاحب دنقلة وهو ملك النوبة.

القسم الثانى عشر

فى الإقطاعات والمسامحات والإطلاقات والطرخانيات وتحويل السنين

وهو يشتمل على ثلاثة أبواب:

الباب الأول

فى الإقطاعات

وهى على خمس طرق: الأولى: ما كان يكتب فى زمن الخلفاء العباسيين. الثانية: ما كان يكتب فى زمن الفاطميين. الثالثة: ما كان يكتب عن ملوك الشرق والقائمين عن [٨ ب] خلفاء بنى العباس. الرابعة: ما كان يكتب عن الملوك الأيوبية بمصر. الخامسة: ما يكتب فى زماننا.

الباب الثانى

فى المسامحات والإطلاقات

وهو على نوعين: النوع الأول: المسامحات. الثانى: الإطلاقات.

الباب الثالث

فى الطرخانيات وتحويل السنين

وهو على نوعين: النوع الأول: الطرخانيات. الثانى: فى تحويل السنة الشمسية إلى القمرية.

القسم الثالث عشر

فى الأيمان والأمانات والدفن وعقد الذمة والهدن الواقعة بين ملوك الإسلام وملوك النصارى والصلح بين ملكين مسلمين والفسوخ الواردة على العقود السابقة

وفيه سبعة أبواب:

الباب الأول

فى الأيمان

وفيه ثلاثة ضروب: الضرب الأول: فى نسخ الأيمان الإسلامية. الثانى: فى الأيمان التى يحلف بها أهل الكفر والحكماء. الثالث: فى الأيمان التى يحلف بها على الهدن التى تعقد بين ملكين أو ملك ونائب أو نائبين وما يزاد فى أيمان بعض أعيان المملكةوما يفرد به بعضهم حين ولاياتهم.

الباب الثانى

فى الأمانات وكتابة نسخها

وفيه مقصدان: المقصد الأول: فى عقد الأمان لأهل الكفر.الثانى:فى كتابة الأمان إلى أهل الإسلام.

الباب الثالث

فى الدفن

وهو على حالة واحدة.

الباب الرابع

فيما يكتب فى عقد الذمة وانتقاضه

وهو على حالة واحدة.

الباب الخامس

فى الهدن الواقعة بين ملوك الإسلام وملوك الكفر

وفيه فصلان: الفصل الأول: فى أصول يتعين على الكاتب معرفتها. الثانى: فى صورة ما يكتب فى المهادنات.

الباب السادس

فى عقود الصلح بين ملكين مسلمين

وهو على حالة واحدة.

الباب السابع

فى الفسوخ الواردة على العقود السابقة

وهو على صورتين: الصورة الأولى: الفسخ. الثانية: المفاسخة.

مقدمة الكتاب

فى تعلق ديوان الإنشاء وكتابه

[٩ ب] وفيه بابان:

الباب الأول

فى التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه فى الإسلام وتفرقه بعد ذلك فى الممالك وفى بيان لقب صاحب هذا الديوان الحاوى عليه قديماً وحديثاً وبيان شرف قدره ورفع محله وفيه ثلاثة [١] فصول:

الفصل الأول

فى التعريف بحقيقته

لا خفاء فى أنه اسم مركب من مضاف [وهو ديوان] [٢] ومضاف إليه وهو الإنشاء، أما الديوان فهو اسم الموضع الذى يجلس فيه الكاتب. واختلف فى أصل لفظه قيل عربى، وفى لغة العرب أن الديوان، الأصل الذى يرجع إليه ويعمل بما فيه، ومنه قول ابن عباس رضى الله عنهما" إذا سألتمونى عن شىء من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فإن الشعر ديوان العرب"، وإلى هذا يميل كلام سيبويه.

وذهب آخرون إلى أنه أعجمى وهو قول الأصمعى، وعليه اقتصر الجوهرى فى الصحاح فقال " الديوان فارسى معرب "، وحكى الماوردى فى الأحكام السلطانية فى سبب تسميته بذلك وجهين:

أحدهما: أن كسرى أمر كتابه أن يحسبوا مال الخراج ففعلوا واطلع عليهم وهم يحسبون فقال " ديوانه " أى مجانين لحذقهم فسمى موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ ثم حذفت الهاء من أخره للتخفيف فقيل ديوان.

---

(١) الصواب: أربعة فصول من واقع ما هو مذكور بالمخطوط.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من، صبح، ج ١، ص ٨٩؛ ضوء، ص ٣٤.

والثاني: أن الديوان بالفارسية هو اسم للشياطين وسميت [١] الكتاب بذلك لمعرفتهم [٢] بالأمور ووقوفهم على الجلي منها والخفي.

والإنشاء يقع على معان، منها أن يقع من الخالق جل وعلا، تارة بمعنى الخلق والابتداء كما قال تعالى ﴿ وَهُوَ الذىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [٣] بمعنى خلقكم وابتدأكم من أدم عليه السلام.وتارة بمعنى الابتداء خاصة كما قال تعالى عن السفن ﴿ وَلَهُ الجَوَارِ ٱلْمُنشَئَاتُ فى ٱلبَحرِ كَٱلأَعلَـٰمِ ﴾ [٤]. وتارة بمعنى [١٠ أ] الاختراع، وهو الذى لم يكن له مثل سابق كما قال عز وجل عن البساتين ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعرُوشَـٰتٍ وَغَيرَ مَعرُوشَـٰتٍ ﴾ [٥]، ومن الآدمي بمعنى الابتكار والابتداء.

والإنشاء مصدر أنشأ الشيء ينشئه إنشاء إذا اخترعه أو ابتكره، بمعنى أن الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ومن المعاني فيما يكتب به من الولايات ومن المكاتبات، ومن هذا أضيفت الكتابة إلى الإنشاء من تشابه أصلها أى يبنى عليه. وحينئذ فإضافة الإنشاء إلى الديوان يحتمل أمرين، أحدهما أن الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات ينشأ عنه ويبتدأ منه. الثاني أن الكاتب ينشئ لكل واقعة مقالاً.

وكان هذا الديوان فى الزمن الماضى [٦] يعبر عنه بديوان الرسائل تسمية له بأظهر [٧] الأنواع التى تظهر [٨] وتصدر عنه، لأن الرسائل أكثر كتابة ديوان الإنشاء، وربما عبر عنه [٩] بديوان المكاتبات، ثم غلب عليه ديوان الإنشاء من أيام القاضي الفاضل.

---

(١) الصواب: وسمى، صبح، ج ١، ص ٩٠.

(٢) لحذقهم: ضوء، ص ٣٤.

(٣) الأنعام، الآية ٩٨.

(٤) الرحمن، الآية ٢٤.

(٥) الأنعام، الآية ١٤١.

(٦) المتقدم: صبح، نفسه.

(٧) بأشهر: صبح، نفسه.

(٨) ناقصة فى صبح، نفسه.

(٩) قيل: صبح، نفسه.

الفصل الثانى

فى أصل وضعه فى الإسلام وتفرقه بعد ذلك فى الممالك

اعلم أن هذا الديوان أول ديوان وضع فى الإسلام لأن [١] النبى صلى الله عليه وسلم كان يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه ويكاتبونه، وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، فكتب إلى هرقل حين كان مجاوراً لجزيرة العرب من قبل الشام على يد دحية الكلبى [٢] كتاباً أوله " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله رسول الله إلى هرقل عظيم الروم "، وفى رواية " من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد أدعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم "، وفى رواية " يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين [٣] " وفى رواية البريسيين ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [٤].

وكتب إلى المقوقس بمصر على يد حاطب بن أبى بلتعة اللخمى [٥] " بسم الله الرحمن [١٠ ب] الرحيم، من محمد رسول الله إلى المقوقس بمصر، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد،

---

(١) وذلك أن: صبح، ج ١، ص ٩١؛ ضوء، ص ٣٥.

(٢) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبى، صحابى مشهور كان مشهوراً بحسن الصورة، وكان جبريل عليه السلام ينزل على صورته، عاش حتى عهد معاوية بن أبى سفيان. ابن عبد البر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، تحقيق على محمد البجاوى، بيروت ١٤١٢ هـ، ج٢، ص٤٦١، ت رقم ٧٠١؛ ابن حجر العسقلانى: الإصابة فى تمييز الصحابة، تحقيق على محمد البجاوى، بيروت ١٩٩٢، ج٢، ص٣٨٤، ت ٢٣٩٢.

(٣) الأريسيين: نسبة إلى أريوس السكندرى الذى دعى إلى التفريق بين الله والمسيح، وقد اتخذته الكنيسة الشرقية مذهباً لها، ومنذ ذلك الوقت أصبحت هناك كنيستان إحداهما الكنيسة الشرقية والأخرى الكنيسة الغربية المعادية للأريوسية. انظر: نورمان كانتور: التاريخ الوسيط قصة حضارة، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة ١٩٨٤، ص٦٦_٦٧.

(٤) آل عمران، الآية ٦٤.

(٥) هو حاطب بن أبى بلتعة اللخمى، حليف قريش من مذحج، مات فى خلافة عثمان بن عفان عام ٣٠ هـ. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص٣١٢.

فإن الله أرسلني رسولاً، وأنزل على كتاباً قرآناً مبيناً، وأمرني بالإحذار [١] والإنذار ومقاتلة الكفار حتى يدينوا بديني ويدخل الناس في ملتي، [وقد دعوتك إلى الإقرار بوحدانيته] [٢] فإن أنت أطعت [٣] سعدت، وإن أنت أبيت شقيت، والسلام [٤].

وكتب إلى كسرى ملك الفرس على يد عبد الله بن حذافة السهمى [٥] من الحديبية كتاباً " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر [٦] من كان حياً ويحق القول على الكافرين، اسلم تسلم، فإن أبيت [٧] فعليك إثم المجوس.

وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة على يد عمرو بن أمية الضمرى [٨] " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، وأنا أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة إلى طاعته "، وفي رواية " وأنا أدعوك وجنودك فاقبل نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى " [٩].

---

(١) بالأعذار: صبح، ج ٦، ص ٣٧٨.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من صبح، نفسه.

(٣) فعلت: صبح، نفسه.

(٤) يختلف نص هذه الرسالة مع ما أورده القلقشندي سواء ما نقله عن كتاب الأموال لأبي عبيدة أو الرسالة الأخرى وإن كان المضمون واحدا في كل الروايات، انظر: صبح، ج٦، ص ٣٧٧ ـــ ٣٧٨.

(٥) هو عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى السهمي، من الصحابة السابقين إلى الإسلام الذين هاجروا الهجرتين الحبشة والمدينة، توفى بمصر ودفن بها في خلافة عثمان بن عفان. ابن عبد البر: السابق، ج٣، ص٨٨٨، ت رقم ١٥٠٨؛ ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص٥٧، ت رقم ٤٦٢٥.

(٦) لأنذر: صبح، ج ٦، ص ٣٧٨.

(٧) توليت: نفسه.

(٨) هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن ضمرة الضمرى، صحابي مشهور أسلم بعد غزوة أحد، توفى في خلافة معاوية بن أبي سفيان حوالى عام ٦٠ هـــ. ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص٦٠٢، ت رقم ٥٧٦٩؛ ابن قانع: معجم الصحابة، تحقيق صلاح بن سالم المصراتي، المدينة المنورة ١٤١٨ هـــ، ج٢، ص٢١٠، ت رقم ٧١٢.

(٩) هذه الرواية مختلفة عما ذكره القلقشندي في صبح، انظر، ج٦، ص ٣٧٩.

أقول: إن أسماء هؤلاء الملوك من قبيل أعلام الأجناس، لأنه يقال لكل من ولى الروم قيصر وأن هرقل لم يكن الملك نفسه وإنما كان متسلم الشام لقيصر، وقيصر بالقسطنطينية لم يره، وقيصر هو الملك نفسه. وكان كل من لى مصر يسمى المقوقس، وأن المقوقس الذى كاتبه النبى صلى الله عليه وسلم يسمى جريج بن ميناس بن مرقب من القبط من ذرية حام بن نوح. ومن ولى الحبشة يسمى النجاشى، والنجاشى الذى كاتبه النبى صلى الله عليه وسلم اسمه أصحمة بن أبجر، وقيل مصحمة كما قاله البيهقى، وقال النووى فى شرح مسلم " وليس هذا بالنجاشى الذى صلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم "، [ومن ولى مملكة الفرس يسمى كسرى، وأن كسرى الذى كاتبه النبى صلى الله عليه وسلم يسمى أبرويز ومعناه بالفارسية أى المعلق بالسحاب] [١].

وكتب إلى هوذة بن على ملك اليمامة، وإلى الملك [٢] بن ساوى ملك البحرين [١١ أ]، وإلى الحارث بن أبى شمر الغسانى بغوطة دمشق. وكتب لعمرو بن حزم [٣] عهداً حين وجهه إلى اليمن، ولتميم [٤] بإقطاع فى الشام، وكتب كتاب القضية بينه وبين قريش عام الحديبية، وكتب الأمانات إلى غير ذلك مما لا يحصر، وهذه المكتوبات كلها متعلقها ديوان الإنشاء بخلاف ديوان الجيش فإن أول من وضعه ورتبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

(١) ما بين الحاصرتين من هامش صفحة المخطوط.

(٢) الصواب: المنذر. انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، بيروت، ب، ت، ج١، ص٢٧٦.

(٣) هو عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الأنصارى، استعمله النبى على نجران، توفى عام ٥٠ هـ. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص١١٧٢، ت رقم ١٩٠٧؛ ابن قانع: السابق، ج٢، ص٢٠٠، ت رقم ٦٩٩؛ ابن حجر: السابق، ج٤، ص٦٢١، ت رقم ٥٨١٤.

(٤) يقصد به الكتاب الذى كتبه الرسول صلى الله عليه وسلم لتميم الدارى وإخوته انظر فيما بعد القسم الثانى عشر ص٩١٥، وتميم الدارى: هو تميم بن أوس بن خارجة بن سود، ينسب إلى الدار، وهو بطن من قبيلة لخم، كان نصرانياً وأسلم. ابن عبد البر: السابق ج١، ص١٩٣؛ ابن قانع: السابق، ج١، ص١٠٩، ت رقم ١١٣؛ ابن حجر: السابق ج١، ص٣٨١، ت رقم ٨٧٠.

الفصل الثالث

في بيان لقب صاحب ديوان الإنشاء الحاوى عليه قديماً وحديثاً وبيان شرف قدره وترفع محله

اعلم أن المستمر فى العرف على ألسنة الناس من أيام القاضى جعفر بن المغربى [١]، وقيل من أيام القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر [٢] فى أيام المنصور قلاوون بلقب " كاتم السر " وإلى زماننا، وربما قيل فيه " كاتب السر ". وهو مستقيم لغة ومعنى، أما من حيث اللغة فإن ربيعة تبدل الباء ميماً، والميم باء. ومن حيث المعنى فإنه الذى يكتم سر سلطانه بما يلقى إليه من خفايا أموره.

وأما فى القديم فكان من مبتدأ خلافة الإمام أبى بكر رضى الله عنه وإلى آخر دولة الأمويين قبل أن تكن الوزارة يعبرون عنه بالكاتب كما ذكره القضاعى، فلما جاءت الدولة العباسية وظهر أول خلفائهم أبو عبد الله السفاح لقب كاتبه أبا سلمة الخلال [٣] بالوزير واستقر لقب الوزارة على الكتاب من حينئذ ورفض التلقيب بالكاتب. ثم اتسع أمر الوزارة فأفرد ديوان الإنشاء عن الوزارة وجعلوا عليه متولياً ولقبوه بأمير البريد يُرجع إليه فى الأمر والنهى والعلو والانحطاط، ويشارك صاحب هذا الديوان فى كثير من الأمور.

---

(١) هو أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن محمد المغربى، أحد وزراء الدولة الفاطمية فى عهد المستنصر الفاطمى [٤٢٧ _ ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ _ ١٠٩٤م]، وزر له فى شهر ربيع الآخر من عام ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م إلى رمضان من عام ٤٥٢ هـ، ثم تولى بعدها ديوان الإنشاء إلى أن توفى عام ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٣ م. ابن الصيرفى: الإشارة، ص ٨٣ _ ٨٥.

(٢) هو القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر، رأس موقعى وكتاب الدست فى أيام المنصور قلاوون ولم يتول رئاسة الديوان بل الذى تولى رئاسته هو ابنه فتح الدين بن عبد الظاهر، توفى عام ٦٩٢ هـ. انظر ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، _ مقدمة المحقق _ ص٥ وما بعدها؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج٧، ص٢٩٣، ٣٣٤.

(٣) أبو سلمة الخلال: هو أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمدانى وزير أبى العباس السفاح، وهو أول من أطلق عليه اسم الوزير، قتل عام ١٣٢ هـ / ٧٥١ م. ابن خلكان: وفيات، ج٢، ص١٩٥ _١٩٧، ت رقم ٢٠١.

وكان متولى الديوان يلقب تارة " بصاحب ديوان الرسائل "، وتارة " متولى ديوان السائل وصاحب ديوان المكاتبات " أو " متولى ديوان المكاتبات. وقال ابن الطوير " وكان يلقب فى الدولة الفاطمية بكاتب الدست "، ثم لقب فى الدولة التركية " بصاحب [١١ ب] ديوان الإنشاء " وأسند إليه أمر الولايات والعزل، ثم غدق به غالب أمور المملكة ثم اتسع له مجال التدبير والتصرف إلى أن صار أمين المملكة ورأس أعيانها، لا يضع الملك فى أمر مملكته حرفا إلا على ما يخرج من مزرته بعد اطلاعه عليه.

ولما أفصل الوزير جعفر بن المغربى من الوزارة فى أيام المستنصر من الفاطميين خير فى وظيفة يكون قائماً بها مقام الوزير فاختار صحابة ديوان الإنشاء وأن يلقب بكاتم السر ففعل ذلك ولزم هذا اللقب لصاحب دواوين الإنشاء لا ينفرد به غيره. أما كاتب السر بدمشق وحلب فلا يعبر عنهما إلا " بصاحب ديوان الإنشاء بالشام أو بحلب " (١)، وكان يعبر عن كاتم السر بحماة "صاحب ديوان المكاتبات بحماة " (٢)، وعلى نحوه كاتمى السر بطرابلس وصفد. وأما كتام السر بغزة وسيس وثغر الإسكندرية والكرك فلا يعبر عنهم إلا " بكتاب الدرج بفلانة"، وربما كتب لهم " كاتب الإنشاء بفلانة " إن كان من موقعين الإنشاء بالديار المصرية أو بالشام.

وأما شرف محله وترفع قدره، فأشرف محل وأرفع قدر وناهيك بعلو شأنه أنه سالك سبل أجل الصحابة رضى الله عنهم لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكتب عنه أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى وغيرهم كما سيأتى فلا يولى صحابة دواوين الإنشاء إلا خلاصة خواص الناس، ومن تكون القلوب على أهليته متطابقة والألسن بكفايته ناطقة. ولم يزل صاحب هذا الديوان معظماً عند الملوك فى كل زمن مقدماً لديهم على من عداه، يلقون إليه أسرارهم ويخصونه بخفايا أمورهم ويطلعونه على ما لا يطلعون عليه أولادهم ولا أخص الأخصاء من الأمراء أو الوزراء وغيرهم، وإنه أول داخل يدخل على الملك وأخر ذاهب يذهب من عنده، ولا غنى للملك عن أخذ رأيه والإفضاء إليه بمهماته ويقربه من نفسه فى آناء ليله وساعات نهاره وأوقات ظهوره للعامة والحجبة إلا منه، واطلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته [١٢ أ] فهو لا يثق من أحد من خاصته ثقته به، ولا يركن إلى أحد كركونه إليه، فإن المعول عليه فى سياسة عسكره

---

(١) فى هامش صفحة المخطوط " وصار الآن يعبر عنهما بكاتب السر الشريف بالشام أو حلب ".

(٢) فى هامش صفحة المخطوط " والآن صار يعبر عنه بصاحب أو رئيس ديوان الإنشاء بحماة ".

ونوابه وأمرائه وجنده وعماله وعمارة بلاده ومصلحة رعيته واستخلاص نياتهم، واستجلاب دعواتهم، والملتمس الأيمان من أرباب الولايات حين دخولهم إلى المناصب. ومن ديوانه تكتب الولايات بأسرها، ويقلد كل واحد بما يلزمه ويوصى بما يراه ويقيده من الإمام إلى من هو فى أدنى رتبة من رتبة المملكة، وإن لسانه وقلمه جاريان فى صلة الأرزاق ورفع المظالم والحوادث.

تنبيه قال صاحب مواد البيان " إذا انتهى إلى صاحب هذا الديوان خبر يتعلق باستجلاب نفع إلى سلطانه أو الرعية أو دفع مضرة بادر لاطلاع سلطانه على ذلك قبل فوات المصلحة، وإن ارتاب فى خبر المخبر أحضره معه إلى سلطانه ليشافهه بذلك حتى يكون بريئاً من تبعته ولا يهمل تبليغ خبره ولمقتضى ذلك يكون أكثر اجتماعاً على الملك من غيره ".قال ابن الطوير فى ترتيب الدولة الفاطمية " كان هذا الديوان [(١)] لا يتولاه فى الدولة الفاطمية إلا أجل كتاب البلاغة ويخاطب بالأجل ــ بمقام المقر فى زماننا ــ وربما بات عند الخليفة ليالى لخصوصيته [(٢)]، وهو أول أرباب الإقطاعات فى الرزق وفى الكسوة والرسوم والملاطفات وله حاجب من الأمراء، وله فى مجلسه المرتبة العظيمة والمخاد والمسند والدواة والمرملة العظيمتين، وكان يحمل دواته أستاذ من خواص أمراء الخليفة عند حضوره إلى مجلس الخلافة [(٣)]، وله الخطاب والإشارة، وعلى رأيه وجوابه المعول، وله فى التهانى والمواسم أسنى الخلع التى لا ينالها غيره وجياد الخيل المسومة المنسوبة بالقماش الذهب، وأن يسترق من المماليك والخدام خواصهم، وكل من [فى] الدولة محتاج إليه متردد إلى بابه سائل له فى حوائجه، وهو فى غنية عن التردد إلى [١٢ ب] أحد منهم ".

---

(١) المنصب: صبح، ج ١، ص ١٠٢.

(٢) وهذا أمر لا يصل إليه غيره: صبح، نفسه.

(٣) إلى هنا توقف القلقشندي فى النقل عن ابن الطوير. صبح، ج١، ص١٠٥.

الفصل الرابع

فى صفة صاحب هذا الديوان وآدابه

قال أبو الفضل الصورى: يجب أن يكون صبيح الوجه فصيح الألفاظ طلق اللسان، أصيلاً فى قومه، رفيعاً فى حيه، وقوراً حليماً مؤثراً للجد على الهزل، كثير الأناة والرفق، قليل العجلة والخرق، [نزر الضحك، مهيب المجلس، ساكن الظل، وقور النادى] (١) شديد الذكاء، متوقد الفهم، حسن الكلام والأحكاء إذا حُدث، سريع الرضا بطيء الغضب، رءوفا بأهل الدين، محباً لأهل العلم والأدب، راغباً فى نفعهم [مزيلاً لضررهم] (٢)، محباً للشغل على الفراغ، ملازم الملك فى غالب ساعاته، مواظب ديوانه ما لم يكن بين يدى سلطانه ليتحر الأمور ويتأس به كتاب ديوانه ولا يجدوا رخصة فى الغيبة عن ديوانهم، وإن يغلب هوى الملك على هواه، ورضاه على رضاه ما لم ير فى ذلك خللاً على المملكة والرعية، ولا خلافا عن اتباع الشريعة، وأن يبدى النصيحة بأحسن وأجمل تلطف، ومهما حدث من الملك من رأى صائب أو إظهار معروف أو تدبير حسن أشاعه وأذاعه وعظمه وفخمه وكرر ذكره وأوجب على الناس شكره، وإذا قال الملك قولاً ولم يره صواباً فلا يجبه بالرد عليه واستهجان ما أتى به بل يصبر إلى حين الخلوة ويُدخل فى أثناء كلامه مع سلطانه ذلك المقصد بما يوضح به نهج الصواب.

ويكون متابعاً فى بسط المعدلة وإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وجبر الكسير وعمارة البلاد مرغباً فى الإنعام على المعتر المستحق، وعمارة بيوت الله تعالى وخصوصاً المساجد الثلاثة، ومصالح وفد الحاج، وتعهد طرقه فى طول السنة، وإقامة الحدود على الأوضاع الشرعية، وتعظيم الشريعة والعمل بأحكامها، وإن أتى سلطانه نحلة تنافى ذلك يقله عنها بأحسن تدريج وألطف معنى، ولم يدع ممكناً فى تبيين قبحها وإصلاح رداءة عاقبتها، وأن يكون مع ذلك بأعلى يقظة [١٣ أ] بعيداً عن الغرض إلا فى نصيحة ملكه، والاستدلال بقليل القول على كثيره، ويستغنى عن التصريح بالإشارة والإيماء لينبه الملك عن الأمور من أولها ومعرفته (٣) خواتم

---

(١) ما بين الحاصرتين من صبح، ج١، ص١٠٥؛ نزر الضحك وقور النادى: ضوء، ص٤٢.

(٢) ناقص من صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٣) ويعرفه: صبح، ج ١، ص ١٠٦؛ ضوء، ص ٤٣.

الأشياء من مفتتحاها، ولا يكتب عن الملك إلا بما يكون تابعاً للشريعة، وبما يقيم به منار دولته وتعظيمها.

وأن يكون من كتمان السر بالمترلة التى لا يدانيه فيها أحد حتى لا يطمع [١] والد ولا ولد ولا أخ شقيق ولا صديق على ما دق أو جل، ولا يعلمه بما كثر منه أو قل [٢]، ويتحقق أن فى إذاعته ما يعلم به وضع مترلته وانحطاط رتبته، ويجتهد أن يكون ذلك له طبعاً مركباً وأمراً واجباً"

وهذه الصفة هى الشروط اللازمة [٣]، والواجب المحتم، وهى التى بها يشتهر، وبالإضافة إليها عرف، قال المأمون وهو من أعلى الخلفاء مقاماً وأوسعهم علماً " الملوك تحتمل كل شئ إلا ثلاثة، القدح فى الملك، وإفشاء السر، والتعرض إلى الحرم ". ومن كلام بعض الحكماء " سرك دمك "، قال صاحب العقد: يعنوا [٤] بذلك انه ربما كان فى إفشاء سرك سفك دمك، وإلى ذلك أشار أبو محجن الثقفى بقوله:

قد أطعن الطعنة النجلاء عن عرض ... ولكتم [٥] السر فيه ضربة العنق

---

(١) يطلع: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٢) ولا قل: صبح، نفسه؛ ولا ما قل، ضوء، نفسه.

(٣) الشرط اللازم: صبح، ص ١٠٧؛ ضوء، نفسه.

(٤) يعنون: صبح، نفسه، ضوء، نفسه.

(٥) وأكتم: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

الباب الثانى

فى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن كتب بعدهم إلى آخر دولة الأمويين وابتداء الدولة العباسية واتخاذ كتام السر بالديار المصرية من أيام أحمد بن طولون وإلى زماننا

الفصل الأول

فى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن كتب بعدهم إلى حين انقراض دولة بنى أمية وابتداء دولة العباسيين

اعلم أن كتاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا نيفاً عن ستة وثلاثين [١] كاتباً، فكان على وعثمان رضى الله [١٣ ب] عنهما يكتبان الوحى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن غابا كتب أُبى [٢] وزيد بن ثابت [٣]، فإن غابا كتب حمزة. وكان خالد بن سعيد بن العاص [٤]، ومعاوية بن أبى سفيان يكتبان بين يديه فى حوائجه، والمغيرة بن

(١) نيف وثلاثون كاتباً: صبح، ج١، ص٩٢. وتذكر بعض الدراسات الحديثة أنهم يتراوحون بين ٤٢، ٤٣ كاتباً. انظرمحمد حميد الله: الوثائق السياسية للعهد النبوى، القاهرة١٩٤١؛ عبد الحميد السامرائى:السفارات فى الإسلام، ماجستير، كلية دار العلوم، القاهرة١٩٧٦.

(٢) يقصد به أُبى بن كعب، وهو أبى بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد الأنصارى، كان من أصحاب بيعة العقبة الثانية، وكان أحد الصحابة المشهور عنهم العلم، وقد قرأ الرسول عليه القرآن بوحى من الله. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص٦٥؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص٢٧، ت رقم ٣٢.

(٣) هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن عمرو الأنصارى الخزرجى، كتب الوحى للنبى، وهو الذى تولى جمع القرآن عهد الخليفة أبى بكر الصديق، توفى حوالى عام ٤٥ هـ على أصح الأقوال. ابن عبد البر: السابق، ج٢، ص٥٣٧، ت رقم ٨٤٠؛ ابن قانع: معجم، ج١، ص٢٢٨، ت رقم ٢٥٥؛ ابن حجر: السابق، ج٢، ص٥٩٢، ت ٢٨٨٢.

(٤) هو خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، كان من السابقين إلى الإسلام وهاجر الهجرتين، استعمله النبى على صدقات مذحج، استشهد فى غزو بلاد الشام. ابن عبد البر: السابق، ج٢، ص٤٢٠، ت رقم ٥٩٩؛ ابن حجر: السابق، ج٢، ص٢٣٦، ت رقم ٢١٦٩.

شعبة [١] ينوب عنهما إذا لم يحضرا، وكتب زيد بن أرقم [٢] إلى بعض الملوك، وكان حذيفة بن اليمان [٣] يكتب خرص التمر، وكان معيقيب [٤] حليف بنى أسد يكتب مغانم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان حنظلة بن ربيع بن صيفى خليفة كل كاتب من كتابه.

وكان عبد الله بن أبي سرح يكتب قديماً ثم ارتد وقال: إن محمداً يكتب ما شاء. فسمع أنصارى بذلك فحلف ليضربنه بالسيف، فيوم الفتح دخل عثمان بن عفان وكان أخوه من الرضاعة وقال: يا رسول الله، هذا عبد الله بن أبي سرح قد أقبل تائباً. فأعرض النبى صلى الله عليه وسلم عنه والأنصارى مطيف به ومعه سيفه، فأعاد عثمان القول على النبى صلى الله عليه وسلم ومد يده فبايعه ثم قال للأنصارى: قد بلغت منا أن توفى بنذرك. قال: هلاّ أومضت إلى يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وسلم: لا ينبغى لى أن أومض.

وكان أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، ومعاوية بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم يكتبون الكتب بين يديه، وكان غيرهم يكتب ولكن هؤلاء هم المشهورون.

فلما توفى النبى صلى الله عليه وسلم وصارت الخلافة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه كتب عنه عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهم. فلما توفى

---

(١) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفى، أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان، شهد اليمامة وفتوح الشام والعراق، حكم ولاية الكوفة عهد عثمان بن عفان وعهد معاوية بن أبي سفيان، توفى عام ٥٠ هـ. ابن عبد البر: السابق، ج٤، ص١٤٤٥، ت رقم ٢٤٨٣؛ ابن قانع: معجم، ج٣، ص٨٧، ت رقم ١٠٤٨؛ ابن حجر: السابق، ج٦، ص١٩٦، ت رقم ٨١٨٥.

(٢) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قس بن النعمان بن الخزرج، غزا مع النبى سبع عشرة غزوة، توفى بالكوفة عام ٦٦ هـ. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص٥٣٥، ت رقم ٨٣٧؛ ابن قانع: معجم، ج١، ص٢٢٧، ت رقم ٢٥٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج٢، ص٥٨٩، ت رقم٢٨٧٥.

(٣) هو حذيفة بن اليمان العبسى، أحد كبار الصحابة، استعمله عمر بن الخطاب على المدائن، توفى عام ٣٦ هـ فى أوائل خلافة على بن أبي طالب. ابن عبد البر: السابق، ج١، ص٣٣٤؛ ابن قانع: السابق، ج١، ص١٩١، ت رقم ٢١٥؛ ابن حجر: السابق، ج٢، ص٤٤، ت رقم ١٦٤٩.

(٤) هو عبد الله بن المغيرة بن معيقيب، من مهاجرة الحبشة. ابن حجر: السابق، ج٤، ص٢٤٤، ت رقم ٤٩٨٠.

أبو بكر واستخلف عمر، كتب عنه عثمان، وعلى، ومعاوية، وعبد الله بن خلف الخزاعــى [١]. وكان زيد بن ثابت، وزيد بن أرقم يكتبان على بيت المال. فلما صارت الخلافة لعثمان كتــب عنه مروان بن الحكم. فلما صارت الخلافة لعلى كتب عنه عبد الله بن رافع [٢] مولى النبى صلى الله عليه وسلم، وسعد بن نمر [٣] فلما توفى على وصارت الخلافة لولده الحسن أبقى كاتب أبيه.

فلما بايع معاوية كتب عنه عبد الله بن أوس الغسانى [٤]. فلما تولى يزيد [١٤ أ] بــن معاوية بعهد من أبيه أبقى عبد الله على ما كان عليه. فلما توفى يزيد وصارت الخلافــة لولــده معاوية استقر بعبد الله على عادته.

فلما خلع معاوية نفسه وتولى مروان بن الحكم كتب عنه سفيان الأحول، وقيل عبد الله بن أوس المذكور. فلما صارت الخلافة لولده عبد الملك كتب عنه روح بن زنباع الجذامى [٥]. فلما صارت الخلافة لولده الوليد كتب عنه قرة بن شريك [٦]، ثم قبيصة بــن ذؤيــب [٧]، ثم

(١) هو عبد الله بن خلف الخزاعى، كان كاتباً لعمر بن الخطاب، قتل يوم وقعة الجمل. ابن عبد البر: السابق، ج٣، ص٨٩٥، ت رقم ١٥٢٢؛ ابن حجر: السابق، ج٥، ص٨٥، ت رقم ٦٣١٥.

(٢) هو عبد الله بن رافع بن سويد بن حرام بن الهيثم الأنصارى، شهد أحداً. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص٨٩٥، ت رقم ١٥٢٥.

(٣) سعيد بن نجران الهمدانى، صبح، ج١، ص٩٢.

(٤) هو عبد الله بن أوس الطائى، أحد الكتاب الذين استمروا فى مهنتهم لفترة كبيرة عصر الدولة الأموية. الطبرى: تاريخ الأمم، ج٥، ص٢٣٨.

(٥) روح بن زنباع الجذامى: أبو زرعة، كان من أقرب الناس إلى عبد الملك بن مروان وأجلهم رأياً. الطبرى: السابق، ج٥، ص٤٩٦، ج٦، ص٤١٢.

(٦) قرة بن شريك العبسى: عمل كوال على مصر منذ عام ٩٠ هـــ /٧٠٩ م، وتوفى وهو على إمرتها عام ٩٦ هـــ /٧١٥ م. الكندى: ولاة مصر، ص٨٤ ــ ٨٦؛ الطبرى: السابق، ج٦،ص٤٤٢، ٤٤٧، ٥٢٢.

(٧) قبيصة بن ذؤيب: قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة أبو إسحاق الخزاعى الكاتب، أوكل إليه عبد الملك بن مروان الخاتم والسكة وكان يدخل عليه فى أى ساعة من نهار. الطبرى: السابق، ج٦، ص٤١٢.

الضحاك بن زمل. فلما توفى الوليد وصارت الخلافة لأخيه سليمان كتب عنه يزيد بن المهلب[١] ثم عبد العزيز بن الحارث. فلما مات وصارت الإمامة للإمام العادل عمر بن عبد العزيز كتب عنه رجاء بن حيوة الكندى [٢] ثم ابن أبي رقية. فلما درج عمر بالوفاة وصارت الخلافة إلى يزيد بن عبد الملك كتب عنه سعيد بن الوليد الأبرش [٣] ثم محمد بن عبد الله بن حارثة الأنصارى. فلما صارت الخلافة إلى هشام بن عبد الملك أبقاهما على عادتهما واستكتب معهما سالم مولاه. فلما صارت الخلافة إلى الوليد بن يزيد كان كاتبه العباس بن مسلم. فلما ذبح وتولى الخلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك استكتب عنه ثابت بن سليمان [٤]. فلما توفى وتولى الخلافة إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك أبقى ثابت بن سليمان على عادته. فلما صارت الخلافة إلى مروان بن محمد بن مروان استكتب عبد الحميد بن يحيى مولى بنى عامر [٥] إلى حين انقراض دولة الأمويين.

ثم صارت الخلافة إلى بنى العباس فاتخذوا كتابهم وزراء ورفضوا التلقيب بالكاتب،وكان أول من أخذ الدعوة لبنى العباس أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح فى يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فاستوزر أبا سلمة الخلال وهو أول وزير وزر فى

(١) يزيد بن المهلب: هو أبو خالد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدى والى خراسان فى عهد عبد الملك بن مروان، وولده سليمان بن عبد الملك ت ١٠٢ هـ /٧٢١ م. ابن خلكان: وفيات،ج٦، ص٢٧٨_٣٠٩ ت رقم٨١٦.

(٢) رجاء بن حيوة الكندى:هو أبو المقدام رجاء بن حيوة بن جرول الكندى، كان من العلماء، وكان ذا حظوة وحضور عند خلفاء بنى أمية خاصة عمر بن عبد العزيز، توفى عام ١١٢ هـ /٧٣١ م. ابن خلكان: وفيات، ج٢، ص٣٠١_٣٠٣ ت رقم ٢٣٧.

(٣) سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبي الأبرش، أبو مجاشع، كان يكتب لهشام بن عبد الملك، وكان غالباً عليه. الصفدى: الوافى، ج١٥، ص٢٧٠_٢٧١ ت رقم ٣٧٨.

(٤) ثابت بن سليمان بن سعد الخشنى، كان يتقلد ديوان الرسائل ليزيد بن الوليد الناقص. الطبرى: السابق، ج٦، ص١٨١_١٨٢.

(٥) عبد الحميد بن يحيى: هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد، مولى العلاء بن وهب العامرى الأنبارى، كان معلما للصبيان، ثم أتصل بمروان بن الحكم وتولى الكتابة له، وكان ممن يضرب بهم المثل فى البلاغة والأدب، توفى عام ١٣٢ هـ / ٧٥١ م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٢٨ ــ ٢٣٢ ت رقم؛ الصفدى: الوافى، ج١٨، ص٨٦ ــ ٨٨ ت رقم ٩٠.

الإسلام، ثم إن السفاح استوزر معه خالد بن برمك [١]، وسليمان بن مخلد [٢]، والربيع بن يونس[٣]، وأبو الجهم بن عطية [٤]، وأوسع لهم المجال فى التدبير للخلافة، وأطلق قلمهم فى الأخذ والأمر والنهى والعطاء والاستقرار والعزل، فتراكمت عليهم الأشغال واتسعت عليهم [١٤ ب] الأمور فأفردوا ديواناً للمكاتبات وجعلوا فيه منهم من يستبد أمره، وكانوا يعبرون عنه تارة " بصاحب ديوان الرسائل " وتارة " بصاحب ديوان المكاتبات " على ما تقدم، وتفرقت دواوين الإنشاء فى الأقطار شرقاً وغرباً بحسب تفرق الممالك فكان بكل مملكة ديوان الإنشاء.

وكانت الديار المصرية لابتداء أمرها من حين الفتح الإسلامي وإلى الدولة الطولونية إمارة لم يكن لديوان الإنشاء بها كبيرة أمر إلى أن استولى عليها أحمد بن طولون بعد الثلاثمائة[٥] فعظمت مملكتها وقوى أمرها واستكتب أبا جعفر محمد بن أحمد بن مودود. فكان لديوان الإنشاء به الجمال وصدر عنه جليل المكاتبات لديوان الخلافة وغيرها، وكتب لولده خمارويه إسحق بن نصر العبادى وتوالت دواوين ديوان الإنشاء بذلك إلى حين انقراض الدولة الإخشيدية.

---

(١) خالد بن برمك: تولى الوزارة لأبي العباس السفاح بعد أبي سلمة الخلال. ابن خلكان: السابق، ج٦، ص٢١٩_٢٢٠.

(٢) سليمان بن مخلد: هو أبو أيوب سليمان بن أبي سليمان مخلد ــ وقيل داود ــ المرياني الخوزى، كان وزيراً لأبي جعفر المنصور، تولاها بعد خالد بن برمك، قتله أبو جعفر المنصور عام ١٥٤ هـ /٧٧١ م. ابن خلكان: السابق، ج٢، ص٤١١_ ٤١٤ ت رقم ٢٧٦.

(٣) الربيع بن يونس : هو أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة، مولى الحارث الحفار مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه، كان حاجباً لأبي جعفر المنصور، ثم وزر له بعد أبي أيوب المورياني، توفى عام ١٧٠هـ / ٧٨٧ م، وقيل سمه الخليفة الهادى. ابن خلكان: السابق، ج٢، ص٢٩٤_٢٩٩ ت رقم ٢٣٥.

(٤) أبو الجهم بن عطية مولى باهلة، أحد الذين قاموا بدور فى الدعوة للعباسيين، وقد ولاه أبو مسلم الخراساني كاتباً على الجند. الطبرى: السابق، ج٧، ص٣٥٦، ٣٨٩.

(٥) يقصد المؤلف بالثلاثمائة المائة الهجرية الثالثة.

ثم كانت الدولة الفاطمية، فعظم ديوان الإنشاء بها، ووقع الاعتناء به واختيار بلغاء الكتاب له وفضلاؤهم [١] ما بين مسلم وذمي، فكتب للعزيز بن المعز فى الدولة الفاطمية أبو المنصور بن سورين النصرانى [٢]، ثم كتب لابنه الحاكم ومات فى أيامه، وكتب للحاكم بعده القاضى أبو الطاهر البهركى، ثم كتب بعده لابنه الظاهر، وكتب للمستنصر القاضى ولى الدين بن خيران [٣]، وولى الدولة موسى بن الحسن قبل انتقاله إلى الوزارة، وأبو سعيد العميدى، وكتب للأمين [٤] والحافظ الشيخ أبو الحسن على بن أبى أسامة الحلبى [٥] إلى أن توفى، فكتب له بعده ولده أبو المكارم إلى أن توفى فى أيام الحافظ، فكتب له الشيخ الأمين تاج الرئاسة أبو القاسم على بن سليمان بن منجد المعروف بابن الصيرفى [٦]، والقاضى كافى الكفاة محمود بن القاضى الموفق أسعد بن قادوس [٧]، وابن أبى الدم اليهودى [٨]. ثم كتب بعد أبى المكارم القاضى

---

(١) وولى ديوان الإنشاء عنهم جماعة من أفاضل الكتاب وبلغائهم: صبح، ج١، ص٩٦.

(٢) يذكره المقريزى فى اتعاظ الحنفا والخطط باسم أبو منصور بشر بن عبيد الله بن سورين الكاتب النصرانى، ولكن القلقشندي والسيوطى يذكران أنه أبو المنصور بن سورين النصرانى: توفى عام ٤٠٠ هـ /١٠٠٨ م. المقريزى: اتعاظ، ج٢، ص٨٣،٥؛ الخطط، ج٢، ص١٤؛ القلقشندي: صبح، ج١، ص٩٣؛ السيوطى: حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، القاهرة ١٣٢٧ هـ، ج٢، ص١٣١.

(٣) ولى الدين بن خيران: هو ولى الدولة أبو محمد أحمد بن على المعروف بابن خيران الكاتب، متولى كتب السجلات إمام كتاب مصر فى المائة الرابعة توفى عام ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م. ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص٢٨٢ ــ ٢٨٣؛ ياقوت: معجم الأدباء، ج٤، ص٥؛ الصفدى: الوافى، ج٧، ص٢٣٤. ويذكر المقريزى أن وفاته كانت عام ٤٠٣ هـ. اتعاظ، ج٢، ص٩٢.

(٤) الصواب: الأمر.

(٥) أبو الحسن على بن أحمد بن الحسن بن أبى أسامة الحلبى الأصل المصرى الدار، تولى ديوان الإنشاء فى أيام الآمر، وكانت له منزلة كبيرة بالدولة، توفى عام ٥٢٢ هـ /١١٢٨ م. ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٥٨٩؛ ابن ميسر: أخبار، ص٩٠ هـ٣٢٢؛ المقريزى: الخطط، ج٢، ص٨٦، ٢٩١.

(٦) انظر قبل ص١٥.

(٧) محمود بن القاضى الموفق أسعد بن قادوس: هو أبو الفتح محمود بن قادوس بن الدمياطى توفى عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦م كان أحد كبار الشعراء فى عصره. انظر: العماد: الخريدة، ج١، ص٢٢٦؛ ابن ميسر: أخبار، ص٩٧.

(٨) ابن أبى الدم اليهودى: تولى الكتابة عن الخليفة الآمر عام ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م. المقريزى: اتعاظ، ج٣، ص١٣٣.

الموفق بن الخلال [(١)] أيام الحافظ وإلى آخر أيام العاضد آخر خلفائهم وبه تخرج القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى، ثم شرك العاضد مع الموفق بن الخلال فى ديوان الإنشاء القاضى جلال الدين محمود [١٥ أ] الأنصارى، وكان فى أيامه القاضى المؤتمن كاسيبويه الكاتب، ثم كتب القاضى الفاضل بين يدى الموفق بن الخلال قرب وفاته فى سنة ست وستين وخمسمائة فى وزارة صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكتب فى أيامه عدة سجلات ومكاتبات.

ثم كانت الدولة الأيوبية فكتب للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أول ملوكهم القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى ثم أضيف إليه الوزارة ثم كتب بعد وفاة الناصر لابنه العزيز وأخيه العادل أبى بكر، ثم مات العادل والفاضل وتولى الكامل بن العادل فكتب له أمين الدين سليمان المعروف بكاتب الدرج إلى أن توفى فكتب بعده للكامل الشيخ أمين الدين عبد المحسن الحلبى مدة قليلة، وكتب للصالح نجم الدين أيوب، ثم ولى ديوان الإنشاء الصاحب بهاء الدين زهير ثم صرفه وولى بعده الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان الأسعردى [(٢)] فبقى إلى انقراض الدولة الأيوبية.

ثم كانت الدولة التركية فكتب للمعز أيبك أول ملوكهم الصاحب فخر الدين المذكور، ثم كتب بعده للمظفر قطز ثم للظاهر بيبرس ثم للمنصور قلاوون، ثم نقله [المنصور][(٣)] قلاوون عن ديوان الإنشاء إلى الوزارة وولى ديوان الإنشاء مكانه القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر[(٤)] فى حياة والده محيى الدين فبقى حتى توفى المنصور قلاوون وملك بعده ابنه الأشرف خليل فكتب

(١) الموفق بن الخلال: هو الموفق أبو الحجاج يوسف بن على بن الخلال، تولى ديوان الإنشاء فى عهد الحافظ حتى وفاته سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠م. ابن ميسر: السابق، ص١٥١؛ ابن خلكان: وفيات، ج٦، ص٢١٩-٢٢٥؛ العماد: السابق، ج١، ص٢٣٥.

(٢) فخر الدين إبراهيم بن لقمان الأسعردى: تولى كتابة الإنشاء والوزارة من بعدها، توفى عام ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م. ابن تغرى بردى: المنهل، ج١، ص١٣٦، ت رقم ٦٣.

(٣) ما بين الحاصرتين من، ضوء، ص ٣٧.

(٤) فتح الدين بن عبد الظاهر: هو محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر، تولى كتابة سر مصر عهد المنصور قلاوون حتى توفى عام ٦٩١ هـ /١٢٩١ م. ابن تغرى بردى: المنهل، ج٥ مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٢٠٧٢، ورقة ١٥٥ ب _ ١٥٦ ب.

فى أيامه مدة يسيرة ثم توفى معه فى سفره إلى الشام فولى الأشرف مكانه القاضى تاج الــدين[(١)] ابن الأثير[(٢)] بعد وصوله إلى الديار المصرية فبقى حتى توفى، ثم ولى مكانه القاضى شرف الــدين عبد الوهاب بن فضل الله [(٣)] فبقى بقية أيام الأشرف وأيام أخيه الناصر محمد فى سلطنته الأولى، ثم أيام العادل كتبغا بعده، ثم أيام المنصور لاجين ثم أيام الناصر محمد بن قــلاوون فى ســلطنته الثانية [وأيام المظفر بيبرس الجاشنكير وبرهة من أيام الناصر محمد بــن قــلاوون فى ســلطنته الثالثة] [(٤)] نقله إلى كتابة السر بدمشق عوضاً عن أخيه القاضى محيى الدين، وتولى مكانه بمصر القاضى علاء الدين بن الأثير [(٥)] فبقى حتى مرض بالفالج وبطلت حركته، فاســتدعى الملــك الناصر [١٥ ب] محيى الدين بن فضل الله [(٦)] من الشام وولاه صحابة ديوان الإنشاء بالديار المصرية، وكان القاضى شهاب الدين هو الذى يقرأ البريد على السلطان وتنفيذ المهمــات إلى سنة اثنتين [وثلاثين] [(٧)] وسبعمائة فأعادهما الملك الناصر إلى دمشق المحروسة وولى القاضــى

(١) عماد الدين إسماعيل بن الأثير: ضوء، نفسه.

(٢) تاج الدين بن الأثير: هو أحمد بن سعيد بن محمد الصاحب تاج الدين بن شرف الدين بن شمس الدين بن الأثير الحلبى، باشر التوقيع بدمشق ثم مصر للملك الظاهر بيبرس، ثم للملك المنصور قلاوون، ولى كتابة السر لمدة شهر إلى أن توفى بغزة فى شوال عام ٦٩١ هـــ / ١٢٩١ م. الصفدى: الوافى، ج٦، ص٣٩٢ ت رقم ٢٩٠٦؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج١، ص٣٠٠_ ٣٠٢ ت رقم ١٦٠. BjÖrkman,Op.Cit. P. 67.

(٣) شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله: هو عبد الوهاب بن فضل الله بن المجلى بن دعجان بن خلف العمري، أول أفراد الأسرة العمرية شغلاً لوظيفة كاتب سر مصر، شغلها من ذى الحجة عام ٦٩٢ إلى ذى الحجة عام ٧١١ هـــ / ١٢٩٣ ـــ ١٣١١ م. ابن تغرى بردى: المنهل، ج٧، ص٣٨٧-٣٩٠ ت رقم ١٥٠٣؛ Björkman;Op.Cit. P 67

(٤) ما بين الحاصرتين من صبح، ج١، ص ٩٨؛ ضوء، ص ٣٧.

(٥) علاء الدين بن الأثير:علاء الدين على بن أحمد بن سعيد بن الأثير، مرض بالفالج عام ٧٢٨ هــ / ١٣٢٧ م، وتوفى عام ٧٣٠ هــ / ١٣٢٩ م. ابن تغرى بردى: النجوم، ج٩، ص٢٨٣.

(٦) محيى الدين بن فضل الله: محيى الدين يحيى بن فضل الله بن مجلى العمري، أحد مشاهير كُتّاب الإنشاء، ومن نسله تولى العديد من كتاب السر، توفى عام ٧٣٨ هــ / ١٣٣٧ م. ابن تغرى بردى: السابق، ج٩، ص٣١٦.

(٧) ما بين الحاصرتين من ضوء، نفسه.

شرف الدين بن الشهاب محمود [1] فبقى حتى حج السلطان وعاد إلى مصر فأعاد القاضى محيى الدين وولده القاضى شهاب الدين إلى ديوان الإنشاء بالديار المصرية فبقى إلى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، ثم تغير السلطان على القاضى شهاب الدين وصرفه عن المباشرة وأقام أخوه القاضى علاء الدين [2] مكانه مع والده القاضى محيى الدين، ثم سأل القاضى محيى الـدين السـلطان فى العود إلى دمشق فأعاده وصحبته القاضى شهاب الدين وقد كبر سنه وكتب له تقليد فى قطـع الثلثين بأن يستمر على صحابة دواوين الإنشاء بالممالك الإسلامية، وأن يكون جميع المباشـرين بهذه الوظيفة بالباب الشريف فمن دونه نوابه، وأنه حيث حل يقرأ القصص ويقرر الولايـات والرواتب والعزل وغير ذلك ويوقع فيها بما يراه ويجهز ذلك إلى مصر ليشملها الخط الشريف.

وولى ديوان الإنشاء بالديار المصرية ولده القاضى علاء الدين المشـار إليـه، فبقـى فى الوظيفة بقية أيام الناصر ثم أيام ولده المنصور أبى بكر ثم أيام أخيه الأشرف كجك ثم أيام أخيه الناصر أحمد، فلما خلع الناصر نفسه فى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وتوجه إلى الكرك وتوجه معه القاضى علاء الدين وأقام عنده واستقر الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون فى السلطنة بعد أخيه الناصر أحمد فقرر فى الديوان القاضى بدر الدين محمد بن محيى الدين بن فضل الله [3] [فبقى حتى عاد الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون إلى السلطنة فعاد القاضى علاء الدين بن فضـل الله فبقى] [4] بقية أيام الصالح إسماعيل ثم أيام أخيه الكامل شعبان ثم أيام أخيه المظفر حاجى ثم أيام

---

(١) شرف الدين بن الشهاب محمود: هو أبو بكربن محمد بن محمد بن محمود أحد مشاهير الكتاب وابن الشهاب الحلبى صاحب كتاب حسن التوسل، تولى كتابة السر عام ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م. توفى عام ٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م. ابن حجر: السابق، ج١، ص٥٥٤ ــ ٥٥٦، ت رقم ١٢٤٥.

(٢) علاء الدين بن فضل الله: أحد أبناء الشيخ محيى الدين بن فضل الله توفى عام ٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م. ابن حجر: السابق، ج٤، ص١٦٣ ــ ١٦٤، ت رقم ٣١٧؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج١١، ص١٠٢.

(٣) بدر الدين محمد بن محيى الدين بن فضل الله: تولى كتابة السر ثلاث مرات، الأولى فى حياة أبيه فى ٢٨ رمضان من سنة ٧٦٩ / ١٣٦٧ م، وعزل فى شوال سنة ٧٨٤ / ١٣٨٢ م، والثانية فى ٤ ذى الحجة سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤ م، وعزل عام ٧٩٢هـ / ١٣٨٩ م، والثالثة آخر شوال ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م إلى أن توفى فى شوال سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م. المقريزى: المقفى، ج٦، ص٣٨٩_٣٩٣ ت رقم ٢٨٦٠. **Wiet,LesSecretaires.pp.271-272. Björkman,Op.Cit,pp.68-69.**

(٤) ما بين الحاصرتين من ضوء، ص ٣٨.

أخيه الناصر حسن فى سلطنته الأولى ثم أيام أخيه الصالح صالح، ثم أيام أخيه الناصر حسـن فى سلطنته الثانية، ثم أيام [١٦ أ] المنصور محمد بن حاجى بن محمد بـن قـلاوون، ثم فى أيـام الأشرف شعبان وتوفى فى أيامه وولى الوظيفة بعده ولده القاضى بدر الدين محمد فبقى بقية أيام الأشرف شعبان ثم ولده المنصور على ثم أخيه الصالح حاجى بن شعبان إلى أن خلع.

وولى السلطنة الظاهر برقوق فاستقر القاضى أوحد الدين بن التركمانى [١] فبقى حـتى توفى فأعيد القاضى بدر الدين إلى الوظيفة وبقى حتى خلع الظاهر برقوق وعاد المنصور حـاجى بن الأشرف شعبان فبقى على ولايته حتى حضر الظاهر برقوق من الكرك فولى عوضه القاضى علاء الدين الكركى [٢] وتوجه بصحبته إلى الشام فى طلب منطاش [٣] فتوفى القاضى علاء الدين الكركى وأعيد القاضى بدر الدين إلى الوظيفة فى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وبقى حتى مات صحبة السلطان بالشام وولى مكانه القاضى بدر الدين محمود الكلستانى [٤] فى شوال سنة ست

---

(١) أوحد الدين التركمانى: عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين بن القاضى تاج الدين الحنفى، تولى كتابة سر مصر من شوال سنة ٧٨٤ إلى ذى الحجة عام ٧٨٦ هـ/ ديسمبر ١٣٨٢ إلى يناير ١٣٨٥ م. ابن حجر: إنباء، ج١، ص٢٩٥؛ الدرر، ج٣، ص٣٤، ت رقم ٢٥٣٢؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٧، ص٣٧٦-٣٧٧ت رقم ١٤٩٥؛ **Wiet, Op.Cit, P.272-273; Björkman,Op.Cit, P.69**

(٢) علاء الدين الكركى:: علاء الدين على بن عيسى بن موسى الأزرقى المقيرى الكركى، تولى كتابة سر مصر فى صفر عام ٧٩٢ إلى ربيع أول سنة ٧٩٣ هـ / فبراير ١٣٩٠ إلى سبتمبر ١٣٩١ م. ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٢، ص١٣٢؛ **Wiet, Op.Cit, P.274; Björkman,Ibid.**

(٣) منطاش: هو الأمير سيف الدين تمر بغا بن عبد الله الأفضلى المدعو منطاش، استولى على حكم الديار المصرية، وتنازع على حكمها مع الظاهر برقوق، توفى عام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م. ابن تغرى بردى: السابق، ج٩، ص٥٢ هـ٢.

(٤) بدر الدين محمود الكلستانى: تولى كتابة سر مصر من شوال سنة ٧٩٦ إلى جمادى الأول من عام ٨٠١ هـ / أغسطس ١٣٩٤ إلى يناير ١٣٩٩ م. السخاوى: الضوء، ج١٠، ص١٣٦_١٣٧، ت رقم ٥٥٤؛ **Wiet, Op.Cit, P275; Björkman,Ibid.**

وتسعين وسبعمائة فبقى إلى أن توفى فتولى بعده القاضى فتح الدين فتح الله [١] فبقى بقية أيــام الظاهر ومدة من أيام ولده الناصر فرج ثم صرفه الناصر فرج وولى بعده القاضى سعد الدين بن غراب [٢] فبقى مدة ثم أفصل وأعيد القاضى فتح الله إلى الوظيفة ثم أفصل وتولى القاضى فخــر الدين بن المزوق [٣] فبقى مدة لطيفة ثم أعيد إليها القاضى فتح الله فبقى إلى أن خلع الناصر فرج واستقر فى السلطنة المنصور عبد العزيز ثم خلع وأعيد الناصر فرج وخلع وأســند الأمــر إلى المستعين بالله أبو الفضل العباس بالسلطنة مضافاً إلى الخلافة، فلما خلع العباس مــن الخلافــة والسلطنة وتولى السلطنة المؤيد شيخ فقبض على فتح الله وولى القاضى ناصر الدين البــارزى

(١) فتح الدين فتح الله: فتح الله بن معتصم بن نفيس الإسرائيلى الداودى التبريزى، مهر فى صناعة الطب واستخدمه الظاهر برقوق فى كتابة سر مصر مرتين، الأولى جمادى الأولى عام ٨٠١ إلى ربيع أول عام ٨٠٨ هـ/ يناير ١٣٩٩ إلى سبتمبر ١٤٠٥ م، والثانية من ذى الحجة عام ٨٠٨ إلى شوال عام ٨١٥ هـ/ مايو ١٤٠٦ إلى يناير ١٤١٣ م. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٦٢_٦٣؛ **Wiet, Op.Cit, P.276-277;284-286;Björkman,Ibid**

(٢) سعد الدين بن غراب: سعد الدين إبراهيم بن عبد الرازق بن غراب، أحد الشخصيات المؤثرة فى تاريخ المماليك فى ذلك الوقت على الرغم من عمره القصير حتى وصل إل أن يكون من الأمراء الكبار فى السلطنة، تولى كتابة السر من ربيع أول إلى جمادى الآخرة من عام ٨٠٨ هـ/ سبتمبر إلى نوفمبر ١٤٠٥ م. المقريزى: السابق،ج٢، ص٤١٩_٤٢٠؛ **Wiet, Op.Cit, P.277-283; Björkman, Op.Cit, P.69**

(٣) فخر الدين بن المزوق:فخر الدين ماجد بن المزوق، كاتب سعد الدين بن غراب، ولاه كتابة السر مكانه بعد أن أصبح من أمراء المئين واستمر بها بعد وفاته من جمادى الآخرة إلى ذى الحجة من عام ٨٠٨ هـ/ نوفمبر ١٤٠٥ إلى مايو ١٤٠٦ م. **Wiet, Op.Cit, P.283-284; Björkman,Ibid**

الحموى [١] فبقى إلى أن توفى وتولى مكانه ولده القاضى كمال الدين [٢] فبقى بقية أيام المؤيد ثم ولده المظفر أحمد مدة قليلة ثم نقل إلى نظر الجيش، وتولى مكانه القاضى علم الدين بن الكويز[٣] فبقى بقية أيام المظفر إلى أن خلع [١٦ ب] وتولى السلطنة الظاهر ططر فبقى مدة سلطنته إلى أن توفى الظاهر ططر وتسلطن ولده الصالح محمد فبقى إلى أن خلع الصالح وتسلطن مولانا الإمام الملك الأشرف برسباى ثم توفى واستقر فى الوظيفة جمال الدين الكركى [٤] فأقام مدة يسيرة ثم أفصل واستقر القاضى شمس الدين الهروى [٥] فأقام مدة يسيرة ثم أفصل واستقر

---

(١) ناصر الدين البارزى الحموى: هو محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم الجهنى الحموى، تولى كتابة سر مصر من شوال عام ٨١٥ إلى أن توفى فى شوال عام ٨٢٣ هـ/ يناير ١٤١٣ إلى أكتوبر ١٤٢٠ م. المقريزى: المقفى، ج٧، ص٧١_٧٢ ت رقم ٣١٤٨؛ السخاوى: الضوء، ج٩، ص١٣٧ ت رقم ٣٥٠؛ Wiet, Op.Cit, P.286-288; Björkman,Op.Cit, P.70.

(٢) كمال الدين البارزى: عمل مع أبيه فى نيابة كتابة السر، ثم بعد وفاته أصبحت له الوظيفة لعدة فترات فى شوال عام ٨٢٣ إلى محرم عام ٨٢٤ هـ/ أكتوبر ١٤٢٠ إلى يناير ١٤٢٠ م؛ والثانية من ربيع الأول عام ٨٣٦ إلى رجب عام ٨٣٩ هـ/ نوفمبر ١٤٣٢ إلى يناير ١٤٣٦ م، والثالثة من ربيع الثانى عام ٨٤٢ إلى ربيع الأول عام ٨٥٦ هـ/ أكتوبر ١٤٣٨ إلى أبريل ١٤٥٢ م. السخاوى: السابق، ج٩، ص٢٣٧-٢٣٩ ت رقم ٥٨٣؛ Wiet, Op.Cit, P.288-289,299-300,303; Björkman,Ibid.

(٣) علم الدين بن الكويز: هو داود بن عبد الرحمن بن زين الدين المعروف بابن الكويز الكركى، كان نصرانياً وأسلم، وتولى وظيفة كاتب السر فى المحرم عام ٨٢٤ إلى شوال عام ٨٢٦ هـ/ يناير ١٤٢١ إلى سبتمبر ١٤٢٣ م، وكان غير أهل لها. المقريزى: السلوك، ج٤ق٢، ص٦٥٢؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص٣١٣؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٥، ص٢٨٩_٢٩٢ ت رقم ١٠١٦؛ النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٧٤-١٧٥؛ Wiet, Op.Cit, P.289-291; Björkman,Ibid.

(٤) جمال الدين الكركى: جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى، كان أبوه نصرانياً فأسلم، وتولى كتابة السر فى شوال ٨٢٦ هـ إلى ربيع الآخر من عام ٨٢٧ هـ/ سبتمبر ١٤٢٣ إلى مارس ١٤٢٤ م. المقريزى: السلوك، ج٤ق٢، ص٦٦٠، ٦٤٢. Wiet, Op.Cit, P.291-292; Björkman,Op.Cit, P.70

(٥) شمس الدين الهروى: شمس الدين محمد الهروى، كان يشغل وظيفة قاضى القضاة قبل ولايته كتابة السر، تولاها من ربيع الآخر من عام ٨٢٧ هـ إلى عام جمادى الآخرة من العام نفسه/ مارس إلى مايو ١٤٢٤ م. المقريزى: السابق، ج٤ق٢، ص٦٦٠، ٦٦٤_٦٦٥. Wiet, Op.Cit, P.292-293; Björkman,Ibid.

القاضى نجم الدين بن حجى [١] فأقام مدة يسيرة ووقع منه هفوة فى حق جانى بك الدوادار [٢] فنم عليه فأفصل إفصالاً شنيعاً واستقر القاضى بدر الدين بن مزهر [٣] فبقى إلى أن توفى وتـــولى عوضه ولده القاضى بدر الدين [٤] فبقى مدة يسيرة ثم أفصل واستقر عوضه السيد الشـــريف شهاب الدين الحسينى [٥] فأقام إلى أن توفى بالطاعون [٦] واستقر بعده القاضى شهاب الدين بن

(١) نجم الدين بن حجى: نجم الدين عمر بن حجى، تولى كتابة سر مصر جمادى الآخرة عام ٨٢٧ إلى جمادى الآخرة عام ٨٢٨ هـ/ مايو ١٤٢٤ إلى أبريل ١٤٢٥ م. المقريزى: السابق، ج٤ق٢، ص٦٦٥، ٦٨٥؛ **Wiet, Op.Cit, P.293-294; Björkman,Ibid** .

(٢) جانى بك الدوادار كان أحد الأمراء المقربين من السلطان برسباى، وأصحاب النفوذ فى الدولة، وقد حدث أن ابن حجى كان ملزماً بدفع مبلغ من المال نظير تعيينه فى وظيفته إلا إنه لم يستطع بعد فترة الوفاء بما التزم به، فلما طالبه السلطان به أرسل إليه ورقة بها ما تكبده من أموال منذ ولايته كتابة السر، وممن ذكرهم الأمير جانى بك، فلما سألهم السلطان أنكروا، بل عددوا عليه العديد من المآخذ فعزله السلطان وعهد بعقوبته إلى جانى بك. وعن ذلك انظر: المقريزى: السابق، ج٤ق٢، ص٦٨٥.

(٣) بدر الدين بن مزهر: محمد بن محمد بن أحمد بن محمد الدمشقى الشافعى، تولى كتابة سر حلب ثم نيابة سر مصر أيام داود بن الكويز، تولى كتابة سر مصر فى جمادى الآخرة عام ٨٢٨ إلى جمادى الأخرة عام ٨٣٢ هـ/ مايو ١٤٢٥ إلى مارس ١٤٢٩ م. السخاوى: السابق، ج٩، ص٣٩-٤٠ ت رقم ١٠٨؛ **Wiet, Op.Cit, P.294; Björkman,Ibid**.

(٤) بدر الدين بن بدر الدين بن مزهر: استقر بعد أبيه فى كتابة السر فى رجب عام ٨٣٢ إلى ذى الحجة عام ٨٣٢ هـ/ أبريل إلى سبتمبر ١٤٢٩ م. ابن الصيرفى: نزهة النفوس، ج٣ص١٥٤-١٥٥؛ السخاوى: السابق، ج٩،ص١٩٧ت رقم ٤٨٤؛ **Wiet, Op.Cit, P.294-295; Björkman,Ibid**.

(٥) شهاب الدين الحسينى: أحمد بن على بن إبراهيم بن عدنان الدمشقى، تولى وظيفة كتابة السر بمصر من ذى الحجة عام ٨٣٢ إلى شعبان عام ٨٣٣ هـ/ سبتمبر ١٤٢٩ إلى مايو ١٤٣٠ م. ابن حجر: إنباء الغمر ج٣، ص٤٤١ ـ ٤٤٢؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج١، ص٤٠٦_٤٠٧ ت رقم ٢١٨؛ السخاوى: السابق، ج٢، ص٥_٦ ت رقم١٤؛ **Wiet, Op.Cit, P.295-296; Björkman,Ibid**.

(٦) كان ذلك عام ٨٣٣ هـ، وقد أرسل السلطان بمن أحضر أخاه عماد الدين أبا بكر ليتولى عوضه فتولى الوظيفة بدون تقليد لمدة أيام ثم لحق بأخيه بعد أن أصيب بالطاعون. المقريزى: السلوك، ج ٤ ق٢، ص٨٤٨ ؛ ابن الصيرفى: نزهة، ج ٣، ص ١٩٧.

السفاح الحلبى [١] فأقام إلى أن توفى واستقر عوضه الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ [٢] مضافا إلى الوزارة فأقام مدة يسيرة ثم انتقل عن كتامة السر إلى وظيفة الأستادارية وأعيد إلى كتامة السر القاضى كمال الدين بن البارزى المشار إليه فأقام إلى أن أفصل واستقر مكانه القاضى محب الدين بن الأشقر [٣] وكان شيخ الشيوخ لخانقاه سرياقوس فأقام مدة يسيرة ثم أفصل واستقر مكانه القاضى صلاح الدين ابن الصاحب [بدر الدين حسن] [٤] بن نصر الله [٥] فأقام مدة يسيرة وتوفى، فاستقر فى الوظيفة عوضه والده الصاحب بدر الدين بن نصر

---

(١) هو أحمد بن صالح بن أحمد بن عمر القاضى شهاب الدين المعروف بابن السفاح، تولى كتابة سر حلب، ثم كتابة سر مصر من رمضان ٨٣٣ إلى رمضان عام ٨٣٥ هـ/يونيو ١٤٣٠ إلى مايو ١٤٣٢ م، وكان غير أهل لها وله العديد من النوادر ذكرها كثير من المؤرخين. المقريزى: السلوك، ج٤ق٢، ص٨٧٧؛ درر العقود، ج٢، ص٢٨٢؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص ٤٨٢؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج ١، ص٣٢٠ ـ ٣٢٢، ت رقم ١٧٢؛ السخاوى: السابق، ج١، ص٣١٤ ـ ٣١٥. Wiet,Op.Cit, P.296 ; Björkman,Op.Cit, P.70

(٢) كريم الدين بن كاتب المناخ: تولى كتابة سر مصر على غير العادة فى أن يليها أحد الأقباط مما عد من الأعاجيب فى ذلك الوقت وقد تولاها فى شوال ٨٣٥ إلى المحرم عام ٨٣٦ هـ/ يونيو إلى سبتمبر ١٤٣٢ م. السخاوى: السابق، ج٤، ص٣١٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص١٤٢ Wiet, Op.Cit, P.296-297; Björkman,Ibid.

(٣) محب الدين بن الأشقر: محمد بن عثمان بن سليمان بن رسول القرمى الأصل الحنفى، شيخ خانقاه سرياقوس، تولى وظيفة كاتب سر مصر أكثر من مرة، الأولى فى رجب عام ٨٣٩ إلى ذى الحجة عام ٨٤٠هـ/ يناير ١٤٣٦ إلى يونيو ١٤٣٧م، والثانية فى ربيع الأول عام٨٥٦ إلى ذى القعدة عام ٨٥٧هـ/ أبريل ١٤٥٢ إلى نوفمبر ١٤٥٣ م، والثالثة من جمادى الثانية عام ٨٥٨ إلى ربيع الأول عام ٨٦٣ هـ/ يونيو ١٤٥٤ إلى مايو ١٤٥٩ م. ابن تغرى بردى: المنهل ـ مخطوط ـ، ورقة ١٧٠ أ ـ ١٧٠ ب؛ السخاوى: السابق، ج٨، ص١٤٣-١٤٤ ت رقم ٣٣٥؛ Wiet, Op.Cit, P.300,304 -305;Björkman,Ibid.

(٤) ما بين الحاصرتين من، المقريزى: السلوك، ج ٤ ق ٢، ص ١٠١١.

(٥) هو الأمير صلاح الدين بن الصاحب بدر الدين بن حسن بن نصر الله: تولى كتابة سر مصر من ذى الحجة ٨٤٠ إلى ذى القعدة عام ٨٤١ هـ/ يونيو ١٤٣٧ إلى مايو ١٤٣٨ م. ابن تغرى بردى: المنهل – مخطوط – ج٥، ص١١٧-١١٨؛ Wiet, Op.Cit, P.300-301; Björkman,Ibid.

الله [١] إلى أن توفى الأشرف برسباى وتولى السلطنة السلطان الظاهر جقمق فباشر فى أيامه مدة يسيرة ثم طلب القاضى كمال الدين بن البارزى من الشام وأعيد إلى وظيفة كتابة السر بالديار المصرية وكان صهر السلطان الظاهر جقمق فأقام مدة طويلة إلى أن ذرح بالوفاة إلى رحمة الله تعالى واستقر بعده العبد الصالح القاضى محب الدين بن الأشقر المشار إليه كما كان فأقام بقية أيام الظاهر جقمق ومدة أيام ولده المنصور عثمان ومدة من أيام الأشرف إينال إلى أن أفصل واستقر مكانه القاضى محب الدين بن الشحنة [٢] فأقام ستة أشهر وأفصل ثم أعيد إلى الوظيفة القاضى محب الدين بن الأشقر.

(١) حسن بن نصر الله بن حسن، الصاحب بدر الدين، استقر بعد ولده صلاح الدين فى كتابة سر مصر من ذى القعدة عام ٨٤١ إلى ربيع ثانى عام ٨٤٢ هـ/ يونيو إلى أكتوبر ١٤٣٨ م. السخاوى: السابق، ج٣، ص١٣٠-١٣١ ت رقم ٥٠٥؛ Wiet, Op.Cit, P.301-302

(٢) محب الدين بن الشحنة: تولى كتابة سر مصر مرتين، الأولى من ذى القعدة عام ٨٥٧ إلى جمادى الثانية عام ٨٥٨ هـ/ نوفمبر ١٤٥٣ إلى يونيو ١٤٥٤ م، والثانية من ربيع الأول عام ٨٦٣ إلى ربيع الأول عام ٨٦٧ هـ/ مايو ١٤٥٩ إلى مايو١٤٦٣ م. السخاوى: السابق، ج٩، ص٢٩٥-٣٠٥ ت رقم ٧٥٥؛ Wiet, Op.Cit, P.304-305;Björkman,Op.Cit, P70



القسم الأول

فيما يحتاج إليه كاتم السر من المهام العلمية والمعرفة بها



وهو على عشرة أنواع:

النوع الأول

حفظ كتاب الله تعالى وتدبر معانيه

ليكون مصوراً فى قلبه، جارياً فى فكره، دائراً على لسانه ذاكراً له فى كل ما يصدر من ديوانه[١] من الوقائع الذى يحتاج إلى الاستشهاد بها ويفتقر إلى إقامة الأدلة عليها فلله الحجة البالغة، قال عز وجل ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [٢]، وقال تعالى ﴿ تِبْيَـٰناً لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [٣].

روى عن عبد الله محمد بن أحمد الأصفهانى رحمة الله عليه قال " وجدت فى كتاب أبى قال: أمر الحجاج بن يوسف الثقفى أبا عمرو بن علاء وعاصما الحجازى، وسليمان الأعمش، وشهاباً المخاشعى، والمفضل القرشى، أن يحصوا عدد آيات القرآن وكلماته وحروفه، فأحصوه فإذا عدد آياته ستة آلاف وستمائة وستة وستون آية فى الكوفى، منها ألف آية وعد، وألف آية وعيد، وألف آية أمر، وألف آية تقى، وألف آية عبر وأمثال، وألف آية قصص وأخبار، وخمسمائة محلل ومحرم، ومائة دعاء وتسبيح، وستة وستون ناسخاً ومنسوخاً ".

قال بعضهم: لو ضاع لى عقال لوجدته فى كتاب الله. قيل إن رجلاً سأل يعض العلماء: أين يجد فى كتاب الله تعالى معنى قولهم التمسوا الجار قبل الدار. فقال: قال عز وجل ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتاً فِى ٱلْجَنَّةِ ﴾ [٤]، فطلبت الجار قبل الدار.

وأن كلام الله أحسن ما يرد فى الإطناب والإيجاز، [وتضمين القرآن على ضربين] [٥]:

(١) ما يرد عليه: صبح، ج١، ص١٨٩.
(٢) الأنعام، الآية ٣٨.
(٣) النحل، الآية ٨٩.
(٤) سورة التحريم، الآية ١١.
(٥) بياض فى الأصل.

الضرب الأول: الاستشهاد

وقد ذهب أكثر العلماء رضى الله عنهم إلى جواز الاستشهاد فى المكاتبات مستدلين فى ذلك بما ورد فى صحيح البخارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فى كتابه إلى هرقل ﴿ يَـٰأَهلَ الكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَـٰى كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَينَنَـا وَبَيـنَكُم ﴾ (١) إلى قوله "مسلمون".

وكما كتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى عهده [١٧ ب] بالخلافة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴿ لِكُلِّ امرِئٍ مِّنهُم مَّا اكتَسَبَ مِنَ الإِثمِ ﴾ (٢) ﴿ وَسَيَعلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (٣).

وكتب على كرم الله وجهه فى آخر كتاب إلى معاوية: قد علمت مواقع سيوفنا من جدك وخالك وأخيك (٤)، ﴿ وَمَا هِىَ مِنَ الظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾(٥). إلى غير ذلك من الاستشهادات التى لا تحصى.

الضرب الثانى: الاقتباس.

وهو أكثر وقوعاً من الاستشهاد، وهو أن يضمن شيئاً من القرآن العزيز، ولا ينبه عليه كقول الحريرى " فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب " حتى أنشد فأطرب (٦)، وقوله " أنا أنبئكم بتأويله وأميز الصحيح من القول من عليله ". وقول الوزير ضياء الدين بن الأثير فى ذم البخل " ومن بسط يده فى فيه ثم قبضها بخله فإنه يقف دون الرجال مغموراً، ويقعد عن نيل المعالى محصوراً، وإذا أدركته منيته مضى وكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً ".

ثم إن الآية الواحدة لتستعمل فى عدة وجوه، فيوردها الناثر فى معنى، ثم يسلمنا إلى معنى آخر، كما وقع للوزير ضياء الدين بن الأثير فى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام ﴿ إِنِّي

---

(١) آل عمران ، الآية ٦٤.

(٢) النور ، الآية ١١.

(٣) الشعراء، الآية ٢٢٧؛ ولكل امرئ ما اكتسب من الإثم: نفسه، ص ١٩٠.

(٤) يريد بهم جده عتبة بن ربيعة، وخاله الوليد بن عتبة، وأخيه حنظلة، وهم من قتلى المشركين فى بدر. ابن سعد: الطبقات، ج٢، ص٢٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج١٧، ص٤٥.

(٥) هود ، الآية ٨٣.

(٦) فأغرب: صبح، ج ١، ص ١٩٧.

رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَباً وَٱلشَّمسَ وَٱلقَمَرَ رَأَيتُهُم لِى سَـٰجِدِينَ ﴾ [١]، فقال فى دعاء صدر كتاب "، وصل كتاب من الحضرة السامية أحسن الله أثرها، وأعلى خطرها، وقضى من العليا وطرها، وأظهر على يديها آيات المكارم وسورها، وأسجد لها كواكب السيادة وشمسها وقمرها".

أورد فى معنى آخر فقال " أبرز[٢] النعم ما كان فيه ذكرى للذاكرين [٣] " وتقدمه " إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين "، ثم نقله إلى معنى آخر فقال فى تقليد يكتب من ديوان الخلافة " فليزدد إعجاباً بما نالته مواطئ أقدامه، ولينظر إلى سجود الكواكب له فى يقظته لا فى منامه "، إلى غير ذلك من الاقتباسات التى لا تحصر.

قيل إن القاضى الفاضل رحمه [الله] كان يقرأ فى كل يوم وليلة ختمه مع قيامه بوظائفه وكثرة تصانيفه وإنشائه، وعلى نحو من ذلك كان القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر ولهما الفخار على غيرهما بتدبيج كلامهما غالباً بكلام الله.

النوع الثانى

الاستكثار من [١٨ أ] حفظ الأحاديث النبوية

على قائلها أفضل الصلاة والسلام والآثار المروية عن الصحابة رضى الله عنهم ليحتج بذلك فى الأحكام السلطانية والولايات وغير ذلك وخصوصاً فى السير والمغازى. فإذا تأمل فصاحتها ونظر فى معانيها وفهم أحكامها اهتدى بها وبنى كلامه على أصل لا يزلزل، وساق مقاصده إلى سبيل لا يضل عنه، فإن الفصاحة والبلاغة والأحكام إذا طلبت غايتها فإنها بعد كتاب الله العزيز فى كلام من أوتى جوامع الكلم، وإن ضمنها لما يرد عليه فى موقعه من الأمور المهمة فيبلغ بذلك رتبة الكمال.

وتضمين الأحاديث النبوية على ضربين:

---

(١) يوسف، الآية ٤.

(٢) أكرم: صبح، نفسه، ص ٢٠٠.

(٣) للعابدين: صبح، نفسه.

الضرب الأول: الاستشهاد.

وهو أن يضمن الكلام شيئاً من الحديث وينبه عليه كقول أبي إسحاق الصابئ فى وصفه عهدا عن خليفة لسلطان " وأن تقوم بما يعقده الرجل من عرض المسلمين، فإن ذمته ذمة جميع المؤمنين، فقد قال صلى الله عليه وسلم: المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم "[١]. وكقوله فى حفظ اللقطة من وصية عهد آخر فإذا حضر صاحبها وعلم أنه مستوجبها سلمت إليه ولم يعترض فيها عليه، فقد قال صلى الله عليه وسلم " ضالة المؤمن من حرقة النار".

[الضرب الثانى]: الاقتباس.

وهو أن يضمن الكلام شيئاً من الحديث ولا ينبه عليه كقول الحريرى فى بعض مقاماته " وكتمان الفقر زهادة، وانتظار الفرج بالصبر عبادة ". وكقول ضياء الدين بن الأثير فى دعاء كتاب " جعل الله ذكره زاداً لكل ركب، وأنساً لكل سمر، ومنحه من فضله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر".[٢] إلى غير ذلك مما لا يحصر.

النوع الثالث

الفقه

وهو فى اللغة الفهم، وفى الاصطلاح العلم بكل الأحكام الشرعية العملية التى قد ظهر نزول الوحى بها، وانعقد الإجماع عليها من أدلتها مع ملكة الاستنباط الصحيح منها. فيجب أن يكون عالماً فقيها محققاً بحاثاً مستحضر الأدلة، كثير الاطلاع ليمشى سلطانه على منهاج الشرع الشريف، [١٨ ب] والعمل بأقوى الأقوال، وما عليه الفتوى والاتفاق والخروج من الخلاف على مذهب سلطانه.

(١) ونسنك: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي،ليدن ١٩٣٦، ج٢، ص١٥٠.

(٢) السابق،ج١، ص٤٧.

وأكثر ما يرفع إلى الملوك من الأمور الفقهية ما يؤيده العلماء من الأحكام كإحياء الموات[١]، والخراج [٢]، والغصب [٣]، والوقف، والفرائض [٤]، والوصايا، وقسم الفيء والغنيمة، وقسم الصدقات والخراج، وكيفية القصاص [٥] ومستوفيه والاختلاف فيه، والديات وموجبات الدية، المعاملة [٦]، والكفارة، ودعوى الدم والقسامة[٧]، والبغاة، والردة، والحدود، وقاطع الطريق، والصيال [٨]، وضمان الولاة والسير، والجزية، والهدنة، والصيد، والذبائح، والمسابقة [٩]، والمناضلة [١٠]، والأيمان، والقسمة، والدعوى[١١]، والندبات [١٢]، والعتق، والتدبير[١٣]، والكتابة [١٤]، والصلح، ونحو ذلك. فيكون مستحضر الأقوال فيها كثير البحث عن دقائق مسائلها، والكشف عن غوامض مشكلاتها ليجرى لسانه وقلمه على الطريق المستقيم.

---

(١) إحياء الموات: هو استصلاح الأرض وزراعتها بعد موتها. ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص٢٤٤.

(٢) هو إخراج الناس جزءاً من أموالهم بقدر معلوم فى وقت معين فى السنة. السابق، ج٢، ص٢٥١.

(٣) هو أخذ مال الغير ظلماً وعدواناً. السابق، ج١، ص٦٤٨.

(٤) يسمى علم توزيع أنصبة الميراث علم الفرائض. السابق، ج٧، ص٢٠٢.

(٥) وهو الحكم فى الجرائم سواء كانت فى قتل أو جرح. السابق، ج٧، ص٧٦.

(٦) المعاملة: هى تأجير النخيل للمزارعين مقابل سهم معلوم فى غلتها والباقى لصاحب الأرض. ابن منظور: السابق، ج١٤، ص٣٩٤.

(٧) القسامة ودعوى الدم أن يُقْتل رجل فلا تشهد على قتل القاتل إياه بينة عادلة كاملة، فيقسم أولياء المقتول على القاتل خمسين قسماً لاستحقاقهم الدية ولا يكون فيهم صبى ولا امرأة ولا مجنون ولا عبد، فإن حلف أهل المدعى عليه خمسين قسماً مثلها بنفى التهمة سقطت عنهم الدية. السابق، ج١٢، ص٤٨١.

(٨) الصيال: هو الذى يضرب الناس ويتطاول عليهم. السابق، ج١١، ص٣٨٧.

(٩) المسابقة: حدد الفقهاء أنواع السباق فى ثلاثة أنواع، الخيل والإبل والنصل، ويمكن أن يضاف إليها ما يماثلها. السابق، ج١٠، ص ١٥١.

(١٠) المناضلة: هى المسابقة أو المفاخرة. السابق، ج١١،ص٦٦٦.

(١١) الدعوى: هى القضية المرفوعة لإثبات نسب أحدهم لرجل لم يعترف ببنوته. السابق ج١٤، ص٢٦١.

(١٢) الندبة: هى أثر الجرح الباقى على الجلد. القاموس المحيط، ج١، ص١٧٥.

(١٣) التدبير: أن يعتق الرجل عبده بعد موته. ابن منظور: السابق، ج٤، ص٢٧٣.

(١٤) الكتابة: هى أن يكتب العبد على نفسه بأن يؤدى لسيده مالاً مقابل عتقه. السابق، ج١، ص٧٠٠.

النوع الرابع

اللغة

وهى على ضربين:

الضرب الأول: اللغة العربية.

التى هى لسان صاحب ديوان الإنشاء وأس فصاحته، وكنز إنفاقه، فإذا عرف أسماءها[١] من الأسماء المترادفة: وهى توارد الأسماء على المسمى الواحد، كالبر والحنطة. والأسماء المشتركة وهى أن يتحد الاسم ويختلف المسمى كالعين فإنها تقع على العين الباصرة والعين الجارية، وغير ذلك من أنواعها، و[من]عرف التصرف فى وجوه دلالتها الظاهرة والخفية اقتدر بذلك على الاتفاق على مواقع التكلم بها واستعمالها فى مجالها وعرف ما يرد عليه من كلام العلماء بهذا الفن وما يصدر من ديوانه من ذلك ويجد سبيلاً إلى التوسع فى الألفاظ والعبارة عن الصور القائمة فى نفسه فيتسع عليه النطق فى العبارة ويسهل عليه التعبير عن مقصوده.

وإذا عرف المشترك يغير [٢] فى الكلام بتعبيره عن الشيء بلفظ، ثم يعبر عنه مرة أخرى بلفظ آخر مع إيضاح ذلك بذكر قرينة تخصصه كقولك " عين حسناء فى الباصرة " " وعين نضاخة فى الجارية "، ونحو ذلك. وأنت إذا ما تأملت [١٩ أ] كتاب كشاجم [٣] ظهر لك كيف يورد الرسالة متواردة الألفاظ العديدة على المعنى الواحد كما قال فى كريم الأصل " محضر الأرومة [٤]، نجيب العنصر، خالص السنخ [٥]، صادق المحتد [٦]، وافر الحسب، ثاقب النسب، محض الضرائب [٧]، ظاهر الحرم، زكى الغرس، طيب المنتمى، سامى المركب، رفيع النحر، تالد المجد، موفى الشرف، سابق القدم، شريف المنصب، وافر المقدم، عالى البيت، مثبت

(١) أنواعها: ضوء، ص ٥٧.

(٢) تفنن: السابق، نفسه.

(٣) كنز الكتاب لكشاجم: السابق، نفسه.

(٤) تعنى الأصل. ابن منظور: السابق، ج١٢، ص١٤.

(٥) هو أصل كل شيء. السابق، ج٣، ص٢٦.

(٦) هو الأصل والطبع. السابق، ج٣، ص١٣٩.

(٧) أى كريم الطبع. السابق، ج١، ص٥٤٩.

الإنالة [١]، موفر الأثرة [٢]، أغر المناقب ". فلولا سعة باعه فى الألفاظ المترادفة والمتقاربة فى اللغة ما تأتى له مثل هذه الألفاظ على المعنى الواحد إلى غير ذلك مما لا نهاية له.

الضرب الثانى: اللغة التركية.

قال محمد بن عمر المدائنى " قيل إن النبى صلى الله عليه وسلم كان يفهم اللغات كلها وإن كان عربياً لأن الله تعالى بعثه إلى الناس كافة ولم يكن الله بالذى يبعث نبياً إلى قوم لا يفهم عنهم، وكذلك كلم سلمان بالفارسية وساق بسنده إلى عكرمة إنه قال: سئل ابن عباس عن تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفارسية. قال: نعم، دخل عليه سلمان فقال له " درسته وسادته ". قال محمد بن أميل: أظنه " مرحباً وأهلاً ".

واللغة التركية شرط فى كاتم السر من وجهين، أحدهما أن ملوك الديار المصرية وأرباب المملكة من ابتداء الدولة الأيوبية فى عشر الستين من الستمائة وإلى زماننا عشر الأربعين من التسعمائة لم يدر الكلام بينهم إلا بهذه اللغة، حتى نظرائهم لا يعرفون غيرها، فإذا كان كاتم السر عارفا بها أعانه على فهم مقاصدهم والأخذ بخواطرهم والاطلاع على أحوالهم، واكتساب هذه اللغة يكون من النشأة والمخالطة.

الثانى: أن غالب ما يرد على ديوان الإنشاء من الأمور المهمة مكاتبات ملوك الشرق، وحكامهم، وغالباً أن قصادهم لم يتكلموا إلا بهذه اللغة، وإن كان فيهم من يتكلم بالفارسية فإن ذلك نادر. فمعرفته لها يطلع على مقاصدهم ويأمن من انحراف كلامهم أو تدليسه أو تلبيسه، وأكتم لسر سلطانه من حيث إنه لا يطلع على سر سلطانه غيره.

روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن ثابت رضى الله عنه: يا زيد تعلم كتاب يهود [١٩ ب] فإنى والله لا آمن يهود على كتابى. قال فتعلمت كتابهم فما مر بى ست عشرة ليلة حتى حذقته، فكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيبهم إذا كتب. فإن قيل كيف أمر زيد بحفظ كتاب يهود _ يعنى العبرانية أو السريانية _ ليُفهمه للنبى صلى الله عليه وسلم وقد تقدم أنه كان صلى الله عليه وسلم يعرف اللغات جميعها. فالجواب ما أمر زيداً بتعلم كتاب السريانية والعبرانية إلا لتحريم الكتابة عليه صلى الله عليه وسلم.

(١) الإنالة، هى المعروف. ابن منظور: السابق، ج١١، ص٦٨٥.

(٢) الأثرة، المكرمة. السابق، ج٤، ص٧.

النوع الخامس

النحو والتصريف

وهو على ضربين:

الضرب الأول: النحو.

قال صاحب الريحان والريعان: إن الخلفاء الراشدين لم يزالوا يحثون على تعلم العربية وحفظها والرعاية بمعانيها إذ هى من الدين بالمكان المعلوم والمحل المخصوص. قال عثمان المحبرى[١]: أتانا كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمرنا بأشياء ويذكر فيها " تعلموا العربية فإنها تصلح [٢] فى العقل وتزيد فى المروءة ".

والشرط فى كاتم السر معرفة كلام العرب لغة ونحوا، وأخذه منهما بحظ وافر ليرتسم ذلك فى فكره، ويدور على لسانه، وينطلق به عقال قلمه وكلامه، ويكون على بصيرة فى نطقه ووضع خطه، فإنه لو أوتى من الفقه والبلاغة بأتم ما يكون ولحن فيه ذهبت محاسن ما أتى به، وانهدرت طبقة كلامه، وألغى جميع ما يحسنه، ووقفت به عند ما جهله.على أن النحو يختص بجالب العلوم.

مهمة: من المعلوم أن البيعات والعهود المكتتبة من ديوان الإنشاء للخلفاء والسلاطين وولاة عهودهم مجردة عن رسم شكل الحروف الذى هو ضابط الإعراب، والنقط التى تمنع التصحيف، واختار السلف لذلك إنما هو اختيار صاحب ديوان الإنشاء فى حاصله من الفضيلة فى علم النحو وإدراك المعاني، وتطبعه بصحة النطق فإن قراءة ذلك مختص به على رءوس الأشهاد، وهنالك تظهر فضيلة صاحب ديوان الإنشاء.

قال أبو سعيد البصرى: [٢٠ أ]

النحو يبسط من لسان الألكنِ   والمرء تكرمه إذا لم يلحن

---

(١) الصواب: المهرى، صبح، ج١، ص١٦٨؛ ضوء، ص٥٨.

(٢) تثبت: صبح، نفسه.

وإذا طلبت من العلوم أجلها فأجلها عندى مقيم الألسن

قال الجاحظ: وأقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتشديق والتمطيط والجهورية والتفخيم، فإنه لا فائدة من ذلك. والذى يقتضيه حال الزمان أن نحافظ على الإعراب فى القرآن والحديث والشعر والكلام المسجوع وما يضعه القلم فى الطروس ويغتفر فيما عدا ذلك، وعلى ذلك جرت طريقة السلف منذ فسدت الألسن.

الضرب الثانى: التصريف.

وهو علم نعرف من أحواله بنية الكلمة التى ليست بإعراب، وقيل أن تعرف أصل الكلمة وزيادتها وحذفها وإبدالها وجمعها وتثنيتها وصحتها وأعلاها وجمودها واشتقاقها وتصريفها إلى ماض ومضارع وأمر ونهى وغير ذلك. لأنه إذا أراد جمع الكلمة أو تصغيرها أو النسبة إليها، ولم يعرف الأصل فى حروف الكلمة وزيادتها وحذفها وإبدالها ضل، وكثير مما وقع فى ذلك من أكابر الشعراء والكتاب.

حكى عن [ابن] (١) إسرائيل مع قدمته فى الكتابة أنه قال: كانت رسومنا مسـاناة، ثم صارت مشاهرة، ثم صارت مياومة، ثم صارت مساعاة. فأخطأ وكان يجب أن يقول " مساوعة". وممن وقع فى ذلك أبو نواس حيث قال:

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

فإن فعلى أفعل لا يجوز حذف الألف واللام فيها، وإنما يجوز حذفهما من فعلى التى لا أفعل لها نحو " حبلى " إلا أن يكون فعلى أفعل مضافة، وهاهنا لا إضافة ولا ألف ولام، وكان الصواب أن يقول " كأن الصغرى والكبرى " أو " كأن صغراها وكبراها در ".

وهذا العلم لم يزل مندرجاً فى علم النحو حتى أفرده عنه أبو عثمان المازنى ثم تبعه جماعة من العلماء وصنفوا فيه كتباً كثيرة.

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من ضوء، ص ٦١.

النوع السادس

معرفة المعاني والبديع

والمعانى علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها تطابق مقتضى الحال [٢٠ ب]. والبيان علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة لوضوح الدلالة عليه. والبديع علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بقدر عام للمطابقة ووضوح الدلالة، وهذه العلوم هى قاعدة عمود الفصاحة واقتفاء سنن البلاغة.

وإن صاحب هذا الديوان مضطر إلى معرفتها ليتوصل بذلك إلى فهم الخطاب ورد الجواب، وليكون جارياً على قوانين اللغة فى التركيب مع قوة الملكة على إنشاء الأقوال المركبة المأخوذة عن الفصحاءِ والبلغاء فى كل ما يقع له من جهة بلاغتها وخلوها عن اللكن وتحسين الكلام وتنميقه إلى غير ذلك من الأمور.

قال الشهاب محمود الحلبى فى " حسن التوسل ": وهذه العلوم الثلاثة وإن لم يضطر إليها ذو الذهن الثاقب، والطبع السليم، والقريحة المطاوعة، والفكرة المنقحة، والبديهة المحسنة، والرؤية المتصرفة، لكن العالم بها يتمكن [1] من أزمة المعانى وصناعة الكلام يقول عن علم وبتصرف عن معرفة، وينتقد بحجة، ويتخير بدليل، ويستحسن ببرهان، ويصوغ الكلام بترتيب".

مهمة: حيث ما كان صاحب هذا الديوان مغدوق به ما يصدر من ديوان الإنشاء كان لازماً له تحصيل ما ذكرناه من أنواع العلوم ليستعين بها على كمال ما ينشأ ويكتب من ديوانه وينطرد عنه النقص، ويكون على يقين من أمره من حيث أن يكون له قانوناً يرجع إليه، وأصلاً يقف عنده. ألا ترى أنه إذا جرى قانون الثلاثة علوم المتقدمة الذكر من التشبيه والاستعارة والتجنيس وغيرها من الأنواع إلى ما يبهر العقول ويأخذ بأزمة القلوب كقول القاضى الفاضل " فى ليلة قد خمد جمرها، وجمد خمرها، إلى يوم تود البصلة لو زيد فى قمصها، والشمس لو جرت إلى قرصها ". وقول الوأواء الدمشقى:

قالت متى هذا البين يا هذا فقلت لها ... أما غداً زعموا أو لا فبعد غد

---

(١) متمكن: صبح، ج ١، ص ١٨٤.

فاستمطرت [١] لؤلؤاً من نرجس وسقت ... ورداً وغضت على العناب بالبرد

[٢١ أ] وقول آخر:

أزورهم وظلام الليل يشفع لى ... وأنثنى وضياء الصبح يغرى بى

وقول آخر:

سفرن بدوراً وانتقبن أهلة ... ومسن غصوناً وانثنين جآذرا

فأتوا بالسحر[٢] الحلال وأبدوا من محاسن البلاغة ما وقع من بدائعه فى وارف الظلال.

والسيف ما لم يلف فيه صيقل ... من طبعه لم ينتفع بصقال

النوع السابع

فى صنعة الكلام

وهو على أصلين:

الأصل الأول: قال فى الصناعتين " والمعانى من الألفاظ بمنزلة الأبدان من الثياب بل المعاني هى أرواح الألفاظ وغايتها التى لأجلها وضعت وعليها بنيت، فالألفاظ تابعة والمعانى متبوعة واحتياج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى أشد من احتياجه إلى تحسين الألفاظ، لأنه إذا كان المعنى صواباً واللفظ منحطاً ساقطاً عن أسلوب الفصاحة كان الكلام كالإنسان المشوه الصورة مع وجود الروح فيه، وإذا كان المعنى خطأ كان الكلام بمنزلة الإنسان الميت الذى لا روح فيه ولا حركة ولو كان على أحسن صورة وأجملها ".

قال فى المثل السائر: وإنما اعتنت العرب بالألفاظ وهذبتها وأصلحتها لأن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأشرف قدراً فى نقوشها، ولما كانت الألفاظ عنوان المعاني، وطريقاً إلى إظهار أغراضها أصلحوها ورتبوها وبالغوا فى تحسينها ليكون ذلك أوقع لها فى النفس وأذهب بها فى الدلالة على القصد.

قال فى الصناعتين: ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيأ له فيها من صنعة الكلام ما تهيأ له فى الأول، ألا ترى أن عبد

---

(١) فأمطرت: ضوء، ص ٦٣.

(٢) ونظموا على ذلك فأتوا بالسحر: السابق، نفسه.

الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التى رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي وحولها إلى اللسان العربى فلا تكتمل صناعة الكلام إلا من يكمل له إصابة المعنى وتصحيح اللفظ والمعرفة بوجوه الاستعمال.

وأما الألفاظ فقد تقدم فى الكلام على المعاني، فإن الألفاظ من المعاني بمنزلة الأبدان من الثياب، ولا خفاء فى أن الوجه [٢١ ب] الصبيح يزداد شباباً بالحلل الفاخرة والملابس البهية، والقبيح يزول عنه بذلك بعض القبح، كما أن الحسن يغض حسنه برثاثة ثيابه وعدم صحة ملبوسه. والقبح يزداد قبحاً إلى قبحه مثل ذلك، وقد ذكر فى الصناعتين هنا ما يدل على تعظيم شأن الألفاظ وعلو مرتبتها، قال: ليس البيان فى إيراد المعاني لأن المعاني يعرفها العربى والعجمى والقروى والبدوى، وما [١] هو فى جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه ونزاهته ونقائه وكثرة طلاوته [ومائه] [٢] مع صحة السبك والتركيب والخلو من الخلوص والتأليف [٣]. قال: وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً ولا يقنع من اللفظ بذلك. ثم قال: والدليل على أن مدار البلاغة [على] [٤] تحسين اللفظ أن الخطب الرائقة والأشعار الذلقة [٥] ما عملت لإفهام المعاني فقط لأن الردىء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها فى الإفهام، وإنما يدل حسن الكلام وإحكام صنعته ورونق ألفاظه وجودة مطالعه وجودة مقاطعه [٦] وبديع مباديه وغريب مبانيه على فضل قائله وفهم منشئه. وقال: وأكثر هذه الأوصاف ترجع إلى الألفاظ دون المعاني. ثم قال: وتوخى صواب المعاني [٧] أحسن من توخى هذه الأمور فى الألفاظ. " ولو كان الأمر فى المعاني لطرحوا

(١) إنما: الصناعتين، ص ٥٨.

(٢) ما بين الحاصرتين من الصناعتين، ص ٥٨، ضوء، ص ١٠٥.

(٣) أود النظم والتأليف: الصناعتين، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من الصناعتين، نفسه، ضوء، نفسه.

(٥) الخطب الرائعة والأشعار الرائقة: الصناعتين، نفسه، ضوء، نفسه.

(٦) وحسن مقاطعه: الصناعتين، نفسه.

(٧) المعنى: الصناعتين، نفسه.

أكثر ذلك "، " وأن الكلام إذا كان لفظه حلواً عذباً سهلاً سليماً[١] ومعناه وسطاً دخل فى جملة الجيد [وجرى مع الرائع النادر] [٢]، ألا ترى إلى قول الشاعر:

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المثلى[٣] الأباطح

ليس فيه كبير أمر من المعنى [٤]، ومع ذلك [٥] فهو رائق معجب [٦] بخلاف ما إذا كان المعنى صواباً واللفظ باردا فاترا فإنه يكون مستهجناً مرفوضاً لقول أبى العتاهية:

مات والله سعيد بن وهب رحم الله سعيد بن وهب

يا أبا عثمان أبكيت عينى يا أبا عثمان أوجعت قلبى

فإنه منحط إلى الغاية.

الأصل الثانى: الفصاحة والبلاغة. أما الفصاحة [٢٢ أ] فهى فى أصل اللغة " الخلوص"، فقال " أفصح اللبن " إذا انجلت عنه رغوته وظهر، " وأفصح عما فى نفسه " إذا أظهر. ويوصف بها المفرد [من] الكلام واللفظ، فقال " لفظ أفصح "، " وكلام فصيح "، " ومتكلم فصيح ". فأما الفصاحة فى المفرد فأعتبر المحققون من علماء المعاني أربع صفات:

الصفة الأولى: سلامته من تنافر الحروف، وهو ما يثقل النطق به ويعسر، وجعله فى الإيضاح على مرتبتين:

المرتبة الأولى: ما يخف الثقل فيها بعض الخفة كلفظ " مستشرزات " فى قول الشاعر[٧]:

---

(١) وسلساً سهلاً: الصناعتين، ص ٥٨.

(٢) ما بين الحاصرتين من السابق، ص ٥٩.

(٣) الصواب: المطى، السابق، نفسه.

(٤) وليس تحت هذه الألفاظ كبير معنى: السابق، نفسه.

(٥) ساقطة من الصناعتين.

(٦) وهى رائقة معجبة: السابق، نفسه.

(٧) هى للشاعر امرىء القيس، ابن فهد الحلبى: حسن التوسل، ص ١٢.

غدائره [١] مستشزرات إلى العلا تضل المدارى فى مثنى ومرسل

فالغدائر الذوائب، والمستشزرات بفتح الزاى بمعنى " مرفوعات "، وكسرها بمعنى "مرتفعات"، والمدارى " السنان " [٢]، والمثنى والمرسل صفتان للشعر. وإنما وقع الثقل فى مستشزرات لتوسط الشين وهى مهموسة رخوة بين الزاى [٣] وهى مهموسة شديدة، والزاى وهى مجهورة.

المرتبة الثانية: ما تكون الكلمة فيه متناهية فى الثقل وتغيير النطق بها كما يحكى أن أعرابياً سئل عن ناقة فقال: تركتها ترعى الهعخع، بضم الهاء والخاء، ويقال " الخعخع " بخاءين معجمتين مضمومتين، ويقال " العهخع " بضم العينين المهملتين، والهعخع قيل إنه نبت، وقيل شجر، وقيل كلمة معاياة لا أصل لها.

الصفة الثانية: من صفات اللفظ الفصيح، سلامته من الغرابة عند أهل اللسن من العرب كقريش ونحوهم لقلة استعماله عندهم، فالغريب عندهم ليس بفصيح بخلاف ما كان غير غريب عندهم ثم صار غربيا بالنسبة لمن بعدهم فإنه فصيح.

الصفة الثالثة: من صفات اللفظ الفصيح، سلامته من مخالفة القياس نحو قول أبي النجم: الحمد لله العلى الأجلل، فإن قياس التصريف أن يقول الأجلّ لاجتماع المثلين وتحرك الثانى وذلك مما يوجب الإدغام.

الصفة الرابعة: من صفات اللفظ الفصيح، سلامته من الابتذال، وهو الامتهان بأن لا يكون عامياً ولا ساقطاً سوقياً، ثم المبتذل ضربان:

الأول: ما لم يتغير عن وصفه اللغوى إلا أن العامة اختصت باستعماله فابتذل لأجل ذلك وسخف لفظه وانحطت رتبته وصار من استعمله من الخاصة [٢٢ ب] ملوماً على الإتيان به للمشاركة العامة فيه، وقد وقع ذلك لجماعة من فحول الشعراء كقول الفرزدق:

---

(١) ذوائبه: حسن التوسل، ص ١٢.

(٢) أسنان المشط: ضوء، ص ١٠٧.

(٣) الصواب: التاء.

وأصبح مبيض الضريب كأنه على سروات النبت قطن مندف

فقوله " مندف " من الألفاظ العامية المبتذلة، وقول أبي العباس [١]:

وملحة بالعذل تحسب أننى بالجهل أترك صحبة الشطار

" فالشطار" جمع شاطر وهو الشجاع الذى أعيى الناس بشجاعته، وغلب دورانه على لسان العامة فابتذل، ونحو ذلك.

الضرب الثانى: ما كان فى أصل اللغة دالاً على معنى وضع له فغيرته العامة وجعلته دالاً على معنى آخر وهو إما غير مستقبح فى الذكر أو مستقبح. فأما غير المستقبح فكتسميتهم الإنسان إذا كان دمث الأخلاق وحسن الصورة واللباس " ظريفاً "، والظرف فى أصل اللغة يختص بنطق اللسان فقط فغيرت العامة موضوع الظرف عن بابه ونقلته إلى أعم من موضوعه، وقد وقع الذهول فى ذلك لأبى نواس فى قوله:

وقال هذا [٢] وجهه لى الحسن والظرف والكمال

فوصف الوجه بالظرف وهو يختص بالنطق كما تقدم.

وأما المستقبح الذكر فكما فى لفظ " الصريم " بالصاد المضمومة، فإنه فى أصل اللغة " القطع " يقال " صرمه يصرمه صرماً " إذا قطعه، وبالسين المحل المخصوص فقلبت العامة السين فى المحل المخصوص صاداً واستعملوها بمعنى السرم الذى هو المحل المخصوص فصار لفظاً مستقبحاً وسماعه مستكرهاً، وعُتب على أبى الطيب فى قوله:

أذاق الغوانى حسنه ما أذاقنى وعف فجازاهن عنى بالصرم

والفصاحة فى الكلام قد اعتبروا فيها ثلاث صفات:

الصفة الأولى: سلامته من ضعف التأليف نحو " ضرب غلامه زيد " كان الصواب " ضرب زيداً غلامه "، كقوله " وإذ ابتلى إبراهيم ربه " كان فيه عود الضمير إلى المتأخر لفظاً ورتبة، والجمهور على منعه وإن جوزه ابن جنى وابن مالك وغيرهما مستدلين بقول الشاعر:

---

(١) أبي نواس: ضوء، ص ١١٠.

(٢) هذاك: السابق، نفسه.

جزى ربه عنى عدى بن حاتم   جزاء الكلاب العاويات [١] وقد فعل

[٢٣ أ] وإذا كان الجمهور ذهبوا إلى امتناعه فلا أقل أن يكون ضعيفاً.

الصفة الثانية: سلامته من تنافر الحروف كقول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر   وليس قرب قبر حبر [٢] قبر

قال الرمانى [٣]: يقال إنه من شعر الجن لأنه لا يقوله أحد ثلاث مرات إلا تكعكع فيه. قال الخفاجى: وثقل هذا البيت لتقارب الحروف المتماثلة وتكررها أيضاً. وجعل فى الإيضاح التنافر منقسماً إلى أعلى وهو ما تقدم وأدنى كلفظ " أمدحه " من قول أبي تمام:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى   معى وإذا ما نلته [٤] لمته وحدى

وعلله بأن فى قوله " أمدحه " ثقلاً لما بين الحاء والهاء من التنافر لتقاربهما، وأن التقارب قد يكون سبباً للتنافر، وكذلك حكم على الكلمات التى تكررت فيها الحروف المتماثلة بالنقل.

الصفة الثالثة: سلامته من التعقيد، وهو أن لا يكون ظاهر الدلالة على المراد لخلل، وهو على ضربين:

الضرب الأول: وهو الذى سماه ابن الأثير " المعاظلة المعنوية " وهو أن لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المراد وإن كان تاماً فى الكلام جاريا على القوانين بحيث يخيل على السامع نظم الكلام فلا يدرك كيف يصل إلى معناه كقول الفرزدق يمدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى خال هشام بن عبد الملك بن مروان:

وما مثله فى الناس إلا مملكاً   أبو أمه حى أبوه يقاربه

يريد وما مثل هذا الممدوح فى الناس حى يقاربه فى الفضل إلا مملكاً أبو أم ذلك الملك أبو الممدوح فيكون الممدوح خال الملك، والمعنى أنه لا يماثل أحداً هذا الممدوح الذى هو إبراهيم بن هشام ولا ابن أخيه هشام ففصل بين أبو أمه وهو مبتدأ وأبوه وهو خبر بـ " حى " الأجنبى

---

(١) العاديات: ضوء، ص ١١١.

(٢) الصواب: حرب، السابق، نفسه.

(٣) الزيجانى: السابق، نفسه.

(٤) الصواب: لمته، السابق، نفسه.

وفصل بين المبتدأ والخبر وهما مثله وجاء بقوله فى الناس إلا مملكاً أبو أمه، وفصل بين حى وبين موصوف يقاربه بـ " أبوه " وهو أجنبى، وقدم [٢٣ ب] المستثنى على المستثنى منه فضعف وتعقد. وخالى من التعقيد لا يكون فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك إلا بقرينة ظاهرة لفظاً ومعنى.

الضرب الثانى: أن يكون ظاهر الدلالة على المراد بحال فى انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة إلى الثانى المقصود لإيراد اللوازم التعقيدية المفتقرة إلى الوسائط الكثيرة مع جفاء القرائن الدالة على المقصود كقول العباس بن الأحنف:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا　　　وتسكب عينى الدموع لتجمدا

يريد أن من عادة الدهر معاكسة المقاصد فأراد بعد الدار ليحصل القرب وتسكب [عيناه الدموع فتجمد] [١] بحصول السرور بالملاقاة، فكنى بسكب الدموع عن إبكائه [٢] والحزن وهو الظاهر من المعنى لأنه كثيراً ما يجعل دليلاً عليه بجمود العين عما يوجبه التلاقى من الفرح، فإن التبادر [٣] إلى الذهن من جمود العين بخلها بالدمع عند إرادة البكاء حال الحزن بخلاف ما أراده الشاعر من التعبير به عن الفرح، فإن كانت حالة جمود العين مشتركة بين بخل العين بالدمع عند إرادة البكاء وبين زمن السرور التى لم يطلب فيه بكاء.

والفصاحة فى التكلم قال فى التلخيص: هى ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح وهو يسمى المفرد المركب.

وأما البلاغة: قال فى الصناعتين: هى مأخوذة من قولهم " بلغت الغاية " إذا انتهت إليها وبلغتها غيرك [٤]. والمبالغة فى الشيء الانتهاء إلى غايته فسميت البلاغة بلاغة لأنها تضمين [٥] المعنى إلى قلب السامع فيفهمه وهى مما يوصف به الكلام والمتكلم فيقال "كلام بليغ ومتكلم بليغ".

---

(١) ما بين الحاصرتين من ضوء، ص ١١٢.

(٢) الكآبة: السابق، نفسه.

(٣) المتبادر: السابق، نفسه.

(٤) غيرى: الصناعتين، ص ٦.

(٥) تنهى: السابق، نفسه.

فأما البلاغة فى الكلام فقد اختلفت فيها عبارتهم [(١)] اختلافاً كثيراً يأتى على نيف وثلاثين عبارة [(٢)] ترجع إلى معنى الوصف لها وقد عرفها صاحب التلخيص: بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته. وعرفها فى حسن التوسل: بأن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع إيجاز بلا إخلال وإطالة فى غير إملال. وهذان [٢٤ أ] التعريفان مما لا خفاء فيه. ثم لها طريقان أعلى وهو حد الإعجاز وما يقرب منه، وأسفل وهو ما لو عبر عنه إلى ما دونه التحق [(٣)] عند البلغاء بأصوات البهائم، وقد يظهر لك أن كل بليغ من كلام أو متكلم فصيح ولا عكس.

النوع الثامن

معرفة السجع وأحكامه واختلاف أحواله

وهو عمدة هذه الصناعة وأس بهائها [(٤)] لأن غالب مهمات ديوان الإنشاء لا تكون إلا مسجوعة من ابتدائها إلى انتهائها، فإذا كان كاتم السر عالماً به استعان به على قصده من ذلك وظهر له معايب ما يصدر من ديوانه من ذلك فينهى عن إصداره.

قال فى مواد البيان: هو مشتق من " الساجع " وهو المستقيم لاستقامته فى الكلام واستواء أوزانه. وقيل من سجع الحمامة وهو ترجيعها الصوت على حد واحد فقال: منه سجعت الحمامة تسجع سجعاً فهى ساجعة. سمى السجع فى الكلام بذلك لأن مقاطع الفصول تأتى على ألفاظ متوازنة متعادلة، وكلمات متوازنة متعادلة فأشبه ذلك الترجيع وهو فى الاصطلاح تقفية مقاطع الكلام من غير وزن.

وقال فى المثل السائر: هو تواطىء الفواصل من الكلام المنثور على حرف واحد، ويقال للحرف الواحد منه " سجعة " وتجمع على " سجعات "، و" فقرْة " و" فقرْات "، ويقال "فقِرة" و" فقِرات "، وربما قيل " فَقَرة ". ويقال لها أيضاً " قرينة " لمقارنة أختها وتجمع على "قرائن "، ويقال للجزء الأخير منها " الفاصلة " و" حرف الروى "، والقاعدة أن تكون كلمات الأسجاع

---

(١) اختلف عبارتهم فيها: ضوء، ص١١٣.

(٢) بلاغة: السابق، نفسه.

(٣) للحق: السابق، نفسه.

(٤) بنائها: السابق، ص ١٢٧.

ساكنة الأعجاز مرفوعاً عليها بالسكون فى حالتى الوقف والدرج لأن الغرض منه المناسبة بين القرائن والمزاوجة بين الفقر أو آخر القرائن.

قال فى الصناعتين: ولا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً، ولا تكاد تجد لبليغ كلاماً خالياً (١) من الازدواج. وناهيك أن القرآن الكريم الذى هو عنصر البلاغة ومناط الإعجاز مشحون به لا تخلو منه سورة من سوره وإن قصرت بل ربما وقع السجع فى فواصل جميع متن (٢) السورة كما فى سورة النجم والقمر وغيرها، بل ربما وقع فى أوساط الآيات لقوله [٢٤ ب] تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ السَّمَـٰوَ ٰتِ وَٱلأَرضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ (٣)، وقوله ﴿ لَّو نَشَآءُ أَصَبنَـٰهُم بِذُنُوبِهِم وَنَطبَعُ عَلَى قُلُوبِهِم ﴾ (٤). وكذلك وقع فى كثير من كلام النبى صلى الله عليه وسلم كقوله عند قدومه إلى المدينة " أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام "(٥)، بل ربما صرف الكلمة عن موضعها مراعاة للمزاوجة كقوله " انصرفن مأزورات غير مأجورات " (٦) أصلها " موزورات " أخذاً من " الوزر " فعبر " بمأزورات " موافقة لمأجورات وعلى ذلك كان يجرى كلام العرب فى مهم كلامهم، تقول بعض العرب وقد ذهبت السيل بابنه: اللهم إن كنت قد أبليت فطالما عافيت. فإن قيل (٧) إنه صلى الله عليه وسلم حين قضى على رجل فى الجنين بغرة عبد أو أمة فقال الرجل: أأدى (٨) من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك يطل. فقال له النبى صلى الله عليه وسلم " أسجع كسجع الكهان ؟

---

(١) يخلو: الصناعتين، ص ٢٦٠، محلولاً: ضوء، ص ١٢٨.

(٢) ساقطة من ضوء، نفسه.

(٣) الأنعام، الآية ١.

(٤) الأعراف، الآية ١٠٠.

(٥) ونسنك، السابق، ج٥، ص١٤٨.

(٦) السابق، ج١، ص١٧.

(٧) أما ما روى: ضوء، ص ١٢٩.

(٨) أئدى: الصناعتين، ص ٢٦١، من الدية وذلك حق القتيل، انظر: الصناعتين، ص ٢٦١ هـ٢.

فالجواب إنما كره النبى صلى الله عليه وسلم السجع لمشابهة سجعه سجع الكهان لما فيه من التكلف فى التعسف كما قاله أبو هلال العسكرى، وإما [١] لجريانه على عادقم فى الجواب فى الأحكام وغيرها بالكلام المسجوع ما قاله غيره أو إنه إنما كره حكم الكاهن الوارد بـــاللفظ المسجوع بإنكار إيجاب الدية لا نفى السجع المأتى به كما اختاره فى المثل السائر.

واعلم أن السجع تارة تكون القرينتان فيه متفقتين فى حرف الروى ويســميه الرمـــانى "السجع الحالى" وعليه عمل أكبر الكتاب من زمن الفاضل وإلى زماننـــا، وأعـــلاه أن تكـــون القرينتان مستويتي الأوزان ويسمى "التصريع " وهو أحسن أنواع السجع وأعلاها كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ إِلَيۡنَا إِيَابَهُم ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴾ [٢]، وكقوله ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ [٣]. وقوله صلى الله عليه وسلم " اللهم اقبل توبتى واغسل حوبتى " [٤] إلى غـــير ذلك مما لا نهاية له.

ودون ذلك فى الرتبة أن يختص التوارد بالكلمتين الأخيرتين مـــن الفقـــرتين فقـــط دون الألفاظ كقوله تعالى ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرۡفُوعَةٌ وَأَكۡوَابٌ مَّوۡضُوعَةٌ ﴾ [٥]، ثم قال ﴿ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٌ، وَزَرَابِىُّ مَبۡثُوثَةٌ ﴾ [٦] [٢٥ أ] ودون ذاك أن يقع الاتفاق فى حرف الروى مع قطع السطر عن التوازن فى شيء من أجزاء الفقرة فى الآخر ولا غيره ويسمى " المطرف " كقوله تعالى ﴿ مَّا لَكُم لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدۡ خَلَقَكُم أَطۡوَاراً ﴾ [٧].

وتارة يختلف حرف الروى فى آخر الفقرتين وبين الذى نعبر عنـــه بـــــ " الازدواج "، والرمانى يسميه " السجع العاطل " وعليه كان عمل الصحابة والتابعين ومن قـــارب زمـــانهم، وأعلاها أن يراعى الوصل فى جميع كلمات القرينتين، وفى أكثرهما مع مقابلة الكلمة بما يعادلهـــا وزناً ويسمى " التوازن " كقوله تعالى ﴿ وَءَاتَيۡنَـٰهُمَا ٱلۡكِتَـٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ وَهَدَيۡنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ

---

(١) أو: ضوء، نفسه.

(٢) الغاشية، الآية ٢٥ ــ ٢٦.

(٣) الانفطار، الآية ١٣ ــ ١٤.

(٤) ونسنك، السابق، ج١، ص٥٣٣.

(٥) الغاشية، الآية ١٣ ــ ١٤.

(٦) الغاشية، الآية ١٥ ــ ١٦.

(٧) نوح، الآية ١٣ ــ ١٤.

ٱلْمستَقيمَ ﴾ [١]. ودون ذلك فى الرتبة أن يراعى التوازن فى الكلمتين الأخيرتين فقط ويسمى "التوازن" أيضاً كقوله تعالى﴿ وَنَمَارِقُ مَصفُوفَةٌ، وَزَرَابِىُّ مَبثُوثَةٌ ﴾، ودون ذلك أن لا موازنة فى إحدى القرينتين ولا فى شيء من أحدهما كقوله تعالى ﴿ وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلبُرُوجِ، وَٱليَومِ ٱلموعُودِ﴾[٢].

واعلم أن من السجع ما يوصف بالقصر ومنه ما يوصف بالطول، فالسجعة القصيرة من عشرة ألفاظ فما دونها، قال فى حسن التوسل: وهى تدل على قوة التمكين وإحكام الصنعة [٣] ولا سيما القصير منها للغاية، وأقل ما تكون من لفظتين كقوله تعالى ﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلمُدَّثِّرُ قُم فَأَنذِر وَرَبَكَ فَكَبِّر وَثِيَابَكَ فَطَهِّر ﴾ [٤]. قال: ومثله فى القرآن كثير إلا الزائد على ذلك أكثر كقوله تعالى ﴿ وَٱلنَّجمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم وَمَا غَوَىٰ ﴾ [٥].

والسجع الطويل، قال فى حسن التوسل: وهو الذى فى السمع لتشوف السامع لمثل يرد فيتزايد على سمعه. وأقل ما يكون من إحدى عشرة كلمة فما فوقها كقوله تعالى ﴿ وَلَئِن أَذَقنَا ٱلإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحمَةً ثُمَّ نَزَعنَـٰهَا منهُ إِنَهُ لَيَئُوسُ كَفُورُ وَلَئِن أَذَقنَـٰهُ نَعمَاءَ بَعدَ ضَرَاءَ مَستهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّئَاتُ عَنِّى إِنَّهُ لَفَرِحُ فَخُورُ ﴾ [٦]. فالأولى من إحدى عشرة لفظة، والثانية من ثلاث عشرة لفظة وغالب ما يكون من خمس عشرة لفظة فما فوقها كقوله تعالى ﴿ لَقَد جَآءَكُم رَسُولُ مِّن أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّم حَرِيصُ عَلَيكُم بِالمُؤمِنِينَ رَءُوفُ رَّحِيمُ فَإِن تَوَلَّواْ فَقُل حَسبِىَ ٱللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلعَرشِ ٱلعَظِيمِ ﴾ [٧]. فالأولى من أربع [٢٥ ب] عشرة لفظة، والثانية من خمس عشرة لفظة.

---

(١) الصافات، الآية ١١٧ ــ ١١٨.

(٢) البروج، الآية ١ ــ ٢.

(٣) الصناعة: حسن التوسل، ص ٥١.

(٤) المدثر، الآية ١ ــ ٤.

(٥) النجم، الآية ١ ــ ٢.

(٦) هود، الآية ٩ ــ ١٠.

(٧) التوبة، الآية ١٢٨ ــ ١٢٩.

تنبيه مما اعتنى به كتاب زماننا أنهم يجعلون السجعة الأولى من خطبة الولايات ونحوها قصيرة بحيث يكون إنهاؤها وابتداء الثانية فى السطر الأول فإن فات فيكون فى السطر الثانى ليقع نظر الناظر على السجعة الأولى لأول وهلة.

وأقل ما يكون السجع سجعتان، والازدواج قرينتان ولا نهاية لغايته وإن ازداد السجع على سجعتين ووقع على حد واحد فهو مستحسن، وقد وقع فى القرآن الكريم بعض ذلك كقوله تعالى ﴿ وَأَصحَـٰبُ ٱليَمِينِ مَا أَصحَـٰبُ ٱليَمِينِ فى سِدرٍ مَّخضُودٍ وَطَلحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمدُودٍ ﴾ [١]، هذه السجعات الثلاث مركبة من كلمتين كلمتين، وقد تكون الأولى أقصر والثانية والثالثة متساويتين كقوله تعالى ﴿ بَل كَذَّبُواْ بِالسَّاعَةِ وَأَعتَدنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً إِذَا رَأَتهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً وَإِذَا أُلقُواْ مِنهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُّقَرَّنِينَ دَعَواْ هُنَالِكَ ثُبُوراً ﴾ [٢]. فالأولى من ثمان كلمات والثانية والثالثة من تسع، وقد تكون الأولى والثانية متساويتين والثالثة زائدة عليهما.

قال فى حسن التوسل: فإن زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوى القرينتين الأوليين وزيادة الثالثة. ثم مثل [٣] لها. وقد تكون الثانية زائدة على الأولى، والثالثة زائدة على الثانية، قال فى المثل السائر: وينبغى أن تكون فى مثل هذه الحالة زيادة الثالثة معتبرة فى الطول على الأولى، والثانية أكثر من تميز الثانية على الأولى، فإذا كانت الأولى ثلاث لفظات، والثانية أربع لفظات تكون الثالثة عشر لفظات، ومثل له فى حسن التوسل بقوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحمَـٰنُ وَلَداً لَّقَد جِئتُم شَيئاً إِدًّا تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرنَ مِنهُ وَتَنشَقُّ ٱلأَرضُ وَتَخِرُّ ٱلجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَواْ لِلرَّحمَـٰنِ وَلَداً وَمَا يَنبَغِى لِلرَّحمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً إِن كُلُّ مَن فى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ إِلاَّ ءَاتِى ٱلرَّحمَـٰنِ عَبداً ﴾ [٤]. فالأولى من ثمان كلمات والثانية من تسع والثالثة من عشرين، ولا يخفى حكم الرابعة فى الزيادة مع [٥] الثالثة.

---

(١) الواقعة، الآية ٢٧ ــ ٣٠.

(٢) الفرقان، الآية ١١ ــ ١٣.

(٣) ولم يمثل: ضوء، ص ١٣٢.

(٤) مريم، الآية ٨٨ ــ ٩٣.

(٥) على: ضوء، نفسه.

[٢٦ أ] قال فى حسن التوسل: ولابد من الزيادة فى آخر القرائن، ومن السجع ما يستحسن، ومنه ما يستقبح.

فحسنه بأمور منها أن يكون بريئاً من التكلف، خالياً من التعسيف[١] محمولاً على ما يأتى به الطبع وتبديه الغريزة، ويكون التلفظ منه تابعاً للمعنى بل يقتصر من اللفظ على ما يحتاج إليه فى المعنى دون الإتيان بزيادة أو نقص تدعو إليه ضرورة السجع حتى لو حصلت زيادة أو نقص بسبب السجع دون المعنى خرج السجع عن حيز الحسن إلى حيز القبح.

ومنها أن تكون الألفاظ حلوة لا غثة ولا باردة، موثقة المعنى، حسنة التركيب، غير قاصرة على صورة السجع الذى هو تواطىء الفكر فيكون كمن نقش أثواباً من الكرسف أو نظم عقداً من الجوهر [٢] الملون.

ومنها أن تكون كل واحدة من السجعتين دالة على معنى غير المعنى الذى دلت عليه أختها كقول الصابئ فى وصف مدبر: يسافر رأيه وهو دان لم يبرح، ويثخن الجراح فى عدوه وسيفه فى الغمد لم يبرح. لأن استعمال السجعتين على معنى واحد يمكن أن يكون فى أحدهما بمفرده وهو غير التطويل المذموم فى الكلام.

ومنها أن يقع التفصيل فى نفس الفواصل كقوله: " إذا قلت الأنصار كلت الأبصار" ونحو ذلك.

ومنها أن يقع فى خلال السجعة الطويلة قرائن قصار فتكون سجعاً فى سجع كقوله تعالى ﴿ لَّو نَشَاءُ أَصَبْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِم وَنَطبَعُ عَلَى قُلُوبِهِم ﴾ [٣] ﴿ فَلَا يُؤمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلعَذَابَ ٱلأَلِيمَ ﴾ [٤]. فقوله نطبع على قلوبهم سجعتان داخليتان فى السجعة التى آخرها حتى يروا العذاب الأليم.

---

(١) التعسف: ضوء، ص ١٣٢.

(٢) الخرز: ضوء، نفسه.

(٣) الأعراف، الآية ١٠٠.

(٤) يونس، الآية ٨٨.

وقبحه يكون بأمور منها، التخميع وهو أن يكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثانى. ومنها التطويل فيما ذكر قدامة وغيره وهو أن يجىء الجزء الأول طويلاً فيحتاج إلى إطالة الثانى بالضرورة إلى غير ذلك.

واعلم أن الذى يلزم فى الرسائل والخطب هو أن يجعل مزدوجة فقط ولا يلزم فيها السجع فإن جعلت مسجوعة كان أحب ما لم يكن فى السجع استكرار وتنافر وتعقيد، وكانوا المقدمون لا يحتفلون بالسجع جملة كافية ولا يتقصدونه إلا [٢٦ ب] إذا ما أتت به الفصاحة فى أثناء الكلام وأبقوه من غير قصد ولا اكتساب، وإنما كانت ألفاظهم متساوية وكلماتهم متوازنة ومعانيهم لاصقة وعباراتهم رائقة.

قال فى مواد البيان: وأقل ما يكون من الازدواج قرينتان، وينبغى أن لا يستعمل ما جاء به القرآن الكريم من الحذف ومخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص والجماعة بلفظ الواحد والواحد بلفظ الجماعة، وما يجرى مجرى ذلك فإن القرآن نزل بلغة العرب وخوطب به فصحاؤهم بخلاف الرسائل ولا يجوز أن يستعمل فيها ما يختص بالشعر من صرف ما لا ينصرف وحذف ما لا يحذف وقصر الممدود ومد المقصور والإخفاء فى مواضع الإظهار وتصغير الاسم فى موضع تكبيره.

قال فى الصناعتين: وأحسن الكلام ما حسن نسجه ولم يستخف حسن نظمه ولم يهجن ولم يستعمل فيه الفظ من الكلام ولا السوقى من الألفاظ، ولا خير فى المعانى إذا استكرهت قهراً والألفاظ إذا أجبرت قسراً، وأحسن الكلام ما كان سلساً عذباً وسهلاً حلواً ليكون أحسن موقعاً وأعذب مستمعاً، ولهذا قيل أجود الكلام السهل الممتنع. وقد وصف الفضل بن سهل عمرو بن مسعدة فقال: هو أبلغ الناس، ومن بلاغته أن كل أحد يروم أن تكون له مثل بلاغته، فإذا أخذ منها تعذر عليه ذلك.

النوع التاسع

معرفة الإيجاز والإطناب والمساواة

وهو على ثلاث حالات:

الحالة الأولى: الإيجاز، وهو فى اللغة تقصير الكلام يقال " أوجزت الكلام " إذا قصرته، و" كلام موجَز وموجِز ووجْز ووجيز "، وفى الاصطلاح " جميع المعانى الكبيرة فى الألفاظ

قليلة"، وعليه ورد أكثر آى القرآن الكريم كما فى قوله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (١) فإنه انتظم فيه خلق السماوات والأرض وسائر المخلوقات لم يشذ عنه شيء فى أوجز لفظ وأقربه وأسهله. وكما فى قوله تعالى ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ (٢) استوعب جميع الأشياء على الاستقصاء فى كلمتين لم يخرج عنهما شيء. يقال إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ هذه الآية فقال من بقى له شيء فليطلبه.وقوله ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (٣) [٢٧ أ] ثلاث كلمات اشتملت على أمر الرسالة وشرائعها وأحكامها.

وكذلك ما وقع فى هذا المعنى من كلام النبوة مثل قوله صلى الله عليه وسلم " نية المــرء خير من عمله "، وقوله عليه السلام " حبك للشيء يعمي ويصم " (٤) إلى غير ذلك مما أوتى من جوامع الكلم، فذهبت طائفة إلى ترجيح الإيجاز على الإطناب والمساواة محتجين بأنــه صــورة البلاغة وإن ما يجاوز مقدار الحاجة من الكلام فضلة داخلة فى خبر العفو والهدد وهما من أعظم أوزار الكلام وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة وغباوته.

قال الأمين بن الرشيد: عليكم بالإيجاز فإن له إفهاماً والإطالة استبهاماً. وقال بعضــهم: البلاغة بالإيجاز أنجع من البيان بالإطناب. قيل لبعض الشعراء: لم اخترت البيتين والثلاثة علــى القصائد؟ فقال: لأنها فى القلوب أوقع وفى الآذان أوقح (٥) وفى الآفاق أسير.

والإيجاز يصلح لمخاطبة ذوى الأخطار العلية والشئون السنية ومن لا يجــوز أن يشــغل زمانه بما همته مصروفة إلى مطالعة غيره ويستعمل فى الملخصات والملطفات والبطــائق وأوراق الولايات ونحو ذلك.

الحالة الثانية: الإطناب، وهو فى اللغة المبالغة يقال " أطنب الرجل فى الكلام " إذا بــالغ فيه، وفى الاصطلاح " الإشباع فى القول وترديد الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد "، وقد وقع منه الكثير فى القرآن الكريم فى قوله عز وجل ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً ﴾ (٦)،

(١) الفاتحة، الآية ٢.

(٢) الأعراف، الآية ٥٤.

(٣) الحجر، الآية ٩٤.

(٤) ونسنك،ج٣،ص٤١٥

(٥) الصواب: أولج، ضوء، ص ١١٥.

(٦) الشرح، الآية ٥ ــ ٦.

وقوله ﴿ كَلاَّ سَوفَ تَعلَمُونَ ثُمَّ كَلاَّ سَوفَ تَعلَمُونَ ﴾ (١) كرر اللفظ فى الموضعين تأكيد الأمر وإعلاماً أنه كذلك لا محالة. وقوله ﴿ فَفِرُّواْ إِلَى ٱللهِ إِنِّي لَكُم مِّنهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ وَلاَ تَجعَلُواْ مَعَ ٱللهِ إِلَهاً ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢)، فكرر إنى لكم منه نذير مبين مرتين فى آية. وكرر فى سورة الرحمن ﴿ فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾، حيث عدد لها نعمه وجعلها فاصلة بين كل نعمة ونعمة تنبيهاً على ما أسداه إليهم فيها، وقد وقع التكرار فى كلام العرب كثيراً كقول الشاعر:

أتاك أتاك اللاحقون احبس احبس

إلى غير ذلك مما لا تحصره الإحاطة.

وذهبت طائفة إلى ترجيح الإطناب [٢٧ ب] على الإيجاز والمساواة واحتجوا لذلك بأن النطق إنما هو بيان، والبيان إنما هو إيضاح العبارة، وإيضاح العبارة لا يتهيأ إلا بمرادفة الألفاظ على المعنى حتى يحيط به إحاطة يؤمن معها من اللبس والإبهام، وأن الكلام الموجز لا يؤمن وقوع الإشكال فيه ومن ثم لم يحصل على معانيه إلا خواص أهل اللغة العارفون بدلالات الألفاظ بخلاف الكلام المتسع فإنه سالم من الالتباس لتساوى الخاص والعام فى جهة ذلك.

والإطناب يستعمل فى ما يقرأ على رءوس الأشهاد من الفتوحات، وطلب العساكر، ودفع النوازل، وجلوس الملوك على تخت المملكة بالسلطنة، والبيعات والعهود، والتقاليد، والتهانى، والتعازى، والمكاتبات الصادرة للقانات وعظماء الملوك ونحو ذلك.

الحالة الثالثة: المساواة، وهى أن تكون الألفاظ بازاء المعاني فى القلة والكثرة لا يزيد بعضها على بعض، وقد مثل له العسكرى فى الصناعتين بقوله تعالى ﴿ حُورٌ مَّقصُورَٰتٌ فى ٱلخِيَامِ ﴾ (٣)، وقوله ﴿ وَدُّواْ لَو تُدهِنُ فَيُدهِنُونَ ﴾ (٤). وقول النبى صلى الله عليه وسلم " لا تزال أمتى بخير ما لم تر الأمانة مغنماً والزكاة مغرماً " (٥).

---

(١) التكاثر، الآية ٤ ــ ٥.

(٢) الذاريات، الآية ٥٠ ــ ٥١.

(٣) الرحمن، الآية ٧٢.

(٤) القلم، الآية ٩.

(٥) ونسنك، ج٤، ص٤٨٤.

وقول بعض الكتاب: سألت عن خبرى وأنا فى عافية لا عيب فيها إلا فقدك، ونعمة لا مزيد فيها إلا بك. وقول آخر: فتولى الله النعمة عليك وتولى إصلاحك والإصلاح بك، وأجزل من الخير حظك، والحظ منك ومن عليك وعلينا بك، وقول الشاعر:

أهابك إجلالاً وما بك قدرة ... على ولكن ملئ عينى [1] حبيبها

وما هجرتك النفس إنك عندها ... قليل ولا أن قل منك نصيبها

إلى غير ذلك مما لا يحصر.

وذهبت طائفة إلى ترجيح مساواة اللفظ المعنى احتجاجاً بأن ينبوع الفضيلة من الوسط دون الأطراف، والحسن إنما يوجد فى الشيء المعتدل، قال فى مواد البيان: والذى يوجبه النظر الصحيح أن الإيجاز والإطناب والمساواة صفات موجودة فى الكلام ولكل منهما [2] موضع لا يخلفه فيه رديفه إذا وضع فيه انتظم فى سلك البلاغة، ودل على قصد [3] [٢٨ أ] الواضع، وإذا وضع فيه غيره دل على نقص الواضع وجهله برسوم الصناعة.

والمساواة تستعمل لمخاطبة الأكفاء والنظراء والطبقة الوسطى من الرؤساء لأنها متوسطة بين إيجاز وإطناب.

مهمة مما يدل على أن الكلام فى الإيجاز والإطناب يختلف باختلاف المقامات، أنك إذا تأملت كلام الله تعالى وجدت أن الله عز وجل إذا خاطب العرب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحى، وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطاً، وقلما تجد فى القرآن قصة لبنى إسرائيل إلا مطولة مشروحة ومكررة فى مواضع معادة لبعد فهمهم وعبادتهم.

---

(١) ملء عين: ضوء، ص ١١٥.

(٢) الصواب: منهم.

(٣) عقل: ضوء، ص ١١٦.

النوع العاشر

معرفة أيام العرب والسنين المشهورة

وتسمية الأيام التى كانت بينهم، ويوم كل قبيلة على الآخرى، وما جرى بينهم من المناقضات والأشعار (١)، وذكر كبار من مشهور وملك مذكور (٢) وواقعة معينة لشخص خاص وما ادعاه كل منهم لنفسه أو لقومه (٣) لما فى ذلك من الاطلاع والاستشهاد بذلك عند الحاجة إليه، وهو على ضربين:

الأول: أيام الحروب، وهى التى كان يقع فيها القتال بين قبائل العرب فيسمى ذلك اليوم تارة باسم المكان الذى تقع فيه الحرب، وتارة باسم سبب الحرب، وتارة بغير ذلك كـ "يوم جرار "، وهو جبل بين البصرة ومكة كانت الحروب عنده بين ربيعة وبين قبائل اليمن، وكانت الغلبة فيه لربيعة، ويوم " عين أباغ "وهو موضع يسمى " ذات الخيار "، وكانت الحرب فيه بين غسان ولخم، وفيه قُتل المنذر بن ماء السماء فانهزمت لخم، " ويوم الكديد " وكان بين كنانة وسليم وانتصرت فيه سليم على كنانة وقتل فارس كنانة ربيعة بن مكدم، ويوم " ذى قار" وكان بين النعمان بن المنذر ملك الحيرة وبين كسرى أبرويز ملك الفرس، وكانت الغلبة فيه للعرب على العجم. قيل إن النبى صلى الله عليه وسلم حدث أصحابه به فقال " اليوم انتصفت العرب من العجم "، و"يوم البسوس " وهو بين بكر وتغلب، و" يوم الفجار " بين كنانة وقيس، و" يوم الحفار " بين أسد وتميم، و" يوم ذى قار " كان بين بكر ووائل، و" يوم حليمة " كان بين منذر والحارث، و" يوم اليمامة " قتل فيها مسيلمة. [٢٨ ب]

وأما السنين المشهورة فهى " عام الجحاف " سيل كان بمكة عام ثمان من الهجرة جحف الحاج وذهب بأحمالهم، و" عام الفيل " وردت فيه الحبشة إلى مكة وقصدت هدم الكعبة فأرسل الله طيراً من أبابيل كما ورد وكانوا يؤرخون منه، " عام الرمادة " لشدة قحط كان بمكة والمدينة

---

(١) الأشعار والمناقضات: ضوء، ص ٩٤.

(٢) وذكر فارس مشهور أو ملك مذكور: ضوء، نفسه؛ صبح، ج ١، ص ٣٩٠.

(٣) ليومه: صبح، نفسه؛ وضوء كالثغر.

فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، " مفتاح الفتن " لقتل عثمان رضى الله عنه، " مفتاح الأمصار " لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لأنه فتح أكثر البلاد كما سيأتى.

وأما أيام المفاخرة، فهى الأيام التى وقعت المفاخرة فيها بين قبائل العرب كما حكى ابن الكلبى أن كسرى أبرويز قال يوماً للنعمان بن المنذر: هل فى العرب قبيلة تشرف على قبيلة؟ قال: نعم. قال: فبأى شيء؟ قال: من كانت له ثلاثة آباء رؤساء ثم اتصل بكمال الرابع. قال: فاطلب ذلك. فطلبه فلم يجده إلا فى آل حذيفة بن بدر، وآل حاجب بن زرارة، وآل ذى الجدين، وآل الأشعث بن قيس. فجمع هؤلاء الرهط ومن معهم من عشائرهم وأقعد لهم الحكام والعدول. وقال: ليتكلم منكم كل رجل بما يرى قومه وليصدق، فكان حذيفة بن بدر الفزارى أول متكلم وكان ألسن [1] القوم فقال: قد علم العرب أن فينا الشرف الأقدم والعماد الأعظم ومآثر [2] الصنيع الأكرم. فقال من حوله: لم ذلك يا أخا فزارة؟ فقال: ألسنا الدعائم التى لا ترام، والعز الذى لا يضام. قيل صدقت، ثم قام شاعرهم فقال:

فزارة بيت العز والعز فيهمُ ... فزارة قيس حسب قيس نضالها
لها العزة والفخار والحسب الذى ... بناه لقيس فى القديم رجالها

وقال أبيات أخرى وجلسوا.

فقام الأشعث الكندى فقال: قد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر، وزحفها الأكبر، وأنا لغياث الكربات ومعدن المكرمات. قالوا: ولم يا أخا كندة؟ قال: لأنا ورثنا ملك كندة واستظللنا بفيائه وتقلدنا منكبه الأعظم، وتوسطنا بحبوحه الأكرم، ثم قام شاعرهم فقال: [٢٩ أ]

إذا قست أبيات الرجال ببيتنا ... وجدت لنا فضلاً على من يفاخر
فمن قال كلا أو أتانا بخطة ... ينافرنا فيها فنحن نخاطر
تعالوا قفوا كى تعلم الناس أينا ... له الفضل فيما أورثته الأكابر

(١) أسن: ضوء، ص ٩٥.
(٢) مأثرة: السابق، نفسه.

ثم قام بعده بسطام الشيباني فذكر مآثر قومه وتكلم شاعرهم بما يليق، ثم قام حاجب بن زرارة اليمني وشاعرهم فتكلما بمثل ما تقدم، ثم قام قيس بن عاصم وشاعرهم فأتيا بمثل ذلك. فقال كسرى: ليس منهم إلا سيداً يصلح لمكانه. وأسنى عطاءهم [١] وأعظم صلاتهم.

فإذا علم كاتم السر أيام العرب وما وقع فيها من حرب ومفاخرة ومن فقد من فرسان حروبها ومصاقع خطبائها ومفلقي شعرائها وما وقع بينهم كان مستعداً لما يستشهد به كما قال أبو تمام يمدح بني شيبان:

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها   وزادت على ما وطدت من مناقب

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم   رماح الذين استهونوا [٢] قوس حاجب

يشير بذلك إلى أن حاجب بن زرارة وفد على كسرى في سنة مجدبة، فلما وقف بباب كسرى قال له الحاجب: من أنت؟ فقال: رجل من العرب. فأذن له بالدخول، فلما دخل على كسرى قال له: من أنت؟ قال: سيد العرب وسيد بني تميم. فقال: ألم تقل بالباب إنك رجل من العرب! فقال: كنت بالباب رجلا منهم فلما كنت بجانبك سدتهم. فقال: زوه [٣]. فملأ فاه دراً، ثم قال له: بم جئت الآن؟ فشكى إليه محل الحجاز وطلب منه حمل ألف بعير بُرا، على أن يبعث له ثمنها حين وصوله إلى الحجاز، فقال له كسرى: وما ترهنني على ذلك؟ قال: ها[٤] قوسي. فاستعظم كسرى همته لذلك وأمر له بطلبه، فأخذها وتوجه بها إلى بلاده، فمات بعد ذلك، فاجتمع أولاده وجمعوا المال وأحضروه إلى كسرى وطلبوا قوس أبيهم منه، فافتخرت بني تميم بذلك بين العرب، فأشار أبو تمام في شعره بهذه القصيدة [٥] ليظهر موافاتهم إلى غير ذلك من الوقائع والماجريات التي لا تنحصر ولا تضبط.

(١) حباءهم: السابق، نفسه.

(٢) استرهنوا: ضوء، ص ٩٥.

(٣) ساقطة من ضوء.

(٤) ساقطة من ضوء، نفسه.

(٥) الصواب: القضية، ضوء، ص ٩٦.

القسم الثاني

فى معرفة التاريخ

القسم الثاني

فى معرفة التاريخ

ليطلع على الحوادث ووقائع الأمور ويصور ذلك فى فكره ليحتج بكل واقعة منها فى موضعها ويستشهد بها فيما يلائمها وقت الحاجة إليها

[٢٩ ب] واعلم أن التاريخ بحر لا ساحل له، ومن أهم ما يحتاج إليه كاتم السر من ذلك تاريخ الإسلام ومعرفة الأوائل ونوادر الأمور ولطائف المجريات وسير الخلفاء والسلاطين والملوك وأرباب الدول ليظهر لسلطانه ما وقع من محاسن السلف، وقد أوردت هنا سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وما تيسر من ذلك لنتوصل منه إلى قصده وجعلته سبعة أبواب:

[الباب الأول]

سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ومن يشرف به

نسبه الكريم:

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر[١] بن نزار بن معد بن عدنان. هذا هو المتفق عليه، وما فوق عدنان إلى آدم خلاف. وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة.

مولده يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول من عام الفيل على الصحيح، وقيل ثانيه وقيل ثالثه، وقيل غير ذلك. حملت به أمه فى أيام التشريق عند الجمرة الوسطى، وقيل غير ذلك.

وليلة ميلاده عليه الصلاة والسلام اضطرب إيوان كسرى حتى سمع صوته، وسقط منه أربع عشرة شرافة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذاك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة.

وأرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب الهذلية، ورأت [من] معجزاته ما لا يحصر، وعندها شق صدره وملىء حكمة وإيماناً بعد أن استخرج حظ الشيطان منه.

---

(١) القلقشندي: صبح، ج١، ص٣٥٨؛ مجهول: جواهر السلوك، ورقة ٤ أ.

وحضنته أم أيمن بركة الحبشية، وكان ورثها من أبيه، فلما كبر أعتقها [٣٠ أ] وزوجها زيد بن حارثة.

وتوفى أبوه وهو حمل، وقيل وله شهران، وقيل سبعة وقيل ثمانية وعشرون شهراً، وماتت أمه وهو ابن أربع وقيل ست سنين، وكفله جده عبد المطلب فلما بلغ ثمان سنين وشهرين وعشرة أيام توفى عبد المطلب فوليه عمه أبو طالب، ولما بلغ اثنى عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام، فلما وصل إلى بصرى رآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته فجاءه وأخذ بيده وقال: هذا رسول رب العالمين إنكم حين أقبلتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجداً ولا يسجدان إلا لنبي وإنا نجده فى كتبنا. وقال لأبي طالب: لئن قدمت به إلى الشام لتقتلنه اليهود. فرده خوفاً عليه منهم.

ثم خرج مرة ثانية إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة فى تجارة لها قبل أن يتزوجها فنزل تحت ظل شجرة قريبة من صومعة راهب فقال الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى.

وكان ميسرة يقول: إذا كانت الهاجرة واشتد الحر نزلا ملكان يظلانه. ولما رجع من سفره ذلك تزوج خديجة بنت خويلد وعمره خمس وعشرون سنة وشهران وعشرة أيام، وقيل غير ذلك.

ولما بلغ خمساً وثلاثين سنة شهد بنيان الكعبة، ووضع الحجر الأسود بيده. ولما بلغ أربعين سنة ويوماً بعثه الله بشيراً ونذيراً فأتاه جبريل عليهما السلام وهو يتعبد بغار حراء فقال: اقرأ، فقال ما أنا بقارئ، قال عليه السلام: فأخذنى فعطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى. فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فقال فى الثالثة: اقرأ باسم ربك الذى خلق إلى قوله علم الإنسان ما لم يعلم.

وكان مبدأ النبوة يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الأول فحسدوه أهل مكة وحاصروه فى الشعب فأقام محصوراً دون الثلاث سنين هو وأهل بيته، ثم خرج من الحصار وعمره تسع وأربعون سنة، وبعد ذلك بثمانية أشهر وأحد وعشرين يوماً مات عمه أبو طالب، وماتت خديجة بعد أبي طالب [٣٠ ب] بثلاثة أيام.

ولما بلغ خمسين سنة وثلاثة أشهر قدم عليه جن نصيبين فأسلموا، ولما بلغ إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر أسرى به من بين زمزم والمقام إلى بيت المقدس، ثم أوتى له بالبراق فركبه ثم

عرج به إلى السماء واخترق السماوات السبع إلى أن كان قاب قوسين أو أدنى ورأى ربه، وفى تلك الليلة فرضت الصلاة خمساً.

ولما بلغ ثلاثاً وخمسين سنة هاجر من مكة إلى المدينة فى يوم الاثنين لثلاث خلون من ربيع الأول ودخل المدينة يوم الاثنين فأقام بها عشر سنين إلى أن انتقل إلى ربه واختار الرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلم.

[غزواته]، وكانت غزواته فى هذه المدة خمساً وعشرين غزوة وقيل سبع وعشرين:

أولها: غزوة الأبواء، وهى غزوة ودان، وكانت فى صفر فى السنة الأولى

وفى السنة الثانية فى شهر ربيع الأول غزوة بواط، وفى جمادى الآخرة غزوة ذى العشيرة، وفى سابع عشر رمضان يوم الجمعة كانت غزوة بدر الكبرى، وفى شهر شوال غزوة بنى قينقاع، وفى شهر ذى الحجة غزوة السويق.

وفى السنة الثالثة فى المحرم غزوة قرقرة الكدر، وفى ربيع الآخر غزوة غطفان، وفى جمادى الأولى غزوة بنى سليم ببحران، وفى سابع شوال غزوة أحد وفيه أيضاً غزوة حمراء الأسد.

وفى السنة الرابعة، فى ربيع الأول غزوة بنى النضير، وفيه غزوة بدر الصغرى، وفى شهر ذى القعدة غزوة ذات الرقاع.

وفى السنة الخامسة، فى شهر ربيع الأول غزوة دومة الجندل، وغزوة المريسيع وهى غزوة بنى المصطلق، وفى شعبان غزوة الخندق وهى غزوة الأحزاب، وفى ذى القعدة غزوة بنى قريظة.

وفى السنة السادسة، فى شهر ربيع الأول غزوة بنى لحيان، وفيه غزوة الغابة وهى ذو قرد [1]، وفى ذى القعدة غزوة الحديبية.

وفى السنة السابعة، فى المحرم غزوة خيبر وقيل كانت فى جمادى الأولى.

وفى السنة الثامنة، فى شهر رمضان غزوة الفتح، وفى شوال غزوة حنين، وفيه [٣١ أ] أيضاً غزوة الطائف.

وفى السنة التاسعة، غزوة تبوك فى ثلاثين ألفاً معهم عشرة آلاف فرس وهى آخر غزواته صلى الله عليه وسلم، قاتل منها فى سبع وهى بدر، وأحد، والخندق، وبنى قريظة، وبنى

(١) هى بئر ماء على بعد ليلتين من المدينة. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٦٠.

المصطلق، وخيبر والطائف، وقيل قاتل أيضاً بوادى قرى والغابة، وبنى النضير، وكانت بعوثه نحواً من خمسين.

وحج عليه السلام بعد أن فرض الحج حجة واحدة وقبل ذلك مرتين، وخرج فى حجة الوداع بعد أن ترجل وادهن وتطيب فبات بذى الحليفة وقال: أتانى الليلة آت فقال صل فى هذا الوادى المبارك وقل عمرة فى حجة. فأحرم بهما قارناً ودخل مكة بكرة يوم الأحد من كداء من الثنية العليا وطاف للقدوم فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ثم خرج إلى الصفا فسعى راكباً، ثم أمر من يسوق الهدى [ففتح] [1] الحج إلى العمرة ونزل بأعلى الحجون، فلما كان يوم التروية توجه إلى منى فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبات بها وصلى بها الصبح، فلما طلعت الشمس سار إلى عرفة وضربت قبة بنمرة فأقام بها حتى زالت الشمس فخطب الناس وصلى بهم الظهر والعصر بأذان وإقامتين ثم راح إلى الموقف فلم يزل يهلل ويكبر حتى زاغت الشمس، ثم دفع إلى المزدلفة بعد الغروب وبات بها وصلى الصبح ثم وقف بالمشعر الحرام حتى أسفر، ثم دفع قبل طلوع الشمس إلى منى فرمى جمرة العقبة بسبع حصيات وثلاثة أيام التشريق كان يرمى فى كل يوم منها بالجمرات الثلاث ماشياً بسبع سبع يبدأ بالذى يلى الخيف، ثم بالوسطى ثم بجمرة العقبة ويطيل الدعاء عند الأولى والثانية، ونحر يوم نزوله منى وأفاض إلى البيت وطاف به سبعاً، ثم أتى السقاية فاستقى ثم رجع إلى منى، ثم نفر فى اليوم الثالث فنزل المحصب وأعمر عائشة من التنعيم، ثم أمر بالرحيل ثم طاف للوداع وتوجه إلى المدينة، وأما عمره فأربع كلها فى ذى القعدة.

وصفته صلى الله عليه وسلم، كان ربع القامة بعيد ما بين المنكبين، أبيض اللون، مشرب الحمرة، يبلغ شعره [٣١ ب] شحمة أذنيه، ولم يبلغ الشيب فى لحيته ورأسه عشرين شعرة، ظاهر الوضاءة متلألئ وجهه كالقمر ليلة البدر، حسن الخلق معتدله إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سمى وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأحلاهم من قريب، حلو المنطق، واسع الجبين، أزج [2] الحواجب فى غير قرب، أقنى العرنين [3]، سهل الخدين [4]، ضليع

(١) كذا فى الأصل.

(٢) أزج الحواجب: هو تقوس فى الحاجب مع طول فى طرفه وامتداد. ابن منظور: السابق، ج٢، ص٢٨٧.

(٣) العرنين هو الأنف، والقنى فى الأنف هو طوله ورقة أرنبته. السابق، ج١٥، ص٢٠٣.

(٤) أى غير مرتفع الوجنتين. السابق، ج٢، ص٥٣.

الفم[١] أشنب [٢]، مفلج [٣] الأسنان، بين كتفيه خاتم النبوة لم ير قبله ولا بعده أحسن منه بل ولا من يماثله أو يقاربه.

ومن أسمائه، قال صلى الله عليه وسلم: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر، وأنا الحاشر الذى أحشر الناس، وأنا العاقب ولا نبى بعدى، وأنا المقفى ونبى التوبة ونبى الرحمة، وفى صحيح مسلم ونبى الملحمة وسماه الله فى كتابه بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً ورحمة للعالمين، ومحمداً وأحمد وطه ويس، ومزملاً ومدثراً وعبداً فى قوله ﴿ سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلاً ﴾ [٤]، وعبد الله فى قوله ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ ﴾ [٥]، ونذيراً مبيناً فى قوله ﴿ وَقُلۡ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [٦]، ومذكراً فى قوله ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [٧]، وغير ذلك، وأكثر هذه الأسماء صفات.

ومن أخلاقه صلى الله عليه وسلم، سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه فقالت " كان خلقه القرآن "، يغضب لغضبه ويرضى لرضاه ولا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها إلا أن تنتهك حرمات الله فينتقم لله، وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد، وكان أشجع الناس وأسخاهم وأجودهم، ما سئل شيئاً فقال لا، ولا يبيت فى بيته دينار ولا درهم، فإن فضل ولم يجد من يأخذه فجاءه الليل لم يرجع إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لم يأخذ مما أتاه الله إلا قوت أهله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام فيقترض.

وكان أصدق الناس لهجة [٣٢ أ]، وأوفاهم بذمة وألينهم عريكة، وأوفاهم عشيرة، وأحلم الناس وأشد حياء من العذراء فى خدرها، خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، وكان أكثر الناس تواضعاً بحيث من دعاه من غنى أو فقير أو حر أو عبد [أجابه]، وكان أرحم الناس يصغى الإناء للهرة وما يرفعه حتى تروى رحمة لها،

---

(١) أى واسع الفم. ابن منظور: السابق، ج٨، ص٢٢٦.

(٢) أشنب من الشنب وهو البياض والبريق وذلك تحديداً فى الأسنان. السابق، ج١، ص٥٠٧.

(٣) هى الفرجة بين الثنايا والرباعيات من الأسنان. السابق، ج٢، ص٣٤٧.

(٤) الإسراء، الآية ١.

(٥) الجن، الآية ١٩.

(٦) الحجر، الآية ٨٩.

(٧) الغاشية، الآية ٢١.

وكان أغضب الناس وأشدهم إكراماً لأصحابه، لا يمد رجله بينهم ويوسع لهم إذا ضاق المكان، ولم تكن ركبتاه تتقدمان ركبة جليسه، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبه، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله، وأن أمر تبادروا لأمره، يبدأ من لقيه بالسلام من المسلمين، ويتجمل لأصحابه ويتفقدهم ويسأل عنهم، فمن مرض عاده ومن غاب دعا له ومن مات استرجع فيه وأتبعه الدعاء له، ومن كان يتخوف أن يكون وجد فى نفسه شيئاً انطلق إليه حتى يأتيه فى منزله، ويخرج إلى بساتين أصحابه ويأكل ضيافتهم، ويتألف أهل الشرف ويكرم أهل الفضل، ولا يطوى بسره عن أحد ولا يجفو عليه، ويقبل معذرة المعتذر إليه، والقوى والضعيف عنده فى الحق سواء، ولا يدع أحداً يمشى خلفه ويقول: خلو ظهرى للملائكة، ولا يدع أحداً يمشى معه وهو راكب حتى يحمله فإن أبى قال تقدمنى إلى المكان الذى يريد، ويخدم من خدمه، وله عبيد وإماء لا يترفع عليهم فى مأكل ولا مشرب ولا ملبس، قال أنس: خدمته نحواً من عشر سنين فو الله ما صحبته فى حضر ولا سفر لأخدمه إلا كانت خدمته لى أكثر من خدمتى له، ولا قال لى أف قط، ولا قال لشيء فعلته لم فعلت كذا، ولا شيء لم أفعله ألا فعلت كذا، وكان عليه السلام فى سفر فأمر بإصلاح شاة، فقال رجل يا رسول الله على ذبحها، وقال آخر على طبخها [٣٢ ب] فقال صلى الله عليه وسلم وعلى جمع الحطب، فقالوا يا رسول الله نحن نكفيك فقال علمت أنكم ستكفوننى ولكن كرهت أو قال أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه، وقام وجمع الحطب. وكان فى سفر فنزل إلى الصلاة ثم كر راجعاً فقيل يا رسول الله أين تريد فقال أعقل ناقتى، فقالوا نحن نعقلها فقال: لا يستعن أحدكم بالناس ولو فى قضمة من سواك.

ولا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر وإذا جلس إلى قوم جلس حيث انتهى به المجلس ويأمر بذلك، ويعطى كل جلسائه نصيبه حتى ليحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، وإذا أجلس أحدهم لم يقم عليه السلام حتى يقوم الذى جلس إليه إلا أن يستعجله أمر فيستأذنه ولا يقابل أحداً بما يكره، ولا يجزى السيئة بمثلها بل يعفو ويصفح، وكان يعود المرضى ويحب المساكين ويجالسهم ويشهد جنائزهم، ولا يحقر فقيراً لفقره، ولا يهاب ملكاً لملكه، يعظم النعمة وإن قلت لا يذم منها شيئاً، ما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه، وكان يحفظ جاره ويكرم ضيفه، وكان أكثر الناس تبسماً وأحسنهم بشراً، لا يمضى له وقت فى غير عمل لله أو فيما لابد منه، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه،

يخصف نعله بيده ويرقع ثوبه ويركب الفرس والبغل والحمار، ويردف خلفه عبده أو غيره، يمسح وجه فرسه بطرف كمه أو بطرف ردائه.

وكان يحب الفأل ويكره الطيرة، وإذا جاء ما يحب قال الحمد لله رب العالمين، وإذا جاء ما يكره قال الحمد لله على كل حال، وإذا رفع الطعام من بين يديه قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين، وأكثر جلوسه مستقبل القبلة يكثر الذكر ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ويستغفر فى المجلس الواحد مائة مرة، وكان يسمع لصدره وهو فى الصلاة أزيز كأزيز المرجل من البكاء، وكان يصوم الاثنين [٣٣ أ] والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وعاشوراء، وقل ما كان يفطر يوم الجمعة، وأكثر صيامه فى شعبان، وكان عليه السلام تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظاراً لوحى، إذا نام نفخ ولا يغط، وإذا رأى فى منامه ما يكره قال هو الله لا شريك له، وإذا أخذ مضجعه قال رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك، وإذا استيقظ قال الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، وكان لا يأكل الصدقة ويأكل الهدية ويكافئ عليها، ولا سابق فى مأكل، وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع وأتاه الله مفاتح خزائن الأرض فلم يقبلها واختار الآخرة، وأكل الخبز بالخل وقال نعم الإدام الخل، وأكل لحم الدجاج ولحم [الجبادى] وكان يحب الدباء والذراع من الشاة، وقال كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة.

وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن، وأكل خبز الشعير بالتمر والبطيخ بالرطب والقثاء بالرطب، وقال برد هذا يطفئ حر هذا، وأكل التمر بالزبد، ويحب الحلوى والعسل ويشرب قاعداً وربما شرب قائماً، ويشرب ثلاثاً مثبتاً للإناء، ويبدأ بمن عن يمينه إذا سقاه، وشرب لبناً فقال من أطعمه الله طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا خيراً منه، وقال ليس شيء يجزى مكان الطعام والشراب غير اللبن، وكان يلبس الصوف وينتعل المخصوف ولا يتأنق فى ملبس، وأحب اللباس إليه الحبرة من برود اليمن فيها حمرة وبياض، وأحب الثياب إليه القميص، ويقول إذا لبس ثوبا استجده اللهم لك الحمد كما ألبستنيه أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له. وتعجبه الثياب الخضر وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفه بين كتفيه ويصلى، وكان يعتم ويلبس خاتماً من فضة نقشه محمد رسول الله فى خنصره الأيمن، وربما فى الأيسر، ويحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة ويقول: إن الله جعل لذتى فى النساء والطيب، وجعل قرة عينى فى الصلاة. وكان يتطيب بالغالية [٣٣ ب]

وبالمسك أو المسك وحده، ويتبخر بالعود والكافور، ويكتحل بالإثمد [(١)] واكتحل ثلاثاً فى اليمين واثنتين فى اليسار، وربما اكتحل وهو صائم، ويكثر دهن رأسه ولحيته، وادهن عباً واكتحل وتراً، ويحب التيمن فى ترجله وتنعله، فى طهوره وفى شأنه كله، وينظر فى المرآة ولا تفارقه قارورة الدهن فى سفره والمرآة والمكحلة والمشط والمقراط والسواك والإبرة والخيط، ويستاك فى الليل ثلاث مرات، قبل النوم وبعده وعند القيام لورده وعند الخروج إلى صلاة الصبح، وكان يحتجم.

وكان يمزح ولا يقول إلا حقاً، جاءته عجوز فقالت: يا رسول الله احملنى على جمل، فقال: أحملك على ولد الناقة، قالت: لا يطيقنى، فقال لها الناس وهل الجمل إلا ولد الناقة.

وجاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إن زوجى مريض وهو يدعوك، فقال: لعل زوجك الذى فى عينيه بياض، فرجعت وفتحت عينى زوجها فقال: مالك؟فقالت: أخبرنى رسول الله عليه وسلم أن فى عينيك بياض. فقال: وهل أحد إلا وفى عينيه بياض.

وقالت أخرى: يا رسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة، فقال: يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز، فولت المرأة وهى تبكى، فقال عليه السلام أخبروها أنها لا تدخل الجنة وهى عجوز، إن الله يقول ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً ﴾ [(٢)].

إلى غير ذلك مما لا يحصر، قال عز وجل فى حقه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[(٣)].

ذكر زوجاته صلى الله عليه وسلم، أولهن خديجة بنت خويلد، وقد تقدم ذكرها، ثم سودة بنت زمعة بن قيس، وكبرت عنده فأراد طلاقها فوهبت يومها لعائشة وقالت: لا حاجة لى بالرجال وإنما أريد أن أحشر فى زوجاتك يا رسول الله.

ثم عائشة وتكنى أم عبد الله وأم المؤمنين بنت أبى بكر الصديق عبد الله بن عثمان، تزوجها بمكة قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث وهى بنت ست أو [٣٤ أ] سبع سنين وبنى بها

(١) الإثمد: قيل هو حجر يتخذ منه الكحل، وقيل هو نوع من الكحل، وقيل هو الكحل نفسه. ابن منظور: السابق، ج٣، ص١٠٥.

(٢) الواقعة، الآية ٣٥ ــ ٣٧.

(٣) القلم، الآية ٤.

بالمدينة وهى بنت تسع ومات عنها وهى بنت ثماني عشرة سنة، وتوفيت سنة ثمان وخمسين وقيل غير ذلك ولم يتزوج بكراً غيرها.

ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب، روى أنه طلقها فنزل جبريل عليه السلام وقال لـه إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وفى حديث قال رحمة [1] لعمر.

تزوج أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب وهى بالحبشة وأصدقها عنه النجاشى أربعمائة دينار وولى نكاحها عثمان بن عفان، وقيل خالد بن سعيد بن العاص وتوفيت عام أربع وأربعين.

وتزوج هند بنت أبي أمية بن المغيرة وتكنى أم سلمة ماتت عام اثنتين وستين، وهى آخرهن موتاً، وقيل ميمونة. وتزوج زينب بنت جحش بن رئاب وهى ابنة عمته آمنة [2]، توفيت بالمدينة سنة عشرين وهى أولاهن وفاة وهى أول من حمل على نعش.

وتزوج صفية بنت حيى بن أخطب بن أبي يحيى بن كعب بن الخزرج النضرية من ولد هارون عليه السلام، سبيت من خيبر فأعتقها وجعل عتقها صداقها، وتوفيت سنة خمسين.

وتزوج جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن الحارث بن عائذ بن مالك بن المصطلق، سبيت فى غزوة بنى المصطلق فوقعت لثابت بن قيس فكاتبها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابها وكانت امرأة ملاحة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خير من ذلك أؤدى عنك كتابك وأتزوجك فقبلت فقضى عنها وتزوج بها، وتوفيت سنة ست وخمسين.

وتزوج ميمونة بنت الحارث بن حزن، وهى آخر من تزوج، وتوفيت عام إحدى وخمسين وقيل عام ست وستين فإن ثبت كانت آخر من مات منهن.

هؤلاء الذى مات عنهن غير خديجة، وتزوج زينب بنت خزيمة أم المساكين ولم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة وماتت.

وتزوج فاطمة بنت [٣٤ ب] الضحاك، وخيرها حين نزلت أية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها، ثم كانت بعد ذلك تلتقط البعر وتقول أنا الشقية اخترت الدنيا.

(١) فى الأصل ناقصة ولكنها موجودة على هامش الصفحة.

(٢) الصواب: أميمة، النويري: نهاية الأرب، ج١٨، ص١٨٠؛ ابن كثير: البداية، ج ٥، ص ٢٩٥.

وتزوج إساف أخت دحية الكلبى، وتزوج خولة بنت الهذيل، وقيل بنت حكيم وهـــى التى وهبت نفسها له، وقيل تلك أم شريك، وتزوج أسماء بنت كرب الجوينية، وتزوج عمـــرة بنت يزيد وطلقها قبل الدخول، وتزوج بامرأة من غفار فرأى منها بياضاً فألحقها بأهلها، وتزوج بامرأة تميمية فلما دخل عليها قالت أعوذ بالله منك فقال منع الله عائذة الحقى بأهلك، وتـــزوج عالية بنت ظبيان وطلقها حين أدخلت عليه، وتزوج بنت الصلت وماتت قبل أن يدخل عليها، وتزوج مليكة الليبية، فلما دخل عليها قال هبى لى نفسك، قالت: وهل تهب المليكـــة نفســـها للسوقة فسرحها.

وخطب امرأة من " مرة " فقال أبوها إن بها برصاً ولم يكن فرجع فـــإذا هـــى برصـــاء، وخطب امرأة من أبيها فوصفها له وقال أزيدك أنها لم تمرض قط، فقال ما لهذه عبد الله من خير فتركها، وكان صداقه لنسائه خمسمائة درهم لكل واحدة إلا صفية وأم حبيبة.

ذكر أولاده صلى الله عليه وسلم، وهم القاسم وبه كان يكنى، رزقه من خديجة رضى الله عنها، وعبد الله ويسمى الطيب والطاهر، وقيل الطيب غير الطاهر، وإبراهيم رزقه من ماريـــة القبطية، وتوفى وعمره سبعون ليلة وقيل سبعة أشهر وقيل ثمانية عشر شهراً، والقاسم والطيـــب ماتا أطفالاً قبل الإسلام.

والبنات أمامة [١] ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وأدركن الإسلام وأسلمن وكلهن من خديجة ومتن فى حياته إلا فاطمة عاشت بعد وفاته ستة أشهر.

وكانت زينب عند أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس فولدت علياً مات صغيراً، وأمامة تزوجها على ثم خلف [٣٥ أ] عليها المغيرة بن نوفل فولدت له يحيى.

وفاطمة تزوجها على فولدت له الحسن والحسين ومحسن، فمات محسن صغيراً، وولدت له زينب وأم كلثوم فماتت قبل البلوغ وتزوج زينب عبد الله بن جعفر فولدت له زيداً وخلف عليها بعده عون بن جعفر ثم أخوه محمد ثم أخوه عبد الله.

---

(١) الصواب: زينب، ويبدو أنه أخطأ فى النقل عن مصدره، وذلك أن أمامة هى ابنة زينب ابنة الرسول التى تزوجها الأمام على بن أبي طالب بعد السيدة فاطمة الزهراء، انظر: النويري: السابق، ج١٨، ص٢١١؛ ابن كثير: السابق، ج٥، ص ٢٩٣.

وأما رقية فكانت عند عثمان بن عفان فولدت له عبد الله وتوفيت يوم جاء زيد بن حارثة بشيراً بالفتح يوم بدر، فتزوج أختها أم كلثوم وماتت عنده فى شعبان سنة تسع، وكانت قبله عند عتيبة، ورقية كانت عند عتبة ابني أبي لهب.

ذكر أعمامه وعماته صلى الله عليه وسلم، وهم الحارث، وقثم، والزبير، وحمزة، والعباس، وأبو طالب، واسمه عبد مناف، وأبو لهب واسمه عبد العزى وعبد الكعبة، حجل واسمه المغيرة وضرار والغنداق،وصفية، وعاتكة، وأروى، وآمنة [١] وبرة، وأم حكيم البيضاء، أسلم منهم حمزة والعباس وصفية.

ذكر مواليه صلى الله عليه وسلم، وهم زيد بن حارثة، وأعتقه وابنه أسامة، وثوبان بن بُوجدُد [٢]، وأبو كبشة سليم [٣] شهيد بدر وأعتقه، وشقران[٤] واسمه صالح قيل ورثه من أمه، وقيل اشتراه من عبد الرحمن بن عوف، ويسار نوبى قتله العرنيون [٥]، وأبو رافع أسلم [٦]، وهبه

---

(١) الصواب: أميمة، انظر ص١٨٨ هـ٢.

(٢) والصواب بجدد، النويري: السابق، ج١٨، ص٢٢٩؛ ابن كثير: السابق، ج ٥، ص ٣١٤، وثوبان من موالى رسول الله، قيل أنه من حمير اشتراه ثم أعتقه فخدمه إلى أن مات، توفى بحمص سنة ٥٤ هـ. ابن عبد البر: السابق، ج١، ص٢١٨؛ ابن قانع: السابق، ج١، ص١١٩، ت رقم ١٢١؛ ابن حجر: السابق، ج١، ص٤١٣، ت رقم ٩٦٨.

(٣) هو أبو كبشة سليم مولى رسول الله، وقيل سلمة، وقيل أوس، شهد بدراً، توفى عام ١٣ هـ. ابن عبد البر: السابق، ج٢، ص٦٤٨، ت رقم ١٠٥٠، ابن حجر: السابق، ج٧، ص٣٤٢، ت رقم ١٠٤٤٣.

(٤) شقران مولى رسول الله ويقال أن اسمه صالح بن عدى، وكان حبشياً يقال أن عبد الرحمن بن عوف أهداه للرسول، ويقال اشتراه منه، ويقال أن الرسول ورثه من أبيه. ابن عبد البر: السابق، ج٢، ص٧٠٩، ت رقم ١٢٠٠؛ ابن قانع: السابق، ج١، ص٣٤٨، ت رقم ٤٣٩؛ ابن حجر: السابق، ج٣، ص٣٥١، ت رقم ٣٩٢٠.

(٥) هم نفر من قبيلة قيس كبة من بجيلة،، النويري: السابق، ج١٨، ص٢٣٠؛ ابن كثير:السابق، ج ٥، ص ٣٢١ هـ ١.

(٦) هو إبراهيم أبو رافع مولى الرسول، يقال إن اسمه أسلم. ابن عبد البر: السابق، ج١، ص٨٣؛ ابن حجر: السابق، ج١، ص٢٠، ت رقم ٩.

له العباس فأعتقه حين بشر بإسلام العباس وزوجه سلمى أمته فولدت عبيد الله كتب لعلى، وأبو مويهبة [١] وأعتقه وقضا له، مات بالشام، ورافع [٢] مولى سعيد بن العاص فأعتقه، ومدعـــم[٣] وهبه له رفاعة الجذامي [٤] قتل بوادى القرى، وكركلة [٥] نوبى أهداه له هوذة بن على وأعتقه، وزيد جد هلال بن بساف، وعبيد [٦]، وطهمان [٧]، أمايور[٨] القبطى من هدية المقوقـــــس،

(١) ويقال له أبو موهبة، وأبو مهوبة، من موالى رسول الله. ابن عبد البر: ج٤، ص١٧٦٤، ت رقم ٣١٩٦؛ ابن حجر: السابق، ج٧، ص٣٩٣، ت رقم ١٠٥٨٩.

(٢) رافع مولى رسول الله، يكنى بأبي البهى. ابن حجر: السابق، ج٢، ص٤٤٧، ت رقم٢٥٥٣.

(٣) هو مدعم الأسود مولى رسول الله، قيل أهداه للرسول فروة بن عمر الجذامي، قيل استشهد فى غزوة خيبر. ابن عبد البر: السابق، ج٤، ص١٤٦٨، ت رقم ٢٥٣٨؛ ابن حجر: السابق، ج٦، ص٦٠، ت رقم ٧٨٦١.

(٤) هو رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي أسلم بعد صلح الحديبية وحسن إسلامه. ابن عبد البر: السابق، ج٢، ص٥٠٠، ت رقم ٧٧٦؛ ابن حجر: السابق، ج٢، ص٤٩٠، ت رقم ٢٦٦٩.

(٥) والصواب كركرة، النويري: السابق، ج١٨ص٢٣١؛ ابن كثير: السابق، ج٥، ص ٣١٩. وكركرة مولى نوبي كان يمسك دابة الرسول عند القتال فى خيبر، يقال أنه توفى فى عهد الرسول وكان لا يزال مملوكاً. ابن حجر: السابق، ج٥، ص٥٨٧، ت رقم ٧٤٠٥.

(٦) هو أحد موالى رسول الله. ابن قانع: السابق، ج٢، ص١٨١، ت رقم ٦٧٠.

(٧) ويقال له ذكوان، أحد موالى رسول الله. ابن عبد البر: السابق، ج٢، ص٧٧٥، ت رقم ١٢٩٥؛ ابن حجر: السابق، ج٢، ص٤٠٦، ت رقم ٢٤٤١.

(٨) أسمه مأبور القبطى، النويري: السابق، ج١٨، ص٢٣٢؛ ابن كثير: السابق، ج ٥، ص ٣١٩. وهو من أقرباء السيدة مارية القبطية. ابن حجر: السابق، ج٥، ص٦٩٩، ت رقم ٧٥٨٧.

وهشام [١]، وأبو ضميرة [٢] من الفيء وأعتقه، وحنين [٣]، وعسيب[٤] واسمه أحمر، وأبو عبيد[٥]، ومهران بن فروخ [٦] واسمه أيضاً تاج [٣٥ ب] كان لأم سلمة فأعتقته وشـرطت عليـه أن يخدم النبى صلى الله عليه وسلم حياته، فقال لو لم تشترطى على ما فارقته، وأبو هند [٧] وأعتقه، وأنجشة الحادى [٨] وأعتقه، وعدوا أكثر من ذلك.

(١) أحد موالى رسول الله. ابن عبد البر: السابق، ج٤، ص١٥٤١، ت رقم ٢٦٨٨؛ ابن قانع: السابق، ج٣، ص١٩٥، ت رقم ١١٧١؛ ابن حجر: السابق، ج٦، ص٥٤٦، ت رقم ٨٩٨٢.

(٢) هو أبو ضميرة الحميرى، مولى رسول الله، وقيل اسمه سعد وقيل روح. ابن عبد البر: السابق، ج٤، ص١٦٩٥، ت رقم ٣٠٥١؛ ابن حجر: السابق، ج٧، ص٢٢٦، ت رقم ١٠١٥٤.

(٣) كان عبداً وخادماً للرسول، وهبه الرسول لعمه العباس فأعتقه، وقيل إنه مولى لعلى بن أبى طالب. النويري: نهاية، ج١٨، ص٢٣٢.

(٤) ذكر ابن كثير ا، أسمه عسيب أو عشيب والثانى أصح، السابق، ج ٥، ص٣٢٢. ومعروف بكنيته أبو عسيب، وهو من موالى الرسول، وقيل من موالى زوجه أم سلمة. ابن عبد البر: السابق، ج٤، ص١٧١٥، ت رقم ٣٠٩٢؛ ابن حجر: السابق، ج٧، ص٢٧٥، ت رقم ١٠٢٤٧.

(٥) هو من موالى رسول الله، ولا يعرف له اسم غير كنيته. ابن عبد البر: السابق، ج٤، ص١٧٠٩، ت رقم ٣٠٧٦؛ ابن حجر: السابق، ج٧، ص٢٦٩، ت رقم ١٠٢٢٤.

(٦) هو من موالى رسول الله، ولم يعرف اسمه على وجه الدقة، فقيل مهران، أو سفيان، أو سفينة، أو ميمون أو هرمز. ابن عبد البر: السابق، ج٢، ص٦٨٤، ت رقم ١١٣٥؛ ابن حجر: السابق، ج٦، ص٢٣٢، ت رقم ٨٢٦٨.

(٧) أبو هند مولى رسول الله. ابن حجر: السابق، ج٧، ص٤٤٨، ت رقم ١٠٦٧٩.

(٨) الحداء يعنى الغناء. انظر: النويري: السابق، ج١٨، ص٢٣٣ هـ-٢. وهو أنجشة الأسود الحبشى، كان حسن الصوت، وكان يسوق الأبل لنساء النبى. ابن عبد البر: السابق، ج١، ص١٤٠؛ ابن حجر: السابق، ج١، ص١١٩، ت رقم ٢٦١.

ذكر إمائه صلى الله عليه وسلم، وهن سلمى أم رافع [١]، وبركه حاضنته [٢] ورثها مـــن أبيه، ومارية القبطية أهداها له المقوقس، وريحانة [٣] سبية من قريظة، وميمـــونة بنت سعد [٤]، وخضرة [٥]، ورضوى [٦].

ومن الأحرار، أنس بن مالك [٧]، وهند وأسماء ابنا حارثة [٨]، وربيعة بن كعـــــب

(١) هي سلمى أم رافع من موالى رسول الله، وقيل مولاة صفية بنت عبد المطلب. ابن حجر: السابق، ج٧، ص٧٠٩، ت رقم ١١٣٢٥.

(٢) هي بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك، يقال لها أم الظباء، وتعرف بأم أيمن، وقيل كانت أمة لأم النبى. ابن عبد البر: السابق، ج٤، ص١٩٢٥، ت رقم ٤١٢٣؛ ابن حجر: السابق، ج٨، ص١٦٩، ت رقم ١١٨٩٨.

(٣) هي ريحانة بنت شمعون بن زيد، وقيل زيد بن عمرو، من بنى النضير، وكانت متزوجة رجل من بنى قريظة، سباها الرسول عند غزوه لبنى قريظة، وظلت عنده فى ملك يمينه إلى أن ماتت بعد حجة الوداع، وقيل بل أعتقها الرسول وتزوجها، وقيل بل طلقها. ابن عبد البر: السابق، ج٤، ص١٨٤٧، ت رقم ٣٣٥٠؛ ابن حجر: السابق، ج٧، ص٦٥٨، ت رقم ١١١٩٧.

(٤) هي ميمونة بنت سعد، ويقال سعيد، إحدى موالى النبى، روت عنه عدة أحاديث. ابن عبد البر: السابق، ج٤، ص١٩١٨، ت رقم ٤١٠١؛ ابن حجر: السابق، ج٨، ص١٢٩، ت رقم ١١٧٨٠.

(٥) إحدى إماء النبى المعتقات، ولها رواية فى تفسير سورة التحريم. ابن حجر: السابق، ج٧، ص٦٠٩، ت رقم ١١٠٩٥.

(٦) إحدى إماء النبى المعتقات. ابن حجر: السابق، ج٧، ص٦٤٥، ت رقم ١١١٧٢.

(٧) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصارى الخزرجى، خادم رسول الله، وأحد الصحابة الذين رووا الحديث عن الرسول بكثرة، قطن بالبصرة بعد موت الرسول ومات بها، وكان آخر الصحابة وفاة بالبصرة، توفى عام ٩٠ هـ. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص١٠٩؛ ابن قانع، معجم، ج١، ص١٤، ت رقم ١٠؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص١٢٦، ت رقم ٢٧٧.

(٨) هما هند وأسماء ابنا حارثة بن سعيد بن عبد الله بن غياث الأسلميان، ولطول ملازمتهما لباب النبى ظنهما البعض من خدمه، توفى أسماء عام ٥٣ أو ٦٦ هـ بالبصرة. ابن حجر: السابق، ج١، ص٦٤، ت رقم ١٣٧.

الأسلمي [١]، وعبد الله بن مسعود، وعقبة بن عامر [٢]، وبلال، وسعيد، وذو مخمر بـــن أخـــي النجاشي [٣]، وبكر بن شداخ الليثى [٤]، وأبو ذر الغفارى.

ذكر حرسه، وهم سعد بن معاذ يوم بدر، وذكوان بن عبـــد قـــيس [٥]، ومحمـــد بـــن مسلمة [٦] بأحد، والزبير يوم الخندق، وعباد بن بشر [٧]، وسعـــــد بن أبي وقـــاص، وأبـــو

---

(١) وهو ربيعة بن كعب بن مالك بن يعمر أبو فراس الأسلمى، كان يخدم رسول الله ويبيت عند بابه، وهو من أهل الصفة، توفى بالحرة سنة ٦٣ هـــ. ابن عبد البر: السابق، ج٢، ص٤٩٤، ت رقم ٧٦٥؛ ابن حجر: السابق، ج٢، ص٤٧٤، ت رقم ٢٦٢٥.

(٢) هو عقبة بن عامر، وقيل عطية بن عامر، أحد الصحابة الرواة عن الرسول. ابن عبد البر: السابق، ج٤، ص١٦٦٨، ت رقم ٢٩٨٩؛ ابن قانع: معجم: السابق، ج٢، ص٢٧٢، ت رقم ٧٩٦؛ ابن حجر: السابق، ج٤، ص٥١٠، ت رقم ٥٥٧٦.

(٣) ويقال له ذو مخبر الحبشى، ابن أخى النجاشى، قدم على الرسول وخدمه وله حديث رواه عنه، عاش بقية حياته بالشام. ابن عبد البر: السابق، ج٢، ص٤٧٥، ت رقم ٧٢٣؛ ابن حجر: السابق، ج٢، ص٤١٧، ت رقم ٢٤٧١.

(٤) هو بكر بن الشداخ الليثى، ويقال له بكير، كان ممن يخدمون النبى وهو غلام بعد، شهد فتح العراق. ابن حجر: السابق، ج١، ص٣٢٤، ت رقم ٧٢٨.

(٥) هو ذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الأنصارى الخزرجى، أحد الصحابة الذين استشهدوا فى غزوة أحد. ابن عبد البر: السابق، ج٢، ص٤٦٦، ت رقم ٧١٠؛ ابن حجر: السابق، ج٢، ص٤٠٥، ت رقم ٢٤٣٨.

(٦) هو محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدىالأوسى الأنصارى، أحد فضلاء الصحابة، استخلفه النبى على المدينة فى بعض غزواته، توفى بالمدينة عام ٤٣ هـــ. ابن عبد البر: السابق، ج٣، ص١٣٧٧، ت رقم ٢٣٤٤؛ ابن قانع: السابق، ج٣، ص١٥، ت رقم ٩٥٦؛ ابن حجر: السابق، ج٦، ص٣٣، ت رقم ٧٨١١.

(٧) هو عباد بن بشر بن وقش بن زغبة، من بنى عبد الأشهل، أحد الصحابة الذين شهدوا بدراً، استشهد فى اليمامة. ابن عبد البر: السابق، ج٢، ص٨٠١، ت رقم ١٣٥٤؛ ابن حجر: السابق، ج٣، ص٦١١، ت رقم ٤٤٥٨.

أيوب [١] بخيبر، وبلال بوادى القرى، فلما نزلت ﴿ وَٱللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ترك الحرس.

ذكر رسله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك، وهم عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشي، فوضع كتاب النبى صلى الله عليه وسلم على عينيه ونزل عن سريره ونزل إلى الأرض وأسلم، وقد تقدم.

ودحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل عظيم الروم فثبت عنده نبوة النبى صلى الله عليه وسلم، وهم بالإسلام فلم يوافقه الروم فأخافوه على ملكه فأمسك.

وعبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى أبرويز ملك فارس فمزق الكتاب، فقال صلى الله عليه وسلم مزق الله ملكه كل ممزق، فما انتظم له بعدها أمر.

وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس بمصر، فقارب الإسلام وأهدى للنبى صلى الله عليه وسلم مارية المتقدم ذكرها وسيرين والبغلة الشهباء دلدل، قيل وألف دينار وعشرين ثوباً من الخز.

وعمرو بن العاص إلى جيفر وعبيد بن الجلندى [٢] ملكى عمان فأسلما وخليا بين عمرو وبين الصدقة، فلم يزل حتى توفى النبى صلى الله [٣٦ أ] عليه وسلم.

وسليط بن عمر العامرى [٣] إلى هوذة بن على صاحب اليمامة فأكرمه، وبعث إلى النبى صلى اله عليه وسلم يقول: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، أنا خطيب قومى وشاعرهم فاجعل لى بعض الأمر. فأبى عليه السلام، ولم يسلم هوذة.

---

(١) هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف الأنصارى الخزرجي، المعروف بأبي أيوب الأنصارى، نزل عليه الرسول بعد هجرته إلى المدينة، وكان من الصحابة المقربين إليه، شهد الغزوات كلها، وشهد الفتوح، وتوفى فى حصار القسطنطينية عام ٥٢ هـ. ابن عبد البر: السابق، ج٢، ص٤٢٤، ت رقم ٦٠٠؛ ابن حجر: السابق، ج٢، ص٢٣٤، ت رقم ٢١٦٥.

(٢) هما جيفر وعبيد بن الجلندى الأزدى ملكا عمان، أسلما ولم يريا النبى صلى الله عليه وسلم، وقيل أن أباهما أسلم أيضاً. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص٢٧٥؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص٥٣٨، ت رقم ١٢٩٨، ص٥٤٢، ت رقم ١٣١١.

(٣) هو سليط بن عمرو بن عبد شمس العامرى، أسلم وهاجر الهجرتين. ابن حجر: السابق، ج٣، ص١٦٢، ت رقم ٣٤٢٤.

وشجاع بن وهب الأسدى [١] إلى الحارث بن شمر الغسانى ملك البلقاء من الشام، فرمى بالكتاب وقال أنا سائر إليه فمنعه هرقل.

والمهاجر بن أبى أمية المخزومى [٢] إلى الحارث الحميرى باليمن.

والعلاء بن الحضرمى [٣] إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين فأسلم.

وأبو موسى الأشعرى بعثه إلى اليمن ومعه معاذ بن جبل فأسلم ملوك اليمن وعامة أهله.

وكتابه، فقد تقدم الكلام عليهم فى مقدمة الكتاب، وكان على والزبير ومحمد بن مسلمة وعاصم بن ثابت بن أبى أقلح [٤] والمقداد [٥] يضربون الأعناق بين يديه.

والنجباء من أصحابه، أبو بكر، وعمر، وعلى، وحمزة، وجعفر، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان، وحذيفة، وابن مسعود، وعمار، وبلال.

والعشرة المشهود لهم بالجنة، أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وسعد بن أبى وقاص، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وسعيد بن زيد رضى الله عنهم.

ذكر دوابه صلى الله عليه وسلم، وهى عشرة من الخيل، على خلاف فى ذلك بزيادة أو نقص، أولها " السكب " [٦]، وهو أول فرس ملكه، وكان أغر محجلاً طلق اليمين، له سبحية

---

(١) هو شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن خزيمة الأسدى، من السابقين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين، استشهد باليمامة. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص٧٠٧، ت رقم ١١٩٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج٣، ص٣١٦، ت رقم ٣٨٤٥.

(٢) هو المهاجر بن أبى أمية بن عبد الله بن عمر المخزومى، شقيق أم سلمة زوج النبى. ابن عبد البر: السابق، ج٤، ص١٤٥٢، ت رقم ٢٥٠٢؛ ابن حجر: السابق، ج٦، ص ٢٢٨، ت رقم ٨٢٥٩.

(٣) هو عبد الله بن ضمار بن مالك. ابن حجر: السابق، ج٤، ص١٣٤، ت رقم ٤٧٦٩.

(٤) هو عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارى، من السابقين من الأنصار. ابن عبد البر: السابق، ج٢، ص٧٧٩، ت رقم ١٣٠٥؛ ابن حجر: السابق، ج٣، ص٥٦٩، ت رقم ٤٣٥٠.

(٥) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك، الشهير بابن الأسود، أحد الصحابة السابقين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين، توفى عام ٣٣ هـ. ابن عبد البر: السابق، ج٣، ص١٤٨٠، ت رقم ٢٥٦١؛ ابن قانع: السابق، ج٣، ص١٠٧، ت رقم ١٠٧٤؛ ابن حجر: السابق، ج٦، ص٢٠٢، ت رقم ٨١٨٩.

(٦) السكب: هو ما يطلق على الجواد السريع العدو. ابن منظور: لسان، ج١، ص٤٧٠.

فسابق عليه ففرح النبي صلى الله عليه وسلم عليه به، وكان عليه يوم أحد.و "المرتجز " [١] وهو الذى شهد له به خزيمة بن ثابت[٢]، و" اللحيف " [٣] أهداه له ربيعة بن أبي البراء، و"الظرب" [٤] أهداه له فروة الجذامى [٥]، و" الورد " [٦] أهداه له تميم الدارى، و"الضرس"[٧]، و" ملاوح"[٨]، و" وسبخة " [٩] هجن شقراء ابتاعها من أعرابى من جهينة بعشرين من الإبل، وقيل هو فحل اشتراه من تجار من اليمن فسبق عليه ثلاث مرات [٣٦ ب] فمسح على وجهه وقال ما أنت إلا بجن.

(١) المرتجز: وسمى الفرس بذلك لجهارة صوته وحسنه. ابن منظور: السابق، ج٥، ص٣٥٢.

(٢) خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الأنصارى الأوسى، وهو الذى شهد للرسول بملكيته للفرس ضد الأعرابى، وقد جعل الرسول شهادته تعدل شهادة رجلين، وتوفى فى موقعة صفين عام ٣٧ هـ، وكان ممن مع الإمام على بن أبي طالب. ابن عبد البر: السابق، ج٢، ص٤٤٨، ت رقم ٦٦٥؛ ابن حجر: السابق، ج٢، ص٢٧٨، ت رقم ٢٢٥٣.

(٣) فى هامش الصفحة [اللحيف بفتح اللام وكسر الحاء المهملة، فقيل بمعنى فاعل، سمى بذلك لطول ذنبه كأنه يلحف بالأرض يغطيها، وفيه التصغر، وفى صحيح البخارى بالخاء المهملة]. انظر: ابن منظور: السابق، ج٩، ص٣١٥.

(٤) فى هامش الصفحة [والظرب بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء بعدها باء موحدة، يسمى بذلك لكبره وسمنه، وقيل لقوته وصلابته مأخوذ من الظراب وهى الراوى الصغار]. انظر: ابن منظور: السابق، ج١، ص٥٧٠.

(٥) هو فروة بن عامر الجذامى، أسلم فى عهد الرسول وبعث إليه بإسلامه من غير أن يجتمع به، وكان عاملاً للروم على العرب من مترلة معان، وقد قتله الروم بسبب إسلامه، ويقال أن الذى أهداه للرسول كان بغلة بيضاء. ابن حجر: السابق، ج٥، ص٣٨٦، ت رقم ٧٠٢٤.

(٦) الورد: هو لون بين الكميت والأشقر. النويري: السابق، ج١٨، ص٢٩٩، هـ١١.

(٧) هو من الخيل سيئ الخلق، وقيل أن هذا الفرس هو نفسه السكب وأن الذى سماه السكب هو الرسول صلى الله عليه وسلم. ابن منظور: السابق، ج٦، ص١١٩.

(٨) ملاوح: هو الفرس الضامر الذى يسمن. ابن منظور: السابق، ج٢، ص٥٨٥.

(٩) هى الناقة ذات الوبر الكثيف. ابن منظور: السابق، ج٣، ص٢٤.

ومن البغال ثلاثة، " الدلدل " [١] التى أهداها المقوقس وهى أول بغلة ركبت فى الإسلام، و" فضة " وهبها [٢] من أبى بكر الصديق رضى الله عنه، و" الأيلة " أهداها له ملك أيلـة [٣]. وكان له حمار يقال له " يعفور " [٤].

وأما النعم فلم ينقل أنه اقتنى من البقر شيئاً، وكانت له عشرون لقحة [٥] بالغابة، وأرسل إليه سعد بن عبادة بمهرية [٦] من نعم بنى عقيل، وكانت له " القصوى [٧] "، وهى التى هـاجر عليها إلى المدينة، وكان لا يحمله إذا نزل عليه الوحى غيرها، قيـل وهـى " العضـباء "و " الجدعاء"، وكانت سابقاً ثم سبقت فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسـلم " إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه ". وكانت له مائة من الغنم، وشـاة يختـص بشرب لبنها تدعى " غبيثة [٨] "، وكان له ديك أبيض.

---

(١) هو اسم يطلق على البغال التى لاتنتسب إلى الخيول ولا إلى الحمير. ابن منظور: السابق، ج١١، ص٢٥٠.

(٢) فى النويري: السابق، ج١٨، ص٣٠١؛ جواهر السلوك، ورقة ٢٤ ب، أنه وهبها لأبى بكر رضى الله عنه.

(٣) وكان ملك أيلة هو يحنة بن رؤبة. ابن هشام: سيرة، ج٥، ص٢٠٦.

(٤) وقيل أن اسمه عفير وهو تصغير عفر، والعفرة هى الغبرة، واليعفور أى الشديد الغبرة، وقيل هو السريع الحركة مثل الظبى والظبى يسمى يعفور. ابن منظور: السابق، ج٤، ص٥٩٠.

(٥) اللقحة: هى الناقة القريبة العهد بالنتاج. ابن منظور: السابق، ج٢، ص٥٧٩؛ النويري: السابق، ج١٨، ص٣٠١، هـ٢.

(٦) المهرية: من كرائم الإبل تنسب إلى حى مهرة بن حيدان. ابن منظور: السابق، ج٦، ص٢٩٠؛ النويري: السابق، ج١٨، ص٣٠١، هـ٣.

(٧) أو القصواء، والقصوى: اسم يطلق على الناقة المقطوع منها طرف أذنها، والتى يقطع من أذنها عامة تسمى الجدعاء، والتى يزيد مقدار القطع فيها على ربع الأذن تسمى العضباء، ومع ذلك لم تكن ناقة رسول الله مقطوعة الأذن وإنما كان ذلك صفة فى النوق جميعاً فأخذ اسمها كل هذه الألقاب بدون أن تكون مختصة بصفة منها. انظر: ابن منظور: السابق، ج١٥، ص١٨٥.

(٨) الغبيثة: هى الغنم المختلطة اللون فيكون لونها أغبر.ابن منظور: السابق، ج٢، ص١٧١.

ذكر سلاحه صلى الله عليه وسلم، كان له تسعة أسياف، " ذوالفقار " [١] من غنائم بدر لبنى الحجاج السهميين، ورأى فى منامه فى ذبابته ثلمة فأولها هزيمة فكانت يوم " أحد ". وثلاثة أصابها من بنى قينقاع، " القلعى [٢] "، و" اللسان "، و" الحتف [٣] "، ولـه " المخـذم " [٤]، " والرسوب [٥] "، وسيف ورثه من أبيه، و" العضب [٦] " أعطاه لـه سـعد بـن عبـادة، و" القضيب"[٧]، وهو أول سيف تقلد به.

وأربعة رماح " المثنى " وثلاثة من بنى قينقاع، وعثرة [٨] تحمل بين يديه فى العيـديـن، ومحجن [٩] بقدر الذراع، ومخصرة [١٠] تسمى العرجون، وقضيب[١١] يسمى الممشـوق، وأربع قسي وجعبة، وترس عليه بمثال عقاب أهدى له فوضع يده على العقاب فذهب، قال أنس بن مالك رضى الله عنه كان نَعْل [١٢] سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبيعته [١٣] مـن فضة، وما بين ذلك حلق فضة، وكان له درعان أصابهما من سلاح بنى قينقاع وهما السـعدية وفضة، ودرع يسمى ذات الفضول لبسها يوم حنين، ويقال كان عنده درع داود عليه السلام

(١) ذو الفقار هو السيف الذى كان به حفر صغار حسان. النويري: السابق، ج١٨، ص٢٩٦، هـ١.

(٢) القلعي: هى السيوف المنسوبة إلى منطقة تسمى القلعة فى البادية، والقلعى أيضاً يطلق على النوع الجيد من الرصاص شديد البياض. ابن منظور: السابق، ج٨، ص٢٩٤.

(٣) الحتف: بمعنى الموت، وجمعه حتوف. السابق، ج٩، ص٣٨.

(٤) المخذم من الخذم وهو القطع، النويري: السابق، ج١٨، ص٢٩٧.

(٥) السيف الرسوب: هو السيف الذى يمضى فى الضربة ويغيب فيها. ابن منظور: السابق، ج١، ص٤١٨.

(٦) العضب: هو السيف القاطع. ابن منظور: السابق، ج١، ص٦٠٩.

(٧) القضيب: هو السيف اللطيف الدقيق. السابق، ج١، ص٦٧٩.

(٨) العثرة: هى الرماح، السابق، ج٤، ص٥٣٩.

(٩) هى العصا المعوجة أو العصا معقفة الرأس كالصولجان. السابق، ج١٣، ص١٠٨.

(١٠) المخصرة: هى الشيء الذى يمسكه الرجل من عصا أو قضيب أو غيره، وكانت الملوك تمسكه حين تخطب فى الناس. السابق، ج٤، ص٢٤٢.

(١١) القضيب من الرماح هى التى صنعت من غصن غير مشقوق. السابق، ج١، ص٦٧٩.

(١٢) نعل السيف: ما يكون أسفل جفنه من حديد أو فضة أو أسفل القراب. السابق، ج١١، ص٦٦٩.

(١٣) القبيعة: هى التى تكون على رأس قائم السيف، وقيل هى ما تحت شاربى السيف مما يكون فوق الغمد فيجيء مع قائم السيف. السابق، ج٨، ص٢٥٩.

التى لبسها لما قتل جالوت، وكان له مغفر يقال له السبوغ [١]، ومنطقة من أديم فيها حلق من فضة[٣٧ أ] بثلاثة وأبزيم، وطرف فضة، وكان لواؤه أبيض.

ذكر أثوابه وأثاثه، ترك يوم مات صلى الله عليه وسلم ثوبى حبرة[٢] وإزاراً عمانياً، وثوبين صحاريين، وقميصاً صحارياً [٣]، وآخر سحولياً [٤]، وجبة يمانية، وخميصة [٥] وكساء ابيض، وقلانس [٦] صغار لاطئة[٧] ثلاثاً وأربعاً، وملحفة مورسة[٨].

وكانت له ربعة [٩] فيها مرآة، ومشط عاج، ومكحلة، ومقراض [١٠]، وسواك، وكان له فراش أدم حشوه ليف، وقدح مصب بفضة فى ثلاث مواضع، وقدح آخر وتور [١١] من حجارة، ومخضب من شبه يعمل فيه الحناء والكتم [١٢] ويوضع على رأسه إذا وجد فيه حرارة، وقدح من زجاج، ومغتسل من صفر، وقصعة وصاع يخرج به زكاة الفطر، ومد وسرير وقطيفة.

---

(١) الغفر هى كل شيء قد ستر، والمغفر الذى يحمى به العنق وقت الحروب، والسبوغ الذى يغطى كل ما يراد ستره. ابن منظور: السابق، ج٨، ص٤٣٣.

(٢) الحبرة ضرب من برود اليمن، وهو ما كان موشياً مخططاً. السابق، ج٤، ص١٥٩.

(٣) نسبة إلى صحار بعمان. ياقوت: معجم، ج٤، ص١٥٠.

(٤) نسبة إلى قبيلة سحول باليمن، وهو ثوب لا يبرم غزله. السابق، ج٣، ص١٩٥.

(٥) الخميصة: هى كساء أسود من خز أو صوف مربع له علمان، فإن لم يكن معلماً فليس بخميصة. ابن منظور: السابق، ج٧، ص٣١.

(٦) قلانس، ومفردها قلنسوة هى لباس للرأس تشبه العمائم. السابق، ج٦، ص١٨١.

(٧) هى الجلود الملزوقة على القلانس. السابق، ج٧ص٣٩٦.

(٨) الملحفة المورسة هى الملحفة المصبوغة. السابق، ج٦،ص٢٥٤.

(٩) هو إناء ذو شكل مربع. السابق، ج٨، ص ١٠٧.

(١٠) القرض هو التهذيب، والمقراض ما يهذب به الأظافر. السابق، ج٧، ص٢١٦.

(١١) التور: هو إناء معروف تشرب فيه العرب، وقد يتوضئون فيه، مصنوع من صفر [نحاس] أو حجارة. السابق، ٤، ص٩٦.

(١٢) الكتم: دهن من أدهان العرب أحمر اللون يجعل فيه الزعفران. السابق، ج١٢، ص٥٠٨.

وخاتم من فضة فصه منه نقشه محمد رسول الله، وقيل أنه كان من حديد ملوى بفضة[١]، وأهدى له النجاشي خفين ساذجين [٢] فلبسهما، وكان له كساء أسود وعمامة يقال لها السحاب فوهبها علياً فكان ربما قال إذا رآه مقبلاً وهى عليه أتاكم على فى السحاب، وله ثوبان للجمعة غير الثياب التى يلبسها سائر الأيام، ومنديل يمسح به وجهه من الوضوء.

ذكر نبذ من معجزاته صلى الله عليه وسلم، فمنها القرآن الذى أعجز الفصحاء أن يأتوا بسورة من مثله ولو استعانوا بجميع الخلق، ومنها شق الصدر، وأخباره عن بيت المقدس، وانشقاق القمر، وأن الملأ من قريش تعاقدوا على قتله فخرج عليهم فخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم فى صدورهم، وأقبل حتى قام على رءوسهم فقبض قبضة من تراب وقال شاهت الوجوه وحصبهم فما أصاب رجلاً منهم شيء من تلك الحصبات إلا قتل يوم بدر. ورمى يوم حنين بقبضة من تراب فى وجوه القوم فهزمهم الله تعالى. ونسج العنكبوت فى الغار عليه وما كان من أمر سراقة بن مالك إذ تبعه فى الهجرة فساخت قوائم فرسه فى الأرض الجلد، ومسح على ظهر عناق لم ينز عليها الفحل فدرت، وشاة أم معبد، ودعوته لعمر أن يعز الله به [٣٧ ب] الإسلام فكان، ودعوته لعلى أن يذهب الله عنه الحر والبرد فكان، وتفل فى عينيه وهو أرمد فعوفى لساعته ولم يرمد بعدها. ورد عين قتادة بن النعمان بعد أن سالت على خده فكانت أحسن عينيه، ودعا لعبد الله بن عباس بالتأويل والفقه فى الدين فكان. ودعا لجمل جابر فصار سابقاً بعد أن كان مسبوقاً، ودعا لأنس بطول العمر وكثرة المال والولد فكانوا، وفى تمر جابر بالبركة فأوفى غير ماؤه وزاد ثلاثة عشر وسقاً، واستسقى عليه السلام ولم تكن فى السماء قرعة فأمطرت أسبوعاً، ثم استصحا لهم فانجابت السحاب، ودعا على عتبة بن أبى لهب فأكله الأسد بالزرقاء من الشام، وشهدت الشجرة له بالرسالة فى خبر الأعرابى الذى دعاه للإسلام فقال: هل من شاهد على ما تقول؟ قال: نعم هذه الشجرة، ثم دعاها فأقبلت فاستشهدها فشهدت ثلاثاً أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها. وأمر شجرتين فاجتمعا ثم افترقا. وأمر إنساناً أن ينطلق إلى نخلات فيقول أمركن رسول الله أن تجتمعن فاجتمعن، فلما قضى حاجته أمره أن

---

(١) عن خواتم رسول الله وأوصافها. انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص٤٧٠ ـــ ٤٧٧؛ النويري: السابق، ج١٨، ص٢٩٠ ـــ ٢٩١.

(٢) هو الخف غير المنقوش أو لا شعر عليه، أو على لون واحد لا يخالط سواده لون آخر. النويري: السابق، ج١٨، ص٢٩٢، هـ٥.

يأمرهن بالعود إلى أماكنهن فعدن. ونام فجاءت شجرة تشق الأرض حتى قامت عليه فلما استيقظ ذكرت له، قال هى شجرة استأذنت ربها أن تسلم على فأذن لها. وسلم عليه الحجر والشجر ليالى بعث [......] السلام عليك يا رسول الله، وقال إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث، قيل إنه الحجر الأسود. وحن إليه الجذع وسبح الحصباء فى كفيه، وكذلك الطعام، واعلمته الشاة بسمها، وشكا إليه البعير قلة العلف وكثرة العمل، وسألته الظبية أن يخلصها من الحبل لترضع ولديها وتعود فخلصها، فأرضعت وعادت ونطقت بالشهادتين. وأخبر عن مصارع المشركين يوم بدر فلم يعد أحد منهم مصرعه، وأخبر أن طائفة من أمته يغزون فى البحر، وأن أم حرام بنت ملحان منهم فكان كذلك [٣٨ أ] وقال لعثمان تصيبه بلوى شديدة فكانت. وقيل قال للأنصار إنكم ستلقون بعدى أثرة، فكانت زمن معاوية. وقال فى الحسن أن ابنى هذا سيد وأن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكانت. وخبر بقتل العنسى الكذاب وهو بصنعاء ليلة قتله ومن قتله. وقال لثابت بن قيس تعيش حميداً وتقتل شهيداً فقتل يوم اليمامة [1]. وارتد رجل ولحق بالمشركين فبلغه أنه مات فقال إن الأرض لا تقبله فكان كذلك. وقال لرجل يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال له لا استطعت فلم يطق أن يرفعها إلى فيه بعد. ودخل مكة عام الفتح والأصنام حول الكعبة معلقة وبيده قضيب فجعل يشير إليها ويقول جاء الحق وزهق الباطل وهى تتساقط. وشهد الضب بنبوته. وأطعم ألفاً من صاع شعير بالخندق فشبعوا، والطعام أكثر مما كان. وأطعمهم من تمر يسير فاكتفوا. وجمع فضل الأزواد على النطع فدعا لها بالبركة ثم قسمها فى العسكر فقامت بهم. وأتاه أبو هريرة بتمرات قد صفهن فى يده وقال يا رسول الله أدع الله فيهن بالبركة ففعل، قال أبو هريرة فأخرجت من ذلك التمر كذا كذا وسقاً فى سبيل الله وكنا نأكل منه ونطعم حتى ليقطع فى زمن عثمان. ودعا أهل الصفة لقطعة ثريد قال أبو هريرة فجعلت أتطاول ليدعونى حتى قام القوم وليس فى القصعة إلا اليسير فى حوافها فجمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعها فى أصابعه وقال كل بسم الله فو الذى نفسى بيده ما زلت أكل منها حتى شبعت. ونبع الماء من أصابعه حتى شرب القوم وتوضئوا وكانوا ألفا وأربعمائة. وأتى بقدح فيه ماء فوضع أصابعه فى القدح فلم يسع فوضع أربعة منها وقال هلموا فتوضئوا أجمعين وهم من السبعين إلى

(١) هو ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس من قبيلة الخزرج. ابن حجر: الإصابة، ج١، ص٣٩٥، ت رقم ٩٠٥.

الثمانين. وورد فى غزوة تبوك على ماء لا يروى واحداً والقوم عطاش فشكوا إليه فأخذ سهماً من كنانته فغرسه فيه ففار الماء وارتوى القوم وكانوا ثلاثين ألفاً. وشكى إليه قوم ملوحة [٣٨ ب] ماء فجاء فى نفر من أصحابه حتى وقف على بئرهم فتفل فيه فتفجر بالماء العذب المعين. وأتته امرأة بصبى لها أقرع فمسح على رأسه فاستوى شعره وذهب داؤه لساعته، فسمع أهل اليمن بذلك فأتت امرأة إلى مسيلمة بصبى فمسح برأسه فصلع وبقى الصلع فى نسله. وانكسر سيف عكاشة يوم بدر فأعطاه جدلاً من حطب فصار فى يده سيفاً ولم يزل عنده بعد ذلك. وعزت كدية بالخندق أن يأخذها المعول فضربها فصارت كثيباً أهيل. ومسح على رجل أبى رافع وقد انكسرت فكأنه لم يشتكها قط.

ومعجزاته صلى الله وسلم عليه لا تحصر وكتب منها فى كتاب واحد ألف معجزة.

ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم، توفى وقد بلغ ثلاثاً وستين سنة على الصحيح، وقيل غير ذلك، يوم الاثنين حين اشتد الضحى لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول، ومرض أربعة عشر يوماً ودفن ليلة الأربعاء، ولما حضره الموت كان عنده قدح فيه ماء فجعل يدخل يده فيه ويمسح وجهه ويقول اللهم أعنى على سكرات الموت، وسجى ببرد حبرة وقيل أن الملائكة سجته.

وكذب بعض أصحابه بموته دهشة، يحكى عن عمر، وأخرس عثمان، وأقعد على ولم يكن أثبت من العباس وأبى بكر، ثم إن الناس سمعوا من باب الحجرة لا تغسلوه فأنه طاهر مطهر، ثم سمعوا بعد ذلك غسلوه فأن ذلك إبليس وأنا الخضر وعزاهم فيه، وقال أن فى ذلك عزاء من مصيبة وخلفا من كل هالك ودركاً من كل فائت، فبالله ثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب.

واختلفوا فى غسله هل يكون فى ثيابه أو يجرد عنها فوضع الله عليهم النوم فقال قائل لا ندرى من هو: اغسلوه فى ثيابه. فانتبهوا وفعلوا ذلك، والذى ولى غسله على والعباس وولداه الفضل، وقثم[1]، وأسامة وشقران مولياه، وحضرهم أوس بن حولى من الأنصار، ونفضه على

---

(١) هو قثم بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله، كان ورعاً تقياً، أخو الإمام الحسن من الرضاع، استشهد فى فتح سمرقند. ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص٣٦٧؛ ابن حجر: الإصابة، ج٥، ص٤٢٠، ت رقم ٧٠٨٦.

فلم يخرج منه شيء، فقال صلى الله عليك لقد طهرت حياً وميتاً، وكفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص [٣٩ أ] ولا عمامة بل لفائف من غير خياطة، وصلى عليه المسلمون أفذاذاً لم يؤمهم أحد، وفرش تحته فى القبر قطيفة حمراء كان يتغطى بها نزل بها شقران وحفر له ولحد وأطبق عليه تسع لبنات، واختلفوا أيلحد أم يضرح، وكان بالمدينة حفاران أحدهما يلحد وهو أبو طلحة، والآخر يضرح وهو أبو عبيدة، فاتفقوا أن من جاء منهما أولاً عمل عمله فجاء الذى يلحد فلحد له فى [بيت] [1] عائشة صلى الله عليه وسلم وزاده شرفاً وتكريماً، ثم دفن معه أبو بكر وعمر رضى الله عنهم.

(١) غير موجودة فى الأصل والإضافة لتناسق المعنى.

الباب الثانى

فى ذكر من ولى الخلافة بعد النبى صلى الله عليه وسلم وإلى آخر دولة الأمويين

أولهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه:

وأسمه عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، مولده بمنى بعد عام الفيل بثلاث سنين، ونشأ بمكة، وصحب النبى صلى الله عليه وسلم إلى أن مات، وأنفق عليه أربعين ألف دينار فى حياته، وكراماته كثيرة.

ولما أنتقل النبى صلى الله عليه وسلم بالوفاة بايع الصحابة أبو بكر بالخلافة فى يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول سنة ثلاثة عشر[1] من الهجرة، وكانوا يسمونه خليفة رسول الله، واختلف فى أول من دعاه بذلك، قيل وليد بن ربيعة، وقيل أبو وبرة حين بعثه خالد بن الوليد إلى أبي بكر يسأله عن حد الخمر.

وكان رحمه الله زاهداً خاشعاً حليماً وقوراً براً رءوفاً شجاعاً كثير الحياء عديم النظـــر فى الصحابة رضى الله عنهم، وفى أيامه فتحت اليمامة على يد خالد بن الوليد، وجهز الجيوش لفتح الشام وقتال [2] الروم، وقاتل أهل الردة حتى أدوا الزكاة فأنه كانت جماعة من العرب ارتـــدوا بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم.

وكان نحيفاً، أبيض، خفيف العارضين حتى لا يستملك [3] إزاره على حقويه [4]، معروق الوجه، ناتى [5] الجبهة، عارى الأشاجع [6].

كان يأخذ من بيت المال فى كل يوم ثلاثة دراهم أجرته لقوته، وعند موته قـــال لابنتـــه عائشة رضى الله عنها انظرى يا بنية ما زاد فى بيت المال [٣٩ ب] الذى لأبي بكر منذ ولينا

---

(١) الصواب: إحدى عشرة.

(٢) وقاتل: الجوهر، ص ٢٨.

(٣) يستمسك: الجوهر، ص ٢٩.

(٤) حقويه: خاصرته. ابن منظور: السابق، ج١٤، ص١٨٩.

(٥) ناتئ: رقيق عظام الوجه. السابق، ج٦، ص٣٢٨.

(٦) والأشاجع ومفردها أشجع، وهى مفاصل الأصابع، وقيل هى رءوس الأصابع، وعارى الأشاجع أى قليل اللحم عليها. السابق، ج٨، ص١٧٤.

هذا الأمر فردوه [١] على المسلمين، فو الله ما بلينا[٢] من أموالهم إلا ما أكلنا فى بطوننا من جريش طعامهم، ولبسنا على ظهورنا من خسيس [٣] ثيابهم. فنظرت حين وفاته فإذا بكر وجرد[٤] قطيفة لا تساوى خمسة دراهم، فلما جاء الرسول إلى عمر بهما قال له عبد الله [٥] بن عوف يا أمير المؤمنين: أتسلبها ولد أبى بكر؟ قال عمر كلا ورب الكعبة لا يتأثم بها أبو بكر فى حياته وأعملها [٦] بعد وفاته، فأخذ ثمنهما ورده لبيت مال المسلمين رضى الله عنهم.

مات أبو بكر بالسل ليلة الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة خمس عشر [٧] من الهجرة، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وتسعة أيام، ورثه أبوه أبو قحافة ومات بعده بسنة، وكان نقش خاتمه " نعم القادر الله "، وقيل كان فى يده خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما استحضر استخلف على المسلمين.

عمر بن الخطاب:

أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى فى اليوم الذى توفى فيه أبو بكر.

وكان طوالاً جسيماً فى عارضيه خفة، سبلته [٨] كبيرة فى أطرافه صهبة[٩]، وقيل كان أسمر شجاعاً عظيماً، ذا رأى صائب، ورعاً، زاهداً. قال قتادة كان عمر رضى الله عنه يلبس

---

(١) الصواب: فرديه، الجوهر، ص ٣٠.

(٢) نلنا: الجوهر، ص٣٠.

(٣) خشن:، الجوهر، نفسه.

(٤) جرد: هو الخلق من الثياب، انظر لسان العرب، ج٣، ص١١٥.

(٥) الصواب: عبد الرحمن.

(٦) الصواب: أتحملها، الجوهر، نفسه.

(٧) الصواب: ثلاثة عشرة.

(٨) سبلة الرجل ما على الشارب من الشعر، وقيل طرفه، وقيل هى مجتمع الشاربين، وقيل ما هو على الذقن إلى طرف اللحية، وقيل هو مقدم اللحية، وقيل هى اللحية كلها بأسرها. انظر، ابن منظور: السابق، ج١١، ص٣٢١ ــ ٣٢٢.

(٩) الصهبة هى الشقرة، والصهبة لون حمرة فى شعر الرأس واللحية، وقيل الأصهب من الشعر أن يخالط بياضه حمرة. انظر: ابن منظور: السابق، ج١، ص٥٣١.

جبة صوف مرقوعة بجلد فيها ثلاثة عشر رقعة، ويطوف السوق ومعه الدرة فيؤدب الناس، وكان يحمل القربة على كتفه ويتفقد الأرامل، قيل مر ليلة بالمدينة فسمع صغيراً يبكى[١] وأمه تقول: فى ذمة عمر. فقرع الباب ففتحت له فقال لها: أيش [٢] عمل بك عمر؟. قالت: بعث زوجى فى الغزاة ولا عندنا شيء للصغار يومين ما أفطروا على العيش، وليلتين أقد النار تحت القدر وأوهمهم أنه عيش حتى يناموا، وقد غلب على وعليهم الجوع.

فبكى عمر بكاء شديداً وقال عمر: يا امرأة من أين يعرف عمر ما فى البيوت!، ثم ولى مسرعاً إلى بيت المال وأخذ قطعة من دقيق وشيء من عسل وسمن وحملهم على رأسه، فقال غلامه: يا سيدى دعنى أحمل، فقال: أنا المطالب بذنبهم. [٤٠ أ] وأتى إلى المرأة فقال: قدى[٣] النار تحت القدر. ففعلت [٤]، وجعل عمر ينفخ والدخان يطلع من بين شعر لحيته حتى استوت عصيدة فجعلها فى قصعة، وصب عليها السمن والعسل، ونبهت [٥] الأولاد فأكلوا، فقال له الغلام: يا سيدى أذهب. فقال: جئت وهم يبكون ولا أذهب [٦] إلا وهم يضحكون. فما زال حتى سمع ضحكهم. وقال: لو مات جمل على جانب الفرات ضياعاً لخشيت أن يسألنى الله عنه يوم القيامة.

وفتح الله له الفتوح، ففى أيامه فتحت دمشق على يد خالد بن الوليد وأبا عبيدة عامر بن الجراح فى سنة ثلاثة عشر، وفتح الجابية [٧]، وبيت المقدس، والقادسية [٨] من بلاد العجم على

---

(١) صغاراً يتباكون: الجوهر، ص ٤٠.

(٢) أى شيء: الجوهر، نفسه.

(٣) أوقدى: الجوهر، ص ٤١.

(٤) فأوقدت النار: الجوهر، نفسه.

(٥) وقال لها نبهى الأطفال يأكلون فأنبهتهم: الجوهر، نفسه.

(٦) أروح : الجوهر، نفسه.

(٧) الجابية: قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان، ياقوت: معجم، ج ٢ ص ٩١ ــ ٩٢.

(٨) القادسية: مدينة بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً. السابق، ج ٤ ص ٢٩١.

يد سعد بن أبي وقاص، وفتح سروج [١] والرها[٢] ونصيبين [٣] والرقة [٤] والجزيرة [٥] وعـين التمر[٦] على يد عياض بن غنم [٧] فى سنة ست عشرة، وفتح قيسارية [٨] على يد معاوية بـن أبى سفيان، وفتح مدائن كسرى ونهاوند على يد النعمان بن مقرن [٩]، وفتح مصـر ودميـاط والإسكندرية وبرقة فى سنة إحدى وعشرين على يد عمرو بن العاص، وكذلك طرابلس الغرب وهى أول مدن الغرب، وفتح أذربيجان على يد مالك بن الأشتر، وفـتح كـور الأهـواز[١٠] واصطخر [١١] على يد أبى موسى الأشعرى، وفتح همذان [١٢] وأصبهان[١٣] على يد عبـد الله

---

(١) سروج: بلدة قريبة من حران. السابق، ج ٣ ص ٢١٦.

(٢) الرها: مدينة بإقليم الجزيرة بين الموصل والشام. السابق، ج ٣ ص ١٠٦؛ وتقع اليوم بتركيا. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٢٦.

(٣) نصيبين: مدينة بإقليم الجزيرة بين الموصل والشام. السابق، ج٥، ص٢٨٨. وتقع اليوم بسوريا. البلاذرى: السابق، ص٧٨٦.

(٤) الرقة: هى الأرض التى ينبسط عليها الماء، مدينة مشهورة على نهر الفرات. السابق، ج ٣ ص ٥٨ – ٥٩؛ وتقع اليوم فى سوريا. البلاذرى: السابق، ق٣، ص٧٢٦.

(٥) الجزيرة هى الأراضى الممتدة بين دجلة والفرات ، وفيها ديار مضر، وديار بكر، وتقع اليوم بين سوريا وتركيا والعراق. السابق: فتوح، ق٣، ص٧٠٦؛ لى سترانج: بلدان الخلافة، ص١١٤.

(٦) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة. ياقوت: السابق، ج ٤ ص ١٧٦.

(٧) هو عياض بن غنم بن زهير بن أبى شداد القرشى الفهرى، أحد الصحابة الذين اختلف فى وقت إسلامهم فقيل هاجر الهجرتين وشهد بدراً وأحد، وقيل بل أسلم بعد الحديبية، توفى بالشام عام ٢٠ هـ. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص١٢٣٤، ت رقم ٢٠١٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص٧٥٧، ت رقم ٦١٤٤.

(٨) قيسارية: بلدة على ساحل البحر بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. السابق، ج ٤ ص ٤٢١.

(٩) هو النعمان بن عمرو بن مقرن بن عائذ من مزينة، ولاه قيادة المسلمين فى نهاوند، وقد استشهد بها عام ٢١ هـ. ابن حجر: السابق، ج٦، ص١٨.

(١٠) الأهواز: كورة بين البصرة وفارس. السابق، ج ١ ص ٢٨٤ – ٢٨٦؛ وهى اليوم تقع بإقليم خوزستان بإيران. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٦٩٠؛ لى سترانج: بلدان، ص٢٦٧.

(١١) اصطخر: إحدى مدن فارس. السابق، ج ١ ص ٢١١.

(١٢) همذان: إحدى مدن فارس. السابق، ج ٥ ص ٤١٠.

(١٣) إصبهان: إحدى مدن فارس. السابق، ج ١ ص ٢٠٦.

الخزاعى.وفى أيامه دخل معاوية أرض الروم حتى بلغ عمورية، وفتح خراسان وأعمالها فى سنة ثلاث وعشرين، وفتح فلسطين وعسقلان. وفى أيامه زالت دولة الفرس.

وعمر البصرة والكوفة فى سنة ست عشر(١)، وعمرت الجيزة بمصر بحفة النيل الغربية بمباشرة عمرو بن العاص فى سنة إحدى وعشرين، وعمر مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ووسعه فى سنة تسعة عشر.

وقد أطاع الله له النار والهواء وكراماته لا تحصر، طعنه أبو لؤلؤة فيروز الفارسى غلام المغيرة بن شعبة فقتله فى ذى الحجة لليلة (٢) بقيت منه سنة ثلاث وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين ونصفا، ومات وعمره ثلاثاً وستون سنة.

ولما حضرته الوفاة قال لولده عبد الله انظر ما على من [٤٠ ب] الديون(٣). فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً، فقال " إن وفى له مال (٤) أل عمر فأده من أموالهم، وإن لا فسئل(٥) فى بنى عدى، فإن لم تف أموالهم فسئل فى قريش وأدى(٦) عنى هذا المال. ثم قال " أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين وأن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً وأن يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً "، ثم قضى نحبه رضى الله [عنه] (٧)، ولما مات أجمع الصحابة على مبايعة.

---

(١) لقد عمرت البصرة عام ١٤هـ، والكوفة عام ١٧هـ. انظر البلاذرى: فتوح البلدان، ج١ص٢٧٤، ٣٤١

(٢) لثلاث بقين منه: الجوهر، ص ٣٨.

(٣) الدين: الجوهر، نفسه.

(٤) دين: الجوهر نفسه، والصواب ما ذكره صاحب الثغر.

(٥) وإلا فاسأل: الجوهر، نفسه.

(٦) فأد: الجوهر، ص ٣٩.

(٧) ناقصة فى الأصل.

عثمان بن عفان:

أبى عمرو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى. مولده فى السنة السادسة بعد الفيل، أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة، وتزوج بابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم _ على ما تقدم _ فسمي لذلك ذى النورين، وقال له النبى صلى الله عليه وسلم: لو كان لى ثالثة لزوجتكها.

وكان رجلا ربع القامة، حسن الوجه، دقيق البشرة، كبير اللحية، أسمر اللون، ضخم الكردانين [١]، بعيد ما بين المنكبين، صواماً قواماً باسلاً هماماً، ثابت الجنان، جامع القرآن.

بويع بالخلافة يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين، فأشرقت أنواره وارتفع فى الدارين مناره، فتح فى أيامه سابور[٢] من بلاد العجم، وإفريقية من بلاد الغرب وقبرص على يد معاوية بن أبى سفيان، وكرمان [٣] وسجستان[٤] وفارس الأولى، وفتح جور [٥] وفارس الآخرة، وطبرستان ودا بجرد [٦] والأساورة فى البحر [٧]، ثم فتح سورية، وذلق [٨] وكابل [٩]، وهراة[١٠]، ومرو[١١]، وساحل بحر الأردن.

---

(١) الصواب: الكراديس، ابن دقماق: الجوهر، ص ٤٤، والكراديس هى رءوس العظام، انظر، لسان العرب، ج٦ص١٩٥.

(٢) سابور: كورة كبيرة بأرض فارس. ياقوت: معجم، ج ٣ ص ١٦٧.

(٣) كرمان: ناحية كبيرة بين فارس وخراسان. السابق، ج ٤ ص ٤٥٤.

(٤) سجستان: ناحية كبيرة فى بلاد فارس. السابق، ج ٣ ص ١٩٠.

(٥) جور: مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخاً. السابق، ج ٢ ص ١٨١.

(٦) الصواب: درا بجرد، وهى إحدى مدن فارس. ياقوت: معجم، ج٢، ص٤٤٦.

(٧) يقصد معركة ذات الصوارى أو السوارى بين المسلمين والبيزنطيين.

(٨) ذلق: أو أذلق بالفتح ثم السكون وفتح اللام والقاف، إحدى مدن فارس بالقرب من كرمان. السابق، ج١، ص١٣٢.

(٩) كابل: أرض كابل بين الهند ونواحى سجستان. السابق، ج ٤ ص ٤٢٦.

(١٠) هراة: مدينة كبيرة من مدن خراسان. السابق، ج ٥ ص ٣٩٦.

(١١) مرو: إحدى مدن فارس. السابق، ج ٥ ص ١١٢.

قتل رحمه الله فى ذى القعدة [١] سنة خمس وثلاثين للهجرة، وكانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنان وعشرون يوماً، ولما قتل أقام مطروحاً إلى الليل فحمله رجل على باب ليدفنه فعرض له ناس ليمنعوه فوجد قبراً محفوراً لغيره فدفنه فيه وصلى عليه جبير بن مطعم وغيبوا [٢] قبره، وبلغ من العمر ثمانين سنة رحمه الله عليه، ثم ولى الخلافة من بعده

على بن أبي طالب:

أبو الحسن على بن أبي طالب رضى الله عنه، واسم أبي طالب عبد مناف عم النبى صلى الله عليه وسلم.

سئل الحسن رضى الله عنه عن صفة أبيه فقال " كان رجلا أسمر ثقيل العينين عظيمهما، ذا بطن، أصلع، ربعة إلى القصر، وإذا ورد عليه مال لا يبقى منه شيئاً ". قال معاوية لضرار: صف لى علياً. قال: أعفنى يا أمير المؤمنين. قال: لتصفنه. قال: أما إذا لابد من وصفه، فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواجيه، يستوحش من الدنيا وزهرها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير الدمعة، طويل الفكرة [٣]، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ونحن والله مع قربنا له لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، [وأشهد] [٤] وقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى [الليل] [٥] ستوره وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم [٦] ويبكى بكاء الحزين ويقول: يا دنيا غرى غيرى، إلى تعرضت؟ أم إلى تشوفت؟ هيهات هيهات قد

---

(١) ذى الحجة : الجوهر، ص ٤٥.

(٢) غيروا: الجوهر، ص ٤٦.

(٣) الفكر: الجوهر، ص ٥٠.

(٤) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ٥٠.

(٥) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفسه.

(٦) الصواب: السقيم.

باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمركى[1] قصير، وخطرك حقير، أه من قلة الزاد وبعـد السـفر ووحشة الطريق.

فبكى معاوية رضى الله عنه وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك. فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح واحدها فى حجرها.

قال ابن إسحق: لما قتل عثمان سعى الناس إلى دار على فأخرجوه وقالوا لابد للناس من إمام والأمر فيك فبايعوه، وأول من بايعه طلحة ثم الزبير وسعد بـن أبي وقـاص، [وتبعـه] الصحابة، وكان إصبع طلحة مشلولة فقال بعض الصحابة " يد شلاء وأمر لا يتم ".

قتل يوم الجمعة سابع عشر رجب[2] الفرد عام أربعين من الهجرة النبوية، ومـات بعـد يومين، اغتاله عبد الرحمن بن ملجم المرادى سحراً وضربه فى [٤١ ب] دماغه بخنجر نحاس. فلما مات صلى عليه ابنه الحسن بالكوفة ودفن فى الكوفة بدار الإمارة، قال الواقدى: دفن ليلاً وغيب قبره.

وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل ثمـان وخمسون سنة، وتولى الخلافة من بعده ولده

الحسن بن على:

أبو محمد الحسن ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمبايعة الصـحابة رضـى الله عنهم بالكوفة فى يوم دفن والده، وسار إلى الشام ليأخذها من معاوية، وسار معاوية بجيش الشام لقصده، فلما تقارب الجيشان رأى الحسن المصلحة فى جمع الكلمة فترك القتال وراسل معاويـة ليتزل له عن الخلافة وأن يكون العهد من بعده له، وأن يمكنه من بيت المال ليأخذ منه حاجتـه ففرح معاوية لذلك وأجاب به، فخلع الحسن نفسه وسلم الخلافة لمعاوية ودخل هو ومن معه إلى الكوفة فأعطاه معاوية ألفى ألف درهم، وأصلح الله به بين الفئتين العظيمتين من المسلمين كمـا أخبر جده صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الصواب: فعمرك، الجوهر، ص ٥١.

(٢) رمضان: الجوهر، ص ٤٩.

ثم أن الحسن سار بأهله وحشمه إلى المدينة فأقام بها إلى أن مات فى شهر ربيع الأول عام تسع وأربعين ودفن بالبقيع. قال الشيخ شمس الدين بن خلكان " أن امرأته جعدة بنت الأشعث سمته فمكث شهرين، وكل يوم ليرفع من تحته كذا وكذا طشتا من دم " [١].

ومن شعره رضى الله عنه:

ومارست هذا الدهر خمسين حجة وخمساً أرجى قابــلاً بعد قابــــل
فلا أنا فى الدنيا بلغت جسيمـــها ولا فى الذى أهوى كدحت بطائل
وقد أسرعت فى المنايا أكفُّـــــها وأيقنت أنى رهن موت معاجــــل

---

(١) ما ذكره صاحب الثغر يتفق فى لفظه مع ابن خلكان، على عكس صاحب الجوهر الذى اختصر فيه انظر: ابن خلكان: وفيات، ج١ص٦٥_٦٩ ت ١٥٥؛ ابن دقماق: الجوهر، ص ٥٥.

الدولة الأموية

معاوية بن أبي سفيان:

ولما تسلم الإمام أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموى الصحابي فى سنة إحدى وأربعين للهجرة [قال " ما زلت أطمع فى الخلافة منذ قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم] [1] يا معاوية إذا ملكت فأحسن ".فاجتمع له الأمر وهو أول من جلس بين الخطبتين، وقيل أنه أول [٤٢ أ] من أتخذ المحراب فى المسجد.

صحب النبى صلى الله عليه [وسلم]، وتزوج بأخته أم حبيبة، وكتب الوحى، وكتب للنبى صلى الله عليه وسلم، واجتمع له الأمر تحت حكمه من حدود بخارى من الشرق إلى حد القيروان من الغرب، وهو الذى ركب البحر، وفتح قبرص وبنى بها جامعاً وهو إلى الآن.

وكان طوالا أبيض إذا ضحك انقلبت شفته العليا وكان حليماً وقوراً كريماً شجاعاً. توفى بدمشق فى يوم الخميس لثمان بقين من شهر رجب، وقيل فى نصفه سنة ستين من الهجرة، وكانت ولايته تسعة عشر عاما وشهرين، وقيل كان أميرا وخليفة أربعين سنة، وبلغ من العمر ثمانون وقيل خمسة وسبعون سنة، وقبره بالباب الصغير، ولما توفى ولى الخلافة بعده ولده:

يزيد بن معاوية:

بعهد من أبيه، فأقام فيها إلى [أن] توفى فى ربيع الأول عام أربع وستين، وكانت خلافته أربع سنين، ومات وعمره تسع وثلاثون سنة ثم وليها ولده:

معاوية بن يزيد:

فى يوم توفى والده فأقام أربعين يوماً، وقيل ثلاثة أشهر وقيل أربعة أشهر، وقيل عشرين يوماً، خلع نفسه من الخلافة ثم مات بعد أربعين يوماً من خلع نفسه، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم، فلما كبر الوليد تكبيرتين مات، فكمل الصلاة مروان بن الحكم، ودفن معاوية إلى جانب أبيه يزيد، ثم ولى الخلافة بعده:

---

(١) ناقص فى الجوهر، ص ٥٧.

مروان بن الحكم:

وكانت المبايعة بالخلافة له بالشام، وعبد الله بن الزبير بمصر والحجاز والعراق، ولم يقم مروان فى الخلافة غير تسعة أشهر، وتوفى عام ست وستين، قيل أن زوجته سمته [1]، ثم ولى الخلافة بعده ولده:

عبد الملك بن مروان:

بويع بالخلافة بعد موت أبيه بالشام فى شهر رمضان سنة خمس وستين، وفى أيامه كانت الدواوين رومية وفارسية وقبطية فحولهم إلى العربية.

توفى فى شوال سنة ست وثمانين للهجرة، وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة، وخلف سبعة عشر ذكراً، ولما مات تولى بعده ولده:

الوليد بن عبد الملك:

أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان فى نصف شوال سنة ست وثمانين، وكان أكبر أولاده، وهو عند أهل الشام أفضل خلفائهم وأكثرهم فتوحات [٤٢ ب] وأعظمهم نفقة فى سبيل الله، [وهو الذى] [2] بنى جامع بنى أمية فكان فيه حين عمارته اثنا عشر ألف مرخم، وتوفى ولم تتم عمارته فأكمله أخوه سليمان وجملة ما أنفق عليه أربعمائة صندوق فى كل صندوق أربعة عشر ألف دينار، وكانت فيه ستمائة سلسلة من الذهب برسم القناديل، وما زالت إلى أيام عمر بن عبد العزيز فأمر أن تجعل فى بيت المال، وأن يجعل عوضها سلاسل من حديد ونحاس، ولم يطق الناس الصلاة فيه إذ ذاك لكثرة شعاعه وتزخرفه فدخنت حتى اسودت وقَبِلها البصر.

وعمر مسجد المدينة، وهدم البيوت التى بجوار قبر النبى صلى الله عليه وسلم وأدخلها المسجد حتى صار طوله مائتى ذراع وعرضه كذلك، وعمل المنابر، وأغنى المجذومين عن سؤال الناس أوقف عليهم بلداً، وأعطى كل مكسح خادماً يخدمه، وكل ضرير قائداً يقوده ويخدمه.

وكان ديناً عالماً كثير التلاوة يختم القرآن فى كل ثلاث، وفى أيامه فتح الهند وبعض بلاد الترك وجزيرة الأندلس.

---

(١) يذكر ابن قتيبة أنها قتلته خنقاً مع جواريها. الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٦.

(٢) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ٦٥.

وكان أسمر طوالا أفطس بوجهه أثر جدرى، شجاعاً مهاباً له همة عالية، وكـــان ســـديد الرأى، ولكنه كان أهوج سريع البطش، استعمل الحجاج [(١)] على الكوفة والبصرة وعلى مكة، وكان الحجاج سفاكاً للدماء، قيل أحصى من قتله الحجاج صبراً سوى من قتلته عساكره فكانوا مائة وعشرين ألفاً، ومات وفى حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امـــرأة، وكـــان يحـــبس الرجال والنساء فى حبس واحد مرخماً من غير سقف ليجدوا فيه شدتى الحر والبرد، كان يطوف الليل فإن رأى أحدا بعد العشاء قتله، فبينا هو ليلة يطوف إذ نظر إلى غلامين فقال من أنتمـــا فقالا " أخوان فى الإسلام معروفان فى الكلام [(٢)] كل منا ينطق بلسان صاحبه يفرح لفرحه ويتألم لتألمه [(٣)] " فقال لهما انتسبا فقال أحدهما:

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره	وإن نزلت يوماً فسوف تعود
ترى الناس أفواجاً إلى باب داره [(٤)]	فمنهم قيام حولها وقعود

[٤٣ أ] فقال الحجاج لله در أبيك مطعام الطعام، وقال للأخر وأنت فقال:

أنا ابن الذى يعلوا الرجال بسيفه	ويضرب أعناق الرجال القشاعم
وما ذاك من دخل ولا هو تائر [(٥)]	ولكنه حاوى الغنى والمكارم

فقال الحجاج لله در أبيك ثم مضى ولم يتعرض لهما فلما كان الغد دخل إليه أيوب بـــن القرية فذكر له ذلك فضحك وقال " والله إن أحدهما ابن باقلانى، والآخر ابن حجام " فغضب الحجاج وطلبهما فاعترفا بذلك فأطلقهما.

توفى الحجاج فى رمضان عام خمس وتسعين بواسط العراق، وخفى قبره وأجرى عليه الماء وعمره أربع وخمسون سنة، وبلغ الوليد بن عبد الملك من العمر أربعًا وأربعين سنة وتوفى يـــوم

---

(١) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل بن مسعود الثقفى، أحد مشاهير ولاة بنىأمية، وكانت له الأيادى البيضاء فى القضاء على خصومهم، كان سفاكاً للدماء ظلوماً، ولى مكة والمدينة ثم العراقين وظل بها إلى حين وفاته عام ٩٥ هـــ. ابن خلكان: وفيات، ج٢، ص٢٩، ت رقم ١٤٩.

(٢) الأنام: الجوهر، ص ٦٨.

(٣) لألمه: الجوهر، نفسه.

(٤) ضوء ناره: الجوهر، نفسه.

(٥) التائر المداوم على العمل بعد فتور، والتير الحاجز بين حائطين، لسان العرب، ج٤ ص٩٦ ـــ٩٧.

السبت نصف ربيع الأول سنة ست وتسعين ودفن خارج باب الفراديس [١]، وخلف أربعة عشر ولداً ذكوراً، وتولى الخلافة بعده أخوه:

سليمان بن عبد الملك:

أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان يوم السبت نصف شهر ربيع الأول عام ست وتسعين وكان الناس يتبركون به ويسمونه مفتاح الخير وذلك أنه أذهب الله عنهم الحجاج ببركته فأطلق الأسرى، وأخلى الحبوس وأحسن إليهم وأمرهم بغزو القسطنطينية، وكان عادلاً ديناً متوقفاً عن الدماء، وكان أكولاً يأكل فى اليوم مائة رطل، وكان به عرج.

توفى بدابق لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين وعمره ثلاث وأربعون سنة، وخلافته سنتين وعشرة أشهر ونصف، وعند موته أوصى بالخلافة لابن عمه:

عمر بن عبد العزيز:

الإمام العادل أبي حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، فتولى يوم الجمعة لعشر خلون من صفر، فقدمت له فرس الخلافة فلم يركبها وركب فرسه، وشرع فى بسط العدل الذى ما سمع بمثله، قال الشافعي رضى الله عنه " الخلفاء الراشدون خمس، أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وعمر بن عبد العزيز.

وكان أسمر حسن الوجه نحيف الجسم حسن اللحية غائر العينين وخطه الشيب، وإليه المنتهى فى الفضل والعلم والعمل والشرف ونشر العدل، جدد الله به للأمة دينها، [٤٣ ب] ومنع من لعن الإمام على بن أبي طالب آخر الخطبة، وجعل مكانه " إن الله يأمر بالعدل والإحسان "، وكان إذا جلس ليلاً يقضى حوائج الناس أمر بإحضار شمعة من بيت المال، فإذا فرغ [من] [٢] حاجتهم أطفاها. وأخرج مرة بين يديه مسكا فأمسك على أنفه مخافة أن يجد رائحته [٣]، وكان يجمع العلماء والزهاد كل ليلة فيتذاكرون الموت حتى كأن بين أيديهم جنازة، وحج خمس حجج.

---

(١) باب الفراديس أحد أبواب دمشق، والفراديس اسم يطلقه أهل الشام على البساتين والحدائق. ياقوت: معجم، ج٤، ص٢٤٢.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من الجوهر، ص ٧٤.

(٣) ريحة: الجوهر، نفسه.

وتوفى بدير سمعان [١] فى سنة إحدى ومائة أول القرن الثانى فكان مدة أيامه سنتين وستة أشهر وخمسة أيام رضى الله عنه، وتولى بعده الخلافة:

يزيد بن عبد الملك بن مروان:

أبو ليلى يزيد بن عبد الملك بن مروان، ابن عم عمر بن عبد العزيز فى شعبان سنة إحدى وثلاثين [٢].

وكان أبيض اللون طويلاً جسيماً مدور الوجه متسرعا إلى الدنيا[٣] والأموال، يحب اللعب والسماع والشراب، ولما ولى الخلافة قال سيروا بى سيرة عمر بن عبد العزيز، فأتوه بأربعين شيخاً من جهال الشاميين فشهدوا عنده أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب، فأسرف على نفسه إلى أن توفى ببلاد البقاع لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة، وكانت أيامه أربع سنين وشهورا[٤]، وتولى الخلافة بعده أخوه:

هشام بن عبد الملك:

أبو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان، وكانت داره عند الخواصين بدمشق ثم جعلت تربة نور الدين الشهيد [٥]. وكان أبيض سمينا غير أنه كان أحول، وكان ذا رأى ودهاء وحزم، وفيه حلم وقلة شر، حج مرة فحمل قماش بدنه على سبعمائة جمل.

توفى يوم الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة بدمشق وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، وكانت خلافته عشرون سنة إلا شهراً، وتولى بعده الخلافة:

---

(١) هو دير فى نواحى دمشق. ياقوت: معجم، ج٢، ص٥١٧.

(٢) الصواب: ومائة.

(٣) الصواب: الدماء: الجوهر، ص ٧٥.

(٤) شهراً: الجوهر، نفسه.

(٥) هو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكى، ملك دمشق عام ٥٤٩ هـ ثم استولى على بقية بلاد الشام، وكان ملكاً عادلاً زاهداً مجاهداً، كانت وفاته عام ٥٦٩ هـ. ابن خلكان: وفيات، ج٥، ص١٨٤، ت رقم ٧١٥.

الوليد بن يزيد بن عبد الملك:

الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان فى يوم وفاة هشام، وكان من أحسن الناس شكلاً وأجملهم وأقرأهم [١]، لكن كان فاسقاً متهتكاً جباراً عنيداً، أحضر المغنيين من جميع الآفاق وتجرأ فابتلاه [٤٤ أ] الله بثلاثة وثلاثين بلية أقلها[٢] أنه كان يبول من سرته فقام الناس[٣] عليه لفسقه وتظاهره بالمعاصى، فخرج إليه ابن عمه يزيد بن الوليد فأخذ منه دمشق، وكان الوليد بتدمر يتصيد، فجهز إليه يزيد عسكر فحاربوه، ثم أمسكوه وذبحوه فى جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة، وكانت خلافته سنة وشهرين، وخلف ثلاثة عشر ولداً ذكوراً، ولما قتل تولى الخلافة بعده:

يزيد بن الوليد بن عبد الملك:

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان المعروف بـ " يزيد الناقص " لأنه لما تولى نقص من أرزاق الجند [٤] فما قامت مدته غير ستة أشهر إلا أياما، وكذا كل من كان سبباً فى قطع رزق لا تطول له مدة.

توفى بدمشق لعشر بقين من ذى الحجة عام ست وعشرين وهو ابن خمس وثلاثين سنة، ثم ولى الخلافة بعده:

إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك:

إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، بويع بعد أخيه يزيد فى يوم وفاته، وكان مروان بن محمد بن مروان نائب أرمينية وأذربيجان، فلما بلغه قتل الوليد سار من مكانه طالباً بدم الوليد، فمات يزيد قبل وصوله، فلما بلغ مروان موته سار فى جيشه وأخرج له إبراهيم

---

(١) الصواب: أقواهم، الجوهر، ص ٧٨.

(٢) أيسرها: الجوهر، ص ٧٩.

(٣) المسلمون: الجوهر، ص ٨٠.

(٤) اختلف فى تلقيبه بهذا الاسم، فقيل له الناقص لفرط كماله، وقيل لنقصه الناس الزيادة التى أعطاهم إياها الوليد بن يزيد، وقيل لنقصه أُعطيات أهل الحجاز، وقيل لنقصان كان فى أصابع قدميه وقيل بسبب سب مروان بن محمد له فقال " الناقص ابن الوليد. انظر:الطبرى: تاريخ الرسل، ج٧، ص٢٩٩ ؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص١٧؛ المسعودى: مروج الذهب، ج٢، ص١٩٠.

عسكراً، فالتقى الجمعان فغلب مروان وزحف إلى مرج عذراء، فخرج له إبراهيم فخذله جنده وخامروا عليه فهرب واختفى، ودخل مروان دمشق، وكانت خلافة إبراهيم شهرين وأياماً، ثم تولى الخلافة بعده:

مروان بن محمد بن مروان:

مروان بن محمد بن مروان، نزل له إبراهيم عن الخلافة بعد دخوله إلى دمشق، وبايعه [الناس] [١] فى سادس صفر ولقبوه بـ " مروان الحمار " وهو آخر خلفاء بنى أمية.

وفى أيامه ظهر أبو مسلم الخراسانى صاحب دعوة بنى العباس، وكان أول ظهوره بمرو فاستولى عليها ثم على خراسان ثم ملك العراق ثم فتح نهاوند، وأقبل سعد بنى العباس وولى عن بنى أمية [٢]، فسار عبد الله [بن على] [٣] عم السفاح فالتقى هو ومروان بأرض الموصل فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة فأنكسر مروان وزالت أيامه وأخذت دمشق على يد [٤٤ ب] عبد الله [بن على] [٤] بعد حصار وحروب، وقتل جماعة عدة ألوف من الأمويين، ثم أنهزم مروان إلى مصر فلحقته الجيوش [بأبو صير البندر] [٥] من الجيزية، وقتلوه بها فى شهر ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فكانت خلافته خمس سنين وشهرا، وكان عمره ستة وخمسين سنة.

وكان أبيض اللون أشهل [٦] العين شديدها [٧]، ضخم الهامة والمنكبين، كبير اللحية، ولما قتل قطعت رأسه فجاءت هرة فأكلت لسانه انتزاعاً.

وعدة خلفاء بنى أمية أربعة عشر خليفة أولهم معاوية بن أبى سفيان، وآخرهم مروان بن محمد بن مروان، ومدة أيام خلافتهم منذ تسلم معاوية الخلافة من الحسن إلى أن زالت بظهور

---

(١) ناقص فى الأصل والإضافة لتناسق المعنى.

(٢) وأقبلت سعادة بنى العباس وولت الدنيا عن بنى أمية: الجوهر، ص ٨٤.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من الجوهر، نفس الصفحة.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من الجوهر، نفس الصفحة.

(٥) بأبو صير السدر: الجوهر، ص ٨٥.

(٦) عين شهلاء، هى العين التى يخالط سوادها زرقة. ابن منظور: لسان، ج١١، ص٣٧٣.

(٧) شديداً: الجوهر، نفسه، والصواب ما ذكره صاحب الثغر.

بنى العباس إحدى وتسعون سنة يخرج منها أيام عبد الله بن الزبير إلى أن قتل سبع سنين وثمانية أشهر فتكون أيام بنى أمية خالصة ثلاثة وثمانون سنة وأربعة أشهر مجموعها ألف شهر سواء.

الباب الثالث

فى ذكر الخلفاء من بنى العباس من السفاح وإلى زماننا

أول خلفاء بنى العباس هو:

عبد الله بن محمد:

أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمى، لقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دماء المبطلين بالصفاح [1]، وولغت فى دمائهم ثعالب الرماح، وطهر الله ببنى هاشم ضواحى البسيطة وسبلها، وأقر [الله] [2] الخلافة فى بنى العباس وكانوا أحق بها وأهلها.

بويع بالكوفة [3] يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فصعد المنبر وخطب قائماً وكان بنو أمية يخطبون جلوساً [4]، فنادى الناس: يا ابن عم رسول الله أحييت سنة رسول الله فأفصح، وقال فى آخر خطبته " واعلموا أن الخلافة فينا ليست بخارجة عنا حتى نسلمها إلى عيسى ابن مريم ".

وكان جميل الصورة حسن اللحية أبيض اللون سديد الرأى كريم الأخلاق، أعطى عبد الله بن الحسن فى يوم واحد ألفى ألف درهم، وهو أول من أتخذ الكتاب وزراء وأهمل تلقيبهم بالكتاب على ما تقدم. توفى بالجدرى فى يوم الأحد [٤٥ أ] لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة عام ست وثلاثين ومائة، وعمره اثنتان وثلاثون سنة ونصف، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ودفن بالأنبار [5] العتيقة، ثم بويع بالخلافة بعهد من السفاح لأخيه:

---

(١) الصفاح، من صفحة السيف، يقال صفح السيف، وصفحتا السيف. انظر: لسان العرب، ج٢ ص٥١٣.

(٢) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفس الصفحة.

(٣) الأنبار: الجوهر، نفسه. والصواب ما ذكره صاحب الثغر. انظر: الطبرى: تاريخ الأمم، ج٧، ص٤٢٩؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٢٥٦.

(٤) قعوداً: الجوهر، نفسه.

(٥) وهى غير الأنبار من مدن فارس قرب بلخ. ياقوت: معجم، ج١، ٢٥٧؛ التى تقع اليوم كقرية قرب بغداد على بعد ٦٥ ك م. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٦٨٩؛ لى سترانج: بلدان، ص٩١.

أبو جعفر عبد الله المنصور:

أبو جعفر عبد الله المنصور لأنه كان مسافراً بالحجاز يوم وفاة السفاح، وهو أول خليفة لقب نفسه، وهو جد [١] الخلفاء إلى زماننا [٢] وهو الذى عمر بغداد بالجانب الغربى، وكان جبروتاً [٣]، مهابا [٤] ذا جبروت وسطوة، وعلم وفقه وخبرة بالأمور، وقد عركته التجارب وهذبته الدهور، وكان يجود بالمال حتى يقال أكرم الناس ويبخل حتى يقال أبخل الناس، ويسوس سياسة الملوك ويثب وثبة الأسد العادى على [٥] فريسته، وكان حافظاً لكتاب الله كثير التلاوة متتبعاً لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيهاً محدثاً كاتباً بليغاً، جمع من الأموال ما لا يحصى كثره، يقال أنه وجد له من العين خاصة تسع مائة ألف ألف دينار، وستون ألف ألف درهم، وكان يقول من قل ماله قلت [٦] رجاله، ومن قلت [٧] رجاله قوى عليه عدوه، ومن قوى عليه عدوه اتضع ملكه، ومن اتضع ملكه استبيح حماه.

وفى أيامه شكا الناس ضيق المسجد الحرام، فاشترى المنازل حوله حتى زاد فيه ضعفه، وعمر مسجد الخيف بمنى [٨].

حج عام ثمان وخمسين ومائة، فلما وصل إلى بئر ميمونة بظاهر مكة أدركته المنية وهو محرم لثلاث خلت من ذى الحجة وبلغ عمره ثلاثا وستين سنة، وعند موته عهد بالخلافة لولده:

محمد المهدى:

أبو عبد الله محمد المهدى يوم التروية بمكة المشرفة بين الركن والمقام على يد الربيع وزير أبيه، وكان المهدى ببغداد فأتاه الخبر بعد اثنى عشر يوماً فبايعه الناس.

---

(١) أبو: الجوهر، ص ٩١.

(٢) اليوم: الجوهر، نفسه.

(٣) صارماً: الجوهر، ص ٩٢.

(٤) مهيباً: الجوهر، نفسه.

(٥) إلى: الجوهر، ص ٩٣.

(٦) قل: الجوهر، ص ٩٤.

(٧) قل: الجوهر، نفسه.

(٨) انظر: اليعقوبى: تاريخ، ج٢، ص٣٦٩.

وكان أكرم أهل زمانه، إذا أعطى ألف دينار يستقلها [١]، جواداً ممدحاً متحبباً إلى رعيته حسن الخلق والخلق أجاز شاعراً بخمسين ألف دينار، وأزال المظالم وأحيا المعالم ونصر المظلوم وقمع الظالم، وأكرم أهل العلم والدين [٤٥ ب]، وهو أول من مشى[٢] بين يديه بالسيوف[٣] المجردة [٤] والقسى المعقوف [٥] فيها الأسهم والعمد، وأول من لعب بالأكرة والصولجان فى الإسلام [٦].

وقتل الزنادقة، وحج عام ستين ومائة فجرد الكعبة وكساها الخز والديباج، وطلى جداره[٧] بالمسك والعنبر من أسفلها إلى أعلاها، وزاد فى المسجد الحرام، وأحضر المهندسين والصناع من كل جهة [٨]، وصير الكعبة فى وسط الحرم على ما هى عليه الآن، وحمل إلى المسجد الحرام من مصر أربعمائة وثمانية [٩] أعمدة من الرخام، وعمل للمسجد ثلاثة وعشرين باباً، وجعل سلاسل قناديله ذهباً، ووسع مسجد المدينة الشريفة، وحمل إليه عمد الخام ورفع سقفه وألبس خارج القبر [الشريف] [١٠] الرخام.

رأى رجلاً فى المنام يخبره بهدم قصره فمات بعد ذلك بعشر ليال، وسبب موته أنه ساق خلف صيد خربة فدخل خلفه فدق ظهره باب الخربة مع قوة سوق الفرس فمات لوقته [١١] يوم الخميس لثمان ليال بقين من المحرم عام تسع وستين ومائة وعمره ثلاثة وأربعون سنة، ومدة خلافته عشر سنين وشهراً ونصفا، ثم تولى الخلافة بعده ولده:

---

(١) استقلها: الجوهر، ص ٩٥.

(٢) مشوا: الجوهر، نفسه.

(٣) انظر عن دخول الهادى البصرة والجنود تمشى أمامه بالسيوف: الطبرى: تاريخ الأمم، ج٨، ص١٨٦.

(٤) المسللة: الجوهر، نفسه.

(٥) فى الأصل غير واضحة.

(٦) ذكر المقريزى أن هارون الرشيد هو أول من ابتدع هذه الأشياء، السابق، ص ٣٥.

(٧) الصواب: جدرانها، الجوهر، ص ٩٦.

(٨) بلد: الجوهر، ص ٩٦.

(٩) ثمانين: الجوهر، نفسه.

(١٠) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ٩٦.

(١١) زاد فى الجوهر [وقيل بل سمته جاريته فمات، وقيل إن الطعام كان قد سمته لضرتها فدخل المهدى فمد يده وأكل فما جسرت أن تقول له هو مسموم]، ص ٩٧.

موسى الهادى:

أبو محمد موسى الهادى، وكان مقيماً بجرجان، فلما مات أبوه بعثوا إليه فقــدم بغــداد، وبايعوه فى شهر رجب [(١)] منها وهو ابن أربع وعشرين سنة، وكان طويلاً جسيماً عظيماً ذا ظلم وجور وجبروت.

وكانت خلافته سنة وشهرين ثم أصابته قرحة فمات منها [(٢)] ليلة السادس عشر من ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وفى هذه الليلة مات خليفة هو الهادى، وولى خليفة، وهــو الرشــيد، ووُلد خليفة وهو المأمون، وتولى الخلافة بعده:

هارون الرشيد:

أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد، بويع بالخلافة فى صبيحة ليلة وفاة أخيه، وكان مولده لثلاث بقين من ذى الحجة عام تسع وأربعين ومائة فى خلافة المنصور، وفى أيامه كملت الخلافة بكماله وعدله وتواضعه ودينه وزيارته الصالحين فى ديارهم كالإمام مالك بن أنس، وعبد الرزاق بن همام [(٣)]، وسفيان بن عيينة [(٤)]، والفضيل بن عياض [(٥)] وغيرهم.

وكان يغزو سنة ويحج سنة، فيركب على جمل [٤٦ أ] ويعادله أبو يوســف صــاحب الإمام أبو حنيفة، وكان عالماً بحاثاً شجاعاً مهاباً كريماً جواداً فصيحاً عظيم الهمة متضلعاً بالأدب يجيد الشعر، ومن شعره:

ملك الثلاث الآنسات عــنانى وحللن من قلبى بكل مكــان

---

(١) صفر: الجوهر، ص ٩٨.

(٢) اختلف فى سبب موته، هل كان بسبب هذه القرحة أم أن أمه الخيزران قتلته بسبب نقمته عليها من ورود الناس عليها وتحكمها فى أمور الخلافة، ورداً على محاولته دس السم لها. انظر: الطبرى: تاريخ الأمم، ج٨، ص٢٠٥ ــ ٢٠٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٩٩ ــ ١٠٠.

(٣) عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعانى مولى حمير، أحد المحدثين المشهورين، ولد عام ١٢٦ وتوفى عام ٢١١ هــ. ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص٢١٦، ت رقم ٣٩٨.

(٤) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبى عمران ميمون الهلالى، أحد الفقهاء التابعين المشهود لهم بالعلم، ولد بالكوفة عام ١٠٧، وتوفى بمكة عام ١٩٨ هــ. السابق، ج٢، ص٣٩١، ت رقم ٢٦٧.

(٥) هو أبو على الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى، أحد الزهاد المشهورين. السابق، ج٤، ص٤٧، ت ٥٣١.

مالى تطاوعنى البرية كلـــــها وأطيعهن وهن فى عصـــــيان

ما ذاك إلا أن سلطان الهــــوى وبه قوين أعز من سلطـــــان

أشحنت الكتب تواريخه وأخباره وملأت المسامع فضله وآثاره، قتل البرامكة ونكبتـــهم مشهورة، واستوزر الفضل [بن] [١] الربيع، وكان نذر إن أظفره الله من البرامكة يحج إلى بيت الله راجلاً حافياً، فلما ظفر بهم خرج حاجاً ضرب [٢] له الخيام فيسير تحت ظلها فيرد [٣] مـــن خيمة إلى أخرى [حتى] قضى الحج.

وكان أبيض اللون عبل الجسم، طوالاً ممدوحاً [٤]، مجاهداً، غازياً مهاباً، كـــثير الصـــلاة يصلى فى كل يوم وليلة مائة ركعة، ويتصدق من خالص ماله [فى كل يوم] [٥] بألف درهـــم. ووقع له الأمور الغريبة فى الترتيب والإنشاء والكتابة والأجوبة مما لم يسعنا هنا إيراده.

توفى بأرض طوس [٦]من بلاد خراسان ليلة السبت نصف جمادى الآخرة [٧] سنة ثلاث وتسعين ومائة وهو ابن أربع وأربعين سنة وشهور، ودفن بطوس، وكانت خلافته ثلاثة وعشرين سنة، وعند موته بويع ولده:

محمد الأمين:

أبو عبد الله محمد الأمين، جاءه خاتم الخلافة والبردة والقضيب من طـــوس، وهـــو أول خليفة أبواه هاشميان من بنى العباس، فلما بويع استناب أخاه المأمون على بلاد [٨] خراسان، ثم وقع بينه وبين أخيه [المأمون] [٩] إلى أن أفضى الحال إلى الحرب، فأرسل المأمون من خراسان

---

(١) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١٠١.

(٢) الصواب: تضرب، الجوهر، ص ١٠٢.

(٣) فيخرج: الجوهر، نفسه.

(٤) الصواب: ممدحاً، الجوهر، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١٠٣.

(٦) هى إحدى مدن إقليم خراسان، وتقع اليوم بإيران، وقد أصبحت قرية صغيرة. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٤٨؛ لى سترانج: بلدان، ص٤٣٠.

(٧) الأولى: الجوهر، ص ١٠٢.

(٨) ممالك: الجوهر، ص ١٠٤.

(٩) ما بين الحاصرتين من، الجوهر، نفسه.

طاهر بن الحسين بجيش إلى بغداد فظفر بالأمين وقتله لثمان بقين من المحرم عام ثمان وتسعين ومائة ببغداد، وشال رأسه على رمح.

وكان مبذراً للمال لعاباً لا يصلح لإمرة المؤمنين، عاش سبعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر، وكانت خلافته أربع سنين وسبعة أشهر وعشرة أيام، ولم يكن من نسله خليفة، ولما مات بويع بالخلافة لأخيه:

عبد الله المأمون بن هارون الرشيد:

أبي العباس عبد الله المأمون بن هارون الرشيد البيعة العامة بمرو [٤٦ ب] من بلاد خراسان لخمس بقين من المحرم منها قريباً من القرن الثالث.

وكان عالماً محدثا لغوياً، أديباً، فاضلاً، ديناً، يجلس مع العلماء من أول النهار إلى آخره فيشاركهم ويدق البحث بينه وبينهم، ويمدهم بالأموال والكتب، ويتفقدهم إذا [١] غابوا ويزورهم فى أماكنهم تعظيماً لهم.

وكان أجمل أهل زمانه، وهو الذى أنزل لبس السواد ولبس الخضرة، وكان كثير الرغبة فى حسن الثناء، وكان يخرج فى الليل يتفقد أحوال عسكره وينظر من يحبه ومن يبغضه، وكان يحب معرفة أحوال الناس أتخذ ألفا وسبعمائة عجوز يدورون فى المدينة يعرفون له أحوال الناس ظاهراً وباطناً [وكان] [٢] لا ينام حتى يأتوه كلهن [٣] ويخبرونه [٤] بأحوال الناس فى ذلك اليوم. وكان جزيل العطايا، أنعم فى يوم واحد بثلاثمائة ألف دينار، وكان يقول لو يعلم الناس ما عندى من حلاوة العفو لما تقربوا إلى إلا بالذنوب، وكان أمره نافذاً من إفريقية الغرب إلى أقصى خراسان [إلى] [٥] وراء النهر وولاته بالسند، وقدم المأمون من بغداد إلى مصر فى سنة سبع عشرة ومائتين وتوجه إلى بلاد الصعيد وقتل العربان العاصين وسبى ذراريهم [لأنهم قد كانوا نافقوا] [٦] ثم رجع، وغزا بلاد الروم فى عام ثمانية عشر ومائتين فمات بقرية من قرى طوس

---

(١) إن: الجوهر، ص ١٠٦.

(٢) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفسه.

(٣) سائر العجائز: الجوهر، نفسه.

(٤) ويخبروه: الجوهر، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١١٠.

يقال لها البذندون [1] فى نصف رجب منها ودفن بطرسوس وقبره الآن يزار، ومـــدة خلافتـــه عشرون سنة ونصف، وقيل وقف رجل بين يديه وقد جنى جناية فقال والله لأقتلنك قال له يـــا أمير المؤمنين لئن تلقى الله حانثاً خير من أن تلقاه قاتلاً فخلى سبيله. ولما مـــات تـــولى بعـــده الخلافة:

محمد المعتصم بن هارون الرشيد:

أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد، بويع بالخلافة بعد أخيه المأمون وكـــان ولى عهده وكان معه ببلاد [2] الروم فبايعته الجيوش وعاد إلى العراق فى رمضان [٤٧ أ] وتمكـــن من الأمر [3] وسمى المثمن لأن دولته كانت ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وهو ثامن الخلفاء من بنى العباس، وفتح ثمان فتوحات منها البذ [4] مدينة بابل [5] وعمورية الكبرى وهى أكـــبر

(١) وهى عين ماء تسمى عين رقة، انظر لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦٦.

(٢) ببلد: الجوهر، ص ١١١.

(٣) الملك: الجوهر، نفسه.

(٤) البذر مدينة بابك: هكذا كتبها محقق الجوهر، ولكن فى نسختين من مخطوط الجوهر كما فى الثغر، انظر الجوهر، ص ١١٢ هـــ ٧.والصواب هى مدينة " البذ " الواقعة بأذربيجان كما ذكرها ياقوت: معجم، ج٤، ص٤٧٥؛ الطبرى: تاريخ الرسل، ج٩، ص٣١.

(٥) الصواب: بابك. أى المدينة التى قامت منها دعوة بابك الخرمى. وبابك الخرمى قاد جماعة دينية تدعو لهدم الإسلام، فقد قامت دعوته على الإيمان بتناسخ الأرواح ومقالات المجوس، وقد استمرت هذه الفتنة من عام ٢٠١ إلى ٢٢٣ هـــ. انظر: الطبرى: تاريخ الأمم، ج٨، ص٥٥٦ وما بعدها؛ ابن الجوزى: المنتظم، ج١٠، ص١٠٠.

مدن الروم بعد القسطنطينية، ومدينة الزط [١] وقلعة الأحراف [٢] وديار مضر وديـار ربيعـة وأذربيجان وأرمينية، ووقف ببابه ثمان ملوك، وخلف ثمان بنين وثمان بنات، وخلف من الذهب ثمانية آلاف ألف دينار، ومن الدراهم ثمانية [عشر ألف] [٣] ألف درهم وثمانين ألف فـرس وثمانين ألف جمل، وثمانين ألف بغل، وثمانية عشر ألف مملوك، وثمانية آلاف جارية، وثمانية آلاف عبد.

وكان كريماً كرماً خارجاً عن الحد، يقال أنه أعطى حبيب بـن أوس الشـاعر مدينـة الموصل[٤]، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، مهاباً شجاعاً قوى البدن مربوعاً فيه ظلم وجبروتيـة وعسف، ومات وهو ابن ثمان وأربعين سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام، وابيضت لحيتـه، مـات لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين، ثم بويع بالخلافة لولده:

هارون الواثق:

أبي جعفر هارون الواثق فى يوم وفاة أبيه، وكان جميل الصورة أبيض اللون شجاعاً صارماً مهاباً فيه جبروتية، أسرف فى التمتع بالنساء بحيث أنه أكل لذلك لحم الأسد فولد له أمراضـاً تلف منها.

---

(١) الزط كورة بخوزستان ببلاد فارس، الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٤٠٠؛ وهى مكتوبة فى جميع نسخ مخطوط الجوهر كما فى الثغر، ولكن محقق الجوهر ذكر أن لفظ مدينة نوع من التحريف لأن المعروف أن المعتصم وجه جيوشه لضرب جماعة الزط النازلين عندئذ بالبطائح بين البصرة وواسط. الجوهر، ص ١١٣ هـ ١. وقد عرفهم الخوارزمى بأنهم جماعة من حفاظ الطرق وهم جنس من السند يقال لهم جتان. مفاتيح العلوم، ص١٤٣.

(٢) كذا فى نسخ الجوهر وعلق المحقق بقوله [كذا فى نسخ المخطوطة، وفى كتاب العبر فى خبر من غبر للذهبى ورد الاسم قلعة الأحزات، وفى عقد الجمان للعينى حوادث سنة ٢٢٧ هـ قلعة الأحراق]. انظر الجوهر، ص ١١٣ هـ٢.

(٣) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفسه.

(٤) هو الشاعر المشهور أبو تمام حبيب بن أوس، وقد ذكر ابن خلكان أن هذه الرواية لا أساس لها. وفيات، ج٢، ص١١، ت رقم ١٤٧.

توفى فى يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذى الحجة عام اثنتين وثلاثين ومائتين وعمره ست وثلاثون سنة، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام، ولما مات تولى الخلافة بعده أخوه:

جعفر المتوكل:

أبو الفضل جعفر المتوكل بن المعتصم فى اليوم التالى من وفاة أخيه، وهو الذى أمر اليهود والنصارى بلبس العسلى[١] وشد الزنار[٢]، ونساؤهم الأزر العسلية ليعرفن وأن يعلقن فى رقابهن[٣] جلاجل إذا دخلن الحمام [٤]، وأن يصور على أبوابهم صور شياطين من خشب مسمور[٥]، وأبطلهم من دواوين السلطان وغيرها التى تجرى فيها أحكامهم فيها على المسلمين، وأن لا يعلموا [٤٧ ب] أولادهم فى مكاتب [أولاد] [٦] المسلمين، وكتب إلى الآفاق بذلك[٧]، ورفع المحنة بخلق القرآن وأظهر السنة، وأيامه عُمِّر المقياس بمصر الذى يقاس فيه الآن وكان النصارى يلونه [٨] فأبطلهم وولى أبا الرداد عبد الله بن عبد السلام المؤذن البصرى [٩]، وهم فيه إلى الآن.

(١) عسلى اليهود: علامتهم، ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص٤٤٧.

(٢) زنار وجمعه زنانير، وهو حزام أو وشاح يشده الذمى على وسطه، انظر: السابق، ج٤، ص٣٣٠.

(٣) أرقابهن: الجوهر، نفسه.

(٤) الحمامات: الجوهر، نفسه.

(٥) مسحورة: الجوهر، ص ١١٧. والصواب ما كتبه صاحب الثغر.

(٦) عن أمر المتوكل مع أهل الذمة والكتاب الذى بعثه لجميع أمصار الخلافة. انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، ج٩، ص ١٧١ _ ١٧٥.

(٧) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفس الصفحة.

(٨) يتولونه: الجوهر، ص ١١٨.

(٩) هو أبو الرداد عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله الرداد المؤذن البصرى صاحب المقياس بمصر، وكان يؤذن بالمسجد العتيق، تولى المقياس الجديد بجزيرة الروضة فى سنة ٢٤٧ هـ/٨٦١م، توفى ٢٧٩ هـ أو ٢٦٦ هـ. انظر: ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص١١٢_١١٥، ت رقم ٣٥٥.

وكان يحب الشراب فاتفق ولده المنتصر مع مماليكه الترك فدخلوا عليه فى مجلس أنسه وعنده الوزير الفتح بن خاقان [١] فابتدره باغر التركى [٢] بضربه على كتفه وأذنه فقدهما فقام الوزير فى وجوههم ورمى نفسه على الخليفة فضربه [٣] الترك بسيوفهم حتى [قتلوهما معاً] [٤] واختلطت لحومهما معاً [٥]. وموجب ذلك انه جعل ولده المنتصر ولى عهده من بعده ثم عزله وعهد لولده المعتز، فاتفق مع الأتراك وقتلوه فى ليلة الأربعاء رابع عشر شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وعمره أربعون سنة، وكانت خلافته أربعة عشر وتسعة أشهر وثمانية أيام، وكان فيه كرم زائد غير أنه كان منهمكاً على اللهو والشراب سامحه الله.

ومن العجيب أنه قدم إلى المتوكل سيفاً [قاطعا] [٦] لا يكون مثله [فى السيوف أبداً] [٧] فسأله فيه أعيان عسكرة [٨] فأبى أن يعطيه لأحد منهم وقال هذا ما يصلح إلا إلى ساعد باغر فوهبه له دونهم فقتل باغر المتوكل بذلك السيف وتولى الخلافة ولده:

محمد المنتصر بن المتوكل:

أبو جعفر المنتصر صبيحة قتل والده، وصار يسىء إلى عيال أبيه، وكان بخيلاً رديئا، رأى أباه فى المنام وهو يقول له: ويلك يا محمد قتلتنى وظلمتنى، والله لا تمتعت بالخلافة إلا أياماً يسيرة ثم مصيرك إلى النار [٩] فانتبه مرعوباً فبكى وندم حيث لا ينفعه الندم فكان يكون جالساً فإذا

---

(١) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل، كان من المشتغلين بالأدب، قتل مع المتوكل ودفن معه. انظر هـ٩، نفس الصفحة.

(٢) أحد القادة الترك الذين خططوا وقاموا بقتل المتوكل، كانت له الحظوة عند ولده المنتصر، قتل عام ٢٥١ هـ. الطبرى: السابق، ج٩، ص٢٧٨؛ ابن الجوزى: السابق، ج١٢، ص٤٢.

(٣) فى نسخ الجوهر المخطوط كما فى الثغر، وقام محقق الجوهر بتعديلها إلى [فضربه]، الجوهر، ص ١١٨ هـ٤.

(٤) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفسه.

(٥) عن قتل المتوكل، انظر: الطبرى: السابق، ج ٩ ص ٢٢٢ _ ٢٣٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٧ص ٩٨.

(٦) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١١٩.

(٧) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١٢٠.

(٨) فطلبه منه سائر أهل مملكته: الجوهر، نفسه.

(٩) عن هذه الرؤيا انظر: الطبرى: السابق، ج٩، ص ٢٥٢؛ ابن الأثير: السابق، ج٧، ص١١٥.

تذكر ذلك ترعدت فرائصه خيفة، ولم يزل منكساً [١] إلى أن مات بعلة الخوانيق، وقيل مرض غير ذلك.

وكانت خلافته ستة أشهر وأياماً وعمره ست وعشرون سنة، قيل أن أمراء الترك خافوه فلما حم دسوا إلى الطبيب ثلاثين ألفاً فسمه فى أنجاصه، فلما أحس بالموت قال لأمه: ذهبت منى الدنيا والآخرة، وكان أعرق الخلفاء العباسيين.

[٤٨ أ] قلت وعلى مثل ذلك ما حكاه النويري فى تاريخه أن أعرق الأكاسرة فى الملك شيرويه بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، ومن العجيب أن شيرويه اتفق مع جماعة من عسكر أبيه وقتله وأخذ الملك بعده فلم يعش إلا ستة أشهر ومات [٢]. ولما مات محمد المنتصر بايعوا بالخلافة بعده:

أحمد المستعين بالله بن محمد بن المعتصم بن الرشيد:

أبا العباس أحمد المستعين بالله بن محمد بن المعتصم بن الرشيد فى يوم الاثنين لست خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين، فاضطرب أمره وخلعه الأتراك لأنه كان يولى الرجل [فى وظيفة] [٣] ثم يعزله ثم يعيده ثم يعزله ثم يعيده ثم يعزله ثم يعيده، ومن قول الحكماء " ما على الدولة شر من تقلب الولاة ولا اختلفت الآراء على دولة إلا تعجل هلاكها ولا قدمت [٤] السفلة وأخرت [٥] أعيان الناس إلا احترقت [٦] تلك الدولة ". فاجتمع الأتراك مع المعتز وحضروا إلى بغداد وقاتلوا المستعين إلى أن خلع نفسه وسلم الخلافة:

---

(١) منكسراً: الجوهر، ص ١٢١.

(٢) ابن الأثير: السابق، نفسه.

(٣) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١٢٢.

(٤) قدم: الجوهر، نفسه.

(٥) وترك: الجوهر، نفسه.

(٦) الصواب: احتقرت، الجوهر، نفسه.

المعتز محمد بن المتوكل:

لأبي عبد الله المعتز محمد بن المتوكل جعفر بن المعتصم ونفوا المستعين إلى واسط صحبة أحمد بن طولون فأحسن ابن طولون إليه وأمره أن يتتزه ويتصيد وأقام المستعين بالله بواسط تسع شهور، ثم أن المعتز أرسل لابن طولون بقتل المستعين وإرسال رأسه فأبى عن ذلك وقال: والله لا يراني الله أقتل خليفة بايعته. وكتب بذلك للمعتز، ثم أن المعتز أرسل سعيد الحاجب [١] لقتله فبينما المستعين يسير إذ رأى غبرة [خيل] [٢] فاستخبر أمرها فقيل عاقدة على سعيد الحاجب فقال: أستودعكم الله قد جاء ليقتلني. فلم تمض ساعة حتى وصل إليه فأخذه وأبعده وأدخله خيمة ثم خرج سعيد منها وأرماها على ما فيها، [وركب] [٣] وسار، ثم جاء ابن طولون فكشف [٤] الخيمة [ونظر إلى ما تحتها] [٥] فإذا جثة المستعين بغير رأس وحمل سعيد الرأس وسار فأخذ ابن طولون الجثة فغسلها وكفنها وصلى عليها [٦] ودفنها في يوم الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين.

وأما المعتز فإن أمراء الأتراك طلبوا منه عطاياهم فطلب من والدته مالاً فخست [٧] به عليه فخلعوه أولاً وأشهدوا عليه أنه نزل عن الخلافة، ثم بعد خمسة [٤٨ ب] أيام أدخلوه حماماً ومنعوه الماء حتى عاين التلف ثم أتوه بماء وملح فشربه فسقط ميتاً لوقته، وقيل عذب بالضرب حتى مات وعمره أربع وعشرون سنة، وكان خلعه لثلاث خلون من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين فمدة أيام خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر إلا ثلاثة أيام، وكان أجمل الناس وجهاً وأحسنهم شكلاً، ثم تولى الخلافة من بعده:

---

(١) هو سعيد بن صالح المعروف بسعيد الحاجب، ولي شرطة بغداد مكافأة له على قتله المستعين. انظر: الطبري: السابق، ج٩، ص٣٦٢ ــ ٣٦٤؛ ابن الجوزي: السابق، ج١٢، ص١٠٨.

(٢) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١٢٣.

(٣) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفسه.

(٤) فشال: الجوهر، ص ١٢٤.

(٥) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفسه.

(٦) عن قتل المستعين، انظر: الطبري: السابق، ج٩، ص ٣٦٢ _ ٣٦٤؛ البلوي: سيرة ابن طولون، ص ٤٠، ابن الأثير: السابق، ج٧، ص ١٧٢ _ ١٧٣.

(٧) فشحت، الجوهر، ص ١٢٥.

محمد المهتدى بن هارون الواثق:

أبو عبد الله محمد المهتدى بن هارون الواثق حين خلع المعتز، وكان ديناً شجاعاً ورعاً مهاباً عالى الهمة كأنما خلق للإمارة لكنه لم يجد ناصراً على الحق، وكان على منهاج الخلفاء الراشدين فى سرد الصوم والقنع فى بعض الليالى بخبز وخل وزيت.

وكان قد غلق [١] باب المغنى واللهو وأمر [الأمراء] [٢] بترك الظلم ورفع الحوادث، وكان هو الذى يحاسب الدواوين بنفسه لكنه عنده وزير وقاض وحاجب ظلمة فكانوا سبباً لقتله فإن ظلمهم قد زاد فخرج أمراؤه عليه بسبب ذلك ووقفوا لمحاربته. فلبس المهتدى سلاحه ولَبّس حاشيته وخرجوا معاً وأشهر المهتدى سلاحه وحمل عليهم فأخلوا إلى أن صار بينهم فأحاطوا به وأنزلوه وأسروه ثم قتلوه بخنجر لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين وعمره أربعون سنة وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً. وكان له سفط [٣] فيه جبة من صوف يصلى فيها ليلاً، فلما قتله الأتراك تصارعوا على السفط فى مظنة مال فيه مدخر، فلما رأوا ما فيه ندموا على قتله وافتتنوا، وتولى الخلافة:

أحمد المعتمد على الله بن جعفر المتوكل:

أبو العباس أحمد المعتمد على الله بن جعفر المتوكل، بويع بالخلافة حين خلع المهتدى وكانت أيامه مضربة الأحوال مختلفة التدبير كثيرة العزل والتولية لغلبة الأمراء عليه، فقام أخوه الموفق بالله طلحة بأمره أحسن قيام، وكان من الشجاعة وجودة الرأى وبلاغة اللفظ المقام

(١) سد: الجوهر، ص ١٢٦.

(٢) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفسه.

(٣) السفط: والجمع أسفاط، كالجوالق يعبأ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٧ص٣١٥.

الأعلى، وكان ينقطع إلى الله فى مهماته، ولما قاتل فى حرب صاحب الزنج [(١)] كشف رأسه [٤٩ أ] وقاتل حاسراً وجعل ينادى " أنا الغلام الهاشمى " ويكرره حتى قتل صاحب الزنج، ثم أنه مات فى أيام أخيه المعتمد، ولما مات أهمل المعتمد أمر الرعية فاختلفوا عليه فقتلوه لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وعمره خمسون سنة، وكانت خلافته اثنين وعشرين سنة وأحد عشر شهراً ونصفا، ثم بايعوا بالخلافة بعده:

أحمد المعتضد بن الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل:

أبو العباس أحمد المعتضد ابن الأمير الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل بعد عمه المعتمد لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين فأزال الظلم وأقام العدل وبذل المال وأصلح الحال وحج وغزا وجالس العلماء وأهل الفضل والدين، قال ثابت بن قرة [(٢)] " أنه تولى الخلافة وليس فى بيت المال إلا أقل من دينار واحد والخلافة مطلوبة والبلاد منهوبة والأعداء متسلطون والأكراد والعربان منافقون والأمراء فاسدون طامعون. فأحسن الأمور وأصلح التدبير وقمع الفجار وأباد الأكراد [(٣)] وبالغ فى المعاملة بالإنصاف، واجتهد فى العمارة، ورفق بالرعية، وحكم بالعدل والسوية، واستفضل فى أيام خلافته بعد الكفاية من كل مصروف تسعة عشر ألف ألف دينار ".

سمع يوماً صوتاً فى كرم فأنفذ من يعلم له الحال فقيل له سايس اغتصب حصرماً. فأحضره واستفهم عن أستاذه فقيل له فلان فأحضره وضرب عنقه. وكان وزيره عبيد الله بن

---

(١) ثورة الزنج قام بها أحد الأدعياء إلى نسل الإمام على بن أبى طالب بالبصرة يسمى على بن محمد بن عبد الرحيم، زعم أنه على بن محمد بن أحمد بن على بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، وانضم تحت لواء هذه الثورة كثير من العبيد الزنج نتيجة لظروف اجتماعية ومعيشية فاستفحل أمرها واستمرت منذ عام ٢٥٥ حتى عام ٢٧٠ هـ. انظر أخبار هذه الثورة فى مواضع متفرقة من: الطبرى: تاريخ الرسل، ج ٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٧.

(٢) هو أبو الحسن ثابت بن قرة بن هارون، كان صابئياً، ولد عام ٢٢١ هـ بحران، ثم انتقل إلى بغداد واشتغل بعلوم الأوائل وبرع فى الطب.انظر: ابن خلكان: وفيات، ج١، ص ٣١٣ ـ ٣١٥، ت رقم ١٢٩.

(٣) وقمع الشيطان وأباد الأشرار: الجوهر، ص ١٣١.

سليمان نايباً ديناً [(١)] فتوهم الخليفة إنكار وزيره على هذه الفعلة فقال للوزير: كنت فى خلافة المعتمد جالساً بمكان فرأيت هذا الرجل وقد قتل رجلاً بغير ذنب، ولم يكن له من يطالب بدمه، فنذرت لئن ولانى الله لأقتلنه، فلما وليت صرت أترقب له العثرات حتى جرى ذلك من غلامه فقتلته بقتل ذلك الرجل وأقمت السياسة لملكى. فلم ير بعدها مفسد وهابته الأمراء وغيرهم.

وكان كثير الصدقات منصور الرايات محافظا على الصلاة فى الجماعات، ويقال إنه أحد رجال [٤٩ ب] بنى العباس الخمسة، توفى ليلة الثلاثاء لست بقين من شهر ربيع الآخرة عام ثمان وثمانين ومائتين، وكانت خلافته عشر سنين وتسعة أشهر، ثم تولى الخلافة بعده:

على المكتفى بن المعتضد بالله بن الموفق:

أبو محمد على المكتفى بن المعتضد بالله بن الموفق، ولم يكن فى خلفاء بنى العباس [من اسمه] [(٢)] على غيره، أنفق فى حرب القرامطلة [(٣)] الأموال العظيمة حتى أبادهم واستأصلهم، وفى أيامه فتحت أنطاكية بعد استيلاء الروم عليها وقتل منهم زيادة عن ستة آلاف، وأسر زيادة عن سبعة آلاف، واستنقذ من المسلمين منهم زيادة عن أربعة آلاف كانوا أسارى عندهم، وظفروا جماعة بستين مركبا للفرنج [(٤)] أخذوها.

توفى ببغداد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وعمره إحدى وثلاثون سنة وستة أشهر، ثم تولى الخلافة بعده:

---

(١) هو عبيد الله بن سليمان بن وهب، وزير الخليفة المعتضد، توفى فى خلافة المكتفى عن نيف وثلاثين عاماً عام ٢٩١ هـ. ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص٣٦١ ـ ٣٦٢.

(٢) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١٣٣.

(٣) الصواب: القرامطة، والقرامطة يرجع أمرهم إلى رجل يعرف بأبى سعيد الجنابى بالبحرين، قام بأمر أحد الشيعة المدعين إلى أهل البيت يسمى يحيى بن المهدى، واستمرت هذه الحركة من سنة ٢٨٦ هـ إلى ٣٧٨ هـ/ ٨٩٩ ـ ٩٨٨ م. انظر: ابن الأثير: السابق، ج٧، ص٤٩٥ وما بعدها.

(٤) كان ذلك عام ٢٩١ هـ.

جعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله:

أبو الفضل جعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله، وقيل أن اسمه إسحاق وإنما تشبه [١] بجعفر المتوكل[٢] فى يوم وفاة المكتفى وهو ابن ثلاث عشرة سنة وشهرين، وهو أول من ولى الخلافة قبل البلوغ من بنى العباس، وتكلم جماعة من الفقهاء فيه فاحتج له جماعة بأن الله تعالى بعث يحيى بن زكريا رسولاً وهو غير بالغ، واستدلوا بقوله ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾[٣] ولا يقال فى من بلغ صبيا وفى أيامه ضعفت الخلافة، وفى ربيع الأول عام ست وتسعين قريباً من أول القرن الرابع ركب المقتدر فى موكب الخلافة وكان راكباً فى خدمته سيف الدولة بن حمدان [٤] فجرد سيفه وضرب الوزير وحمل على الأمير فاتك المعتضدى وضرب عنقه وساق لقتل المقتدر ففر ودخل دار الخلافة وأغلقت الأبواب، ثم نزل ابن حمدان وطلب عبد الله بن المعتز وأحضر الأمراء والقضاة وأعيان الناس سوى من يلوذ بالمقتدر فبايعوا عبد الله بن المعتز فى ذلك اليوم ولقبوه الغالب بالله ورسوله [٥]، واستوزر ابن الجراح [٦]، وكتبت الكتب فى الحال بخلافته وجهزت إلى الآفاق وأرسلوا إلى المقتدر [٥٠ أ] ليتحول من دار الخلافة فأجاب ولم يكن بقى معه سوى مؤنس [٧] الخادم وخاله الأمير غريب، فتحصنوا بدار الخلافة فحاصرهم ابن

---

(١) الصواب: اشتهر، الجوهر، ص ١٣٥.

(٢) الصواب: المقتدر، الجوهر، نفسه.

(٣) مريم، الآية ١٢.

(٤) الصواب: الحسين بن حمدان، الجوهر، ص ١٣٦. والحسين بن حمدان أحد قواد جيش المقتدر، قام بالعمل على قتله وبقية القواد الأتراك، وقد حبسه الخليفة المقتدر حتى قتله فى محبسه عام ٣٠٥ هـ. انظر: الطبرى: السابق، ج١٠، ص١٤٠؛ ابن الجوزى: السابق، ج٦، ص٨٠؛ ابن ظافر الأزدى: أخبار الدولة الحمدانية، ص١٣.

(٥) ساقطة من الجوهر.

(٦) هو أبو الحسن على بن عيسى بن داود بن الجراح، ولد سنة ٢٤٥ هـ، أصله من الفرس كان فاضلاً عاقلاً، تولى الوزارة لكل من المقتدر والقاهر، توفى عام ٣٣٥. ابن الجوزى: السابق، ج٦، ص٣٥١، ت رقم ٥٦٩.

(٧) مؤنس الخادم، أحد القواد الترك الأقوياء فى بلاط الخلافة العباسية، اشترك فى العديد من الأحداث الخاصة بخلع خلفاء وتثبيت آخرين. وعن هذه الأحداث انظر: ابن الجوزى: السابق، ج٦، ص٦٩، ٨٢، ٨٧، ٨٩.

حمدان فرموه بالسهام [١] وتحايوا [٢] غلمان المقتدر وفتحوا باب دار الخلافة وخرجوا على حمية علىّ بن المعتز وهو راكب ومعه وزيره وحاجبه ففزع ابن المعتز منهم وانهزم هو ومن معه، فمر بدار ابن الجصاص الجوهرى [٣] فنزل فيها واختفى وهرب وزيره ووقع النهب والقتل بالمدينة وقتلت جماعة من كبارها واستقام أمر المقتدر وأحاط بدار ابن الجصاص وأسر ابن المعتز وقتل سراً وصودر صاحب البيت وأخذ منه ستمائة ألف دينار، وكانت خلافة ابن المعتز يوماً واحدا فى سنة ست وعشرين وثلاثمائة [٤].

ثم ثار الأمراء والجند على المقتدر فخلع نفسه وأجلس أخاه محمدا يوم[٥] السبت والأحد، فوثبوا غلمان الأمراء والجند الذين من جهته وقتلوا أكابر الأمراء والجند وأعادوا المقتدر إلى رتبته وسجنوا أخاه محمدا بداره، ثم فرق على الجيوش الأموال الجزيلة، وأنعم بالعطايا الواسعة على جماعته، وكان جواداً كريماً يصرف فى كلفة الحج وإلى أهل الحرمين فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، ولما ولى الخلافة كان فى بيت المال اثنتان وسبعون ألف ألف دينار فأنفقها مع خراج الممالك. اشتملت جريدة المقتدر على أحد عشر ألف خادم خصى صقلبى وورومى وحبشى وأسود، هذا جنس واحد من داخل داره، وكانت كل نوبة من نوب الفراشين أربعة آلاف فراش، وكان عنده كثير من المساخر والمضحكين، وقالت الحكماء: " إنما يشين الدول ويهون الملك فى أعين الناس بدخول المضاحك والمساخر فيها ".

---

(١) النشاب: الجوهر، نفسه.

(٢) فى نسخ الجوهر المخطوط [تناجوا]، وصححها محققه [تناجى]، ص ١٣٧.

(٣) هو الحسين بن عبد الله بن الجصاص الجوهرى، كان ذا مال عظيم وثروة، وكان قريباً من بيت أحمد بن طولون، وسمى بالجوهرى لقيامه بشراء الجواهر لأحمد بن طولون. توفى عام ٣١٥ هـ. انظر: ابن الجوزى: المنتظم، ج٦، ص١٢٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٨٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١٥٦.

(٤) هذا التاريخ غير صحيح لأن ابن المعتز تولى الخلافة لمدة يوم واحد عام ٢٩٦ هـ وليس ٣٢٦ هـ. وعن ذلك انظر: الطبرى: تاريخ الأمم، ج١٠، ص١٤٠؛ ابن الجوزى: السابق، ج٦، ص٨٠؛ ابن الأثير: السابق، ج٨، ص٤٤١ ـــ ٤٤٣.

(٥) الصواب: يومى، الجوهر، نفسه.

وفى عام عشرين وثلاثمائة هاج الجند ببغداد ونهبوا دار الوزير [١]، فخرج المقتدر إليهم فعطف واحد من الجند بحربة فضرب المقتدر بها فخر ميتاً فقطعوا رأسه وجعلوها [٢] على رمح. وقيل أخرجوه إلى الميدان ليتفرج على لاعب يلعب بحربة فلما وقف [٥٠ ب] رماه اللاعب بها فى صدره [فلما] خرجت من ظهره خر ميتاً فتفرقت الناس عنه، فخرج اللاعب يطلب دار الخلافة فلقيه حمل شوك فى سوق الثلاثاء فعدل عنه وهو لا ينظر[٣] من عن يمينه فصادفه كلاب فى دكان قصاب فهشوه فحارقه الحمل الشوك فعلقه، وخرج الفرس من تحته فما زال معلقاً بالحمل الشوك والكلاب تنهشه حتى مات لوقته فحطه الناس وأحرقوه بالحمل الشوك [٤].

وكانت قتلة المقتدر يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال عام عشرين وثلاثمائة وعمره ثلاث وثلاثون سنة وشهر وسبعة عشر يوماً، ومدة خلافته أربع وعشرون سنة وشهران وعشرة أيام، ولما مات بويع بالخلافة:

محمد القاهر بن المعتضد أحمد:

أبو المنصور محمد القاهر بن المعتضد أحمد فى يوم الخميس ثانى يوم قتلة المقتدر، فوجد الخزائن فارغة، والكلمة مختلفة بتدبير وزيرين ضعيفى الرأى، وهما أبو على [بن] مقلة [٥]، ومحمد بن القاسم الكرخى [٦]. فحط على الوزير بن مقلة إلى أن اختفى، قيل إن ابن مقلة أبدل فى الوزارة من صنف الذهب خاصة خمسمائة ألف دينار، وكان كاتباً جواداً، وهو الذى عرب

---

(١) هو الوزير الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، وكان متتبعاً لمذهب مغالى فى التشيع لرجل اسمه أبو جعفر محمد بن على الشلمغانى الذى قتل فى خلافة الراضى بالله عام ٣٢٢ هـ. انظر: ابن خلكان: وفيات، ج٢، ص١٥٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٢٣٩ وما بعدها.

(٢) وشالوه: الجوهر، نفسه.

(٣) يبصر: الجوهر، نفسه.

(٤) عن قتل المقتدر وظروف قتله. انظر: ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٢٤١ ــ ٢٤٣؛ أبى الفداء: المختصر، ج٢، ص ١١١.

(٥) هو أبو على محمد بن على بن الحسين بن مقلة الكاتب، تولى العديد من الوظائف، ثم تولى الوزارة من سنة ٣١٦ هـ/ ٩٢٨م عدة مرات تخللها عزل ومصادرة إلى أن ساءت به الأحوال حتى قطعت يده ولسانه ومات عام ٣٢٨ هـ/ ٩٣٩ م. انظر: ابن خلكان: وفيات، ج٥ ص١١٣ - ١١٨.

(٦) محمد بن القاسم بن عبيد الله الكرخى، انظر ابن الأثير: الكامل، ج ٨ ص ١٥٩.

الخط من الكوفى إلى طريقتنا هذه. فلما اختفى صار يباطن الخاصكية ويجسرهم على قتل القاهر حتى اتفقوا جميعاً على قتله، فركبوا إلى دار الخلافة، وكان القاهر سكران فوثبوا عليه فقام مرعوباً هرباً إلى السطح وبيده سيف مشهور ففوق أحدهم إليه سهماً وقال له: لئن لم تنزل قتلتك. فنزل فقبضوا عليه فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، ثم أخرجوا محمد بن المقتدر فبايعوه وأكحلوا القاهر حتى سالت عيناه وهو أول خليفة سملت عيناه وكانت مدة خلافته سنة وستة أشهر وثمانية أيام، وسجن إلى أن مات فى خلافة المطيع، ولما سمل بويع بالخلافة:

محمد الراضى بن المقتدر جعفر:

أبو العباس محمد الراضى بن المقتدر جعفر، وكان جواداً كريماً شاعراً بليغاً، وهب لعبد الله بن عيسى مائة ألف دينار، وهو أول [1] خليفة خطب على منبر فى يوم الجمعة وفى [٥١ أ] أيامه ضعفت الخلافة وأخذوا الفرنج السواحل والثغور، وسبب ذلك وزراء أخيه.

ثم أن الراضى مسك الوزير ابن مقلة وقطع يده وعنقه بما وقع منه، وتوفى الراضى على فراشه وكان أكثر آفاته الجماع، وهو آخر خليفة له شعر يدوَّن، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال، وآخر خليفة أتخذ الجلساء والندماء، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وخدمه ومصالحه على ترتيب الخلفاء المتقدمين. توفى ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، ودفن بالرصافة [2] وعمره اثنتان وثلاثون سنة وأشهر، وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام، ولما مات بويع بالخلافة:

إبراهيم التقى لله بن جعفر المقتدر:

أبو إسحق إبراهيم التقى لله بن جعفر المقتدر، فصلى ركعتين ثم جلس على سرير فبايعته الناس، وكان ديناً كريماً كثير الصدقة والصوم ولم يشرب خمراً قط، وأُجرى ذكر ندماء الخلافة عنده على عادة الخلفاء فقال: نديمى المصحف.

---

(١) الصواب: آخر، الجوهر، ص١٤٣.

(٢) الرصافة هى الجانب الشرقى من بغداد سمى كذلك لأن الرشيد بنى فيه قصراً وسماه الرصافة. انظر: أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٣٠٣.

ولما ولى الخلافة لم يتغير على أحد كان يصحبه قبلها حتى ولا على جارته ولم يغدر بأحد قط، فاختلفوا الوزراء عليه بتحاسدهم فأضعفوا الخلافة وتغلب الخوارج على الأطراف حتى ما حمل لبغداد شيء من الأقاليم، ولم يزالوا عليه حتى غدر به الترك فخلعوه وأكحلوه بالنار يوم السبت لعشر ليال بقين من صفر عام ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وعمره ثلاثون سنة وأشهر، وكانت خلافته ثلاث سنين وأحد عشر شهراً ومات بعد أربع وعشرين سنة من خلعه ودفن بداره، ولما خلع بويع بالخلافة:

عبد الله المستكفى بن المكتفى بالله:

أبو القاسم عبد الله المستكفى بن المكتفى بالله على بن المعتضد، وفى أيامه استولت الديلم على البلاد ووقع بين الوزراء والأمراء، ثم أن معز الدولة بن بويه[1] أكثر من جمع الديلم فقوى بهم، وكان رافضياً، فخلع المستكفى وأكحله لأنه كان يحط على الروافض، ـ واجتمع ببغداد ثلاثة خلفاء عميان ـ وذلك فى يوم [٥١ ب] الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وكانت خلافته سنة وأربعة أشهر ويومين، وكانت وفاته فى بيته مخلوعاً لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ولما مات[2] بويع بالخلافة:

المطيع لله بن المقتدر بالله جعفر:

أبو القاسم الفضل المطيع لله بن المقتدر بالله جعفر فى يوم خلع المستكفى، وهو أول من طال عمره من خلفاء بنى العباس ولم يكن له من الخلافة إلا الاسم، وإنما الأمر لمعز الدولة بن بويه الديلمى، فرتب له فى كل شهر ثلاثة آلاف دينار لنفقته. انحطت درجة الخلافة.

وكان المطيع كريماً أنعم على أقاربه من العباسين والعلويين بما ينيف عن ثلاثين ألف دينار على قلة ماله، وكان ينفق على ثلاثة خلفاء وهم القاهر والمتقى والمستكفى، وكان فى كل عام يرسل إلى الكعبة قناديل الذهب والفضة، وإلى الحجرة الشريفة طيباً كثيراً وخداماً برسم خدمتها، وكان نائبه على مصر والإسكندرية محمد بن طغج الإخشيد أستاذ كافور، فكان فى

---

(١) هو أبو الحسين أحمد بن أبى شجاع بويه، أحد سلاطين الأسرة البويهية. انظر: ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٢٦٤ وما بعدها، ابن خلكان: وفيات، ج١، ص١٧٤ ـ ١٧٧، ت رقم ٧٢.

(٢) الصواب: خلع.

كل سنة يرسل له مائة ألف دينار وفى أيامه فى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة أعيد الحجر الأسود إلى الكعبة بعد إقامته عند القرامطة مدة اثنتين وعشرين سنة إلا شهرا، وأن المطيع حصل له خلط فالج فخلع نفسه اختيارا لعهد ولده الطائع لله فى ثالث عشر ذى القعدة عام ثلاث وستين وثلاثمائة، وكانت مدة خلافته تسعة وعشرين سنة وأربعة شهور وأحد وعشرين يوماً، ومات يوم الاثنين لثمان بقين من المحرم عام أربع وستين وثلاثمائة وعمره ثلاث وستون سنة، وكان العهد لولده:

الطائع لله بن المطيع لله:

أبو بكر عبد الكريم الطائع لله، وفى أيامه قطعت الخطبة من الحرمين الشريفين لبنى العباس وأقيمت للمعز العبيدى صاحب مصر والمغرب [1]، وكان الطائع ديناً كريماً لكن كان عنده وزيران سيئا الاعتقاد، وهما أبو الحسن الأصبهانى، وعيسى بن مروان النصرانى العجميان [٥٢ أ] فاستخفا بالشريعة ومالا إلى النجامة والقول بالطبيعة ورأوا بخلع الطائع لاتباعه الشريعة فدسا إلى بهاء الدولة بن بويه فى خلع الطائع فدبر بهاء الدولة فى ذلك أنه قدم قصة للطائع فمد الطائع يده ليأخذها فجذبه بهاء الدولة من السرير ورماه وقبض عليه ونهب الديلم دار الخلافة حتى الرخام والأبواب وخلع الطائع نفسه لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، واعتقل إلى أن مات ليلة عيد الفطر عام ثلاثة وتسعين وثلاثمائة.

قلت: لم يل الخلافة من أبوه حى إلى زماننا غير أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وأبو بكر الطائع لله. ولما خلع الطائع لله بويع بالخلافة:

أحمد القادر بالله بن إسحق المتقى:

أبو العباس أحمد القادر بالله بن إسحق المتقى، وكان هرب من الطائع إلى البطيحة [2]، وهو آخر خليفة من بنى العباس حكم وأسجل على نفسه وأشهد الشهود. ولما ولى الخلافة ورفض الدنيا ولم ينازع فيها، ولم يدخر ديناراً ولا درهماً، ولم يرد سائلاً قط. وصحب العلماء

---

(١) كان ذلك عام ٣٦٥ هـ، ثم رجعت مرة ثانية إلى العباسيين، وهكذا ظلت تتأرجح بين الفاطميين والعباسيين طوال العصر الفاطمى. المناوى: الوزارة، ص٢١٠ ــ ٢١٢.

(٢) البطيحة أرض واسعة بين واسط والبصرة.انظر: ياقوت: معجم، ج١، ص٤٥٠.

وأكرم حديث النبى صلى الله عليه وسلم وأهله والعلماء وأجزل لهم العطاء وملأ الدنيا بالعدل والإحسان.

وكان عظم أمر الديلم وزاد شرهم حتى خشي على الخلافة منهم فأظهر الله [تعالى][(١)] يمين الدولة محمود بن سبكتكين [(٢)] وأمكنه من رقاهم وسلطوا السيف عليهم، وصلب الروافض والزنادقة والمعتزلة، وفى أيامه فتحت الهند والسند على يد السلطان يمين الدولة، وفتح مدينة بهورة [(٣)] التى تزعم اليهود أن الجن عمرها وبنت بيوت أصنامها ذات سور عظيم مرتفع كانت تشتمل على ألف قصر شواهق وزيادة، وكان فيها ألف بيت للأصنام والصور المصنوعة من الذهب والفضة فكسرها جميعاً يمين الدولة وعاد بها وبالأموال غنائم ومعهم جواهر ومواقيت عدد الرمل.

وكان القادر عفيفاً ديناً عالماً متواضعاً كريماً صنف كتباً كثيرة فى فنون عديدة من العلوم منها كتاب فى السنة وذم المعتزلة والروافض وغير ذلك من الكتب، وكان كثير الصدقات والتهجد [٥٢ ب] والبر. توفى فى حادى عشر ذى الحجة سنة اثنين وعشرين وأربعمائة وعمره ثلاث وتسعون سنة، وكانت مدة خلافته ثلاثاً وأربعين سنة وثلاثة أشهر، وما أقام أحد من الخلفاء مدة إقامته ولا طول عمره، ولما مات بويع بالخلافة:

عبد الله القائم بالله بن القادر بالله أحمد:

أبو جعفر عبد الله القائم بالله بن القادر بالله أحمد، وكان أبوه لقبه فى حال حياته بالقائم فاستمر عليه ذلك اللقب، أقام العلماء والمحدثون يرفعون له قصص الناس بعد اطلاعهم عليها

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من الجوهر، ص ١٥٢.

(٢) هو أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبو منصور سبكتكين، لقبه الخليفة القادر بالله " يمين الدولة وأمين الملة ". انظر:ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص١٠٢، ابن خلكان: وفيات، ج٥، ص١٧٥ ـ ١٨٢، ت رقم ٧١٣.

(٣) فى الرسالة التى بعثها محمود بن سبكتكين للخليفة القادر لم يذكر مدينة بهورة وإنما ذكر مدينة تسمى " عاين "، ووصفها بأن حولها ألف قصر وألف بيت للأصنام. انظر: ابن الجوزى: مرآة الزمان، ج ١١ ص ٣٩٤. الجوهر، ص ١٥٣ هـ ٦.

فانصلح الحال بذلك. وأسلم فى أيامه من الترك فى عام واحد خمس وثلاثون ألف خركـاه [١]، وكان كثير الصوم والصدقة ولا يلتمس من المال إلا بقدر قوت عائلته، وترك أكـل اللحـم لإسكات الشهوة، ولا يلبس الحرير ولا ينام إلا على سجادته من غير فراش، وأفرد لـه بيتـاً للعبادة إلى أن مات ليلة الخميس ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة، وكانت خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية شهور، ووقع له من الوقائع ما يضيق هذا الكتاب عن إيراده، بلغ من العمر سبعاً وسبعون سنة.

وفى أيامه انقطعت دولة بنى العباس من بغداد، وخطب للعبيديين بها، وأقام القائم غائبـاً محبوساً عن بغداد سبعة عشر شهراً [٢]، ثم أن السلطان طغرل بك [٣] حضر إلى بغداد وأحضر الخليفة من الحديثة [٤] وقبل الأرض بين يديه سبع مرات ومسك لجام بغلته وسعى فى ركابه إلى أن أدخله دار الخلافة، وتزوج ابنته ولم يسبق أن ملك تزوج من الخلفاء حريم، وانقطـع أمـر العبيديين ببغداد إلى أن مات، وعند موته بويع بالخلافة ولد ولده:

---

(١) ذكر محقق الجوهر نقلاً عن ابن الأثير أن ذلك حدث عام ٤٢٢ هـ، وانهم أسلموا وضحوا يوم عيد الأضحى بعشرين ألف رأس من الغنم، الجوهر، ص ١٥٥ هـ ٦. ولا اعلم ما القصد من لفظ الخركاه لأن معناه بيت مصنوع من الخشب يحمل أثناء السفر للمبيت به اتقاء للبرد. انظر: القلقشندي: صبح، ج٢، ص١٣٨، DOZY ; SUPPL. P 1. P 366 ..

(٢) قام البساسيرى وهو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيرى بإقامة الدعوة للفاطميين فى بغداد لمدة عام من ذى القعدة ٤٥٠ إلى ذى القعدة ٤٥١ هـ/ ١٠٥٨ ــ ١٠٥٩ م. ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٦٤٦؛ ابن خلكان: وفيات، ج١، ص١٩٢ ــ ١٩٣، ت رقم ٨١؛ المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٢٣٢، ٢٥٧.

(٣) هو أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق، ت عام ٤٥٥ هـ/ ١٠٦٣ م، انظر: ابن الأثير: السابق، ج٩، ص٤٧٣ وما بعدها، ابن خلكان: السابق، ج٥ ص٦٣ ــ ٦٨، ت ٦٩٠

(٤) الحديثة: اسم مدينة أطلق على ثلاث مواضع هى حديثة الموصل، حديثة الفرات، الحديثة من قرى غوطة دمشق. انظر: ياقوت: معجم، ج٢، ص٢٣٠ ــ ٢٣٢.

عبد الله المقتدى بن ذخيرة الدين محمد بن القائم عبد الله:

أبو القاسم عبد الله المقتدى بن ذخيرة الدين [١] محمد بن الإمام القائم عبد الله، وكـــان جده لقبه بالمقتدى، ولم يكن له من الخلافة إلا الاسم، وكان محكوماً عليه، وكان مجاب الدعوة، جُرب ذلك منه مرات منها أن السلطان جلال الدين خوارزم شاه السلجوقى أرســـل لـــه أن أخرج من بغداد إلى حيث شئت. فأجابه بالمهلة عشرة أيام، ثم أن المقتدى لبس جبته الصـــوف وصلى ودعا فمات خوارزم شاه يوم العشر. وكانت [٥٣ أ] وفاة المقتدى فجأة عشية نصف المحرم عام سبع وثمانين وأربعمائة، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة أشـــهر، ويقـــال أن جاريته سمته وعهد إلى ابنه:

أحمد المستظهر بن المقتدى عبد الله:

أبي العباس أحمد المستنصر[٢] بن المقتدى عبد الله فى يوم وفاة أبيه، وفى زمنه أخـــذوا [٣] الفرنج بيت المقدس عنوة وقتلوا من أهله ما يزيد على سبعين ألفاً بالمسجد الأقصى، وأخـــذوا السواحل، اتسعت عليه الأمور، ثم أنه حصل له مرض فى باطنه فأقام ثلاثة عشر يوماً وتوفى إلى رحمة الله تعالى فى سابع عشرين ربيع الأول عام اثنتى عشرة وخمسمائة وعمره أحد وأربعون سنة ونصف وسبعة أيام، وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة وأشهر، وكان محباً للخير حسن الوجه جيد الكتابة، ولما مات بعد اثنتى عشرة سنة من القرن السادس بويع بالخلافة لولده:

(١) فى الكامل لأبن الأثير [ابن الذخيرة]، ج١٠، ص٢٢٩؛ ابن الجوزى: مرآة الزمان،ج٢، ص٦٦٢. والذخر فى اللغة لما يدخر من النفائس، وقد استعمل فى تكوين بعض الألقاب المركبة مثل " ذخيرة الملك ". حسن الباشا: الألقاب، ص٢٩٢ ـــ ٢٩٣.

(٢) الصواب: المستظهر.

(٣) الصواب: أخذ، وكذلك فى جميع نسخ الجوهر المخطوط، انظر: الجوهر، ص ١٦١.

الفضل المسترشد بن أحمد المستظهر:

أبو المنصور الفضل المسترشد بن أحمد المستنصر [١] قبل دفن والده، وكان فارساً شجاعاً يسمح بالأموال [ويخرج بنفسه إلى القتال] [٢]، ويضرب بسيفه [٣] هام الرجال، خرج مرة[٤] لقتال الأعاجم فنزل قريباً من مراغة [٥] فنزل فى خيمته فدخلوا عليه جماعة من الباطنية فقتلوه فى سادس عشر ذى القعدة عام تسعة وعشرين وخمسمائة [٦] قيل إن السلطان سنجر[٧] أرسلهم لقتله، ثم أن السلطان سنجر ركب حافياً وقتل الباطنية وحرقهم وحمل المسترشد مقتولاً إلى مراغة وخرج أهل مراغة مكشفين الرءوس حفاة الأقدام لتلقى جنازته فدفن بالمراغة وقبره الآن بها، ولما وصل الخبر بقتله كسروا منابر الجوامع وناحت عليه النساء والرجال حتى الأطفال، وكانت خلافته سبعة عشر عاما وستة أشهر وأياماً وعمره ثلاثة وأربعون سنة، ثم بويع ولده:

أبو جعفر منصور الراشد بالله بن المسترشد:

أبو جعفر منصور الراشد بالله بن المسترشد بالله الفضل بن المستظهر بن المقتدى بعد موت والده فى ثامن عشرين ذى القعدة منها فانصلح بولايته أحوال الناس، ورد على الناس ما أخذ لهم فى المصادرات.

---

(١) الصواب: المستظهر.

(٢) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١٦٣.

(٣) بنفسه: الجوهر، نفسه.

(٤) يوماً: الجوهر، نفسه.

(٥) مراغة، بلدة تقع فى بلاد أذربيجان. انظر: ياقوت: معجم، ج٥، ص٩٣.

(٦) يذكر ابن الأثير أن الخليفة كان فى قبضة السلطان مسعود السلجوقى وأن القتل تم فى حين انشغال السلطان مسعود برسل السلطان سنجر، وأن الباطنية دخلوا عليه وقتلوه. انظر: ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٢٧ ــ ٢٨، التاريخ الباهر، ص ٤٩ ــ ٥٠.

(٧) هو أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر، خطب له بالعراقين وأذربيجان وأران وأرمينية والشام والموصل وديار بكر وربيعة والحرمين، استقل بالسلطنة عام ٥١٢ هـ/ ١١١٨ م. انظر: ابن خلكان: وفيات، ج٢، ص ٤٢٧ ــ ٤٢٨.

ثم وقع بينه وبين الملك مسعود السلجوقى [١] فقصده مسعود بجيوش عظيمة فخرج الراشد بالله من بغداد وتوجه [٥٣ ب] إلى عند السلطان زنكى بن أق سنقر بالموصل [٢] فأقام عنده ودخل السلطان مسعود بغداد واجتمع بأكابرها وكتبوا على الراشد محضراً بشربه الخمر والفسق، فأفتى العلماء بخلعه فاختاروا خليفة غيره وبايعوه كما سيأتى، وكتب السلطان مسعود كتابا إلى زنكى بالقبض على الراشد ويجهزه [٣] إلى بغداد، فلما وصل الكتاب أراد أن يسلمه الراشد فمنعه فارس الإسلام زين الدين على بن بكتكين [٤] صاحب إربل وقال له: هذا ضيفنا وكان بالأمس خليفة علينا، والله لا سلمناه. فاعتذر زنكى وقال للسلطان مسعود: أنا أخرجه من بلادى وجهز أنت إليه عسكراً من عندك فأقبض عليه.

ثم إن صاحب الموصل [٥] وجهه مع جماعة من الأكراد فساروا به بين جبال لا يعرفها إلا القليل من الناس فوصل إلى مراغة أذربيجان ثم خرج عسكر السلطان وعاد خائباً، ثم ارتحل من مراغة إلى الرى [٦] فلما قرب من بلاد الباطنية وضع فيهم السيف فقتل منهم كثير، ولم يزل تتقلب به الأحوال ولا يناله من الدنيا إلا الغربة والارتحال إلى سابع عشرين رمضان عام اثنين وثلاثين وخمسمائة نزل على باب اصبهان ومعه خوارزم شاه فقتلوه الباطنية وكانوا فى خدمته كالخرسانية[٧] فلما قتل صاح الناس فركب خوارزم شاه وقتل الباطنية، وكانت خلافته إلى أن خلع سنة إلا عشرة أيام، ولما خلع الراشد تولى الخلافة:

---

(١) هو أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى خطب له ببغداد عام ٥٢٧ هـ/ ١١٣٢ م: انظر: ابن خلكان: وفيات، ج٥، ص٢٠٠ ــ ٢٠٢، ت رقم ٧٢٠.

(٢) هو أبو الجود عماد الدين زنكى بن أق سنقر بن عبد الله، تولى حكم الموصل عام ٥٢١ إلى ٥٤١ هـ/ ١١٢٧ ــ ١١٤٦ م. السابق، ج٢، ص ٣٢٧ ــ ٣٢٩، ت رقم ٢٤٥.

(٣) يرسله: الجوهر، ص ١٦٥.

(٤) زين الدين على بن بكتكين، المعروف بكوجك ومعناه الصغير باللغة التركية، ملك إربل وما حولها من البلاد، وفرقها على أولاد قطب الدين زنكى بن مودود صاحب الموصل، عمر طويلاً حتى بلغ المائة، توفى عام ٥٦٣ هـ/ ١١٦٧ م. ابن خلكان: وفيات، ج٤، ص١١٤، ت رقم ١٥٦.

(٥) صاحب إربل: الجوهر، ص ١٦٦. والصواب ما ذكره صاحب الثغر. انظر الصفحة السابقة هـ٢، ٤.

(٦) هى إحدى مدن فارس، وقد خربت وتقع أطلالها اليوم بالقرب من طهران. البلاذرى: السابق، ق٣، ص٧٢٨.

(٧) على زى الخرسانية: الجوهر، ص ١٦٧.

محمد المقتفى لأمر الله بن المستظهر بالله بن المقتدى:

أبو عبد الله محمد المقتفى لأمر الله بن المستظهر بالله بن المقتدى عبد الله فى سابع عشر ذى القعدة عام ثلاثين وخمسمائة، فأقبل عليه السعد من كل جانب، ومات فى أيامه السلطان مسعود بهمذان، وقُتل السلطان زنكى، ومسك المقتفى جماعة من أصحاب السلطان مسعود وأخذ ما كان بأيديهم، وجند الجنود وجهز العساكر إلى الأطراف، وأقام ناموس الخلافة واجتمع له الأمر إلى أن توفى فى ثانى ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد وعشرين يوماً، ولما مات تولى الخلافة بعده ولده:

يوسف المستنجد بن المقتفى محمد:

أبو المظفر [٥٤ أ] يوسف المستنجد بن المقتفى محمد بعد الصلاة على أبيه، وأظهر سيرة جميلة ورد أموالاً اغتصبت، وسجن أقواماً كانوا ينسبون إلى الظلم، وأسقط مكوساً وأبطل ما كان السلاطين يتناولونه بإشارة وزير أبيه ابن هبيرة [١]، ومشى فى الخلافة على طريقة السلف، ثم إن شخصاً يسمى قايماز المستنجدى من مماليكه سمه وضعف ومات عام ست وخمسين وخمسمائة [٢]، وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وشهراً، ثم بويع بالخلافة ولده:

الحسن المستضىء بن المستنجد يوسف:

أبو محمد الحسن المستضىء بن المستنجد يوسف فى تاسع ربيع الآخرة منها، وكان ديناً عادلاً فهاجر الناس إلى بغداد لعدله وحسن سيرته، أمر بإطلاق المسجونين وفرق أموالاً جزيلة وغمر الناس جوده وفضله، وفرق الخلع والثياب النفيسة على الناس، وأسقط الخراج المجدد والضرائب والمكوس.

---

(١) ابن هبيرة: هو الوزير أبو المظفر عون الدين يحيى بن هبيرة، اشتغل بالعلم، وجالس الفقهاء والأدباء، تولى الوزارة عام ٥٤٤ هـ/ ١١٤٩ م. ابن خلكان: وفيات، ج٦، ص٢٣٠ ـــ ٢٤٤، ت رقم ٨٠٧.

(٢) يتفق هذا التاريخ مع جميع نسخ مخطوط الجوهر، ولكن الصواب أنه توفى عام ٥٦٦ هـ. انظر: ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٢٨؛ الجوهر، ص ١٦٩.

وفى أيامه عادت الخطبة بمصر لبنى العباس بعد انقطاعها منها مائتى وخمسة عشر عامـــاً، وطلب قايماز قاتل أبيه فهرب منه إلى همذان، ثم نهبت داره وتشتت شمله.

وأقام المستضىء فى الخلافة نافذ الأمر إلى أن عرض له مرض مات منه فى ثانى ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة، وبويع بالخلافة:

أحمد الناصر بن الحسن المستضىء:

أبو العباس أحمد الناصر بن الحسن المستضىء البيعة العامة فى يوم وفاة والده، فأخذ الأمر بقوة، وفتح البلاد عنوة وطاعة، وطبقت دعوته البلاد وجميع الآفاق، وأوقع بـــوزراء الســـوء النكال وأمر بإراقة الخمور وكسر الملاهى وأبطل المكوس، وكان عالماً أديباً فاضلاً حسن الرأى والتدبير سيوساً ذا فكرة ناضجة وقريحة جيدة. وكان يباشر الأمور بنفسه، ويطلع على أحوال رعيته، وما كان يحتجب على عادة من تقدمه من الخلفاء، إلا أنه كان يحب جمع المال، وكانـــت راياته منصورة، وانتظم له أمر الخلافة إلى أن توفى ثانى شوال سنة اثنتين وعشـــرين وســـتمائة، وكانت خلافته ستة وأربعين سنة وأحد عشر شهراً وأربعة وعشرين يوماً، وعند موته عهـــد إلى ولده:

محمد الظاهر بالله بن الأمام الناصر أحمد:

أبي [٥٤ ب] نصر محمد الظاهر بالله بن الأمام الناصر أحمد بعد أن كان والده سجنه مدة طويلة [١]، وكان عمره إذ ذاك اثنتين وخمسين سنة وكان يقول من يفتح دكانه بعد العصر متى [٢] يبيع. وكان عادلاً كريماً حسن السيرة والاعتقاد كارهاً للظلم أعاد إلى خلق كثير مـــا اغتصبه والده منهم وسألهم براءة ذمة والده، وسار فى الناس سيرة حسنة إلى أن أدركته الوفاة لأربع ليال خلت من رجب عام ثلاث وعشرين وستمائة، فكانت مدة خلافته تســـع شـــهور وأربعة عشر يوماً، ثم بويع بالخلافة ولده الإمام:

---

(١) عن سجن الظاهر. انظر ابن الأثير حوادث عام ٦٢٢ هـــ.

(٢) إيش: الجوهر، ص ١٧٣.

عبد الله المستنصر بالله بن الظاهر محمد:

أبو جعفر عبد الله المستنصر بالله بن الظاهر محمد فى رابع شهر رجب منها، وكان جيد السياسة كثير العدل والإحسان متحبباً للرعية.

وفى أيامه قصد التتار بغداد فاستخدم العساكر وقاتلهم وكسرهم وأفنى منهم خلقاً كثيرة، عمر ببغداد المدرسة المستنصرية ولم يكن على وجه الأرض مثلها لأنها كانت بالعراق مثل الجامع الأموى بالشام وجعلها للمذاهب الأربعة وأوقف عليها أوقافاً كثيرة وكتباً نفيسة، وكان يحب العلم وأهله، انتظم له الأمر فى الخلافة إلى أن توفى ثانى عشرين جمادى الآخرة عام تسع وثلاثين وستمائة وعمره إحدى وخمسون سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام، وكانت خلافته ست عشرة سنة إلا خمسة وعشرين يوماً، ثم بويع بالخلافة أخوه:

محمد المستعصم بالله بن الإمام الظاهر بالله:

أبو عبد الله محمد المستعصم بالله بن الإمام الظاهر بالله، وهو السابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين قتل فى المحرم سنة ست وخمسين وستمائة، وكان سبب قتله أن وزيره ابن العلقمى الرافضى لعنه الله قصد إبطال كلمة أهل السنة، فكتب إلى هولاكو ملك التتار " إنك تحضر إلى بغداد، وأنا أسلمها لك "، وكان داخل قلب الملعون الكفر فكتب إليه هولاكو " أن عساكر بغداد كثيرة ومالى قدرة بها، فإن كنت صادقاً فيما قلته ففرق العساكر، فإذا علمت ذلك حضرت إليك ". فلما وصل كتابه إلى الوزير دخل على المستعصم فقال له " إن جندك كثيرون وعليك [٥٥ أ] كلف كثيرة والعدو قد رجع من بلاد العجم وعندى من الرأى أن تعطى دستوراً لخمسة عشر ألف فارس من عسكرك وتوفر معلومهم ".

فأجابه الخليفة إلى ذلك، فخرج الوزير وعرض [١] العسكر وصرف منهم خمسة ألف فارس شجعان العسكر، ومنعهم الإقامة ببغداد وأعمالها، فتفرقوا فى الأطراف. ثم إنه أتى إلى الخليفة مرة ثانية وذكر ما قاله أولاً، فطاوعه الخليفة على ذلك، وأعطى دستوراً لعشرين ألف فارس، وكان هؤلاء الخمسة والثلاثون ألف فارس مقومين بمائتى ألف فارس.

---

(١) أعرض: الجوهر، ص ١٧٦.

ثم إن الملعون كاتب هولاكو بما فعله، وطلب حضوره، فقصد هولاكو بغداد ونزل عليها، فأجمع أهل بغداد وتحالفوا وخرجوا إلى ظاهر بغداد، وقاتلوا هولاكو، وصبر المسلمون فكسروا هولاكو وعسكره، وساق المسلمون خلفهم وأسروا منهم جماعة، ونزلوا فى خيامهم مطمئنين منصورين. فأرسل الوزير فى تلك الليلة جماعة فقطعوا شط الدجلة، فخرج ماؤها على عسكر بغداد وهم نائمون فأوحلهم وأوحل خيولهم، وغرقت حوائجهم وأموالهم والسعيد فيهم من نجا بفرس عرى، وأرسل الوزير إلى هولاكو يعلمه بما وقع ويعرفه أن يعود على المسلمين ففعل، وعادوا على المسلمين ودخلوا بغداد صباحاً وأوقعوا السيف فى أهلها، ولم يرحموا شيخاً كبيراً ولا طفلاً صغيراً، ومسكوا أعيان بغداد، ودخلوا إلى دار الخلافة فنهبوها، ومسكوا الإمام المستعصم وولده منها فأحضروهما إلى هولاكو، فأخرجهما إلى ظاهر بغداد ثم وضعهما فى عدلين ورفسهما التتار إلى أن ماتا رحمة الله عليهما، ونهبت بغداد وقتل فى تلك القضية ألفا [1] ألف وثلاثمائة ألف وثلاثون مسلماً أثابهم الله الجنة.

وكانت خلافة المعتصم ستة عشر عاما وشهورا، انقرضت الخلفاء ببغداد، وقيل فى ذلك:

خلت المنابر والأسرة منهم فعليهم حتى الممات سلام

وأما الوزير العلقمى لعنه الله فإن الملك هولاكو استدعاه إلى بين يديه وعنفه على سوء ما فعله مع أستاذه وأنه ما حفظ حق إحسانه إليه، ثم [٥٥ ب] قال: لو أعطيناك ما نملكه ما نرجو منك خيراً، وأنت مخالف لملتنا، وأهل ملتك فما أحسنت إليهم وقتلتهم وسبيت حريمهم، فنقتلك ونريح المسلمين والتتار منك ". ثم قتله هولاكو أشر قتلة، وانقطعت الخلافة من بغداد إلى سنة تسع وخمسين وستمائة.

ثم فى أيام الظاهر بيبرس البندقدارى فى شهر رجب حضر إلى الديار المصرية الإمام أبو العباس أحمد المستنصر بالله ابن الإمام الظاهر بالله محمد بن الإمام الناصر أحمد، فلما ورد إلى ظاهر القاهرة خرج له السلطان فى موكب عظيم وأحسن فى تلقيه وبالغ فى إكرامه وقصد إثبات نسبه وتقرير بيعته لأن الخلافة شغرت من وفاة المستعصم. فأحضر السلطان أكابر الدولة وأعيانها وقضاة القضاة والعلماء والصلحاء والفقهاء وأعيان الصوفية بقاعة الأعمدة بقلعة الجبل، وتأدب السلطان معه وجلس معه بغير مرتبة ولا كرسى، "وحضرت العربان مُحضريه من

(١) ألف: الجوهر، ص ١٧٨.

بغداد " [١] والطواشى [٢] الذى من البغاددة، وسُئلوا [٣] عنه فى ذلك المجلس: هل هـذا هـو الإمام أحمد بن أمير المؤمنين الظاهر محمد بن الناصر أحمد؟، فأجـابوا بـنعم، فشـهد جماعـة بالاستقاضة عند القاضى تاج الدين بن بنت الأعز بذلك فأسجل على نفسه بثبوت النسبة، وقام قائماً وبايعه وتلقب بالإمام المستنصر بالله [٤].

ثم بايعه السلطان، ثم إن الخليفة قلد السلطان البلاد الإسلامية وما أضيف إليهـا ومـا سيفتح من بلاد الكفار ولقبه " بقسيم أمير المؤمنين "، وهو أول من تلقب بذلك، ثم بايع الناس الخليفة على قدر طبقاهم، وأمر السلطان بالكتابة إلى النواب أن يخطبوا باسمه واسم السـلطان الملك الظاهر، ثم ألبس السلطان فرجية [٥] سوداء بتركيبة زركش، وعمامة سـوداء بعديـة، وطوق من ذهب، وحَمله سيف بداوى، وشق السلطان القاهرة وأعيان الدولة مشاة فى خدمته، وكتب له تقليد، ورتبت الديار المصرية وكتب بذلك إلى الآفاق.

وقصد الخليفة العود إلى بغداد [٥٦ أ] فجهزه السلطان وعين له أصحاب وظائف من أعيان المملكة ومماليك كبار وصغار أربعين فارساً وخزانة وسلاح خاناه وبيوتات ومائة فـرس وعشر قطر جمال ومثلها بغال وإماماً ومؤذناً، وجهز معه خمسمائة فارس، وخرج السلطان معـه إلى دمشق وجهز معه طائفة من العسكر وأوصاهم أن يوصلوا الخليفة إلى الفرات، فتوجهوا على أكمل نظام. ثم إن الخليفة نزل على الرحبة [٦] وركب معه على بن حديثة مـن آل فضـل فى

---

(١) وأمر بإحضار العربان الذين حضروا مع الخليفة من العراق فحضروا: الجوهر، ص ١٨١.

(٢) الطواشى لقب عام للخصيان من الغلمان، وقد صار لقباً يطلق على جند الأمراء فى المكاتبات إليهم. حسن الباشا: الألقاب، ص٣٨٢.

(٣) فسُئلوا: الجوهر، نفسه.

(٤) انظر بالتفصيل عن أحداث المبايعة، المقريزى: السلوك، ج١ ق ٢، ص ٤٥٢ ــ ٤٥٧.

(٥) الفرجية: نوع من الملابس عبارة عن ثوب من الصوف له أكمام طويلة متسعة. انظر: DOZY , Suppl. Dict. Vol. 1 p 248.

(٦) الرحبة: اسم لأكثر من موضع، والمقصود هنا فى المتن موضع بالقرب من الفرات. انظر: ياقوت: معجم، ج٣ص٣٣؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٨٠.

أربعمائة فارس من العرب فى خدمته [١] إلى أن نزلوا بمشهد على وقصد هيت [٢] فاتصل خبره بقرابغا مقدم التتار ببغداد، وبات الخليفة فى ليلة ثالث المحرم بجانب الأنبار، فلما أصبح جاء عليه قرابغا فاقتتلوا فانكسر مقدم التتار ودفع أكثر عسكره فى الفرات ثم خرج عليهم كمينٌ من جهة قرابغا وأحاط بعسكر الخليفة فقتلوهم ولم ينج منهم إلا القليل، ولم يعرف للخليفة خبر إلى الآن، قيل قتل فى الوقعة وما أشهروه بعد القتل، وقيل جرح فأخذته طائفة من العرب لمداواته فمات عندهم، وقيل غرق فى الفرات.

ولما أنقطع خبره وأيسوا منه ظهر الإمام:

أحمد الحاكم بالله بن محمد بن الحسين:

أبو العباس أحمد الحاكم بالله بن محمد بن الحسين بن أبى بكر بن الحسن بن على الفتى[٣] بن أمير المؤمنين الراشد بالله، فقدم إلى مصر سادس عشر صفر عام ستين وستمائة، فأكرمه السلطان وأنزله فى البرج الكبير من القلعة ورتب له فوق كفايته من كل ما يحتاج إليه فأقام إلى ثامن المحرم سنة إحدى وستين وستمائة، ثم إن السلطان الملك الظاهر بيبرس أقام موكباً [٤] عظيماً فى الإيوان لأخذ البيعة للخليفة، وحضر الوزير وقضاة القضاة والأمراء والأعيان وأرباب الدولة وقرئ نسبه عليهم وشهد جماعة منهم عند قاضى القضاة بالنسبة فأثبتها وسجلها.

(١) يذكر المقريزى أن الظاهر بيبرس كان ينوى إرسال عشرة آلاف فارس مع الخليفة إلا إن بعضهم قد خوفه من ذلك أن يشتد عود الخليفة ويخرجه من مصر، فلم يرسل مع الخليفة إلا ثلاثمائة فارس فقط. انظر: السلوك، ج١ ق٢، ص ٤٦٢.

(٢) هيت: بلدة على نهر الفرات. ياقوت: معجم، ج٥، ص٤٢١.

(٣) فى جميع نسخ مخطوط الجوهر كما فى الثغر، ولكن محقق الجوهر أثبته " القبى " وهو ما جاء عند ابن تغرى بردى والسيوطى. انظر: ابن تغرى بردى: النجوم، ج٧، ص١١٨؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٩، ص٤٧٨؛ الجوهر، ص ١٨٦ هـ٣.

(٤) مجلساً: الجوهر، نفسه.

ثم بايعه السلطان ثم الوزير ثم قاضى القضاة ثم الأمراء ثم الأعيان على قــدر طبقــاتهم وانفض ذلك الموكب فخطب له على المنابر وكتب إلى الأعمال بذلك، وأنزل بمناظر الكبش [١] وسكن بها إلى أن أدركته المنية فتوفى ثانى عشر جمادى الأول سنة إحدى وســبعمائة وحمــل إلى جامع [٥٦ ب] طولون وصُلى عليه فيه ودفن بمشهد السيدة نفيسة بجوارها فى قبة بنيت له، وكانت خلافته أربعين سنة، وهو أول خليفة دفن بمصر من الخلفاء العباسيين، وكان عهد لابنه:

سليمان المستكفى بالله:

الإمام أبى الربيع سليمان المستكفى بالله، وكان عمره عشرين سنة فى أول القرن الثــامن فى يوم وفاة أبيه، وخطب له على المنابر واستمر مع الناصر محمد بن قلاوون وسارا معاً إلى التتار لملاقاة غازان وعادا، فأقام الخليفة بمنازل الكبش إلى عام ست وثلاثين وسبعمائة سأله السلطان فى النقلة بقلعة الجبل فأقام بها مدة أربعة أشهر وستة وعشرين يوماً ثم اختار العود إلى موطنــه فعاد وأقام به إلى يوم السبت ثانى عشر ذى الحجة فحصل للسلطان منه حنق فأذن له بالتوجــه إلى قوص فسافر إليها [٢]، ثم إن السلطان أقام ابن عمه إبراهيم بغير مبايعــة، وأقــام الإمــام المستكفى بالله بقوص إلى أن أدركته الوفاة فى العشر الأول من شعبان سنة اثــنين[٣] وأربعــين وسبعمائة، ولما جاءت الأخبار بوفاته مُنع إبراهيم من الأمر وبايعوا:

(١) المناظر ومفردها منظرة، هى الأماكن المخصصة للخلفاء الفاطميين فى الأماكن الجميلة والمتنزهات لكى يطلوا منها على هذه الأماكن، وهى فى حقيقتها قصور للخلفاء صغيرة الحجم نسبياً. ومناظر الكبش تقع على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى، وقد أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى، وكانت من أهم متنزهات مصر حينئذ، وقد هدمت وأعيد بناؤها مرة سنة ٧٢٧ هـــ فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ومرة فى عهد السلطان الأشرف شعبان سنة ٧٦٨ هــ/ ١٣٦٦ م. انظر: المقريزى: الخطط، ج١، ص٤٦٥، ج٢، ص ١٣٣ ــ ١٣٤.

(٢) يُرجع المقريزى سبب نفيه إلى نقمة الناصر محمد عليه لقيام المستكفى بتقليد المظفر بيبرس السلطنة عام ٧٠٨ هـــ عوضاً عنه، ثم لما أراد الناصر استرجاع ملكه جدد المستكفى الولاية للمظفر فأسرها الناصر فى نفسه. وعن تفاصيل هذا الأمر. انظر: المقريزى: السلوك، ج٢ ق٢، ص ٤١٦ ــ ٤١٧.

(٣) الصواب: إحدى.

أحمد الحاكم بأمر الله بن المستكفى بالله:

الإمام أبو العباس أحمد الحاكم بأمر الله بن المستكفى بالله أبو الربيع سليمان فى العشرين من شعبان سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، وخطب باسمه بجميع الأعمال، واستمر إلى أن توفى فى سنة أربع وخمسين وسبعمائة، وكان إذ ذاك الأمير شيخو [(١)] هو نظام المملكة فاستفهم عن الحاكم إن كان عهد لأحد قبل وفاته؟ فقالوا له إنه مات ولم يعهد إلى أحد، فعند ذلك جمع قضاة القضاة والأمراء والأعيان وتكلم معهم فى ذلك فوقع الاختيار على:

أبى بكر المعتضد بالله بن الإمام المستكفى بالله:

أبى الفتح أبى بكر المعتضد بالله بن الإمام المستكفى بالله أبى الربيع سليمان فبايعوه بعد موت أخيه الحاكم بأمر الله فى سنة أربع وخمسين وسبعمائة، وكان عارفاً مهاباً واسع الفكرة محباً لأهل الخير والعلم فأقام إلى أن أدركته المنية فى ثامن عشر شهر جمادى الأول عام ثلاث وستين وسبعمائة، وعند موته عهد إلى ولده:

محمد المتوكل على الله بن المعتضد بالله: [المرة الأولى]

الإمام أبى [٥٧ أ] عبد الله محمد المتوكل على الله بن الإمام المعتضد بالله أبى بكر فى يوم وفاة والده، وكان حسن الشكل كريم الأخلاق عظيماً مهاباً تهابه الملوك فمن دونهم، قوى الحجة والملكة، غليظا على الظاهر برقوق فى أول مملكته وامتنع عن مبايعته فأخافه السلطان فلم يخف، وحمل منه فمسكه وقيده وعقد البيعة:

---

(١) الأمير شيخو هو الأمير الكبير سيف الدين شيخو بن عبد الله الناصرى، أصله من كتابية الملك الناصر، تقدم فى دولة المظفر حاجى وصار من أعيان الأمراء. ابن تغرى بردى: المنهل، ج٦، ص ٢٥٧ ــ ٢٦٢، ت رقم ١١٩٢.

عمر الواثق بالله بن إبراهيم:

للإمام أبى حفص عمر الواثق بالله بن إبراهيم فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة، فأقام إلى أن توفى عام ثمان وثمانين وسبعمائة، ومدة خلافته ثلاث سنين وأشهرا، ولما توفى تولى الخلافة بعده:

زكريا المعتصم بالله:

أبو يحيى زكريا المعتصم بالله أخو الإمام الواثق بالله، فأقام فى الخلافة على أحسن منهاج إلى أن توفى فى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة.

محمد المتوكل على الله بن المعتضد: [المرة الثانية]

ثم إن السلطان الظاهر برقوق طلب الإمام المتوكل على الله من قوص وأحسن ملتقاه وأكرمه وأزال ما عنده ولبس حلة الخلافة ونزل بأبهة عظيمة إلى بيته وأعيان المملكة فى خدمته وجددت له بيعة ثانية وأقام فى الخلافة إلى أن أدركته الوفاة فى سابع عشرين رجب الفرد عام ثمان وثمانمائة، وعند وفاته عهد إلى ولده الإمام:

العباس المستعين بالله بن المتوكل على الله:

أبى الفضل العباس المستعين بالله فى مستهل شهر شعبان فيها فأقام إلى أن كان خلع الناصر فرج بالشام من السلطنة وقتله فى خامس عشر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة فأضيفت إليه السلطنة مع الخلافة وضربت السكة [1] باسمه، وعَلم وأقطع وخُطب له على المنابر، ووجه البُرد شرقاً وغرباً، ونفق الأموال وأجرى الخيرات وحضر إلى الديار المصرية على أعظم ما تكون الخلفاء والملوك من تعاطى شعار المملكة وأقام بقلعة الجبل المحروس، وكان إذ ذاك نظام المملكة الأمير شيخ من مبارك شاه، له الرأى وتدبير الأمور ولا ينفذ أمر إلا بأمره ولا ينعقد

(١) السكة هى الحديدة التى تطبع عليها العملات سواء كانت فضية أو ذهبية، وسميت سكة لأنه طبع عليها بالحديدة المعلمة، وكل مسمار عند العرب سكة. ابن منظور: السابق، ج١٠، ص٤٤٠؛ البقلى: التعريف، ص١٨٢.

فعل إلا بشوره، ثم إن الأتراك اختاروا [(١)] أن المملكة لا تزال بأيديهم، وأن السلطنة لا تكـــون إلا فيهم، فاتفق أعيان الدولة على خلع الإمام المستعين بالله من السلطنة والخلافة وولاية الأمير شيخ السلطنة، فخلعوا المستعين [٥٧ ب] وولوا الأمير شيخ السلطنة ولقبوه بالملك المؤيــد كما سيأتى فى موضعه فى ثانى شهر شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة، وتوجهــوا بــه إلى ثغــر الإسكندرية فأقام إلى أن مات بالطاعون فى شهر رجب عام ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وكانت مدة خلافته بغير سلطنة ست سنين وستة أشهر ونصف، وخلافته مع السلطنة خمسة أشــهر وســتة عشر يوماً، ولما خلع بويع بالخلافة أخوه.

---

(١) الصواب: أشاروا.

[٥٨ ب]

الباب الرابع

فى معرفة الدولة العبيدية الواردة من المغرب وتملكهم الديار المصرية إلى حين وفاة العاضد

وهو آخر من ملك منهم بالديار المصرية فى سنة سبع وستين وخمسمائة، وأول من ملك من هذه الطائفة بالمغرب:

عبيد الله المهدى:

أبو محمد عبيد الله المهدى بن الحسن بن محمد بن على الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه. وقيل هو عبيد الله بن التقى بن الوفى بن الرضى، وقيل اسمه عبد الله وإنما سمى نفسه [عبيدالله] (١) استتاراً، هذا عند من يصحح نسبه.

أما أهل العلم بالأنساب فينكرون دعواهم فى النسب ويقولون إن اسمه سعيد(٢) ولقبه عبيد الله، وللناس فى ذلك أقوال كثيرة (٣) وقد عدلنا عنها خوف الإطالة.

ويقال إن المهدى لما دخل إلى سجلماسة (٤) ونما خبره إلى اليسع (٥) ملكها ــ وهو آخر

---

(١) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١٩٥.

(٢) جمال الدين بن ظافر: أخبار الدول المنقطعة ــ القسم الخاص بالفاطميين ــ مقدمة تحليلية وتعقيب أندريه فريه، القاهرة ١٩٧٢، ص ٦.

(٣) عن هذه الأقوال، انظر: ابن ظافر: السابق، ص ١ ــ ٥؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج ١ ص ١٩٠ ــ ١٩١؛ المقريزى: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، محمد حلمى أحمد القاهرة ١٩٩٦، ص ٢٢ــ ٣٤، الخطط، ج١، ص ٣٤٨.

(٤) سجلماسة: تقع فى جنوب بلاد المغرب الأقصى جنوب مدينة فاس، على نهر ملوية وقد أسسها المدراريون عام ١٤٠ هــ. البكرى: المغرب، ص١٤٩؛ ياقوت: معجم، ج٣، ص١٩٢.

(٥) هو اليسع بن ميمون بن مدرار بن اليسع بن أبى القاسم، أمير دولة بنى مدرار ٢٧٠ إلى عام ٢٩٧ هــ. ابن عذارى: البيان، ج١، ص٢١٦.

ملوك بنى مدرار [١] ــ قيل له هذا هو الذى يدعو إليه أبو عبد الله الشيعي وإلى بيعته، فأخـذه اليسع واعتقله، فلما سمع به أبو عبد الله الشيعى جند جنداً كثيراً [٢] من كتامة [٣] وغيرها وقصد [٤] سجلماسة وأخذها فوجد المهدى مقتولاً وعنده رجل يهودى أو سامرى كان يخدمه فخاف أبو عبد الله أن ينتقض عليه الأمر فيما دبره إن عرفت العساكر بقتل المهـدى فأخرج ذلك الخديم إلى العساكر وقال لهم: هذا هو المهدى [٥] وأجازه سبعين.

والمهدى أول من قام بهذا الأمر وأدعى الخلافة، وقتل أبا عبد الله الشيعي الـذى كـان سبب قيام دولته [٦] وبنى المهدية بإفريقية وذلك فى سنة ست وتسعين ومائتين [٧]، وبنى سـور مدينة تونس وأحكم عمارته، وكانت وفاته منتصف ربيع الأول عام اثنين وعشرين وثلاثمائة بالمهدية، فمدة ملكه ستة وعشرون سنة وشهور [٨]، وقام بالأمر بعده:

---

(١) قامت دولة بنى مدرار فى بلاد المغرب الأقصى على مبادئ الخوارج الصفرية وذلك عام ١٤٠ هـ على يد عيسى بن يزيد المكناسى الصفرى. عن هذه الدولة ونشأتها انظر: ابن خلدون: العبر، ج٣، ص١٢٦، وما بعدها؛ سعد زغلول عبد الحميد: المغرب العربى، ص٤٠٥؛ محمود إسماعيل: الخوارج، ص١١٢.

(٢) حشد جمعاً كثيراً: الجوهر، ص ١٩٦.

(٣) كتامة إحدى قبائل البربر التى قامت الدولة الفاطمية على أكتافها. وعن دور هذه القبائل انظر: ابن عذارى: السابق، ج١، ص١٧٢ وما بعدها.

(٤) ووفد: الجوهر، ص ١٩٦.

(٥) ابن ظافر: أخبار، ص ٧ ــ ٨، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٤٧ ــ ٤٨.

(٦) لقد كان السبب الأساسى فى قتل أبو عبد الله الشيعي يتمثل فى محاولة المهدى تجميع كل سلطات الدولة فى يده وهو ما أثار أبا عبد الله وأنصاره الذين وجدوا أن هذا الأمر لا يكافئ ما قدموه فى قيام الدولة. انظر بالتفصيل: ابن ظافر: السابق، ص ٨ ــ ١٠؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج١ ص١٦٤ ــ ١٦٥؛ المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج١، ص ٦٧ ــ ٦٨.

(٧) لقد اُختلف فى تاريخ بناء المهدية إلا أنه لم يقل أحد منهم أنها بنيت عام ٢٩٦ هـ، بل كان الاختلاف كان بين عامى ٣٠٠ هـ، أو ٣٠٣ هـ، وتم الانتهاء من تأسيسها عام ٣٠٨ هـ. البكرى: المغرب، ص٢٩ ــ ٣٠؛ ياقوت: معجم، ج٥، ص٢٢٩.

(٨) يقررها المقريزى أربعة وعشرين عاماً وعشرة أشهر وعشرين يوماً، السابق، ص ١٠٦.

القائم بأمر الله نزار:

الإمام أبو المنصور القائم بأمر الله نزار [٥٩ أ] بن الإمام المهدى عبد الله، تولى المملكة فى ربيع الأول ومات بالمهدية تحت حصار مخلد البربرى [١] فى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ومدة ملكه اثنتا عشرة سنة، ومات وعمره نيفً وخمسون سنة وقام بالأمر بعده ولده

المنصور بالله بن القائم بالله نزار:

أبو الطاهر إسماعيل المنصور بالله بن القائم بالله نزار، ومولده بالقيروان فى عام اثنين وثلاثمائة، وكان فى غاية الفصاحة والبلاغة يرتجل الشعر والخطب وما يقصد من الكلام المسجوع لوقته، تولى المملكة وهو محصور فكسر مخلد البربرى الذى حاصر والده ثم ملك جميع مدن القيروان وبنى مدينة سماها " المنصورية " واستوطنها، توفى فى سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، ومدة مملكته سبع سنين وثمانية أيام، وقام بالأمر بعده ولده:

المعز لدين الله:

أبو نزار معد المعز لدين الله بن الإمام المنصور إسماعيل، كان شهماً شجاعاً مهاباً عظيماً، اتسعت مملكته وكثرت عساكره، فلما اختل أمر الديار المصرية بعد موت كافور الإخشيدى ومواليه ـــ لاشتغال الخلفاء بنى العباس بالديلم عن الديار المصرية لفتن قامت عندهم ببغداد ـــ قصد أخذ مصر وخاف أن يغرر بنفسه وعساكره فيفوته المغرب ولا تحصل له مصر، فجهز قائداً من قواده يسمى جوهر الصقلبى وكان يعرف بقائد القواد ومعه مائة ألف رجل إلى الديار المصرية وأمره أنه إذا تملك الديار المصرية يبنى بلداً بالقرب من مصر لتكون سكناً للمعز.

---

(١) هو أبو يزيد مخلد بن كيداد النكارى الخارجى، ويعرف بصاحب الحمار، ثار ضد الفاطميين بإفريقية. عن ثورته انظر: ابن عذارى: السابق، ج١، ص٢١٦ وما بعدها؛ المقريزى: السابق، ص١٠٩ وما بعدها.

فلما وصل القائد إلى مصر وتسلمها من غير قتال بعد أمور جرت له ــ اختصرنا ذكرها ــ اختط سور القاهرة وبناه بالطوب اللبن [١] وبعضه موجود بالقرب من سوق الغنم [٢] وكانت تربة عند الركن المخلق [٣] وإلى جانبها دير يعرف بدير العظام يقال إنه كان به [عظام] جماعة من الحواريين فنبشت عظامهم ونقلوها إلى الخندق واختط القصر مكان الدير فى وسط المدينة بترتيب ألقاه إليه سيده وهو الآن دار الضرب [٤]، ورتب القاهرة وحارات لطوائف العسكر القادمين صحبة أستاذه من بلاد الغرب كحارة زويلة[٥] وحارة المصامدة [٦]، وعمر الجامع الأزهر وسمى هذه المدينة بالمنصورة وذلك فى سنة إحدى وستين وثلاثمائة، ثم أرسل عرف أستاذه المعز بذلك [٥٩ ب]، ثم حضر المعز من المهدية بعساكره من بلاد الغرب إلى أن دخل القاهرة من غير صرورة [٧]، وجلس على سرير الملك وولى وعزل وفرق وأقطع وذلك فى شهر ذى القعدة عام اثنين وستين وثلاثمائة.

---

(١) هذا السور تم هدم آخر جزء منه يرجع إلى العصر الفاطمى فى العهد المملوكى عام ٨٠٣ هـ. انظر: المقريزى: الخطط، ج١، ص٣٧٧.

(٢) السابق، ج١، ص١٠٤، ج٢، ص٤٥.

(٣) يقع موقعه على الزاوية التى كان يتلاقى فيها الحائط البحرى للقصر الكبير بالحائط الغربى له، وقيل إن السبب فى تسميته بذلك يرجع إلى عام ٦٦٠ هـ وذلك لظهور حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى عليه السلام فخُلق بالزعفران. وقد أرجع المقريزى سببا آخر لتلك التسمية فى أنه وجدت كتابة على أسكفة باب الجامع الأقمر تقول " والحوانيت التى باكر من المخوق " وهى فى اللغة بمعنى الواسع، أو يكون المخلق أى مستو وأملس، وأن العامة حرفته إلى الركن المخلق. السابق، ج١، ص٤٠٥.

(٤) دار الضرب هى بقايا القصر الكبير والذى كانت به خزانة الإيوان الكبير. المقريزى: السابق، ج١، ص٤٠٦ ــ ٤٠٧.

(٥) حارة زويلة: نسبة إلى قبيلة زويلة التى نزلت بها بعد دخول الفاطميين مصر. المقريزى: السابق، ج٢، ص٤، ٣٦٨.

(٦) عرفت هذه الحارة باسم إحدى طوائف الجند الفاطميين المنسوبون إلى قبيلة مصمودة البربرية، وقد بنيت هذه الحارة عام ٥١٥ هـ عهد الخليفة الآمر بأحكام الله. المقريزى: السابق، ج٢، ص٢٠.

(٧) الصرورة هى العزيمة والإصرار، وتقال أيضاً للرجل المتبتل غير الراغب فى الزواج. ابن منظور: لسان، ج٤، ص٤٥٣.

وكان عارفاً ذكياً فطناً يقظاً مطلعاً على الأمور، وكان عارفاً بالنجامة وهو الذى ابتـدأ بهذه المدينة باسم القاهرة وذلك لأنه عند حفر أساسها كان الطالع نجم يسمى القاهر يقال إنـه المريخ، وحَمَل أحجار الأساس لجماعة وجعل لهم حبالاً على قوائم هذا الأسـاس، وجعـل فى الحبال أجراس نصبت وأمر حَمَلة الأحجار برميها إذا سمعوا صوت الأجراس، وقعـد يرصـد لاستحقاق الرمى يحرك لهم الأجراس ليرموا الحجار، فحط غراب على تلك الحبال فتحركـت الحبال بالأجراس فصيتت فسمعوها حملة الحجار فظنوا أن المعز أشار إليهم فرموا الحجار فى ذلك الطالع فرأى المعز ذلك فشق عليه وقال: إن الطالع القاهر. فسماها بالقاهرة لأنه لا يملكهـا إلا قاهر[1]. وأقام المعز بالقاهرة سنتين ونصفا إلى أن توفى فى ربيع الآخر عام خمسة وستين وثلاثمائة، وكانت مدة مملكته بالمغرب والقاهرة ثلاث وعشرون سنة ونصف، ولما توفى كانت الولاية بعده لولده:

العزيز بالله نزار:

أبى المنصور العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد فى يوم الخميس رابع ربيع الآخـرة، وكان كريماً شجاعاً حسن العفو عند المقدرة، قريباً من الناس بصيراً بالجارح من الطير، مغرمـاً بحب الصيد حتى صيد السباع، وكان أديباً فاضلاً ذكياً ذكره الثعالبى فى يتيمة الدهر، تـوفى فى سنة ست وثمانين وثلاثمائة، ومدة مملكته إحدى وعشرون سنة، ولما مات تولى بعده:

---

(١) من المعروف أن المعز لدين الله قدم إلى مصر بعد بناء القاهرة ولذلك لم يكن له دخل فى بنائها،ولقد كانت هناك روايتان حول بناء القاهرة أوردهما المقريزى فى الخطط إحداهما ماذكره السحماوي وهذه الرواية تتشابه مع ما رواه المسعودى فى بناء الإسكندرية على يد الإسكندر الأكبر. والأخرى أن جوهر الصقلبى سماها المنصورية على اسم مدينة المنصورية بالمغرب وعندما حضر المعز سماها القاهرة تيمنا بأنها ستقهر أعداءها وهذه الرواية هى الأقرب للصحة. انظر: المقريزى: الخطط، ج٢، ص٢٠٤؛ اتعاظ، ج١، ص١١١هـ١؛ المسعودى: مروج الذهب، ج١، ص٢١٥.

الحاكم بأمر الله:

أبو على الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نزار فى اليوم الثانى من مـوت والـده، وعمر جامعه المشهور عند باب النصر فى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وسماه بالجامع المنصورى ثم عرف بعد ذلك به.

[كان] [١] شيطاناً مريداً سيئ الاعتقاد وسفاكاً للدماء، قتل عدداً كثيراً [٦٠ أ] من أمراء دولته وأعيانها صبراً بغير ذنب، ادعى الألوهية وأمر بسب الصحابة رضى الله عنهم، ومنع النساء من الخروج من بيوتهم ليلاً ونهاراً مدة سبع سنين، ومنع الخمر وقطع سائر الكروم مـن الديار المصرية وحرم أكل الملوخية وشرب النعناع، ثم إنه زهد ولبس الصوف وركب الحمـار وصار يطوف بالأسواق بغير غلام، وهدم قمامة بالقدس الشريف [٢] وألزم النصـارى بتعليـق صلبان خشب فى أعناقهم زنة كل صليب خمسة أرطال، وجعل على أبواب اليهود والنصـارى صفة صور الشياطين وأمرهم بتعليق أجراس فى رقابهم عند دخولهم الحمام، وكان رافضياً خبيثاً مُسَوْدَناً غاب بالجبل المقطب [٣]، وقيل قتل به وصح ذلك لأنهم وجدوا دابته معرقبة عند حلوان فى بركة، ووجدوا جبته وأثر السكاكين بها وذلك فى شوال عام إحدى عشرة وأربعمائة وعمره ستة وثلاثون سنة، وكانت مدة ولايته عشرين سنة [٤] ـــ وله الحكايـات العجيبـة والأمـور الغريبة تركتها طلب الاختصار [٥] ـــ ثم قام بالأمر بعده ولده:

---

(١) ما بين الحاصرتين لإيضاح المعنى.

(٢) المقصود بها كنيسة القيامة بالقدس الشريف، وذلك الاسم راجع إلى أن موضع الكنيسة كان الموضع الذى كانت توضع به القمامة خارج سور بيت المقدس. القلقشندي: صبح، ج١٣، ص٢٨٦.

(٣) الصواب: المقطم.

(٤) الصواب: خمسة وعشرون، لأنه من المعروف أن الحاكم بأمر الله تولى الخلافة عام ٣٨٦ إلى عام ٤١١ هـ/ ٩٩٦ ـــ ١٠٢٠م فتكون مدة حكمه خمسة وعشرون عاماً، ولذلك فأعتقد أن كلمة " خمسة " قد سقطت عفواً من المؤلف.

(٥) لقد حاول بعض المؤرخين الدفاع عن سلوك الحاكم الذى شحنت به كتب التاريخ، منهم. عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، القاهرة ١٩٥٩.

الظاهر بالله على:

أبو الحسن الظاهر بالله على بن الحاكم بأمر الله بن معد بعد والده بشهرين فى يوم عيد النحر وكان عمره سبع سنين، ضعفت دولة العبيديين فى أيامه لصغر سنه، وأقام متولياً خمسة عشر سنة وتسعة أشهر، وتوفى ليلة النصف من شوال سنة سبع وعشرين وأربعمائة، قال ابن خلكان: إنه مات بالمقس فى بستان يعرف ببستان الدكة [1]، ولما مات قام بالأمر بعده:

المستنصر بالله معد:

أبو أحمد المستنصر بالله معد بن الظاهر بالله على فى يوم وفاة أبيه وهو ابن ثمان سنين وجرت فى أيامه فتن وشدائد، وخربت مصر إلى الآن وهى الكيمان التى بطريق مصر، وتغلبت أكثر ولاة الأطراف عليها وحوصر فى قصره، وتجنى الأجناد عليه وانتزعوا كل ما فى يده، وطالبوه بتزويج بناته وأخواته فأخرجهن مع أولاده الرجال من القصر وسيرهم إلى [٦٠ ب] غزة وعسقلان، وسبب ذلك الغلاء المسمى "بالأسود "، وهو الذى ما عهد بمثله من زمن يوسف الصديق صلوات الله وسلامه عليه فأقام سبع سنين وأكل الناس بعضهم بعضاً، قيل بيع فيه رغيف واحد بخمسين دينار، ثم عدمت الأقوات بعد ذلك.

قال ابن الجوزى فى مرآة الزمان " أن فى هذا الغلاء خرجت امرأة ومعها قدر مُد من جوهر فقالت: من يأخذ هذا ويعوضنى فيه قدر مُد من بُر، فلم تجد فقالت: إذا لم تنفعنى فى الضائقة فلا حاجة لى بك. فألقته فى الطريق وانصرفت، فالعجب ما كان من يلتقطه لأن أهل مصر إذ ذاك نزح أكثرهم عنها ".

(١) بستان الدكة: بستان من بساتين القاهرة فيما بين أراضى اللوق والمقس، وكان به منظرة للخلفاء الفاطميين، وقد تلاشى هذا البستان وحكر موضعه وصار منطقة سكنية كبيرة إلا إنه خرب منذ عام ٨٠٦ هـ. انظر: المقريزى: الخطط، ج١، ص٤٧٩ ــ ٤٨٠، ج٢، ص ١٢٠ ــ ١٢١.

وكان المستنصر فى هذه الشدة يركب وحده ومعه مشاة لم يجدوا دوابَّ يركبونها، وكان المستنصر يستعير بغلة صاحب الديوان ليركبها حامل المظلة[١] [يوم العيد] [٢]، وكان عسكره يتساقطون من الجوع، وكان خطب له ببغداد وانقطعت خطبة بنى العباس منها على ما تقدم [٣] ولم يزل فى ضنك وفساد أمر حتى طلب أمير الجيوش بدرا الجمالى وكان والياً فى عكا فحضر إلى الديار المصرية وهو فى ذلك الأمر واستوزره فدبر الأمور بأحسن تدبير وجلب الأقوات من الأماكن البعيدة ووطد العالم وزال عنهم ذلك الضنك [٤]. وأقام المستنصر فى ولايته هذه ستين سنة إلى أن مات لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، ثم قام بالأمر بعده ولده:

المستعلى بالله:

الإمام أبو العباس أحمد المستعلى بالله بن الإمام المستنصر بالله معد فاختلت دعوتهم ودولتهم وضعف أمرهم وانقطع من أكثر بلاد الشام حكمهم، وتغلب الفرنج على أكثر بلاد الشام، ولم يكن للمستعلى مع وزيره الأفضل [٥] كلام [٦].

وكانت ولادة المستعلى لعشر ليال بقين من المحرم سنة تسع وسبعين وأربعمائة، وبويع فى ثانى عشر ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة واستمر فى الولاية إلى أن مات بمصر لعشر بقين

---

(١) حامل المظلة وظيفة فى العصر الفاطمى يتولاها أمير من أكابر الأمراء، وهى عبارة عن المظلة التى تكون فوق رأس الخليفة وتكون من نفس لون ثيابه. القلقشندي: صبح، ج٣، ص٤٦٩.

(٢) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ٢٠٩.

(٣) انظر ص١٨١.

(٤) ظل بدر الجمالى وزيراً للخليفة المستنصر حتى وفاته ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م متحكماً فى كل مظاهر الحياة السياسية فى مصر، انظر بالتفصيل: ابن الصيرفى: الإشارة لمن نال الوزارة، ص٩٤ ـــ ٩٧؛ ابن ميسر: أخبار مصر، ص٣٩ ـــ ٥٤؛ المقريزى: اتعاظ، ج٢، ص٣١١ ـــ ٣٢٩؛ الخطط، ج١، ص ٣٨١ ـــ ٣٨٢.

(٥) تولى الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى الوزارة قبل وفاة والده بحوالى عام وكتب له المستنصر تقليداً بذلك. ابن الصيرفى: السابق، ص٩٧ هـ ٣.

(٦) حكم: الجوهر، ص ٢١١.

من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة، وكانت [٦١ أ] ولايته سبع سنين وشهر، ثم قام بالأمر بعده ولده:

الآمر بأحكام الله:

الإمام أبو على الآمر بأحكام الله منصور بن المستعلى بالله وهو ابن خمس سنين وخمسة أيام، وطلع ظالماً جاهلاً طماعاً كثير الفسق متظاهرا بالفواحش ردىء الطبع (١) وثبوا عليه الباطنية فضربوه بالسكاكين (٢) إلى أن مات وفرح الناس بقتله، ثم إن جماعته وثبوا على الباطنية فقتلوهم فى عام أربع وعشرين وخمسمائة فكانت خلافته ثلاثون سنة وثمانية أشهر، ووقعت المبايعة لابن عمه:

الحافظ لدين الله:

الإمام أبى الميمون الحافظ لدين الله عبد المجيد بن الأمير أبى القاسم محمد بن الإمام المستنصر بالله معد (٣) فى ذى القعدة منها وعمره ثمانية وخمسون سنة وشهراً، وكان وزيره ابن الحافظ (٤) هو المتحدث ولم يكن للحافظ إلا اسم الخلافة، وكان ابن الأفضل (٥) قد أظهر مذهب الإمامية.

---

(١) ابن ميسر: أخبار، ص١١١.

(٢) قتل الآمر مجموعة من النزارية لكونه وأبوه عندهم من الغاصبين للخلافة دون نزار بن المستنصر، وعن عملية قتله بالتفصيل انظر:السابق، ص١١٠؛ ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص٢٤ ــ ٢٦.

(٣) لقد مات الآمر دون أن يعقب ولداً ولكنه ترك إحدى جواريه حاملاً فأوصى أن يكون ابن عمه عبد المجيد إماماً مستودعاً حسب العقيدة الإسماعيلية إلى أن تلد الجارية ذكراً يكون هو الإمام، ولكن الذى حدث أنها أنجبت أنثى فظلت الخلافة باسم عبد المجيد الذى تلقب بالحافظ. انظر: ابن الطوير: السابق، ص ٢٦ ــ ٢٧.

(٤) هو أحمد بن الوزير الأفضل شاهنشاه الملقب بكتيفات، انظر تفاصيل علاقته مع الخليفة الحافظ: السابق، ص٣٠ ــ ٣٣؛ ابن ميسر: السابق، ص١١٣ ــ ١١٥.

(٥) الصواب: الأفضل.

ثم إنه ـــ أى الحافظ ـــ دبر على وزيره حتى قتله فى سنة ست وعشرين، وتصـــرف فى مملكته وطالت يده وأحسن تدبير نفسه إلى أن مات فى عام أربع وأربعين وخمسمائة لخمس خلون من جمادى الآخرة منه، وكانت ولايته تسعة عشر عاما وشهورا ثم قام بالأمر بعده ولده:

الظافر بالله إسماعيل:

الإمام أبو الفداء الظافر بالله إسماعيل بن الحافظ عبد المجيد، وزر له الأمير نجم الدين بـــن مصال [١]، وكان عارفاً عاقلاً ديناً، عمر جامع الفكاهين [٢] بالشوائين [٣] المعروف بالظافرى، استوزر الملك عباس [٤].

وكان لعباس ولد يسمى نصر صحبة الظافر واتحد معه حتى يكاد أنه لا يفارقه فحســـده أكثر المملكة على ذلك، فخشي الوزير على نفسه من جريرة ذلك فرمى بين ولده وبين الظافر بمواقع شنيعة بأمور قبيحة [٥] شنعها عليه، فعزم نصر على الظافر فى بيته فأتاه لـــيلاً إلى الـــدار

(١) نجم الدين أبو الفتح سليم بن محمد بن مصال اللكى المغربى، وقد تولى الوزارة لمدة شهرين عام ٥٤٤ هـــ/ ١١٤٩ م، وقد خرج عن الوزارة على يد العادل بن السلار، انظر: ابن ميسر: أخبار، ص١٤٠ ـــ ١٤١؛ ابن الطوير: نزهة، ص٥٥ هـــ٣؛ المقريزى: اتعاظ، ج٣، ص١٩٣.

(٢) جامع الظافر يعرف أيضاً بالجامع الأفخر ثم عرف فى العصر المملوكى بجامع الفاكهيين أو الفكاهين. انظر: المقريزى: الخطط، ج٢، ص٢٩٣.

(٣) كان قبلها يعرف بسوق السراجين، وفى العصر المملوكى عرف بسوق الشوائين. انظر: المقريزى: السابق ج١، ص٣١٥، ٣٧٣، ج٢، ص٣٩٣.

(٤) هو الملك عباس بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس، ربيب العادل بن سلار، قتل عباس العادل سلار بإيعاز من أسامة بن منقذ وتولى الوزارة بعده. عن قتل ابن سلار وتولى الملك عباس الوزارة انظر: ابن الطوير: السابق، ص٥٩ ـــ ٦٦؛ ابن ميسر: السابق، ص١٤٦ ـــ ١٤٧؛ أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص١٨.

(٥) انظر: ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص١٩١ ـــ ١٩٢؛ ابن الطوير: السابق، ص٦٧؛ المقريزى: اتعاظ، ج٣، ص٢٠٦؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج٥، ص٢٨٨ ـــ ٢٩٣.

المعروفة بالمأمون بن بطائح المعروفة الآن بمدرسة الصنادقيين [١] فقتل الظافر بها فى شهر المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة [٢]، وكانت مدة مملكته أربع سنين وثمان شهور، ثم قام بالأمر ولده:

الفائز بنصر الله:

الفائز بنصر الله عيسى بن الظافر [بالله] إسماعيل صبيحة قتل والده وعمره خمس سنين[٣]، ووزر له الصالح [٦١ ب] طلائع بن رزيك [٤] وكان خيراً عارفاً ديناً عمر جامع الصالح [٥] خارج بابى زويلة والمشهد الحسينى [٦] فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وأوقف

---

(١) هذا الاسم " مدرسة الصنادقيين " لم يذكره المقريزى أو غيره من المؤرخين إلا باسم " المدرسة السيوفية " وهى المدرسة الخاصة بتدريس المذهب الحنفى، وكانت فى أصلها دارا للوزير الفاطمى المأمون بن بطائح، ولعل صاحب الثغر أطلق عليها هذا الاسم نتيجة وجودها قبالة قيسارية الصنادقيين. انظر: المقريزى: الخطط، ج١، ص٣٧٤، ج٢، ص١٠٢، ٣٦٥ ــ ٣٦٦، وهذه المدرسة حل محل جزء منها جامع الشيخ مطهر الواقع بشارع المعز لدين الله من جهة شارع جوهر القائد. انظر: ابن الطوير: السابق، ص١١ هــ١.

(٢) السابق: ص٦٧؛ ابن ميسر: السابق، ص١٤٧ ــ ١٤٨؛ المقريزى: اتعاظ، ج٣، ص٢٠٦؛ الخطط، ج٢، ص٣٠؛ وقد ذكر ابن منقذ رواية أخرى مفادها أن الخليفة الظافر أراد قتل الملك عباس عن طريق ابنه نصر، الاعتبار، ص١٩ ــ ٢٠.

(٣) ابن منقذ: السابق، ص٢٠ ــ ٢١.

(٤) تولى الصالح طلائع بن رزيك الوزارة بعد أن استنجدت به شقيقات الخليفة الظافر لكى يخلص البلاد من الوزير الملك عباس فزحف الصالح طلائع على القاهرة ودخلها بدون قتال وتولى الوزارة للخليفة الفائز. وعن هذه الأحداث بالتفصيل انظر: ابن الطوير: السابق، ص٦٩ ــ ٧٣؛ ابن منقذ: السابق، ص٢٣ ــ ٢٧؛ ابن خلكان: وفيات، ج٢، ص٥٢٦، ت رقم ٣١١.

(٥) المقريزى: الخطط، ج٢، ص٢٩٣، وهذا الجامع مازال قائماً تحت رقم ١١٦.

(٦) باب المشهد الحسينى: هو الباب المعروف اليوم باسم الباب الأخضر بمسجد الإمام الحسين، وكان يعرف حتى عام ٥٤٨ هــ باسم باب الديلم، وهو الباب الذى يؤدى إلى قبة الديلم التى دفنت بها رأس الحسين فعرفت بالمشهد الحسينى. المقريزى: السابق، ج١، ص٤٢٧؛ ابن الطوير: نزهة، ص١٨٨، هــ٢.

بلقس من الضواحي على الأشراف [١]، وكان حسن الرأى والتدبير فى أموره، وسار فى النـــاس سيرة مشكورة إلى أن أدركته الوفاة فى سابع عشر رجب عام خمس وخمسين وخمسمائة، ثم قـــام بالأمر بعده:

العاضد لدين الله:

الإمام أبو محمد العاضد لدين الله عبد الله بن الأمير أبو الحجاج يوسف بن الإمام الحافظ عبد المجيد فى ثامن عشر رجب منها وعمره أحد عشر سنة، وتوزر له طلائع بن رزيك ثم قتل، وتولى ولده العادل ثم قتل [٢]، وتولى شاور [٣] وهو الذى أخرب مصر [٤]، لأن الفرنج حاصروا القاهرة حصاراً شديداً، فخاف على مصر فأحرق مدينة باب اليون [٥]، وكانت مدينة عظيمـــة يقال إنه كان بها أربعمائة حمام، وهى الكيمان التى بالقرافة خارج السور [٦] خوفاً لأن يملكهـــا

---

(١) وأوقف على السادة الأشراف بلقس: الجوهر، ص ٢١٦؛ وبلقس الأشراف قرية قديمة ذكرها ابن مماتى ضمن أعمال الشرقية، وذكرها ابن الجيعان ضمن أعمال القليوبية، وهى الآن ضمن قرى مركز قليوب، وقد أوقفها الصالح طلائع على جماعات الأشراف يكون ثلثاها على الأشراف الحسنيين والحسينيين، وسبع قراريط منها على أشراف المدينة النبوية وجعل منها قيراطاً على بنى معصوم إمام مشهد الإمام على بالكوفة. ابن مماتى: قوانين، ص١١٠؛ ابن الجيعان: التحفة السنية، ص٦؛ ابن دقماق: الانتصار، ج٥، ص ٤٥، المقريزى: السابق، ج٢، ص٢٩٤.

(٢) هو الملك الناصر العادل رزيك بن الصالح، تولى الوزارة بوصية من أبيه عام ٥٥٦ هـ، قتل على يد والى الصعيد شاور عام ٥٥٨. ياقوت: السابق، ج٢، ص٤٣٩ ـــ ٤٤٤؛ محمد المناوى: الوزارة، ص ٢٨٧.

(٣) هو أبو شجاع شاور بن مجير بن نزار، تولى الوزارة مرتين، الأولى عام ٥٥٨ هـ، واالثانية من عام ٥٥٩ حتى عام ٥٦٤ هـ، وهو أول وزير من أرباب السيوف ينتمى للعرب. ابن خلكان: السابق، ج٢، ص٤٣٩، ت رقم ٢٨٥؛ محمد المناوى: السابق، ص٢٨٨ ـــ ٢٨٩.

(٤) يقصد بمصر هنا مدينة الفسطاط بما كانت تضمه من عواصم مصر القديمة قبل القاهرة وهى الفسطاط والعسكر والقطائع.

(٥) يقصد به حصن بابليون.

(٦) كان لأهل القاهرة قرافتان، الأولى عند سفح جبل المقطم وهى القرافة الصغرى، والثانية فى مصر وهى القرافة الكبرى. انظر سعيد عاشور: المجتمع المصرى، ص١٠٩ ـــ ١١١؛ محمد حمزة الحداد: قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير بأثار القاهرة، ١٩٨٧.

الفرنج[١]، وطلب الفرنج منه ألف ألف دينار [٢]، فسمع لهم وأوعدهم بجباية الأموال، وأرسل العاضد إلى نور الدين الشهيد وكان إذ ذاك صاحب الشام يستنصر به [٣]، وكان نور الدين بحلب، فجهز له أسد الدين شيركوه [٤] ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب فى جيش نحو العشرة آلاف فارس وخمسين ألف رجل مشاة، فلما سمع الفرنج بقدومه رحلوا، ودخل إلى القاهرة، فخلع عليه العاضد خلعة الوزارة، ومسك أسد الدين بشاور وزير العاضد فقتله، واستمر أسد الدين فى وزارة العاضد شهرين وعشرة أيام، ومات ثالث عشرين جمادى الآخرة عام أربع وستين وخمسمائة، ودفن بالقاهرة، ثم نقل إلى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم بوصية منه.

وتولى صلاح الدين يوسف بن أيوب وزارة العاضد [٥]، ثم قبض على العاضد وجعله فى قصر تحت الحرز إلى أن توفى فى المحرم عام سبع وستين وخمسمائة وهو آخر الفاطميين بمصر وعدهم أربعة عشر منهم ثلاثة بالمغرب، وأحد عشر بمصر والشام على ما بيناه فى هذا الباب.

---

(١) يقول فى ذلك المؤرخ أبو شامة " وأمر شاور بإحراق مصر وأنذر أهلها فخرج الناس منها على وجوههم وهجوا فى بلاد مصر، وبلغ أجرة الجمل إلى القاهرة ثلاثين ديناراً وترك الناس أكثر أموالهم فنهبت وأحرقت مصر فى تاسع صفر، وأقامت النار تعمل فيها أربعة وخمسين يوماً ". الروضتين فى أخبار الدولتين، ج١ ق٢، ص٤٣٢.

(٢) وعند أبو شامة " استقرت المصالحة على أربع مائة ألف دينار، وقيل ألفى ألف دينار ": السابق، ص٤٣٣.

(٣) يذكر المؤرخون روايتين عن استدعاء جيش نور الدين إلى مصر، الأولى: أن شاور هو الذى أرسل إلى نور الدين محمود وأوعز بذلك للخليفة العاضد بعد سقوط بلبيس فى يد الفرنج، والثانية أن الكامل بن شاور هو الذى أشار بذلك على العاضد بسعاية شمس الخلافة محمد بن مختار الذى رأى عدم جدوى دفاع شاور عن مصر وأن من الصواب استدعاء نجدة من عند نور الدين محمود. انظر: السابق، ص٤٣١.

(٤) هو أبو الحارث شيركوه بن شاذى بن مروان، قائد جيش نور الدين محمود الذى بعثه لنجدة مصر من خطر الصليبيين، تولى الوزارة للعاضد من عام ٥٦٤ هـ إلى أن توفى فى نفس السنة. ابن خلكان: السابق، ج٢، ص٤٧٩، ت رقم ٢٩٨؛ محمد المناوى: السابق، ص٢٩٠.

(٥) تولى صلاح الدين الوزارة فى الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة. انظر: أبو شامة: السابق، ج١ ق٢، ص٤٣٩؛ المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٢٣٣.

الباب الخامس

في معرفة السلاطين من بنى أيوب بالديار المصرية ومملكة الشام

وأولهم [٦٢ أ]

السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب:

السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن مروان بن شادى الحميدى الدوينى، تولى الوزارة عن أسد الدين شيركوه (١) كما تقدم، فرسم فى أول جمعة من السنة بالخطبة لبنى العباس وإبطال اسم العبيديين، ثم فى يوم عاشوراء توفى العاضد بالقصر وتسلم السلطان صلاح الدين القصر بما فيه واعتقل به من أقارب العاضد ومُنعوا من النساء لمنع النسل، ثم ورد عليه خلعة من أمير المؤمنين المستضىء بنور الله (٢) بالسلطنة " وأعلام خليفية للخطباء " (٣).

وهذا السلطان صلاح الدين ووالده وعمه من أمراء السلطان العادل نور الدين الشهيد محمود بن زنكى بن أق سنقر فأَلهم تربيته ونشؤه، ثم توفى نور الدين الشهيد حادى عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة فى قلعة دمشق بعلة الخوانيق، ودفن فى بيت بالقلعة ثم نقل إلى تربة بمدرسته التى أنشأها عند باب سوق الخواصين (٤).

قال ابن خلكان: سمعت من جماعة من أهل دمشق يقولون أن الدعاء عند قبره مستجاب، وقد جربت ذلك فصح. وكانت ولاية (٥) نور الدين الشهيد ثمانية وعشرون سنة، وفى عام وفاته أبطل كل المكوس من مملكته، وفتح من أيدى الفرنج دير سمعان، وقلعة جعبر، وقلعة صافينا،

---

(١) الصواب: العاضد لدين الله.

(٢) المستضىء بأمر الله: أبو شامة: السابق، ج١ ق٢، ص٤٩٣؛ ولكنها عند صاحب الجوهر كما فى الثغر، الجوهر، ص٢٢١.

(٣) وأعلام للخطباء بمصر: الجوهر، نفس الصفحة.

(٤) هى المدرسة التى بناها نور الدين محمود لأصحاب المذهب الحنفى جوار الخواصين فى الشارع الغربى بدمشق، أبو شامة: السابق، ص٥٨٣؛ النعيمى: الدارس، ج١، ص٤٧١.

(٥) دولة: الجوهر، ص ٢٢٢.

وقلعة هونين، وقلعة بانياس، وقلعة حارم، وتسلم حلب وحماة وحمص ومنبج وحـــران، وأخـــذ دمشق من صاحبها مجير الدين أبق [(١)]، ثم فتح مرعش، وبهسنا، وعزاز، وبانياس.

وكان ملكاً زاهداً عابداً عادلاً مستمسكاً [(٢)] بالشريعة فعالاً للخير كثير الصدقات بـــنى المدارس بأكثر بلاد الشام، وبنى بالموصل الجامع النورى، وبحماه الجامع الذى على نهر العاصى، وبنى جامع الرها، وجامع منبج، والبيمارستان بدمشق ودار الحديث [(٣)] بها، وكان رحمه الله فى المصاف يقاتل بنفسه ويتعرض للشهادتين [(٤)]، ويسأل الله [٦٢ ب] أن يحشـــره فى بطـــون السباع وحواصل الطير، وكان حسن الخط كثير المطالعة للحديث والفقه ملازماً للصلاة مـــع الجماعة كثير الصلاة وتلاوة القرآن، ورعاً فى مأكله خالياً من التكبر، له عقل تام ورأى صائب شديد الهيبة يزور الصالحين ويؤاخيهم ويعتق مماليكه ويزوجهم بسراريه [(٥)]، أخذ من الفرنج نيفاً وخمسين مدينة وحصناً، وأنفق [(٦)] على جامع الموصل سبعين [(٧)] ألف دينار، وعلى البيمارستان وأوقافه مائتى ألف دينار، وفعل معروفاً وخيراً لا يحصر.

وكان أسمر اللون طوالاً تركياً جميل الصورة قصير اللحية من الله عليه بالرحمة أفضل مـــا من على دارج وجعله من الذين يتبوءون أشرف المنازل ويظهرون على أعلى المعارج [(٨)].

---

(١) هو مجير الدين أبق بن محمد بن بورى بن الأتابك ظهير الدين طغتكين، تولى دمشق بعد والده عام ٥٣٤ هـــ، استولى نور الدين محمود على دمشق منه عام ٥٤٩ هـــ، توفى فى بغداد عام ٥٦٤ هـــ. انظر ابن خلكان: السابق، ج١، ص٢٩٧، ج٥، ص١٨٤، ١٨٨.

(٢) كذا فى أصول الجوهر، وكتبها محققه " مستمسك "، ص ٢٢٣.

(٣) دار الحديث النورية، هى أول دار حديث بنيت فى العالم الإسلامي خاصة بدراسة الحديث النبوى، بناها نور الدين محمود وجعلها وقفاً على تدريس الحديث النبوى. النعيمى: الدارس، ج١، ص٧٤.

(٤) للشهادة: الجوهر، نفسه.

(٥) للسرارى: الجوهر، نفسه.

(٦) غرم: الجوهر، نفسه.

(٧) تسعين: الجوهر، نفسه.

(٨) انظر تفصيل وصف نور الدين محمود فى. ابن خلكان: وفيات، ج٥، ص١٨٤ ـــ ١٨٩، ت رقم ٧١٥؛ أبو شامة: السابق، ج١ ق١، ص ٩ ـــ ١٠، ج١ ق٢، ص٥٨٢ ـــ ٥٨٤.

ولما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية وانقطعت دولة الفاطميين، ومات نور الدين الشهيد. لعب ولده فى المملكة الشامية، فسار السلطان صلاح الدين من مصر فملك دمشق وغيرها من البلاد الشامية، وقاتل الفرنج وفتح منهم نيفاً وسبعين مدينة وحصناً، فتح من اليمن إلى الموصل، ومن طرابلس الغرب إلى النوبة.

وكان رحمه الله ملكاً شجاعاً كريماً حليماً حسن الأخلاق متواضعاً صبوراً لطيفاً، وكان يحضر عند الفقراء والفقهاء والصوفية ويتفضل عليهم ويقضى لهم حوائجهم ويجيبهم إلى مقاصدهم ويعمل لهم الولائم والأوقات الطيبة والسماعات، وإذا قام أحد من الصوفية يرقص قام لأجله ولا يجلس حتى ينتهى رقص الصوفى ويجلس. سمع الحديث النبوى حتى فى مصاف الخيل، وأسمعه أيضاً.

وعمر البيمارستان العتيق [١] بالقاهرة، وأخذ دار سعيد السعداء جعلها خانقاه [٢]، وأخذ حبس المعونة بمصر وجعله مدرسة [٣]، وعمر بمصر الخشابية للشافعية، وأخرى للمالكية[٤]، وعمر بالفيوم مدرسة وخانقاه، وعمر بالقدس خانقاه [٥]، وكل من الصوفية بهذه

---

(١) المارستان العتيق، ويعرف بالأعلى أنشأه أحمد بن طولون ما بين عامى ٢٥٩ ـ ٢٦١ هـ، وقد كان بمصر مارستان قبله بناه الفتح بن خاقان عهد المتوكل العباسى عام ٢٤٧هـ/٨٦١م. انظر: ابن دقماق: الانتصار، ج٤، ص ٩٩؛ المقريزى: الخطط، ج٢، ص٤٠٦.

(٢) هذه الدار تنسب إلى أحد الأساتذة المحنكين أيام المستنصر الفاطمى يسمى بيان، وقيل اسمه قنبر أو عنبر. ابن ميسر: أخبار، ص١٤٤؛ القلقشندي: صبح، ج٣، ص٣٦٤ ـ ٣٦٥؛ المقريزى: الخطط، ج٢، ص٤١٥ ـ ٤١٦؛ المقفى: ج٢، ص٥١٢؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج٤، ص٥٠ ـ ٥١؛ والخانقاه كلمة فارسية معناها بيت، وأصلها خونقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٤١٤؛ البقلى: التعريف، ص١١٥.

(٣) وهى دار المعونة أو الشرطة، وقد كان سجناً فى العصر الفاطمى، وقد حوله صلاح الدين إلى مدرسة تعرف بالمدرسة الشريفية. المقريزى: الخطط، ج٢، ص١٨٧ ـ ١٨٨.

(٤) الخشابية هى المدرسة الصلاحية بجوار مسجد الشافعى المعروفة بالزاوية. ابن ناظر الجيش: التثقيف، ص١٩٣؛ ويذكر السخاوى أن صلاح الدين " عمر زاويتين إحداهما للشافعية والأخرى للمالكية وتعرف الآن بالخشابية ". تحفة الأحباب، ص٢٠٥

(٥) يقصد به الخانقاه الصلاحية ببيت المقدس، وموضعها مكان قبر حنة أم مريم عليها السلام. النعيمى: الدارس، ج١، ص٢٥٠.

الخوانق إذا سافر من خانقاه وقصد الآخرى وجد فيها ما فاته من التى سافر عنها، وعمر قلعة الجبل المقطم، وسور [٦٣ أ] القاهرة الذى هو الآن، وأربعين قنطرة بالجيزة بالجسر الذى يتوصل منه إلى الأهرام، وكتب ربعه [١] بخطه وأوقفها على خانقاه سعيد السعداء، وجعل فى آخر كل جزء منها أدعية مروية بسند يكاد أن يرحل إليها، وقد وقفت عليها.

وخلص القدس من أيدى الفرنج، وكان جميع ما يتحصل له من الأموال إما ينفقها فى سبيل الله، وإما يتصدق بها على المستحقين لأخذها، وإما يصرفها فى مصالح المسلمين أو يعمر بها مساجد الله حتى لم يجدوا خلفه من الأموال " سوى ديناراً واحداً وسبعة عشر درهم صورية"[٢].

وخلف سبعة عشر ولداً ذكراً وهم، الأفضل على، والعزيز عثمان، والظاهر غازى، والمفضل مظفر الدين موسى، والظافر خضر، والأعز يعقوب، والمؤيد مسعود، والمعز إسحاق، والجواد أيوب، والأشرف محمد، والمنصور أبو بكر، والصالح إسماعيل، والغالب فروخ شاه، ونصرة الدين إبراهيم، وعماد الدين شادى، والزاهد داود، والمحسن أحمد، وابنة واحدة تزوجها الملك الكامل محمد بن أخيه العادل.

وعند موته قسم البلاد بين أولاده الكبار، فأعطى الأفضل عليا دمشق والساحل وبيت المقدس وصرخد، وبصرى وهونين وتينين، والسواد وغزة الداروم. وأعطى العزيز عثمان مصر وما أضيف إليها من الصعيدين والواحات وأسوان والوجه البحرى والإسكندرية، وبرقة ودمياط. وأعطى الظاهر غازى قبل ضعفه حلب وأعمالها ودير ساك وبولص وتل باشر وإعزاز والرواندان وتل خالد منبج وبالس وشيزر وبرزيه وتفليس. وأعطى أخاه العادل أبو بكر حران[٣] والرها وسميساط وجعبر. وأعطى لابن أخيه عمر بن شاهنشاه حماة والمعرة والبقاعان[٤]. وأعطى لابن عمه أسد الدين شيركوه حمص وأعمالها.

---

(١) فى نسخ الجوهر: ربعة، صوبها محققه إلى: رقعة، ص٢٢٦.

(٢) سوى دينار واحداً صورياً ودراهم يسيرة: الجوهر، ص٢٢٤، والدينار الصورى هو الدينار الإفرنجى وسمى لذلك لصدوره بصور ملوكه. انظر: القلقشندي: السابق، ج٣، ص٤٤١.

(٣) هى مدينة قديمة كانت قصبة ديار مضر، وهى اليوم بتركيا. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧١٢.

(٤) البقاعان هما، البقاع البعلبكى نسبة إلى بعلبك، والبقاع العزيزى نسبة إلى العزيز عثمان بن صلاح الدين. القلقشندي: صبح، ج٥، ص١١٠؛ ابن دقماق: الجوهر، ص٢٢٨ هـ١٣.

ثم أدركته الوفاة رحمة الله عليه فى قلعة دمشق فى صفر عام تسع وثمانين وخمسمائة [(١)]، وكانت دولته أربعاً وعشرين سنة ودفن بتربته بالكلاسة [(٢)] سقى الله تعالى عهده صوب الرحمة والرضوان، ثم ولى السلطنة من بعده [٦٣ ب] ولده السلطان الثانى من بنى أيوب:ـ

السلطان العزيز عثمان:

العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فتح الخزائن وخلع على أهل المملكة من أرباب الوظائف وتم له الأمر.

وكان ملكاً عادلاً كريماً حسن الطوية والأخلاق والعقيدة شديد الخوف من الله محباً للعلماء ولسماع الحديث سمع وأسمع بالإسكندرية ومصر، وخالط الفقهاء وأهل الخير واستفاد منهم وأنالهم البر والإحسان، وسار فى الرعية سيراً حسناً إلى أن أدركته الوفاة فى المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة [(٣)]، ودفن عند ضريح الإمام الشافعى رضى الله عنه، وكان مولده بالقاهرة فى ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة، ولما عمرت والدة الكامل القبة على الإمام الشافعى أدخلت قبره فيها ثم تولى ولده السلطان [الثالث] من بنى أيوب:

السلطان المنصور محمد:

المنصور محمد بن السلطان العزيز عثمان، جلس على سرير الملك يوم وفاة والده فأقام إلى أن أخذ الملك منه الملك العادل أبو بكر، فكانت مدة مملكته سنة وشهرا وأياما.

ولما تسلطن السلطان الرابع من بنى أيوب:

---

(١) فى الثامن عشر من صفر. المقريزى: السلوك، ج١ ق١، ص١٤٠.

(٢) دفن السلطان صلاح الدين أولاً بداره الموجودة بقلعة دمشق التى مرض فيها، ثم نقل يوم عاشوراء سنة ٥٩٢ هـ/ ١١٩٥م إلى تربته بجوار الجامع الأموى بدمشق. السابق، ج١ ق١، ص١٤١؛ والكلاسة أحد أحياء دمشق. النعيمى: الدارس، ج١، ص٣١٢، ٣٢٠.

(٣) فى السابع عشر منه، وقد توفى العزيز عثمان فى حادث صيد، وعن ظروف وملابسات موته، انظر: المقريزى: السابق، ج١ ق١، ص١٧٤.

الملك العادل:

الملك العادل أبو بكر محمد بن أيوب فى ربيع الآخر عام ست وتسعين وخمسمائة، وكان عارفاً شجاعاً خبيراً بالحيل، وكان عنده حلم يسمع ما يكره ولا يظهر[1] أنه سمع.

فتح الخابور [2] ونصيبين وسنجار فى عام ستة وستمائة، واستمر فى السلطنة إلى سنة ثمان وتسعين فأخذ العهد على الأمراء وأعيان الدولة وحلفهم لولده الكامل محمد وجعله نائبه بمصر. وعند موته قسم البلاد بين أولاده فأعطى ولده الكامل محمد الديار المصرية وما هو مضاف إليها. وأعطى ولده المعظم عيسى دمشق وبيت المقدس وطبرية والأردن والكرك والشوبك واللاذقية وجبلة وغير ذلك من الحصون. وأعطى ولده الأشرف مظفر الدين موسى شاه أرمن ديار بكر والجزيرتين وميافارقين وأخلاط وأعمالها. وأعطى ولده الحافظ أرسلان حماة وحمص وجعبر. فاتفقوا كلهم اتفاقاً حسناً وصاروا كنفس واحدة.

وتوفى فى سابع جمادى الآخرة سنة خمسة عشر وستمائة بمدينة دمشق [٦٤ أ] فى وسط الشدة والمسلمون يقاتلون الفرنج على ثغر دمياط وعمره خمس وعشرون [3] سنة واشهر، وكانت مدة مملكته تسعة عشر سنة وشهر، ثم تولى السلطنة ولده السلطان الخامس من بنى أيوب:

الملك الكامل:

الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل أبو بكر محمد بن أيوب فى يوم وفاة والده.

وفى أيامه أخذ الفرنج دمياط فى سابع عشرين شعبان عام ستة عشر وستمائة، فأرسل إلى أخويه الملك المعظم عيسى والملك الأشرف موسى شاه أرمن، فحضرا له بعساكرهما وساروا إلى دمياط وتقاتلوا مع الفرنج فكسروا الفرنج وتسلم دمياط فى سابع رجب عام ثمان عشرة

---

(١) يورى: الجوهر، ص٢٣٣.

(٢) الخابور: اسم لنهر كبير بأرض الجزيرة، نسبت إليه مجموعة بلدان كثيرة يمر بها. ياقوت: معجم، ج٢، ص٣٣٤؛ ونهر الخابور منبعه اليوم بتركيا ويمتد إلى سوريا. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧١٧.

(٣) الصواب: وسبعون، الجوهر، نفسه.

وستمائة. ولما جلس الكامل على السماط وجلس أخواه إلى جانبيه أنشد فى ذلك جمال الدين بن مطروح وقيل شرف الدين الحلى [١] قصيدة منها:

أعباد عيسى إن عيسى بزعمكم وموسى جميعاً يخدمان محمدا

ثم رجع الكامل إلى القاهرة ومعه أخواه فأنعم عليهما بالذهب والخيل المسومة والأقمشة الفاخرة وعادوا إلى بلادهم.وفى أيامه أخذت [٢] الفرنج بيت المقدس مرة ثانية فى سنة خمس وعشرين وستمائة.

وكان ديناً مهاباً شجاعاً عارفاً حسن التدبير، عمر مدرسته التى بين القصرين وجعلها دار الحديث [٣]، وعمرت والدته قبة الشافعي [٤] على ما هى عليه الآن، وأجرت ماء النيل من بركة الحبش [٥] إليها. فتح آمد، وحصن كيفا، والرها، وخرت برت [٦]. وكان فقيها أديباً يحب العلم

---

(١) على الرغم من أن ابن دقماق قد نسب هذا البيت إلى جمال الدين مطروح إلا إن صاحب الثغر أضاف من عنده " أو شرف الدين الحلى " وهو يتفق مع ما قاله ابن تغرى بردى:النجوم، ج٦، ص٢٤٣.

(٢) الصواب: أخذ.

(٣) هى المعروفة بدار الحديث الكاملية، أو المدرسة الكاملية بين القصرين، أنشأها الملك الكامل عام ٦٢٢ هـ، وقد وقفها على المشتغلين بالحديث النبوى ومن بعدهم الفقهاء الشافعية. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٣٧٥.

(٤) تم الإنتهاء من بناء هذه القبة عام ٦٠٨ هـ على ضريح الإمام الشافعى. المقريزى: السابق، ج٢، ص٤٦٢.

(٥) بركة الحبش: نسبت بركة الحبش إلى قتادة بن قيس بن حبشى الصدفى، وكان ممن شهد فتح مصر، وكانت له حدائق بجوار هذه البركة تعرف بالحبش فنسبت البركة إليها، وهى من أشهر برك مصر تقع فى ظاهر مدينة الفسطاط فيما بين النيل والجبل. ابن تغرى بردى: النجوم، ج٥، ص١٤، هـ٢.

(٦) خرت برت: اسم أرمنى للحصن المعروف بحصن زياد فى أقصى ديار بكر. المقريزى: ياقوت: معجم، ج٢، ص٢٦٤؛ السلوك، ج٣ ق١، ص١٢٠ هـ١؛ ولكن رجح لى سترانج إنها المدينة المعروفة عند البيزنطيين باسم **orsamasaka** وكان لها حصن منيع. انظر: لى سترانج: بلدان الخلافة، ص١٤٩؛ ابن الصيرفى: نزهة النفوس، ج٣ ص١٦٣ هـ١؛ وعن هذه المدينة انظر فيما بعد، ص٧١٥.

والعلماء ويشاركهم فى العلوم، كثير السياسة يحب جمع المال " وكان يحضر الدواوين بين يديه"[١] ويحاسبهم بنفسه[٢].

وعند موته قسم مملكته بين أولاده، فأعطى ولده العادل أبو بكر مصر وما يضاف إليها. وأعطى ولده الصالح نجم الدين أيوب حصن كيفا والرها وحران وآمد وسنجار والخابور من ديار بكر.

قلت: وإن ملوك حصن كيفا من إذ ذاك وإلى زماننا من بقايا ملوك الأيوبية ولم يكن بقى منهم غير ملوك الحصن وسيأتى أسماؤهم فى [٦٤ ب] قسم المكاتبات.

توفى رحمه الله حادى عشر رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة بقلعة دمشق ودفن بها، ومدة مملكته عشرون سنة وشهر ونصف، ثم ولى السلطنة من بعده السلطان السادس من بنى أيوب:ـ

الملك العادل الصغير:

الملك العادل الصغير أبو بكر بن الكامل محمد، تولى المملكة باتفاق من الأمراء لأن والده كان مات بالشام، ولما قدموا بقية الأمراء خرج وتلقاهم وبعد نزولهم فى بيوقم جهز لهم التعابى من القماش والخيول والأموال فحلفوا له وأقاموا بحق طاعته ثم توجهوا إلى بلادهم.

ثم إنه أخذ فى اللهو واللعب وقعد فى مجلس شراب فقوى عليه السكر فتكلم فى قتل خدامه فبلغهم ذلك فاتفقوا مع الأمراء على حبسه فمسكوه وكاتبوا الملك الناصر صاحب الكرك أن يطلق الملك الناصر [٣] نجم الدين أيوب من الأسر ويحضر به ليسلموه المملكة، فلما وصل إليه الكتاب تحالف مع الصالح وحضر إلى الديار المصرية فوصلا إلى مدينة بلبيس رابع

(١) " وكان يحضر الدواوين أمامه "، الجوهر، ص ٢٣٨، ولكن د | محمد كمال الدين يرى أن هذا تصحيف من محقق الجوهر وأن النص الصحيح " وكان يحضر الدواوين قدامه. أربعة مؤرخين، ص ١٤٩.

(٢) يذكر المؤرخون أن الملك الكامل كان يباشر أمور ديوانه بنفسه، ولم يستوزر أحداً بعد صفى الدين بن شكر وزيره ووزير أبيه العادل. ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص١٥٧؛ المقريزى: السلوك، ج١ ق١،ص٢٥٩ ــ ٢٦٠.

(٣) الصواب: الصالح.

عشرين شهر ذى القعدة، فخرج العسكر للقائه ودخل بشعار المملكة وحبس أخاه فى القلعة وجلس على سرير الملك.

وأقام فى السلطنة إلى أن قصد السفر إلى الشام فى سنة أربع وأربعين وستمائة فخاف من غائلة أخيه فقصد إرساله إلى قلعة الشوبك فامتنع العادل من الخروج. فأرسل الصالح جماعة من الخدام فخنقوه سرا وأشاعوا موته، ولما تسلطن السلطان السابع من بنى أيوب:

الملك الصالح نجم الدين أيوب:

وهو الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل محمد، وحلفوا له الأمراء واستقر أمره، أحضر أخاه العادل ليلاً وسأله عن موجب عزله ومن كان السبب فيه؟ فأخبره عن ذلك فرد العادل إلى مكانه مسجوناً. ثم عرض الصالح الخزائن وبيت المال فلم يجد غير دينار واحد وألف درهم فسأل عن المال فقيل فرقه أخوك على الأمراء فكتم ذلك عنده مدة وأخذ وأعطى، ثم أحضر القضاة والأمراء [٦٥ أ] الذين كانوا السبب فى مسك أخيه وقال لهم بحضرة القضاة: لأى شئ مسكتم بسلطانكم العادل؟ فقالوا: كان سفيها، فقال الصالح للقضاة: من يكون سفيها يجوز تصرفه فى بيت المال؟ فقالوا: لا يجوز تصرفه، ثم إنه قال للأمراء: أقسم بالله متى لم تحضروا المال الذى أخذتموه كانت أرواحكم عوضه. فخرجوا جميعاً وأحضروا المال فكان سبعمائة ألف دينار وخمسة وثلاثون ألف دينار، وألفى ألف درهم وثلاثمائة ألف درهم فضة، ثم قام قليلاً ومسك الأمراء الذين اتفقوا على مسك أخيه على التدريج وعظم أمره وقويت شوكته.

عمر قنطرة السد [١]، وحفر أساس قلعة المقياس [٢] وعمر المدارس التى بين القصرين للقضاة

---

(١) قنطرة السد أنشأها الصالح أيوب مكان القنطرة التى بناها عبد العزيز بن مروان وعرفت بهذا الاسم لانحسار النيل عن الجانب الشرقى وانكشاف الأراضى التى تليها، فإذا ما أتى فيضان النيل جعل عند هذه القنطرة سداً من تراب إلى أن تأتى زيادة الفيضان عن ستة عشر ذراع فيفتح السد ويمر الماء. انظر: المقريزى: الخطط، ج٢، ص١٤٦.

(٢) هى قلعة الروضة التى أسكن بها الصالح نجم الدين أيوب مماليكه المعروفون بالبحرية، وقد بدء فى إنشائها عام ٦٣٨ هـ، وعرفت بقلعة الجزيرة وبقلعة جزيرة الفسطاط، وبقلعة المقياس، وبقلعة الصالحية. السابق، ج٢، ص١٨٣ ـ ١٨٥.

الأربعة [١]، وأخذ دمشق من صاحبها بعد حروب يطول شرحها، وفى عام سبع وأربعين وستمائة وصل افرنسيس إلى ثغر دمياط فى عساكر عظيمة وحاصرها، وكان بها جماعة من الأمراء الكنانية [٢] فاشتد عليهم الحصار فخرجوا ليلاً فأخذوها الفرنج مرة ثانية، وحضروا الأمراء الكنانية للسلطان فشنقهم بسبب انهزامهم وكانوا نيفاً وخمسين أميراً، وتوجه للقاء العدو بالمنصورة فضعف بها ومات فى ليلة نصف شعبان سنة سبع وأربعين، وفى ضعفه أوصى لولده المعظم تورانشاه بالسلطنة، وكان مقيماً بقلعة حصن كيفا، وكانت زوجته شجر الدر أم خليل الصالحية مدبرة الأمور فى مرضه فلم يتغير شيء من معالم المملكة وأخفت موت السلطان وأقامت مدة على ذلك ثم ظهر موته.

وهو أستاذ الترك وأول من جلبهم لهذه البلاد، قتل خلقاً كثيرة من الأمراء وغيرهم وأخذ أموالهم، ومات فى حبسه ما ينيف عن خمسة آلاف نفس، وكان ملكاً شجاعاً ذا هيبة وسطوة عظيمة ما جسر أحد أن يشفع عنده فى أيام مملكته، وكانت مدة سلطنته عشر سنين إلا خمسين يوماً، ثم حضر ولده تورانشاه من حصن كيفا صحبة الفارس أقطاى من البرية، وكادا أن يهلكا من العطش [٦٥ ب]، ثم تسلطن ونقل الصالح من المنصورة إلى تربته بين القصرين فدفن بها، ولما ولى السلطنة السلطان الثامن من بنى أيوب:

الملك المعظم تورانشاه:

الملك المعظم تورانشاه بن السلطان الصالح نجم الدين أيوب مملكة الديار المصرية والشامية بعد موت أبيه فى يوم الثلاثاء تاسع عشر ذى القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة، فسافر إلى دمياط وكسر الفرنج كسرة عظيمة، وقتل منهم مائة ألف نفس وزيادة وأسر ملكهم

---

(١) هى المدرسة والقبة الصالحية الموجودة بين القصرين بدأت شجرة الدر فى إنشائها عام ٦٤٠ هـ/١٢٤٢م، جعلها مدرسة للفقهاء الأربعة، ودفن داخل القبة بعد وفاته. السابق، ج٢، ص٣٧٤، وما زالت قائمة تحت الرقم الأثرى ٣٨.

(٢) هم الأمراء المنسوبون إلى بنى كنانة الموجودين مع الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ. المقريزى: السلوك، ج١ ق٢، ص٣٣٥ ـــ ٣٣٦.

الفرنسيس واعتقل بدار ابن عثمان [١] بالمنصورة فى سنة ثمان وأربعين، وفى ذلك قال ابن مطروح من جملة أبيات:

قل للفرنسيس إذا جئته مقالة من ذى وداد صحيح

دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشى صبيح

وكان هذا الطواشى صبيح خادماً حبشياً ذا حرمة وافرة وسطوة قاهرة، تولى أمير جندارية، وكان الطواشى شمس الخواص أستاداره أمر المعظم أن يصاغ له عصابة من ذهب يلبسها وأنعم عليه بأموال كثيرة وإقطاعات عظيمة وجعله أمير مائة وخمسين فارساً.

ثم شرع المعظم فى إبعاد أمراء والده ومماليكه وتقريب من حضر معه بحصن كيفا وخالف والده فى جميع ما أوصاه به، فاتفق الأمراء على قتله. ففي يوم الاثنين سادس عشر المحرم سنة ثمان وأربعين حضر الأمراء الموكب، وخرجوا من عنده فلما خلا المكان منهم تقدم إليه بعض مماليك والده وضربه بسيف التقاها بيده فانجرح، وخرج المملوك هارباً فقال له السلطان: عرفتك أين تروح؟، فخاف المملوك واجتمع باخوته [٢] وعرفهم ما جرى فدخلوا معه جميعاً إليه، فلما أبصرهم هرب إلى البرج الخشب الذى فى الخيمة فدخل فيه وأغلقه عليه، فأحضروا ناراً وحرقوه [٣] فرمى بنفسه من أعلى البرج وهرب إلى صوب البحر وهو يقول: ما أريد ملك دعونى أرجع إلى حصن كيفا. واستغاث بمن يجيره، ثم تعلق بذيل الفارس أقطاى فلم يجره وقطعوه قطعاً بالسيوف.

وكانت مدة [٦٦ أ] مملكته سبعة وستين يوماً، واتفق الأمراء الأكابر على سلطنة شجر الدر أم خليل الصالحية لما علموا أنها كانت تدبر أمر زوجها الصالح نجم الدين أيوب وتقضى حوائج الناس وتُعلم على المناشير والتواقيع، فحلف لها جميع العسكر المصرى وخُطب باسمها وتوجه هو وزوجته وأولاده ومن يخدمهم إلى بلادهم بعد أن قامت بيد الفرنج أحد عشر شهراً وتسعة أيام. ثم تزوجت نائبها الأمير عز الدين أيبك، ثم اتفق رأى الأمراء على أن يسلطنوا السلطان التاسع من بنى أيوب:

---

(١) الصواب: ابن لقمان.

(٢) بخشداشيته: الجوهر، ص ٢٥٠.

(٣) فأحرقوا البرج: الجوهر، نفسه.

الملك الأشرف مظفر الدين موسى:

الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، فسلطنوه يوم الأربعاء ثانى جمادى الأول عام ثمان وأربعين وستمائة، وأشركوا اسمه مع اسم شجر الدر على السكة [1]، ويعلمان معاً على المناشير وغيرها، وفى ذلك الوقت عظم أمر المماليك البحرية وتسلطوا على المسلمين وكانوا ألف مملوك من الترك بالروضة، فكانوا يسبون الحريم ويأخذون الأموال وكان كبيرهم الفارس أقطاى الصالحى، وكلما طلب من الأموال أخذ من الخزائن وغيرها حتى أقطع ثغر الإسكندرية بمفرده، وهذا الأشرف هو آخر ملوك بنى أيوب رحمة الله عليهم.

(١) ضربت شجرة الدر ديناراً لها عرف بالدينار المستعصمى نسبة إلى الخليفة المستعصم العباسى الذى ذكر اسمه على وجه الدينار، وعلى الظهر ذكر اسم شجرة الدر منتسبة إليه "المستعصمية ". وعن العملات التى ضربتها شجرة الدر انظر: سامح عبد الرحمن فهمى: الوحدات النقدية، ص٣١ ــ ٣٢.

الباب السادس

فى معرفة من ولى السلطنة بالديار المصرية من ملوك الترك

وأولهم:

السلطان المعز عز الدين أيبك:

السلطان المعز عز الدين أيبك، وسبب ولايته أن الأشرف موسى كان صغيراً، وبلغ أهل مصر قدوم التتار للبلاد، فأجمعت الآراء على إقامة [٦٦ ب] المعز بمفرده فتسلطن ودبر المملكة وشرع فى تحصيل الأموال واستخدام الرجال، واستجد وزيره الأسعد الفائزى [١] مكوساً كثيرة وضمانات وسماها حقوقا ومعاملات، ثم إن المعز لما تمكن وهربت جماعة البحرية إلى الشام ورءوسهم بيبرس البندقدارى، وقلاوون الألفى، وسنقر الأشقر [٢] وبيبسرى [٣] احتاط على موجودهم وارتجعت الإسكندرية إلى الخاص وأُبطل ما قرر من الضمان وخطب بنت صاحب الموصل، فسمعت شجر الدر بذلك فتغيرت عليه، فلما علم تغيرها عليه عزم على قتلها فبلغها ذلك فخافت على نفسها واتفقت مع الطواشى محسن الجوجرى ونصر العزيزى على قتله.

وفى خامس عشر ربيع الأول عام خمس وخمسين وستمائة دخل الملك المعز الدار فقامت بين يديه الملكة شجر الدر وقلعته قماشه وقبلت يده من غير عادة وقعد عندها ثم دخل الحمام فدخل عليه الخدام ومعهم غلام محسن فقتلوا المعز فى الحمام، فظهر خبر قتله فقبض على

---

(١) هو هبة الله بن صاعد الفائزى، لقب بالوزير الصاحب شرف الدين، وينسب إلى الملك الفائز إبراهيم بن الملك العادل أبى بكر. توفى مقتولاً عام ٦٥٥ هـ بتدبير من والدة الملك المنصور بن المعز. انظر: المقريزى: الخطط، ج١، ص١٠٥؛ العينى: عقد الجمان، ج١، ص١٤٤؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج٧، ص٥٨.

(٢) هو الأمير شمس الدين سنقر بن عبد الله الصالحى النجمى، أحد مماليك الصالح نجم الدين أيوب، توفى عام ٦٩٢ هـ. انظر : ابن تغرى بردى: المنهل، ج٦، ص٨٧ ـ ٩٥، ت. رقم ١١٢٣.

(٣) هو الأمير بدر الدين بيبسرى بن عبد الله الشمسى الصالحى، أحد أعيان الأمراء بالديار المصرية، توفى عام ٦٩٨ هـ. انظر: المقريزى: السلوك، ج١ ق٣، ص٨٨٠، ابن تغرى بردى: المنهل، ج٣، ص٥٠٠ ـ ٥٠١، ت رقم ٧٤١.

الطواشي وغلامه، وهرب نصر العزيزى إلى الشام، ثم دخل مماليك المعز على الملكة شجر الدر فوجدوا زوجة المعز أم ولده وجواريها قتلوا شجر الدر بالقباقيب إلى أن ماتت.

وكان المعز ملكاً حازماً شجاعاً كريماً حسن التدبير والسياسة غير أنه كان سفاكاً، وكانت مدة مملكته سبع سنين إلا ثلاثة وثلاثين يوماً، ثم اتفق الأمراء وأركان الدولة على سلطنة السلطان الثانى من ملوك الترك:

الملك المنصور نور الدين على:

الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز عز الدين أيبك فى اليوم الثانى من قتل والده وعمره عشر سنين، وجعل الأمير قطز نائبه وأتابكا كما كان فى أيام والده.

وفى أيامه أخذ التتار بغداد وقتلوا بها الخليفة المستعصم وولده ـ على ما تقدم ـ وقصد التتار إلى الشام، ثم إن الأمير قطز استشار الأمراء فى أمر المنصور ووالدته لأنها التى كانت تدبر أمره فى المملكة بتدبير النساء. فأشاروا بإمساكهم فكتم أمره إلى حين خرج الأمراء للصيد، ووجد قطز الفرصة فقبض على المنصور وإخوته ووالدته فى [٦٧ أ] ثامن عشرين ذى القعدة عام سبع وخمسين وستمائة واعتقلهم بثغر دمياط ببرج السلسلة [١]. وكانت مدة مملكته سنتين وثمان شهور وثلاثة أيام، ثم تسلطن السلطان الثالث من ملوك الترك:

الملك المظفر قطز:

الملك المظفر قطز المعزى، فعظم أمر المملكة، وفى عام ثمان وخمسين وستمائة وصلت التتار إلى مدينة حلب فأخذوها فشمخت أنفس النصارى بالشام ورموا [٢] الصليب وعلوا أصواتهم ثم وصل كتاب من هولاكو [ومضمون الكتاب] [٣] وهو:

" كتاب إلى المظفر قطز الذى هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إننا جند الله فى أرضه، خلقنا من سخطه، فسلموا إلينا تسلموا قبل أن تندموا، وقد سمعتم إننا أخربنا البلاد

---

(١) ويقال إن الملك المظفر قطز أرسل الملك المنصور وأمه وأخاه قاقان إلى بلاد الأشكرى ـ أى بلاد الروم ـ. انظر: العينى: عقد الجمان، ج١، ص٢٢١.

(٢) الصواب: رفعوا، الجوهر، ص ٢٦٥.

(٣) ما بين الحاصرتين من، نفسه.

وقتلنا العباد، فلكم منا الهرب ولنا منكم الطلب، فمن طلب حربنا ندم ومن قصد أماننا سلم، فإن أنتم لأمرنا أطعتم فلكم ما لنا، ولنا ما لكم، وإن خالفتم هلكتم ولا تهلكوا أنفسكم بأيديكم فقد حذر من أنذر فعجلوا لنا بالجواب قبل أن تضرم الحرب نارها وترميكم بشرارها، فما بقى لنا مقصد سواكم والسلام "[١].

وكان الكتاب صحبة أربعة رسل من عنده، فلما سمع المظفر قطز لفظ الكتاب تغير تغيراً شديداً، وأمر بتوسيط الأربعة رسل فوسطوا وعلقوا بسوق الخيل[٢] وبباب زويلة وبباب النصر[٣] وبالريدانية[٤]، ثم إنه نفق المال على عسكره، وسار إلى البلاد الشامية، فلقيه المماليك البحرية ومقدمهم بيبرس وقلاوون وبيبسرى، فأقبل عليهم وساروا معه إلى غزة فوجدوا جاليش[٥] التتار بغزة، فهرب التتار لأصحابهم على عين جالوت من أرض كنعان، فوصل المسلمون لهم والتقوا بهم وتقاتلوا قتالاً عظيماً، وصاح المظفر للعساكر الإسلامية وحمل بنفسه على التتار فكسرهم كسرة عظيمة وضربوهم إلى نيسان، ثم عادوا الثانية فحمل المسلمون عليهم فانكسروا أعظم من الأولى، وأُتى برأس كتبغا مقدم التتار وأُسر منهم خلق كثيرة، ثم توجه المظفر إلى حلب ورتب حال الممالك ورجع إلى الديار المصرية، فلما قرب من القصر بين

---

(١) انظر نص الرسالة كاملة، المقريزى: السلوك، ج١ ق٢، ص٤٢٧ ـــ ٤٢٨.

(٢) سوق الخيل: كان واقعاً تحت قلعة الجبل فى المنطقة التى عرفت فيما بعد بالرميلة، وتعرف الآن بمنطقة المنشية. ابن تغرى بردى: النجوم، ج٨، ص٤٢، هـــ ٣.

(٣) بابا زويلة والنصر: تم إنشائهما على يد أمير الجيوش بدر الجمالى عام ٤٨٠ هـــ، فقد قام بنقل البابين من مكانهما الذى بناه جوهر الصقلى عند اختطاط القاهرة إلى مكانهما الحالى. المقريزى: الخطط، ج١، ص٣٨٠، ٣٨١؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج٤، ص٣٨، هـــ٣.

(٤) الريدانية: كان يطلق على المنطقة الصحراوية المجاورة لبستان كبير لأحد خدام العزيز بالله اسمه ريدان الصقلبى، وموقعه اليوم حى مصر الجديدة بالقاهرة. المقريزى: الخطط، ج٢، ص١٣٩؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج١٠، ص٧، هـــ٥.

(٥) الجاليش أو شاليش. هو الراية العظيمة فى رأسها خصلة من الشعر تُحمل فى مواكب السلطان، وكان يطلق على طليعة الجيوش المحاربة. انظر: القلقشندي: صبح، ج٤، ص٨؛ المقريزى: السابق، ج١ ق٢، ص ٦٢٨؛ Dozy:supp.vol.1.p 168 ..

الغرابى [١] والصالحية انحرف عن الدرب للصيد، فلما رجع طلب [٦٧ ب] الدهليز [٢] سايره الأمير بيبرس وأصحابه وطلب منه امرأة من سبى التتار فأنعم له بها فأخذ يده ليقبلها، فقبض عليها، وكانت أمارة بينه وبين أصحابه فبادر أنص [٣] وضربه بسيف فأبانه من كتفه ثم اختطفه من ظهر فرسه ورماه وضربه بهادر المعزى بسيف قتله فى نصف ذى القعدة عام ثمان وخمسين وستمائة، واتفقوا على سلطنة السلطان الرابع من ملوك الترك :

الظاهر بيبرس البندقدارى:

الظاهر بيبرس البندقدارى العلائى، وكانت الديار المصرية رتبت، والناس فى فرحة وسرور لقدوم المظفر، ثم نادى مناد " ترحموا على الملك المظفر وادعوا بدوام أيام الملك الظاهر بيبرس ".

وكان المظفر قد أحدث حوادث منها، تسقيع الأملاك وتقويمها وزكاتها [٤]، وعلى كل

---

(١) الغرابى: رمل بطريق مصر بين قطية والصالحية، وكان صعب المسلك، انظر: معجم البلدان، ج٤، ص١٩٠.

(٢) الدهليز: هو الخيمة السلطانية التى تنتقل مع السلطان فى ترحاله. انظر:البقلى: التعريف، ص ١٣٨؛ Dozy;Op.cit,vol.1,p.467.

(٣) هو الأمير سيف الدين أنص الأصفهانى. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٣٠١؛ العينى: السابق،ج١، ص٢٥٣ ؛ ويذكر المقريزى أن الأمير بدر الدين بكتوت هو الذى بدره بالسيف على عاتقه واختطفه الأمير أنس [أنص] وألقاه عن فرسه، ورماه الأمير بهادر المعزى بسهم أتى على روحه. واختلفت رواية العينى عن رواية المقريزى فى بعض جوانبها.انظر: المقريزى: السلوك، ج١ ق٢، ص٤٣٥؛ العينى: السابق، ج١، ص٢٥٢ ــ ٢٥٤.

(٤) تسقيع الأملاك: هو إحصاء البيوت والعقارات لأجل فرض ضريبة عليها. سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص٤٠٠؛ ابن دقماق: الجوهر، ص ٢٧٢ هـ ٧.

إنسان دينار، وأخذ ثلث التركة الأهلية، فأبطل الظاهر ذلك وكتب به مسموحاً [١] وقرئ على المنابر.

وفى عام ستين وستمائة غلت الأسعار فأمر بجمع الحرافيش والفقراء وفرقهم على ولده والأمراء بقدر مقامهم وأخذ لنفسه خمسمائة وألزمهم بكفايتهم، فما رئى فى تلك الغلوة من يسأل. وفى عام اثنين وستين طهر السلطان ولده السعيد وطهر معه من أولاد الأمراء المقدمين والجند ما ينيف عن مائتى نفر، ومن أولاد القضاة والفقهاء والتجار والعوام ما ينيف عن ألف وستمائة نفر [٢]، وأنعم على كل منهم بكسوة ونفقة على قدر مقامه ورأس غنم أو رأسين، وفيها سلطن ولده الملك السعيد وركبه بشعار السلطنة ومشى هو وجميع العسكر قدامه وشقوا القاهرة وزينت وكان يوماً مشهوداً. وفيها [٣] أخذ السلطان الظاهر بانياس، وفتح يافا والشقيف وأنطاكية وبغراس.

وفى عام سبع وستين حج من ثالث شوال من غزة ومر على الكرك إلى المدينة النبوية فزار وتصدق وتوجه لمكة فوصلها فى خامس ذى الحجة فغسل الكعبة بيده بماء الورد، وكان ولده سافر صحبة الركب المصرى، ورجع الملك الظاهر صحبة الركب الشامى إلى القدس والخليل، ثم حضر إلى [٦٨ أ] مصر.

وكان رحمه الله تعالى ملكاً جليلاً عظيماً مشهوراً بالشجاعة والإقدام وحسن التدبير، محباً لأهل العلم والدين، تام الرأى، منصور العصائب [٤] والجيوش، فتح قلعة السبيرة والكرك

---

(١) يقصد بالمسموح هنا هو إعفاء الناس من أداء هذه الضرائب، وقد أطلق على هذا النوع من الإعفاءات قبل العصر المملوكى " المسامحة وجمعها مسامحات "، ويشبهها فى اللفظ " المسموح وجمعها مسموحات " ولكنها استخدمت فى العصر المملوكى على ما يأمر به السلطان لأمير من الأمراء من أموال يأخذها فوق إقطاعه. انظر: ابن ميسر: أخبار، ص٥٣؛ ابن الطوير: نزهة، ص٩٠ هـ١؛ القلقشندي: صبح، ج١٣، ص٢٣؛ المقريزى: الخطط، ج١، ص٨٣، ٨٦؛ البقلى: التعريف، ص٣١٣ ــ ٣١٤.

(٢) ألف وستمائة وخمسة وأربعون: الجوهر، ص٢٧٦؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص ٨٦.

(٣) كان ذلك فى عام ٦٦٦ هـ. ابن تغرى بردى: النجوم، ج٧، ص ١٤٢؛ ابن دقماق: الجوهر، ص ٢٧٧ ــ ٢٧٨.

(٤) العصائب جمع عصابة وهى الرايات والأعلام التى تحمل فى موكب السلطان. القلقشندي: صبح، ج٤، ص٨.

والشوبك وقيسارية وقلعة الهوى وصفد وسائر حصون الإسماعيلية وحصن الأكـراد وعكـا وكتبوك ومدينتها، وأذنة والمصيصة، والبلاد التى تقدم ذكرها. وعمر الحرم الشريف على يـد الأمير ابن يغمور [(١)] وقبة الصخرة بالقدس الشريف بعد أن تداعت إلى السقوط، وعمر قناطر شبرمنت بالجيزة وأسوار مدينة الإسكندرية، وبنى مناراً بثغر رشيد لرؤية مراكب العدو، وردم فم دمياط وتوعيره بالقرابيص [(٢)]، وعمر الشوانى على ما كانت عليه وحفر بحـر أشمـوم طناح [(٣)]، وعمر القلاع التى أخربها هولاكو وهى قلعة دمشق، وقلعة الصبيبة، وقلعة بعلبـك، وقلعة الصلت، وقلعة صرخد، وقلعة عجلون، وقلعة بصرى، وقلعة شيزر، وقلعة حمص.

وعمر المدرسة التى بين القصرين إلى جانب تربة أستاذه الملك الصالح، وعمـر الجـامع الكبير بالحسينية [(٤)] وخان للسبيل بالقدس الشريف وحفر خليج الإسكندرية وباشـر حفـره بنفسه وحفر فيه، وجدد عمارة جامع الأزهر بعد أن أقام خراباً مدة سنين، وعمر الظاهرية [(٥)] والسعيدية عند العباسية، وعمر القصر الأبلق بدمشق.

---

(١) علم الدين بن يغمور: الجوهر، ص ٢٨٤. هو الأمير جمال الدين موسى بن يغمور المولود عام ٥٩٩ هـ بالقرب من قوص، وتنقل فى الولايات الجليلة مثل نيابة السلطنة بالقاهرة ونيابة دمشق، توفى ٦٦٣ هـ. ابن تغرى بردى: النجوم، ج٧، ص٢١٨ ـــ ٢١٩.

(٢) قد تكون القرابيص هى كتل الحجارة والصخر لتوعير مجرى الماء مما يحول دون دخول سفن الأعداء فيه. ابن دقماق: السابق، ص٢٨٤ هـ ١١.

(٣) هناك بلدتان اسمهما أشموم، إحداهما أشموم طناح بالدقهلية، وتسمى الآن أشمون الرمان وهى المقصودة هنا، والأخرى أشموم الجريسات بالمنوفية، وتسمى الآن أشمون. ياقوت: معجم: ج١، ص٢٠٠؛ محمد رمزى: القاموس، ق٢ ج١، ص٢٢٩، ق٢ ج٢، ص١٥٧. وعلى عكس الشائع بأن اسم أشمون الرمان ظهر فى العصر العثمانى كما ذكر محمد رمزى فإن صاحب الثغر ذكره فيما بعد بهذا الاسم. انظر فيما بعد، ص٣٤٢.

(٤) هو جامع الظاهر بيبرس بدأ فى بنائه عام ٦٦٥ هـ فى مكان لعب السلطان الظاهر بيبرس بالكرة، ومازال المسجد قائماً تحت رقم ١. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٢٩٩ ـــ ٣٠٠.

(٥) هى المدرسة الظاهرية بين القصرين، السابق، ج٢، ص ٣٧٨ ـــ ٣٧٩، ومازالت قائمة تحت رقم أثرى ٣٧.

وكان ذا قصد حسن وفعل جميل، أدركته المنية فى مدينة دمشق [١] فى ثامن عشر من المحرم سنة ست وسبعين وستمائة وعمره نحوٌ من سبع وخمسين سنة، وكانت مدة مملكته سبعة عشر سنة وشهرين، وخلف ثلاث بنين وهم: السلطان الملك السعيد بركة خان، والملك العادل سلامش، والملك المسعود خضر، وسبع بنات، ولما تولى السلطنة بعده السلطان الخامس من ملوك الترك ولده:

الملك السعيد محمد بركة خان:

الملك السعيد محمد بركة خان، قام بتدبير مملكته الأمير بدر الدين بيلبك الخازندار[٢] [٦٨ ب] نائب والده، ثم إن السلطان نافر مماليك والده ومسك أكابر الأمراء وقدم الأصاغر وأبعد الأكابر، وسافر إلى الشام فجرت له أمور عظيمة يطول شرحها، فلما رجع إلى بلبيس خامر عليه العسكر الشامى ورجعوا مع نائب الشام ولم يبق معه إلا نفر قليل من الأمراء ومماليكه، وطلع قلعة الجبل المحروس فحاصروه فيها الأمراء المخامرون عليه، وإن مماليكه هربوا من حوله أولاً فأول[٣]، فأقام أسبوعاً [٤] فى المحاصرة من الأمراء، ثم إن الخليفة أرسل إلى الأمراء يختبر منهم عرضهم. فقالوا: يخلع الملك نفسه من السلطنة ويأخذ الكرك. فاستُحلفوا فحلفوا على ذلك، وحلف لهم إنه لا يكاتب أحدا من النواب، ونزل من القلعة، ثم إنه أشهد على نفسه بحضرة الخليفة وقضاة القضاة والشهود أنه لا يصلح إلى الملك، ثم سفروه من وقته إلى الكرك فوصل إليها وتسلمها وجميع ما بها من الذخائر، وكانت مدة مملكته سنتين وشهرا وأياما، ثم تولى المملكة بعده السلطان السادس من ملوك الترك أخوه:

---

(١) يروى بعض المؤرخين أن الظاهر بيبرس قد مات مسموماً، وعن ذلك انظر: العينى: عقد الجمان، ج٢، ص١٧٩ ــ ١٨٠؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج٧، ص١٧٧.

(٢) هو الأمير بدر الدين بيلبك بن عبد الله الظاهرى الخازندار نائب السلطنة ومقدم الجيوش بالديار المصرية وأحد مماليك الظاهر بيبرس، توفى عام ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧ م.ابن تغرى بردى: المنهل، ج٣، ص٥١٢ ـ ٥١٤، ت رقم ٧٤٩.

(٣) فأولاً: الجوهر، ص ٢٩١.

(٤) فأقاموا كذلك أسبوعاً: الجوهر، نفسه.

الملك العادل سلامش:

الملك العادل سلامش بن السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس وعمره سبع سنين وشهور، وذلك فى ربيع الأول عام ثمان وسبعين وستمائة، واستقر الأمير قلاوون أتابك العساكر فأخذ فى القبض على الأمراء الظاهرية وصار يمهد لنفسه والأمير بيبسرى مشتغل باللهو، وانفرد قلاوون بالأمر والنهى وأعطى وأنعم وأخذ بقلوب الأمراء وأحسن التدبير لنفسه، ومن تدبيره أنه ما أظهر أخذ المملكة بعد السعيد بركة لأن أكثر العسكر من جماعته، فلما بلغ مقصوده خلع العادل سلامش بعد أن تملك خمس شهور وأياما، ثم تولى السلطان السابع من ملوك الترك:

الملك المنصور قلاوون:

الملك المنصور قلاوون الصالحى النجمى فى ثانى عشر رجب الفرد عام ثمان وسبعين وستمائة فأفرج عن أيبك الأفرم [1] وجعله نائبه بالديار المصرية فأقام [٦٩ أ] مدة ثم استعفى فأعفاه واستناب مملوكه طرنطاى [2] وولى سنقر الأشقر نيابة دمشق فعصى بها وتسلطن وحَلف الأمراء لنفسه وتلقب بالملك الكامل[3]، ثم إن السلطان جهز له عسكراً فقاتلهم فكسروه فهرب إلى صهيون.

---

(١) هو الأمير عز الدين الصالحى النجمى المعروف بالساقى والأفرم الكبير، يقال إنه حر الأصل من أهل برقة وإن اسم أبيه مصطفى، ثم صار من جملة مماليك الصالح نجم الدين أيوب، توف عام ٦٩٥ هـ/ ١٢٩٥ م. انظر: المقريزى: المقفى، ج٢، ص٣٢٨ ــ ٣٣٣، ت رقم ٨٦٣؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٣، ص١٣٠ ــ ١٣٢، ت رقم ٥٧٥.

(٢) كان ذلك عام ٦٧٨ هـ، والأمير طرنطاى هو حسام الدين أبو سعيد المنصورى، قتل على يد السلطان الأشرف خليل. انظر: المقريزى: السلوك، ج١ ق٣، ص٦٦٥؛ العينى: عقد الجمان، ج٣، ص ٢٦؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج٦، ص٣٨٦ ــ ٣٨٨، ت رقم ١٢٤١؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج١، ص٤٩.

(٣) بعد أن تسلطن المنصور قلاوون ادعى السلطنة ثم صالحه المنصور عام ٦٨٠ هـ، ثم عادت الخلافات بينهما عام ٦٨٦ هـ وعاد إلى القاهرة وظل بها حتى قتله الأشرف خليل عام ٦٩٢ هـ. المقريزى: السلوك، ج١ ق٣ ص ؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج٦، ص٨٧ ــ ٩٥، ت رقم ١١٢٣؛ ويذكر ابن حبيب أن سنقر الأشقر قتل عام ٦٩١ هـ، السابق، ج١، ص ١٥٤.

وفى عام تسع وسبعين وستمائة سلطن السلطان ولده الصالح علاء الدين على، وحَلف له الأمراء وأركبه بشعار السلطنة فأمر ونهى ونفذ وأقطع، وتركه والده بالديار المصرية وتوجه إلى ملاقاة التتار فوصل إلى مرج حمص فوجد به التتار ومقدمهم منكوتمر بـن هولاكـو، فالتقيا العسكرين [(١)] واقتتلا فتقنطر منكوتمر فترجلوا التتار لحمله فحملت عليهم المسلمين فـانهزموا منهم وانكسروا وذلك فى يوم الخميس رابع عشر رجب منها.

وفى عام اثنين وثمانين وستمائة عمر البيمارستان بين القصرين ــ الذى عمت صدقته الأحياء والأموات ــ وعمر المدرسة والقبة بجانبه [(٢)] ورتب أوقافها فى مدة عشر شهور.

وفى عام سبع وثمانين توفى الملك الصالح على وتسلطن عوضه الأشرف خليل وأركبه والده بشعار السلطنة وشق القاهرة وأهل المملكة مشاة فى خدمته.

وكان المنصور مغرماً بمشترى المماليك قيل إن مماليكه المشتراة بلغوا عنده اثنا عشر ألف مملوك، وكان يباشر أحوالهم بنفسه، يلعبون الرمح بين يديه ويركبون من عنده مع الخدام لرمى النشاب، وكانوا يلبسون كلفتات [(٣)] صفر مضربة عريض بكلاليب [(٤)] من غير شاش،

(١) التقت العساكر: الجوهر، ص ٢٩٨.

(٢) أطلق عليه المارستان المنصورى الكبير وجعل المدرسة من داخل باب المارستان وقد قام على إنشاء هذه المجموعة الأمير علم الدين سنجر الشجاعى وذلك عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، ورتب بالمدرسة دروساً للمذاهب الأربعة ودروساً للطب، وبالقبة دروساً للحديث وتفسير القرآن. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٣٧٩ ــ ٣٨٠، ٤٠٦ ــ ٤٠٨، ومازال قائماً تحت رقم أثرى ٤٣.

(٣) هى الكلوتات جمع كلوته، ويقال لها أيضاً كلفه وكلفتاه وكلفته، وهى غطاء للرأس من الصوف المضروب بالقطن يلبس وحده أو مع العمامة.انظر: العمري: المسالك ــ أيمن ــ، ص ٣٤ هـ٦؛ القلقشندي: صبح، ج٤، ص٣٩؛ المقريزى: السلوك، ج١ ق٢، ص٤٩٣ هـ١؛ الخطط، ج٢ ص٩٨ ــ ٩٩؛ عاشور: العصر المماليكى، ص٤٤٤؛ **Dozy ,supp.Vol. II. P. 482 – 485; Mayer, mamluk Costume. p. 28 – 29.**

(٤) كلاليب جمع كلاب، وهو المشبك الذى تحلى به الكلوتة. انظر: العمري: السابق، ص٦٩ هـ٤؛ المقريزى: السلوك، ج٢ ق١، ص٣٣٦ هـ٥؛ الخطط، ج٢، ص٩٨؛ **Dozy,op.cit.. p.481 ; Mayer , op. cit. p. 28.**

ودبوقة[١] فى كيس من الحرير الأصفر، ويشدون فى أوساطهم بنـــودا بعلبكيـــة عوضـــا عـــن الحوايص[٢]، وأكمام الأقبية ضيقة كملابس الفرنج، وأخفاف برغالى [٣] وفوقها سقمان [٤]، وفى وسطه من فوق اللباس كمران [٥] بحلق وأبزيم، والصوالق [٦] تسع نصف ويبه أو أكثر، ومنديل طوله ثلاثة أذرع.

وكانت خلع الأمراء المقدمين خارة ملون [٧]، ودونهم عتابى [٨]، ثم إنـــه غـــير لبســـهم ذلك[٩]، ثم زاده الملك الناصر محمد بن قلاوون محاسن، وصارت تلك المحاسن تتزايد إلى زماننا، ولم يكن بمملكة من [٦٩ ب] الممالك أحسن هنداماً ولا أحشم رؤية ولا أبهى ملبوساً مـــن

---

(١) الدبوقة هى أكياس من حرير أصفر أو أحمر توضع به شعورهم المضفرة، ومعناها المحكمة. انظر: المقريزى، الخطط، ج٢، ص٩٨؛ البقلي: التعريف، ص١٣٣؛ Dozy ,op.cit. vol. I. p. 424.

(٢) الحوايص جمع حياصة، وهى الحزام الذى يشد على الوسط وتكون الحياصة من الذهب أو الفضة. انظر: العمري: السابق، ص٣٠ هـــ٢؛ القلقشندي: السابق، ج٢، ص١٣٤، ج٤، ص٤٠؛ المقريزى: الخطط، ج٢، ص٩٩؛ Mayer ,op. cit. p.34 – 35.

(٣) خف برغالى: خف من جلد الفرس مبطن بجلد ذئب. انظر: العينى: عقد الجمان، ج٣، ص١٧ هـــ٨؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج٧، ص٣٣١ هـــ٤.

(٤) سقمان: خف ثان يلبس فوق خف آخر. انظر: المقريزى: الخطط، ج٢، ص٩٨؛ Dozy; op.cit.vol.I.p.664.

(٥) كمران: جمع كمر، فارسية، وتعنى الحزام المفرغ من وسطه لوضع النقود. المقريزى: السابق، ج٢، ص٩٨؛ العينى: السابق، ج٣، ص١٨ هـــ١؛ Dozy, op.cit. vol.I. p.488.

(٦) الصوالق: الصولك عبارة عن حقيبة من الجلد التى تلبس فوق القباء يعلقها المملوك على جانبه الأيمن. انظر: العمري: السابق، ص٣٥ هـــ٢؛ المقريزى: السابق، ج٢، ص٩٨؛ البقلي: السابق، ص٢٢٤؛ Mayer , op.cit.p. 27.

(٧) كانت خلع الأمراء مقدمى الألوف خارة ملون: الجوهر، ص٣٠٨.

(٨)عتابى: صنف من القماش الخشن مخطط بحمرة وصفرة. انظر: العينى: السابق، ج٣، ص١٩ هـــ٣؛ Dozy,op.cit.vol.II.p.93. ويذكر محقق الجوهر أن العتابى نوع من الثياب الحرير، ص٣٠٨ هـــ٥.

(٩) يقول المقريزى عن ذلك " فغير هذا الزى بأحسن منه ولبسوا الشاشات وأبطلوا لبس الكم الضيق ". الخطط، ج٢، ص٩٨ ــ ٩٩.

عسكر الديار المصرية نصرهم الله تعالى.وتبقى الملك المنصور من مماليكه ثلاثة آلاف وسبعمائة مملوك، وأسكنهم الأبراج وسماهم البرجية.

وكان حسن الشكل معتدل القامة درى اللون فصيحاً فى اللغة التركية بعيداً من الكلام العربى، شجاعاً عارفاً فتح مدينة طرابلس فى سنة ثمان وثمانين بعد أن قعد على محاصرتها أربعة وثلاثين يوماً ثم أحرقها وعمر مدينة غيرها على القرب منها وسماها طرابلس وهى الموجودة الآن.

وفى عام تسعة وثمانين قصد التوجه لأخذ عكا فترل بالريدانية فوجد فى نفسه توعكا فعاد وأقام ثمانية عشر يوماً (١) ودرج بالوفاة سادس ذى القعدة ودفن بتربته المنصورية بين القصرين، ومدة مملكته إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة أيام. وخلف ثلاثة أولاد هم الأشرف خليل، والملك الناصر محمد، وولد له بعد وفاته سيدى أحمد، وفتح من يد الفرنج طرابلس المذكورة، والمرقب، وجبلة، واللاذقية، وأخذ من أولاد الظاهر الكرك والشوبك، وأبطل زكاة الدولبة (٢)، وهى مال كان يؤخذ من أصحاب الأموال ولو عدم المال (٣)، وإن مات عن فقر أخذ ذلك من ورثته، وأبطل ما كان مقرراً على اليهود والنصارى برسم نفقات الجند على كل نفر فى كل سنة دينار، وأبطل ما كان يؤخذ للمبشرين عند حضورهم بالبشارة بأخذ قلعة أو حصن أو نصرة الإسلام، وفعل غير ذلك من المعروف ما لا يحصر، سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان، وحين درج بالوفاة تولى السلطنة بعده ولده الملك الثامن من ملوك الترك:

الملك الأشرف خليل:

الأشرف خليل بن المنصور قلاوون الألفى فى اليوم الثانى من وفاة أبيه، فأقام مدة ثم مسك حسام الدين لاجين نائب الشام وسجنه مع سنقر الأشقر وجُهز إلى مصر، فلما عاد

(١) تسعة عشر يوماً: الجوهر، ص ٣٠٦.

(٢) زكاة الدولبة يرى كاترمير أنها كانت تفرض على كل مستخدم للدواليب أى العجلات فى الرى أو الغزل أو صناعة السكر. المقريزى: السلوك، ج١ ق٣، ص٦٦٤ هـ١؛ ويذكرها المقريزى فى الخطط باسم زكاة الدولة. ج١، ص ١٠٦. وعنها انظر مقالة **Cahen;Contribation á l' etude des, impost dans l' Egypte mèdievale ,JESHO.V,1962**

(٣) المقريزى: الخطط، ج١، ص١٠٦.

السلطان من الشام أمر بخنقهما فخنقا وتركا فى بيت وخرجوا بهما لمواراتهم [٧٠ أ] التراب، فوجدوا الأمير لاجين فيه روح فعرفوا السلطان عنه فأمر بخنقه مرة ثانية فَشُفع فيــه، ثم أمــر بإطلاقه، ثم رضى عنه السلطان وأنعم عليه بتقدمة ألف، ثم سرح السلطان إلى البحيرة ونــزل [بتروجا وتوجه منها] [١] ووقف[بالطريق] [٢] لطعم الطيور، فحضر إليه بيدرا [٣] ومعهمــا جماعة فاستفهم منهم السلطان سبب حضورهم فى تلك الساعة؟ فقال بيدرا: أنهى بــين يــدى مولانا السلطان كلام. [٤] فقرب من السلطان وجرد سيفه وضرب السلطان على وجهه فتلقاها بيده فجرحت، فصاح لاجين على بيدرا وقال: من يقصد قتل الملوك ليكون ملكاً تكون ضربته كذا. ثم دلس وضرب السلطان على كتفه الأيمن فقطعه فمال السلطان عن فرسه ووقع ثم مات ومسك من كان معه من الأمراء وكان ذلك وقت العصر خامس عشر المحرم عام ثلاث وتسعين وستمائة ومدة مملكته ثلاث سنين وشهران وأيام، وما كان عليه أضر من وزيره ابن السعلوس[٥] لأنه كان يحط على الأمراء عنده وهو يسمع منه.

وكان رحمه الله ملكاً كريماً شجاعاً ذا همة عالية فتح عكا وقلعة الروم وأبطل مــا كــان يؤخذ بدمشق على باب الجابية وهو على كل حمل خمسة دراهم.

---

(١) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص٣١٢، وفى الأصل جملة غير مفهومة هى " بخيمته بقمحة وطيبة ".

(٢) ما بين الحاصرتين من، نفسه.

(٣) هو الأمير بدر الدين بيدرا بن عبد الله المنصورى، أحد مماليك المنصور قلاوون، أصله من المغول الذين أسرهم الظاهر بيبرس فكانت أمه ممن وهبهم بيبرس للمنصور قلاوون، وكان نائب الديار المصرية فى دولة الأشرف خليل بن قلاوون. انظر: المقريزى: السلوك، ج١ ق٣، ص ٧٨٨ ــ ٧٩٣؛ المقفى، ج٢، ص ٥٦٢ ــ ٥٦٨، ت رقم ١٠٠٩؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٣ ص٤٩٣ ــ ٤٩٥، ت رقم ٧٣٤.

(٤) نص الجوهر فى ذلك " فلما قربوا نظر إليهم وقال لهم: إيش بكم؟ قال له بيدرا: لى بالسلطان شغل "، ص٣١٢.

(٥) الصواب: السلعوس، وهو شمس الدين محمد بن عثمان بن أبى الرجاء التنوخى الشهير بابن السلعوس وزير الأشرف خليل وموضع ثقته، مات مقتولاً بعد الأشرف بقليل. انظر: الصفدى: الوافى، ج٤، ص ٨٦، ت رقم ١٥٥٥؛ المقريزى: السلوك، ج١ ق٣، ص٧٦٠؛ ابن حبيب: تذكرة، ج١، ص١٧٣؛ العينى: عقد، ج٣، ص٢٢٧.

ولما قتل الأشرف ركب بيدرا تحت العصائب وحلفوا له الأمراء وتلقب بالملك الرحيم[١] وساروا نحو مصر ليملكوا القلعة ومعهم بيبسرى والأبوبكرى [٢] مربوطين، وكان مع الطلب الأمير بيبرس الجاشنكير، وتكرعى[٣] والحسام أستاذ الدار[٤] وبكتوت العلائى [٥]، واكثر المماليك والأمراء، وكان كتبغا يتصيد فبلغه الخبر فساق ولحق بالأمراء الذين بالطلب واتفق معهم وجدوا فى السير فى اتباع بيدرا ومن معه فلحقوهم على الطرانة [٦] صباح نصف المحرم، فلما رأى بيدرا القوم أطلق بيبسرى والأبوبكرى ليساعداه، فلما التقى الفريقان ولم يبق مع بيدرا إلا اليسير فهجموا عليه وقتلوه وشق بطنه الأبوبكرى وأخرج كبده فأكل منها قطعة ثم قطع رأسه وحملها على رمح إلى القاهرة.

وأما الأشرف فإنه لما قتل حملوه [٧٠ ب] إلى البحر ثم أنزلوه فى مركب وحضروا به إلى القاهرة فدفنوه فى تربته، واتفق أركان الدولة على سلطنة أخيه السلطان التاسع من ملوك الترك:

---

(١) يذكر المقريزى، وابن حبيب أنه تلقب بالملك الأوحد، ويزيد على ذلك المقريزى إنه ربما تلقب بالمعظم أو الملك القاهر. انظر: المقريزى: السابق، ج١ ق٣، ص٧٩٢؛ ابن حبيب: السابق، ج١، ص١٦٨.

(٢) هو الأمير سيف الدين بكتمر الأبوبكرى، أحد مماليك الظاهر بيبرس وأمر فى دولة المنصور قلاوون، فر فى دولة الناصر محمد الثانية إلى غازان ملك التتار فأقام هناك، ثم قدم إلى الديار المصرية ومات عام ٧٠٣ هـ. المقريزى: السلوك، ج١ ق٣، ص٧٩١؛ المقفى، ج٢، ص٥٦٥؛ العينى: السابق، ج٣، ص٢١٣؛ ابن حجر: الدرر، ج١، ص١٩٤؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٣، ص٤٠١ — ٤٠٢، ت رقم ٦٨١.

(٣) يذكره كل من المقريزى والعينى باسم سيف الدين برلغى. انظر: المقريزى: السلوك، ج١ ق٣، ص٧٩١؛ العينى: السابق، نفس الصفحة.

(٤) هو حسام الدين لاجين الأستادار، المقريزى: السابق، نفس الصفحة.

(٥) هو الأمير بدر الدين بكتوت بن عبد الله العلائى، مملوك الأمير علاء الدين الأستادار، ارتجعه المنصور قلاوون بعد موت صاحبه فرقاه حتى صار من أكابر أمراء المماليك فى دولته ودولة ابنه الأشرف خليل، توفى عام ٦٩٣ هـ. انظر: المقريزى: المقفى، ج٢، ص٤٧٤، ت رقم ٩٤٠؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٣، ص٤١١ — ٤١٢، ت رقم ٦٨٧.

(٦) الطرانة: بلدة من أعمال البحيرة. ابن دقماق: الانتصار، ج٥، ص١٠٣؛ ابن الجيعان: التحفة، ص١٢٠.

الملك الناصر محمد بن قلاوون: [المرة الأولى]

الملك الناصر محمد بن قلاوون فى المحرم وعمره تسع سنين، فمسك جماعة من الأمراء فأعتقلهم بخزانة البنود [١] وتولى عقوبتهم بيبرس الجاشنكير إلى أن أقروا بما قدموا عليه، فقطعت أيديهم وأرجلهم وعلقت فى رقابهم وسمروا على جمال وأشهروا [فى] مصر والقاهرة ونفذ فيهم أمر الله تعالى.

وفى عام أربع وتسعين تجمع من مماليك الأشرف ما ينيف عن ثلاثمائة نفر وفتحوا سوق السلاح [٢] وباب السعادة [٣]، فَمُسكوا صباحاً وقطعت أيديهم وأرجلهم وكحل بعضهم وصُلبوا على باب زويلة.

ثم إن الأمراء استصغروا سن السلطان، وطمع الأمير كتبغا بالمملكة فخلع الناصر محمد فى حادى عشر المحرم منها، وكانت مدة ولايته أحد عشر شهراً وأياما، ثم تولى المملكة من بعده السلطان العاشر من ملوك الترك:

الملك العادل كتبغا المنصورى:

الملك العادل كتبغا المنصورى فى يوم خلع الناصر، وفى أيامه حدث غلاء عظيم لجدب الأرض، وبلغ القمح كل إردب مائة وخمسين درهما وبلغ الإردب الشعير مائة، وأكل الناس الميتة والقطط والحمير، ووصل فى الشام بما ينيف عن ألف درهم الإردب القمح وصار الناس فى شدة.

---

(١) خزانة البنود: كانت هذه الخزانة من منشئات الدولة الفاطمية، بناها الخليفة الظاهر الفاطمى بين قصر الشوك وباب العيد، وكان الغرض منها حفظ الرايات والبنود، ثم احترقت عام ٤٦١ هـ فتم استغلالها كسجن للأمراء والوزراء والأعيان منذ الدولة الفاطمية حتى عهد المماليك الذين أضافوا إلى نوعية المحبوسين الفرنج المأسورين من بلاد الشام. انظر: المقريزى: الخطط، ج١، ص٤٢٣؛ السلوك: ج١ ق٣، ص٧٩٥ هـ٤.

(٢) يقع هذا السوق فى خط بين القصرين قريباً من مدرسة الظاهر بيبرس. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٩٧.

(٣) الصواب: باب سعادة، وباب سعادة نسبة إلى سعادة بن حيان غلام المعز لدين الله الفاطمى، عرف به لأنه دخل منه عندما قدم من المغرب إلى القاهرة. المقريزى: الخطط، ج١، ص٣٨٣.

ثم سافر السلطان إلى الشام وعاد فوصل إلى وادى فحمة [(١)]، فركب عليه لاجين وقتل بتخاص العادلى [(٢)] وبكتوت الأزرق [(٣)] وكانا حامى [(٤)] العادل كتبغا. فلما سمع كتبغا بذلك ركب فرس النوبة وساق إلى دمشق فى خمس نفر وأقام بها ثلاثة عشر يوماً [(٥)]، وأما لاجين فاحتوى على الخزائن وساق الجيش ودخل تحت العصائب وعاد إلى القاهرة فتسلطن وأذعن له كتبغا فرسم له نيابة صرخد بإمرة عشرة، وأقام بها إلى سنة تسع وتسعين ثم أنعم عليه الناصر بنيابة حماة فأقام بها إلى أن مات، ثم حمل إلى دمشق ودفن بقاسيون [(٦)].

وكان العادل كتبغا أسمر اللون مغلياً قصيراً فى ذقنه شعرات قليلات، قصير العنق جداً، موصوفاً بالشجاعة والدين وسلامة الباطن، ولكن يفوته [(٧)] [٧١ أ] الحزم والرأى. ثم تسلطن السلطان الحادى عشر من ملوك الترك:

الملك المنصور لاجين:

الملك المنصور لاجين، فبايعه الأمراء فى صفر عام ست وتسعين وستمائة، وكان طوالاً أشقر أزرق العينين شجاعاً مهاباً ديناً كريماً عاقلاً منفعلاً إلى الخير حسن الرأى. عمر جامع ابن

---

(١) الصواب إن ذلك تم فى منزلة العوجاء. السلوك، ج١ ق٣، ص٨٢٠؛ الخطط، ج١، ص٢٣٩.

(٢) هو الأمير سيف الدين بتخاص العادلى أحد مماليك العادل كتبغا، أعطاه الإمرة وجعله أستاداره، قتل عام ٦٩٦ هـ يوم خلع العادل كتبغا بمنزلة العوجاء. المقريزى: المقفى، ج٢، ص٣٨٨، ت رقم ٩٠٤؛ السلوك، ج١ ق٣، ص٨٢٠.

(٣) هو الأمير بدر الدين بكتوت الأزرق، سمى بذلك لأنه كان أخيف العينين، والأخيف هو من تكون إحدى مقلتيه سوداء والآخرى زرقاء، وهو أحد مماليك العادل كتبغا قتل يوم خلعه عام ٦٩٦ هـ. المقريزى: المقفى، ج٢، ص٤٧٥، ت رقم ٩٤٢؛ السلوك، ج١ ق٣، ص ٨٠٨.

(٤) جناحى: الجوهر، ص ٣٢١.

(٥) ثلاثة وعشرين يوماً: الجوهر، نفسه.

(٦) قاسيون: جبل مطل على الشمال الغربى من دمشق. ياقوت: معجم، ج٤، ص١٣.

(٧) يعوزه: الجوهر، ص ٣٢٢.

طولون بعد دبوره مدة طويلة، وراك البلاد المنسوب له الروك الحسامى [١] وفرق المثـالات [٢] فقسمها على أربعة وعشرون قيراطاً، منها أربعة قراريط للسلطان، وللكلف والمرتبات عشرة، ولأجناد الحلقة عشر قراريط، وأنعم على الإمام الحاكم حين حج بمبلغ سبعمائة ألـف درهـم فضة. فتح تل حمدون ومرعش وقلعة سفندكار [٣].

وفى ليلة الحادى عشر من ربيع الآخرة سنة سبع وتسعين [٤] لعب السلطان الشطرنج وعنده قاضـى القضاة حسام الدين الحنفى فدخل عليه كرجى [٥] مقدم البرجية وكان اتفق مع نوغاى الكرمونى [٦] السلحدار على قتل السلطان، وكان صاحب النوبة تلك الليلة. فاسـتفهم منه السلطان عما فعل فقال: بَيَّتُّ البرجية [٧] وغَلَّقتُ عليهم، وكان أوقف أكثرهم فى دهليـز القصر فشكره السلطان وأثنى عليه الحاضرون [٨]، فقصد [٩] إصلاح الشمعة والنمجاة [١٠] إلى جانبها مغطاة بفوطة [١١]، وقال للسلطان: ما تصلى؟ قال: نعم. وقام ليصلى فضـربه كرجـى بالسيف على كتفه [فطلب السلطان النمجاة] فلم يجدها، فقام من هول الضربة مسك كرجى

---

(١) الروك الحسامى: هو عملية إعادة مسح الأراضى الزراعية وفك الزمام وتعديل الخراج، وعرف بهذا الاسم لقيام حسام الدين لاجين به. المقريزى: الخطط، ج١، ص٨٨.

(٢) المثالات: جمع مثال، وهى الأوراق التى يكتب بها أُذوناً بإقطاعات المماليك. سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص٤٦٨.

(٣) سفندكار: عنها انظر فيما يلى ص٢٧٧.

(٤) الصواب: ثمان وتسعين.

(٥) هو الأمير سيف الدين كرجى بن عبد الله، مقدم المماليك البرجية عهد السلطان لاجين. انظر: المقريزى: السلوك، ج١ ق٣، ص٨٦٨؛ العينى: عقد الجمان، ج٣، ص٤٢٢؛ ابن حبيب: تذكرة، ج١، ص٢١٢.

(٦) هو الأمير نوغاى الكرمونى السلاح دار. المقريزى: السابق، ج١ ق٣، ص٨٥٧؛ العينى: السابق، ج٣، ص٤٣٠.

(٧) أى أدخلهم إلى مساكنهم للمبيت.

(٨) الجماعة: الجوهر، ص ٣٢٥.

(٩) فراح: الجوهر، نفسه.

(١٠) النمجاة: هى خنجر مقوس يشبه السيف القصير، ويقال له نمجا ونمجه. القلقشندي: صبح، ج٤، ص٢٤؛ البقلي: التعريف، ص٣٥٢.

(١١) فرمى عليها فوطة: الجوهر، نفسه.

وأرماه تحته، فخطف نوغاى الكرمونى النمجه وضرب السلطان على رجليـــه فقُطعَـــا [١]، ثم انقلب قتيلاً، فصاح القاضى فلم يُجَب، وتركوه عنده فى تلك الليلة وغلقوا عليهما الأبواب إلى باكر النهار.

وكان الأمير بكتاش الفخرى [٢] أمير سلاح معه بعض العساكر وهـــو مجـــرد لـــبعض الجهات فاتفق حضوره فى ثانى يوم قتل السلطان، وكانا نوغاى وكرجى اتفقا على أهما يعمـــلا سماطاً بالقلعة فإذا جلس عليه مسكوه. وركب نوغاى [٣] فى دست النيابة فلاقَى أمير ســـلاح [٧١ ب] قريباً من قبة النصر [٤] فسلم عليه وفاتحه فقال أمير سلاح: هذا سوء تدبير تعملـــوا فى كل يوم سلطان وتقتلوه. وأشار إلى من حوله فضربه الأمير بهادر شمس[٥] فساق [فرسه][٦] فتبعوه وقتلوه، فبلغ كرجى ذلك فلبس ووقف تحت القلعة فلم يجتمع عليه أحد، فخرج مـــن باب القرافة [٧] فلحقوه فى بركة الحبش وقتلوه وأحضروا رأسه.

---

(١) رجله فقطعها: الجوهر،نفسه.

(٢) هو الأمير بدر الدين بكتاش بن عبد الله الفخرى أمير سلاح الملك الصالح نجم الدين أيوب، كان أحد مماليك الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، أقام أميراً ستين سنة، وتردد فى الغزوات مرات عديدة، توفى عام ٧٠٦ هـ؛ انظر: المقريزى: المقفى، ج٢، ص٤٥٤ ــ ٤٥٧، ت رقم ٩٣٣؛ السلوك، ج٢ ق١، ص٣٠؛ الخطط، ج٢، ص٣٣؛ ابن حجر: الدرر، ج٢، ص١٤ ــ ١٥، ت رقم ١٣٠١؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٣، ص٣٨٥ ــ ٣٨٦، ت رقم ٦٧٥.

(٣) طغجى: الجوهر، ص ٣٢٨.

(٤) قبة النصر هى زاوية يسكنها فقراء الصوفية من العجم وهى خارج القاهرة بالصحراء تحت الجبل الأحمر بأخر ميدان القبق من بحريه، وقد جددها الملك الناصر محمد على يد الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٤٣٣.

(٥) سمز: الجوهر، ص ٣٢٨؛ والأمير بهادر شمس نائب قلعة دمشق، وكان يصاحب الصالحين فترك الإمرة ولبس زى الفقراء ثم عاد وولى قلعة دمشق ومات عام ٧١٨ هـ. ابن حجر: الدرر، ص٣٢، ت رقم ١٣٦٦. ويذكر المقريزى أن ذلك الأمير هو الأمير قراقوش الظاهرى. السلوك، ج١ ق٣، ص٨٦٨.

(٦) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفس الصفحة.

(٧) باب القرافة هو أحد أبواب القلعة. القلقشندي: صبح، ج٣، ص٢٧٠.

وطلع أمير سلاح إلى القلعة واجتمع بالأمراء واتفقوا على إحضار الناصر محمد من الكرك فأحضروه بعد أن قعد تخت الملك خالياً من السلطنة أحدا وأربعين يوماً[١] فحضر.

الملك الناصر محمد: [المرة الثانية]

الناصر محمد المرة الثانية، ومسك أمراء وأفرج عن أمراء وتصرف فى المملكة بأتم رأى وأحسن تدبير، ثم وردت الأخبار عليه بمجيء التتار إلى البلاد الشامية، فسافر السلطان إليهم والتقى بهم بوادى الخزندار [٢] بالقرب من سلمية، فقويت التتار وانهزم جيش المسلمين وهرب السلطان وطائفة معه إلى بعلبك. ثم حضر إلى الديار المصرية وفتح الخزائن ونفق الأموال نفقة ما سمع بمثلها، وسافر إلى التتار وكان الأمير سلار النائب [٣] وبيبرس الجاشنكير طلائع، فذكروا للسلطان إنه يقيم بالصالحية إلى حين يتوجهوا وينظروا الأمر مع التتار، فسمع لهما ذلك، وتوجها بالعساكر إلى الشام، فوجدوا قفجق [٤] الذى هرب إلى غازان أيام لاجين وكان قد استنابه بدمشق فوجدوه قاصداً لخدمة السلطان، فحضر بين يدى السلطان وأعطى الخدمة وأقبل عليه السلطان، ثم سأل السلطان فى أن يكفيه أمر التتار ويعود السلطان إلى قلعة مصر، فأجابه السلطان بذلك وعاد من الصالحية وتوجه قفجق بالعسكر الشامى فوجد التتار ولوا حين بلوغهم طلوع السلطان من مصر.

وبعد مدة عادوا إلى البلاد الشامية، فلما سمع بعودهم السلطان خرج إليهم فوصل إلى دمشق فى مستهل رمضان عام اثنتين وسبعمائة فوجد التتار على الكسوة [٥]، فالتقى معهم وحمل

---

(١) المقريزى يقررها خمسة وعشرون يوماً. السلوك، ج١ ق٣، ص٨٦٩.

(٢) وادى الخزندار يقع بين حماة وحمص. ابن تغرى بردى: المنهل، ج٤، ص١٥٦ هـ٤.

(٣) هو الأمير سيف الدين سلار بن عبد الله المنصورى، نائب السلطنة بمصر، اشتراه المنصور قلاوون واستمر بخدمته وخدمة أبنائه حتى مات فى سجن الناصر عام ٧١٠ هـ. ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات، ج١، ص٣٦٩ ــ ٣٧٣، ت رقم ١٥٦؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج٦، ص٥ ــ ١٣، ت رقم ١٠٧٣.

(٤) هو الأمير سيف الدين قفجق ــ أو قبجق ــ بن عبد الله المنصورى، نائب دمشق فى عهد لاجين هرب إلى غازان خان التتار وأقام هناك وتزوج منهم امرأة من أعيانهم. العينى: عقد الجمان، ج٣ ص٣٨٩؛ ابن حجر: السابق، ج٤، ص٢٨١ ــ ٢٨٤، ت رقم ٦١٦.

(٥) الكسوة: بضم الكاف وسكون السين ضيعة ومنزلة يمر بها نهر الأعوج جنوب دمشق. أبو الفداء: تقويم، ص٢٥٣.

المسلمون عليهم فانكسروا بعد أن قد [٧٢ أ] استشهد من المسلمين من الأمراء ومماليكهم ألف نفس، وفر أحد مقدمى التتار ومعه نيفا عن عشرين ألف نفس. ثم عادوا فى اليوم الثانى وتقاتلوا مع المسلمين قتالاً شديداً فكانت الكسرة على التتار وقتل منهم جماعة كبيرة وبقيتهم ولوا هاربين.

وعاد السلطان إلى الديار المصرية مؤيداً منصوراً، فأقام بتدبير المملكة إلى عام ثمان وسبعمائة أظهر الحج فَجُهز له وخرج ومعه جماعة من خواصكه إلى أن وصل إلى العقبة ثم خرج من الوطاق [1] للصيد فتوجه إلى نحو الكرك وأمر نائب الكرك أن يأخذ الوطاق وخزائن الأموال ويتوجه بهم إلى القلعة، وأرسل يقول لجماعة الأمراء بمصر: إننى قد قنعت بالكرك فاطلبوا لكم ملكا تختارونه. فحضر الكتاب وقرئ بدار النيابة بقلعة الجبل، وكانت مملكته الثانية عشر سنين وأشهرا، واتفق رأى الأمراء على سلطنة السلطان الثانى عشر من ملوك الترك:

الملك المظفر بيبرس الجاشنكير:

الملك المظفر بيبرس الجاشنكير فتولى السلطنة فى ثالث عشر شوال منها واستقر بسلار نائباً وكتب تقليدا للملك الناصر بنيابة الكرك، وجهز إليه فأقام فى نيابة الكرك إلى سنة تسع فخرج جماعة من الأمراء والمماليك من القاهرة توجهوا إلى الملك الناصر فتلقاهم بالرحب وأهلهم وأكرمهم فتدخلوا عليه فى التوجه إلى الشام فأجابهم وتوجه بهم إلى الشام فتلقاه العسكر الشامى ورتبت دمشق ودعى له على المنابر واجتمع عليه النواب من الممالك الشامية فحضر بهم إلى الديار المصرية فتلقاه عدة أمراء من أمراء مصر على غزة وأخبروه أنه فى تاسع رمضان منها نزل بيبرس عن الملك وأخذ خزائن الأموال وتوجه بها نحو الصعيد، وأن الحرافيش رجموه فنثر عليهم أكياس الذهب فاشتغلوا بها فهرب فوصل إلى إخميم ومعه ثمانمائة مملوك ولو قصد اليمن بهم لأخذها، ودخل السلطان:

---

(١) الوطاق: هو الخيمة الكبيرة **Dozy,op.cit.vol.II.p.819** .

الملك الناصر محمد: [المرة الثالثة]

الملك الناصر محمد المرة الثالثة إلى الديار المصرية فى مستهل شوال عام تسع وسبعمائة، وترددت الأخبار بينه وبين المظفر بيبرس فأنعم عليه بصهيون [٧٢ ب] فتوجه إليها من البرية فَحَضر الناصر جماعة للقبض عليه فمسكوه وكان آخر العهد به، وكانت مدة سلطنته أحد عشر شهراً وأياما.

وقبض الناصر على جماعة من الأمراء وولى سلار نيابة الشوبك ثم طُلب إلى مصر وقبض عليه بالقلعة ودخلوا إليه بطعام فأبى أن يأكله فبلغ السلطان ذلك فمنعه الطعام فأكل جلد مسايته [١] فلم يغنه ومات جوعاً واحتاط على موجوده قيل إنه كان يدخل إليه فى كل يوم من أجرة أملاكه ألف دينار.

حكى الأمير صارم الدين بن دقماق فى تاريخه الجوهر الثمين: قال حكى الشيخ محمد بن شاكر الكتبى فيما رآه مكتوباً بخط العلامة البرزالى، قال دفع إلى المولى جمال الدين بن الوفيرة [٢] ورقة فيها بعض أموال سلار حين الحوطة عليه فى أيام متفرقة.

أولها يوم الأحد: ياقوت أحمر بهرمانى رطلين، بلخش [٣] رطلين ونصف، وزمرد ريحانى وذبابى [٤] تسعة عشر رطلاً، صناديق عددها ستة، ضمنها فصوص مخلطة، وفصوص غيرهم،

---

(١) قال المقريزى إنه أكل خفه. السلوك، ج٢ ق١، ص٩٧؛ أو كما قال ابن شاكر الكتبى أنه أكل سرموزته وهو لفظ فارسى يعنى الخف أيضاً. فوات الوفيات، ج١، ص٣٧٠.

(٢) الغويرة: الجوهر، ص ٣٤٢. والصواب: الفويرة، كما ذكره ابن شاكر الكتبى، وابن حجر، وابن تغرى بردى. وهو محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد جمال الدين بن الفويرة ولد عام ٦٩٣ هـ، وتوفى عام ٧٣٥ هـ وكان مشتغلاً بالأدب. ابن حجر: الدرر، ج٦، ص٣٧، ت رقم ٢١٤٧؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج٩، ص٢١ هـ٢.

(٣) البلخش: أو البدخش، نوع من الياقوت ينسب إلى جهات بدخشان فى أقصى شرق أفغانستان، وهو ثلاثة أنواع، أحمر مضرب، وأخضر زبرجدى، والأصفر، والأحمر أجوده. القلقشندي: صبح، ج٢، ص١١؛ المقريزى: السابق، ج١ ق١، ص٥٠.

(٤) الزمرد الريحانى والذبابى: نوعان من الزمرد، أما الريحانى فهو فاتح اللون وينسب إلى لون ورد الريحان. أما الذبابى فهو شديد الخضرة ويسمى ذبابية لتشابه لونه مع لون الذباب الأخضر. القلقشندي: صبح، ج٢، ص١٠٧ ــ ١٠٨.

وماس ثلاثمائة قطعة كبار، ولؤلؤ مدور من مثقال إلى درهم ألف ومائة وخمسون حبة، ذهب عين مائتا ألف دينار وأربعة وأربعون ألف دينار، فضة أربعمائة وأربعون ألف درهم [(١)].

يوم الاثنين: فصوص مختلفة، رطلين ذهب خمسة وخمسون ألف دينار، دراهم ألف ألف درهم، مصاغ وعقود ذهب مصرى أربع قناطير، طاسات وأطباق وطشوت فضة أربع قناطير[(٢)].

يوم الثلاثاء: ذهب عين أربعة وخمسون ألف دينار[(٣)]، دراهم ثلاثمائة وثلاثون ألف درهم قطزيات [(٤)]، وأهلة وطلعات صناجق فضة ثلاث قناطير.

يوم الأربعاء: ذهب عين ألف ألف دينار، دراهم ثلاثمائة ألف درهم، أقبية بقاقم [(٥)] ثلاثمائة قباء، وأقبية حرير عمل الدار بسنجاب أربعمائة، سروج ذهب مائة سرج [ووجد له عند صهره أمير موسى] [(٦)] ثمان صناديق كانت عنده لم يعلم ما ضمتها [(٧)] [حملت إلى الدور السلطانية وحمل أيضاً من عنده إلى الخزانة] [(٨)] تفاصيل طرد وحش [(٩)]، وعمل الدار ألف تفصيلة خيام للسفر ستة عشر نوبة.

---

(١) دراهم أربع مائة ألف وواحد وسبعون ألف درهم: الجوهر، ص ٣٤٣.

(٢) ستة قناطير: الجوهر، ص ٣٤٤.

(٣) خمسة وأربعون ألف دينار: الجوهر، نفسه.

(٤) يذكر محقق الجوهر أنها هكذا فى جميع نسخ المخطوط ولا يعلم أصل تسميتها. ولما كانت الدراهم والدنانير المضروبة فى عهود السلاطين تعرف بأسمائهم فإن هذه الدراهم القطزيات هى الدراهم المضروبة فى عهد المظفر قطز، وعن هذه الدراهم انظر:سامح عبد الرحمن فهمي: الوحدات النقدية المملوكية عصر المماليك البحرية، جدة ١٩٨٣، ص٤٦_٤٧؛ Palu Balog ; The Coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syrie , New york 1964 , P.83.

(٥) القاقم دويبة تشبه السنجاب وفى حجم الفأر وجلده قيم يتخذ منه الفراء. انظر: القلقشندي: صبح، ج٢، ص٤٩؛ ابن دقماق: الجوهر، ص٣٤٥ هـ٤.

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة من الجوهر، ص ٣٤٥.

(٧) فيها: الجوهر، نفسه.

(٨) ما بين الحاصرتين زيادة من، نفسه.

(٩) طرد وحش: كلمة مركبة تطلق على نوع من الثياب من قماش حرير منقوش على هيئة رسوم حيوانية تطارد بعضها البعض. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٢٧٧؛ العينى: السابق، ج٣، ص١٨ هـ٦.

وحضر[١] معه من الشوبك خمسون ألف دينار، ودراهم أربعمائة وسبعون ألف درهـــم، خلع ملونة ثلاثمائة خلعة خركاه [٢] كسوتها أحمر [٧٣ أ] أطلس معدنى [مبطن أزرق معدنى بباب زركش] [٣]، خيول خاص ثلاثمائة فرس،[بغال مائة وعشرون، قطار بخاتى[٤] كذلك][٥]، وذلك خارجاً عن الأغنام والأبقار والجواميس والأملاك والمراكب والهجن والجمـــال والخـــدم والجوارى والعبيد وأصناف المتجر وحواصل الآلات، وبشون الغلال مائة ألـــف أردب. ودل مملوكه على مكان مبنى فى داره وجد فيه أكياس ذهب ما عرف عدتها غير السلطان ومحضرهم، وبعد ذلك مات جوعا!، قيل إن فقيراً استطعمه فأبى أن يطعمه فقال: اللهم أذقه طعم الجوع.

قلت: وعلى نحو ذلك ما حكاه النويري فى تاريخه على إن ابن بدر الجمالى الأفضل أمير الجيوش وزير المستعلى العلوى بمصر بلغ فى الوزارة مبلغاً عظيما لأن داره كانت دار الملك [٦] بمصر ــ التى هى الآن عند رحبة الخروب [٧] ــ وجمع من المال ما لم يجتمع لغيره، فكان ما وجد عنده من الذهب خمسمائة ألف ألف دينار، ومن الدراهم الفضة مائتى وخمسين أردب، وخمســة

---

(١) وصل: الجوهر، ص ٣٤٦.

(٢) خركاه: بيت من خشب مصنوع على شكل مربع ويغشى بالجوخ يحمل فى السفر ليكون كالخيمة للمبيت فى الشتاء للوقاية من البرد. القلقشندي: السابق، ج٢، ص١٣٨؛ Dozy,op.cit.volI.p.366 .

(٣) مبطن بأزرق مرزوى وستر بابها زركش: الجوهر، نفسه، وفى فوات الوفيات للكتبى " مبطنة بأزرق وبابها زركش "، ج١، ص٣٧٢.

(٤) جمال بخاتى: مفرده بُخت بالضم وجمعه بخاتى، وهى جمال طوال الأعناق. ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٢، ص٧٥ هـــ٠٣.

(٥) مائة وعشرون قطار بغال، ومائة وعشرون قطار جمال: الجوهر، نفسه.

(٦) دار الملك: هى الدار التى بدأ الأفضل شاهنشاه فى بنائها عام ٥٠٠ هـــ على ساحل الفسطاط، وقد حول إليها جميع دواوين الدولة. ثم أصبحت هذه الدار من جملة متنزهات الخلفاء الفاطميين، ومكانها اليوم مجموعة المبانى المجاورة لجامع عابدى بك المعروف بجامع الشيخ رويش فى آخر شارع أثر النبى. انظر: ابن ميسر: أخبار، ص٧٦ هـــ٢٧٧؛ ابن الطوير: نزهة، ص١٦٩ هـــ١؛ المقريزى: الخطط، ج١، ص٤٨٣ ــ ٤٨٤.

(٧) رحبة الخروب: هو المكان الموسوم ببيع الخروب فى العصر المملوكى وكان يقع بجوار المدرسة المعزية. انظر: ابن دقماق: الانتصار، ج٤، ص٣٥؛ المقريزى: السابق، ج١، ص٤٨٣.

وسبعين ألف ثوب ديباج أطلس، وثلاثين حمل أخفاف ذهب، ومائة مسمار زنة كل مسمار مائة مثقال فى عشرة مجالس فى كل مجلس عشرة مساند مذهبة على كل مسمار منديل مذهب مشدود يخالف الآخر تحته شاش ملفوف. وخمسمائة صندوق لكسوته خاصة، وصندوقين كبار ملآنة أبردة للنساء، ومن الأحجار الفصوص ما لا قيمة له، ومن الرقيق والخيل والدواب والمراكب والحلى وغير ذلك ما لا يعلم قدره إلا الله، ومن الخيول والجمال ما ينيف عن ثلاثين ألف رأس، ومن البقر والجواميس ما لم يقبله العقل فى عدده حتى إنه طلع ضمان ألبانها فى كل سنة ثلاثين ألف دينار، وإن الخليفة المستعلى حمل ما هو صامت من ذلك إلى قصره. والسعادة هى التى يعمل منها للآخرة فإن متاع الدنيا قليل.

وكان الناصر رحمه [الله] ملكاً عظيماً مهاباً ديناً كريماً، أنعم على يلبغا اليحياوى (١) فى ساعة واحدة بموجود تنكز (٢). أطاعته العباد، ودانت له البلاد، وكان ذا عسكر عظيم ومماليك كثيرة، كان مرتبه ومرتب مماليكه فى كل يوم ستة وثلاثون ألف رطل لحم، وعمر عمارة [٧٣ ب] ما قاربه ملك فيها وهى: جسر أم دينار إلى سقيل (٣)، وراك البلاد فى سنة خمسة عشر وسبعمائة (٤) وكتبت الفروع من ديوان الجيش بذلك وفرقت على الأمراء فى مستهل المحرم سنة

---

(١) هو الأمير يلبغا بن طابطا الساقى اليحياوى الناصرى، ولد قبل عام ٧٢٠ هـ، وكان أبوه يخدم الناصر محمد وترقى عنده، مات خنقاً فى سجن المظفر حاجى بقاقون عام ٧٤٨ هـ. ابن حجر: الدرر، ج٥، ص٢١٢ _ ٢١٣، ت رقم ٥٠٧٨.

(٢) أنفرد صاحب الثغر بذكر إنعام الناصر على يلبغا بموجود تنكز، فقد ذكر المقريزى إنه أنعم عليه بعشرين ألف دينار فقط. السلوك، ج٢ ق٢، ص٥٣٥؛ وتنكز هو الأمير سيف الدين أبو سعيد تنكز الحسامى نائب الشام فى عهد الناصر محمد، وأصله من مماليك السلطان لاجين، تولى النيابة عام ٧١٢ إلى ٧٤١ هـ، ثم أمسكه وقتله بالإسكندرية. انظر: ابن شاكر: فوات الوفيات، ج١، ص ١٧٤ ـ ١٨٢، ت رقم ٧٠؛ المقريزى: المقفى، ج٢، ص ٦٠٧ ـ ٦٢٢، ت رقم ١٠٣٤؛ ابن حجر: الدرر، ج٢، ص ٥٥ ـ ٦٢، ت رقم ١٤٢٤.

(٣) جسر أم دينار: هو جسر أقيم عند قرية من قرى مركز إمبابة تسمى أم دينار، وهذا الجسر لا زال باقياً ومعروفاً باسم صليبة أم دينار. ابن تغرى بردى: النجوم، ج٩، ص١٩٠ هـ٨.

(٤) الروك الناصرى هو آخر عملية لإعادة مسح الأراضى الزراعية فى عصر المماليك، واستغرق حوالى عام. المقريزى: الخطط، ج١، ص ٨٧ ـ ٩١.

ستة عشرة، وعمر القصر الأبلق [١] بقلعة الجبل، وحين كملت عمارته عمل فيه وليمة اجتمع عليها أرباب دولته وأخلع عليهم فكانت عدة الخلع فوق الألفين وخمسمائة خلعة، وفرق فيه مائة ألف دينار، وأجرى الماء من البحر إلى قلعة الجبل، وعمر الإيوان [٢] والحوش [٣] والدور [٤] وجامع القلعة [٥] والجامع الجديد [٦] بمصر والسواقى [٧]، وعمر المدرسة بين

(١) القصر الأبلق: بدأ الناصر محمد فى بنائه عام ٧١٣ هـ وتم عام ٧١٤ هـ وهو يطل على الإسطبلات السلطانية، وقد أطلق عليه هذا الاسم لمحاكاته القصر الأبلق بدمشق الذى بناه الظاهر بيبرس، وأطلق عليه الأبلق لبنائه بالحجرين الأسود والأصفر بالتبادل. القلقشندي: صبح، ج٤، ص٩٣؛ المقريزى: الخطط، ج٢، ص٢٠٩ ــ ٢١٠؛ السلوك، ج٢ ق١، ص١٢٩؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج٩، ص٣٦ هـ٣.

(٢) الإيوان: أنشأه المنصور قلاوون، ثم جدده الأشرف خليل، ثم هدمه وأعاد بناءه الناصر محمد بعد الروك الناصرى عام ٧١٥ هـ، ومكانه الآن جامع محمد على بالقلعة. القلقشندي: السابق، ج٣، ص٣٦٩؛ المقريزى: الخطط، ج٢، ص٢٠٦؛ السلوك، ج٢ ق١، ص١٠٣، ق٢، ص٥٥٨ ــ ٥٥٩؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج٨، ص٢٣٤ هـ١.

(٣) الحوش: هو حوش بالقلعة كان عبارة عن حفرة واسعة مساحتها أربعة أفدنة، أمر الناصر محمد عام ٧٣٨ هـ بردم هذه الحفرة واستعملت فى عهده لتربية المواشى المجلوبة من الصعيد والوجه البحرى. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٢٢٩.

(٤) هى الدور السلطانية التى بناها الناصر لتكون ملحقة بالقصر السلطانى بالقلعة للمماليك السلطانية وخواص الأمراء، والأماكن الخاصة بالطشت خاناه، والفراش خاناه، والشراب خاناه. العمري: المسالك ــ أيمن ــ، ص٨٢ ــ ٨٣.

(٥) جامع القلعة: أنشأه الناصر فى سنة ٧١٨ هـ مكان جامع قديم مضافاً إليه المطبخ والحوائج خاناه، والفراش خاناه، ثم هدمه مرة أخرى عام ٧٣٥ هـ وأعاد بناءه على ما هو عليه، وعرف أيضاً باسم جامع الخطبة لتتابع الخطباء. القلقشندي: صبح، ج٣، ص٣٧٠؛ المقريزى: الخطط، ج٢، ص٢١٢، ومازال قائماً تحت رقم أثرى ١٤٣.

(٦) الجامع الجديد: بدأ الناصر بناءه عام ٧١١ هـ على شاطئ النيل وانتهى منه عام ٧١٢ هـ وذلك بإشراف القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش ابن دقماق: الانتصار، ج٤، ص ٧٦ ــ ٧٧؛ المقريزى: السابق، ج٢، ص٣٠٤.

(٧) هى مجموعة من السواقى التى تزود القلعة بالمياه، وما زالت هناك بقايا منها إلى الآن تحت رقم أثرى ٣٦٩.

القصرين [١]، وقناطر شبين[٢]. وقناطر أم دينار [٣]، وخانقاه سرياقوس [٤] ومناظر سرياقوس ومناظر الميدان الكبير [٥]، وميدان المهارة [٦] وقصر يلبغا [٧]، وأبطل حقوق ساحل الغلة[٨] والعرصات [٩]، والمساجحة بنصف السمسرة [١٠]، وأبطل المكوس ورسوم الولايات

(١) المدرسة الناصرية بين القصرين: بدأ الناصر فى إنشائها عام ٧٠٣ هـ فى سلطنته الثانية، ولا تزال هذه المدرسة باقية إلى اليوم تحت رقم آثرى ٤٤. المقريزى: السابق، ج٢، ص٣٨٢.

(٢) قام الناصر ببناء قناطر أو جسر شبين عام ٧٣٧ هـ عند قرية شبين القصر المعروفة الآن بشبين القناطر لإصلاح رى أراضى شبين. السابق، ج٢، ص١٧٠؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج٩، ص١٩١، هـ٣.

(٣) قام الناصر محمد ببناء قناطر أو جسر أم دينار عند القرية المعروفة بهذا الاسم، وهى قرية من قرى مركز إمبابة، وذلك بغرض تنظيم الرى لنهر النيل. ابن تغرى بردى: النجوم، ج٩، ص١٩٠، هـ٨.

(٤) خانقاه سرياقوس: أنشئت عام ٧٢٣ هـ بعد أن نذر الناصر ببنائها إن عافاه الله من مرض ألم به، وأكتمل بناؤها عام ٧٢٥ هـ. المقريزى: السابق، ج٢، ص٤٢٢ ـ ٤٢٣.

(٥) الميدان الكبير أو ميدان الناصر، أنشأه الناصر محمد عام ٧١٤ هـ بديلاً عن الميدان الظاهرى، وقد انتهى منه عام ٧١٨ هـ. المقريزى: السابق، ج٢، ص٢٠٠.

(٦) ميدان المهارة: ميدان أنشأه الناصر محمد بالقرب من قناطر السباع عام ٧٢٠ هـ لتوضع به جميع خيوله، ويتم عرض إنتاج هذه الخيول أمام الناصر المغرم بالخيول الأصيلة لذلك أطلق عليه ميدان المهارة. المقريزى: السابق، ج٢، ص١٩٩.

(٧) قصر يلبغا: كان يقع مكان مسجد السلطان حسن بالقلعة. المقريزى: السابق، ج٢، ص٧١.

(٨) حقوق ساحل الغلة: هى نوع من الضرائب على الغلال عبارة عن تحصيل درهمين عن كل أردب للسلطان ويلحقه نصف درهم للعاملين عليه، وكان من أهم أنواع الضرائب التى تحصل للديوان، فكان يبلغ أربعة ملايين وستمائة ألف درهم، ومكان تحصيله على ساحل بولاق. المقريزى: السابق،ج١، ص٨٩.

(٩) العرصات: لم أجد لهذه الكلمة مدلول عند مؤرخى مصر الإسلامية، والعرصات جمع عرصة وهو المكان المتسع الذى لا بناء فيه. ابن منظور: لسان، ج٧، ص٥٣.

(١٠) نصف السمسرة: هى ضريبة كانت تؤخذ ممن يريد أن يبيع شيئاً لصالح الدلال القائم على عملية البيع عن كل مائة درهم درهمين، ثم تقرر أن يؤخذ من الدلال درهم من الدرهمين، فعمل الدلال على المغالاة فى تقدير الثمن لكى يستوفى حقه وتقع تبعة الضرائب على البائع. المقريزى: السابق، ج١، ص٨٩.

والمقدمين وكتاب الولاة [١]، وحقوق السجون وضمانها [٢]، ووقود الخيل، وعداد النحل، ومقر الملاهى[٣]، والمناشير [٤]. ولا يطلب الحى عن الميت ولا الحاضر عن الغائب، ومنع أخذ الرشا من أرباب المناصب وأمر بعدم قطع كل نخلة أو شجرة مثمرة، ولا يذكى ما يرجى نتاجها من جميع الحيوان المباح ذكاته.

وفى أيامه عصت عربان برقة [٥] فجرد لهم عسكراً مقدمهم أيتمش المحمدى [٦] فكسروا العرب وأخذوا منهم فوق الثمانين ألف رأس غنم وأكثر من اثنى عشر ألف جمل. وحج مرة ثانية وصحبته المؤيد صاحب حماة [٧]، فأبطل مكوس مكة والمدينة وأقطع أميريهما إقطاعات كثيرة بمصر والشام ــ وهى بأيديهم إلى الآن ــ، ورسم بإبطال ضرب المقارع وكتب بذلك إلى البلاد، وفى أيامه أبيع القمح كل أردب بخمسة دراهم، والشعير بثلاثة دراهم، وحج مرة ثالثة[٨] وفعل فيها من الخير والإيثار ما لا يحصر.

---

(١) رسوم الولاية: هى ضريبة تتعلق بالولاة والمقدمين يقومون بتحصيلها من عرفاء الأسواق وبيوت الفواحش، وكان يقوم بتحصيلها ضامن تحت يده معاونون، وعليها جند مستقطعون وأمراء. المقريزى: السابق. نفسه.

(٢) حقوق السجون: هو عبارة عن مال يتحصل من المساجين، بمجرد دخولهم السجن، وكان لهذه الضريبة ضامن لكثرة ما يجبى منها من الأموال. المقريزى: السابق، نفسه.

(٣) مقر الملاهى: هى ضرائب مقررة على كل جارية أو عبد موجودين بالخانات والملاهى. السابق، ج١، ص٨٨.

(٤) الصواب: المباشرين، بمعنى إلغاء وجود المباشرين ــ من الكتاب وأعوانهم ــ فى البلاد لكثرة الظلم الواقع على الناس من جراء وجودهم بها ولم يسمح بوجودهم إلا فى البلاد التى بها أرض للسلطان. السابق، ص٨٩.

(٥) كان ذلك عام ٧١٩ هـ. المقريزى: السلوك، ج٢ ق١، ص ١٩١ ــ ١٩٢.

(٦) هو الأمير سيف الدين أيتمش المحمدى، أحد مماليك المنصور قلاوون، ثم صار لابنه الناصر محمد، توفى عام ٧٣٦ هـ. المقريزى: المقفى، ج٢، ص ٣٣٥ ــ ٣٤٢، ت رقم ٨٦٧؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج٩، ص٣١٠؛ ويذكر ابن حجر أنه توفى عام ٧٣٣. الدرر، ج١، ص٥٠٦، ت رقم ١١١٤.

(٧) كانت حجة الناصر الثانية عام ٧١٩ هـ. ابن تغرى بردى: النجوم، ج٩، ص٥٨.

(٨) كانت حجة الناصر الثالثة عام ٧٣٢ هـ وكان يصحبه فيها هذه المرة الأفضل بن المؤيد صاحب حماة. السابق، ج٩، ص١٠٢.

وكان رحمه الله مغرماً بحب الخيل كثير الشراء منها حتى صار يشترى الفرس بمائة ألف درهم فضة، وغلا الجوهر فى أيامه حتى لا يكاد يوجد، وسالمته الأيام وخافته ملوك الدنيا شرقاً وغرباً، وهادنته وأذعنت له. تملك لما قتل أخوه الأشرف فى [٧٤ أ] عام ثلاث وتسعين، ومات فى سنة إحدى وأربعين فكانت مدة مملكته بما فيها من ولاية كتبغا ولاجين وبيبرس تسعة وأربعون سنة، وولايته خاصة خمسة وأربعون سنة وشهر ونصف. ولما مات خلف من البنين محمد وإبراهيم وأحمد وأبو بكر وكجك وإسماعيل ويوسف وشعبان وصالح ورمضان وحاجى وحسن وحسين، وأنوك مات فى حياته، وعدة بنات.

ولما مات أنزل من القلعة ليلاً إلى المنصورية [1] بين القصرين وغسل ودفن بها، وكان

متولى أمره علم الدين سنجر الجاولى [2]، ثم تولى المملكة ولده السلطان الثالث عشر من ملوك الترك:

الملك المنصور أبو بكر:

الملك المنصور أبو بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون صبيحة وفاة والده، وحلفوا له أركان المملكة، ثم إنه أقام مدة يسيرة، ثم وقع بينه وبين الأمير قوصون [3] فخلعه وأرسله إلى قوص، وكان آخر العهد به، وكانت مدة مملكته شهرين، ثم تولى المملكة بعده أخوه السلطان الرابع عشر من ملوك الترك:

---

(١) هى المدرسة والقبة المنصورية التى بناها المنصور قلاوون وأصبحت مدفناً له ولابنه الناصر محمد. المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٣٧٩ ـــ ٣٨٠.

(٢) هو الأمير سنجر بن عبد الله الجاولى أبو سعيد، ولد عام ٦٥٣ هـ بآمد، ولاه الناصر نيابة الكرك عام ٧١١ هـ، وأسند إليه عملية الروك الناصرى بدمشق، وهو الذى تولى غسل الناصر ودفنه، توفى عام ٧٤٥ هـ. ابن حجر: الدرر، ج٢، ص ٢٦٦ ـــ ٢٦٨، ت رقم ١٨٧٧؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٦، ص ٧٤ ـــ ٧٦، ت رقم ١١٣.

(٣) الأمير قوصون المعروف بقوصون الساقى، أحد مماليك الناصر محمد اشتراه ممن أحضروا زوجة الناصر ابنة القان أزبك، زوّجه الناصر من ابنته، قتل فى محبسه على يد الناصر أحمد عام ٧٤٢ هـ. ابن حجر: السابق، ج٣، ص ٣٤٢ ـــ ٣٤٤، ت رقم ٣٢٨٢.

الملك الأشرف علاء الدين كجك:

الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد فى حادى عشر صفر سنة اثـنين وأربعـين وسبعمائة، وكان عمره سبع سنين، فأقام مدة يسيرة ثم وصل الخبر من الشام بأن طشتمر حمص أخضر[١] نائب حلب والفخرى وأهل الشام جميعهم خامروا وطلبوا أن يكون سلطانهم الناصـر أحمد بن الناصر محمد، فأخرج قوصون لهم برسْبُغا [٢] وبلجك ابن أخيـه لملاقـاة المخـامرين بالشام، فوردت عليهم الأخبار بأن قوصون مُسك بالقاهرة فهرب بلجك وبرسـبغا إلى بـلاد الصعيد فمسكا بالأشمونين، ومسك أيدغمش[٣] ثلاثين أميراً وخلع الأشرف كجك، وكانـت مدة مملكته خمس شهور، ثم خطبوا للناصر أحمد وهو بالكرك فى سابع عشر رمضان، وأرسلوا له بذلك فحضر وحضرت العساكر الشامية للناصر أحمد وهو بالكرك فى سابع عشـر رمضـان، وأرسلوا له بذلك فحضر وحضرت العساكر الشامية صحبته إلى الديار المصـرية، وطلـع إلى القلعة فى موكب عظيم، وتسلطن السلطان الخامس عشر من ملوك الترك:

الملك الناصر أحمد:

الملك الناصر أحمد فى عاشر شوال سنة اثنين وأربعين، فأقام فى المملكة بعض أيام ومسك جماعة من الأمراء وسجنهم ثم توجه إلى الشام فى [٧٤ ب] ذى الحجة، وأخذ معه طشـتمر

---

(١) هو الأمير سيف الدين طشتمر بن عبد الله الناصرى الساقى المعروف بحمص أخضر لكونه يحب أكله فلقب به، أحد مماليك الناصر، توفى عام ٧٤٣ هـ. ابن حجر: الدرر، ج٥، ص٣٢٠، ت رقم ٢٠١٧؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٦، ص ٣٩٢ ـ ٣٩٤، ت رقم ١٢٥٤.

(٢) برسبغا: الحاجب الناصرى، أحد مماليك الناصر، كان ذا حظوة عنده، مات فى سجنه بالإسكندرية عام ٧٤٢ هـ. ابن حجر: السابق، ج٢، ص٧، ت رقم ١٢٨٠.

(٣) أيدغمش الناصرى: كان من مماليك قلبان الطباخى ثم تقدم عند الناصر، وأمره بعد مجيئه من الكرك، فاستمر إلى أن مات الناصر، ثم كان من شيعة قوصون، ثم كان ممن قبض على قوصون، وترقى فى الإمرة إلى أن وصل إلى أمير أخور، مات عام ٧٤٣ هـ. ابن حجر: السابق، ج١، ص ٤٥٥ ـ ٤٥٧، ت رقم ١١٢٠.

والفخرى وأيدغمش [١] مقيدين، وكان نهار عظيم، وتوجه إلى الكرك فأقام به وقتل طشتمر والفخرى، ثم إن الأمراء اتفقوا على سلطنة أخيه إسماعيل فأخرجوه وسلطنوه، ثم جردوا نحوا من ألفى فارس وجمعوا عليهم عسكر الشام وحاصروا الكرك فأقام بها والعساكر تتبدل عليه نحوا من ثلاث سنين، ثم مسك فى صفر سنة خمس وأربعين ثم توجه إليه منجك اليوسفى [٢] فقطع رأسه وأحضرها، وكانت مدة سلطنته شهرين واثنا عشر يوماً، ولم يكن فى إخوته مثله فإنه كان أحسن أولاده وأكرمهم وأشجعهم لكنه لم يعط سعد، وتولى السلطان السادس عشر من ملوك الترك:

الملك الصالح عماد الدين إسماعيل:

الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد، وهو الرابع من أولاده فى يوم السبت ثانى عشرين شهر ذى الحجة عام ثلاث وأربعين وسبعمائة، وكان خيراً ديناً كريماً رتب دروساً للقضاة الأربعة بمدرسة جده المنصور قلاوون بين القصرين وزاد فى أوقاف الجامع الناصرى بالقلعة، وكان يحب العلماء ويؤثرهم ويحب الشجاعة وأهلها. مرض ومات فى العشرين من ربيع الأول عام ست وأربعين، فكانت مدة مملكته ثلاث سنين وشهرا وثمانية عشر يوماً، ثم تولى المملكة بعده أخوه السلطان السابع عشر من ملوك الترك:

(١) لم يشر ابن تغرى بردى إلى أن الناصر أحمد قبض على أيدغمش وإنما ذكر أن أيدغمش هو الذى قبض على الفخرى بعد هروبه وأرسله مع ابنه إلى السلطان. النجوم، ج١٠، ص ٦٥.

(٢) منجك اليوسفى: أحد أمراء الناصر محمد وصل إلى رتبة سلاح دار، وهو أخو الأمير بيبغاروس، وسجن بسببه بالإسكندرية عام ٧٥٢ هـ ثم أفرج عنه ومات عام ٧٧٦ هـ. ابن حجر: الدرر، ج٥، ص ١٣٠ ـ ١٣١، ت رقم ٤٨٤٦.

الملك الكامل شعبان:

الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد، وهو الخامس من أولاد الناصر فى يوم وفاة أخيه، وانتظم له أمر المملكة إلى عام سبع وأربعين فخامر عليه الأمير الحجازى [١] والأمير أرغون شاه[٢] وبعض الأمراء وخرجوا إلى قبة النصر، فخرج لهم السلطان ووقع بينهم القتال فضرب[٣] بيبغاروس[٤] الأمير العلائى[٥] فى وجهه بطبر أرماه، وحمل أرغون شاه على الطلب وكسر السنجق، فهرب السلطان وصحبته أربع مماليك إلى القلعة، فدخل الإسطبل وجاء إلى باب السر[٦] وجده مغلقاً، فأمرهم بفتحه، فأبى المماليك الكبار، فجاء مماليك صغار فتحوا له،

---

(١) هو الأمير ملكتمر بن عبد الله الحجازى الناصرى أحد مماليك الناصر محمد، توفى عام ٧٤٨ هـ. ابن تغرى بردى: المنهل، ج٢، ص ٤٦١ هـ ١.

(٢) هو الأمير سيف الدين أرغون شاه، أحد مماليك الناصر، تولى عدة وظائف منها الأستادارية، ونيابة صفد، مات مذبوحاً عام ٧٥٠ هـ. ابن حجر: السابق، ج١، ص٣٧٣، ت رقم ٨٦٩؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج٢، ص ٣١٤ - ٣١٩، ت رقم ٣٧٤.

(٣) يذكر كل من المقريزى، وابن حجر، وابن تغرى بردى، أن الذى ضرب الأمير العلائى هو الأمير شجاع الدين أغزلوا السيفى أحد مماليك الأمير بهادر المعزى، قتل عام ٧٤٨ هـ. المقريزى: المقفى، ج٢، ص٢٢٤ - ٢٢٧، ت رقم ٧٩٨؛ ابن حجر: الدرر، ج١، ص٤١٧ - ٤١٨، ت رقم ٩٩٧؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٥، ص٥١، ترجمته ج٢، ص ٤٦٠ - ٤٦٢.

(٤) هو الأمير سيف الدين بيبغا روس القاسمى الناصرى، أحد مماليك الناصر من خاصكيته، قبض عليه الناصر حسن ثم أفرج عنه وولاه نيابة حلب ثم عصى عليه وهرب فقبض عليه بقراجا بن دلغادر فأخذه وبعث به إلى حلب وقتل بها عام ٧٥٤ هـ. المقريزى: السلوك، ج٢ ق٣، ص٩٠٥؛ المقفى، ج٢، ص ٥٥٩ - ٥٦١، ت رقم ١٠٠٨؛ ابن حجر: السابق، ج٢، ص٤٤ - ٤٥، ت رقم ١٣٨٧.

(٥) هو الأمير سيف الدين أرغون العلائى الناصرى، من مماليك الناصر محمد استقر رأس نوبة الجمدارية عنده، ثم تزوج أم الملك الصالح إسماعيل، وفى عهده صار هو أكبر الأمراء ومدبر المملكة، قتل عام ٧٤٨ هـ. الصفدى: الوافى بالوفيات، ج٨، ص٣٥٥، ت رقم ٣٧٨٨؛ ابن حجر: السابق، ج١، ص٣٧٦، ت رقم ٨٧٥.

(٦) باب السر هو أحد أبواب القلعة الثلاث بجوار باب المدرج وباب القرافة، وكان مخصصاً لدخول وخروج أكابر الأمراء وكاتب السر والوزير. القلقشندي: صبح، ج٣، ص٣٧٠؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج٨، ص١٧٢، هـ١.

فدخل إلى عند والدته، فتخبى، ثم حضر بعض مماليك إلى الدهيشة[١] بالقلعة، وكان بها أمير حاج مسجوناً فدخلوا عليه وقبلوا الأرض بين يديه، وحضر أعيان الأمراء [٧٥ أ] وهم مُلبَسين [٢] فحلفوا له وسلطنوه وأركبوه بشعار المملكة، ودخل الأمراء بيت العلائى وفتشوه فوجدوا الملك الكامل بين الأزيار فمسكوه وسجنوه فى المكان الذى كان مسجوناً فيه السلطان أمير حاج، وكان آخر العهد به، ولما تولى السلطان الثامن عشر من ملوك الترك:

الملك المظفر حاجي:

المظفر حاجى بن الناصر محمد، وهو السادس من أولاده فى يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة عام سبع وأربعين وسبعمائة، وكان مغرماً بلعب الحمام، عدل عن النوم فى القصر لأجل اللعب به فنهاه الأمير الجيبغا العادلى[٣] عن ذلك وخوفه من ركوب المماليك عليه بسبب ذلك، فأمر السلطان بذبح الحمام وأرسل إلى الجيبغا يعرفه عن ذبحه الحمام، وقال: لأذبحن خياركم مثلها. فاغتاظ الأمير الجيبغا لذلك [٤] واتفق مع الأمراء ولبسوا وخرجوا إلى قبة النصر، ثم ركب السلطان ومماليكه وهم مخامرون عليه، وأرسل إلى الأمراء يستفهم عن قصدهم، فقالوا: نريد أن تنزل عن الملك.، فقال: لا وما عندى إلا السيف. فزحفوا عليه وأحاطوا به، فحمل السلطان على بيبغا روس وضربه بطبر جاء فى يده، فطعن السلطان فلم تؤثر فيه الطعنة، فنزل بيبغا عن فرسه ومسكه واحتاطوا عليه ورموه من على فرسه وقتلوه من ساعته فى ثالث عشر رمضان عام ثمان وأربعين، وكانت مدة سلطنته سنة وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً. وفى صبيحة ذلك اليوم تسلطن السلطان التاسع عشر من ملوك الترك:

---

(١) الدهيشة: قاعة بالقلعة عمرها السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد سنة ٧٤٥ هـ، وتطل على الحوش السلطانى. المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٢١٢.

(٢) أى يلبسون السلاح.

(٣) الجيبغا العادلى: أحد مماليك العادل كتبغا، عمل عند تنكز نائب الشام أيام الناصر محمد، قبض عليه بعد قتله ثم أفرج عنه، توفى عام ٧٥٤ هـ. ابن حجر: الدرر، ج١، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤، ت رقم ١٠٤٦.

(٤) عن هذه الرواية. انظر: ابن تغرى بردى: المنهل، ج٢، ص ٤٩٨.

الملك الناصر حسن: [المرة الأولى]

الملك الناصر حسن بن الناصر محمد، وهو السابع من أولاده، وفى أيامه فى عام تسع وأربعين حصل وباء عظيم، وكان عامّا، فطبق الأرض، وأخرب بلاد الفرنجة وأخلى مصر إلى أن بلغت راوية الماء عشرة دراهم فضة، وطعنت فيه غالب الطيور والوحوش والدواب والجمال والكلاب، وبلغ الدفن فى القاهرة فى كل يوم ما يزيد عن عشرين ألف آدمى، وهذا لم يسمع بمثله.

فائدة: الطواعين الورادة على الناس فى الإسلام خمسة وهذا سادسها. الأول: الطاعون الجاف [1] [٧٥ ب] جاء فى زمن عبد الله بن الزبير، هلك فيه بالبصرة فى مدة ثلاثة أيام كل يوم سبعون ألفاً، وفى اليوم الرابع لم يمت أحد.

الثانى: طاعون كان قبله وكان أبو عبيدة فى ستة وثلاثين ألفاً من الجند فلم يسلم منهم غير ستة آلاف.

الثالث: طاعون الفتيات لأنه مات فيه العذارى والجوارى أكثر من الذكور.

الرابع: وقوعه فيما وراء النهر إلى أن بلغ فى يوم اثنى عشر ألف جنازة.

الخامس: وقوعه فى بلاد سمرقند فزاد فى شهر واحد على مائتى ألف وثلاثين ألف جنازة.

قلت: وعلى نحو من ذلك وهو السادس ما وقع من الوباء فى الديار المصرية فى عام ثلاث وثلاثين وثمانمائة، فورد من جهة الغرب، وكان أول ظهوره بقرية بالبحيرة تسمى محلة صا [2] وانتقل منها إلى الغربية ثم إلى المنوفية ثم إلى مصر ثم إلى القاهرة، أقام بها ثمانون يوماً زاد فى اليوم عن عشرة آلاف نفس فى غالب الأيام، وكان أولاً فى الرقيق والبنات والبنين، ثم الترك والرجال والنساء، وفى آخره فى أعيان الناس غير القضاة فإنه لم يمت منهم واحد، ثم أنتقل إلى الوجه البحرى وإلى ثغر الإسكندرية ثم إلى الوجه القبلى والواحات والطور والسويس وتوجه إلى بلاد النوبة وإلى عيذاب وسواكن، ولم يفته بلدة من الديار المصرية.

---

(١) الصواب: الجارف، الجوهر، ص ٣٨٧؛ الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص١٤٦.

(٢) صا: هى إحدى مدن الغربية القديمة التابعة حالياً لكفر الزيات. ابن مماتى: قوانين، ص١٥٩؛ ابن الجيعان: التحفة، ص٨٥؛ محمد رمزى: القاموس، ق٢، ج٢، ص١٢٦.

وفى سابع جمادى الآخرة لبس منكلى بغا الفخرى [١] وطاز [٢] وجماعة من الأمراء وتوجهوا إلى قبة النصر، وطلع الأمير طاز إلى القلعة راكباً ملبساً فتخوف السلطان فخلع نفسه فقبضوا عليه وسجنوه بالقلعة، وكانت مدة مملكته ثلاث سنين وتسعة أشهر، ثم تولى المملكة بعده السلطان العشرون من ملوك الترك:

الملك الصالح صالح:

الملك الصالح صالح بن الناصر محمد _ وهو الثامن من أولاده _ فى ثامن عشر جمادى الآخرة عام اثنين وخمسين، وأمه بنت تنكز وكانت ذات رأى تام، تعرض بينه وبين الأمراء فتن فركبوا عليه فظفر بهم ووسط غالبهم، وفى أيامه فى عام أربع وخمسين كثر فساد العربان فى الصعيد ورأسهم ابن الأحدب، فجرد لهم الأمير شيخو وظفر بهم ووسط غالبهم، وهرب الأحدب وأحضر من العربان زيادة عن ألف نفر [٧٦ أ] ومائة حمل رماح وثلاثين حمل درق وثمانين حمل سيوف وألفا وسبعمائة فرس وألفى وخمسمائة جمل وسبعمائة حمار، ثم حضر الأحدب وأطاع وعاد إلى بلاده.

وفيها مُنعت اليهود والنصارى من أن يباشروا بالدواوين، وأن تكون عمة كل منهم دون العشرة أذرع، ولا يركبون من الحمير إلا ما كان قيمته دون المائة درهم، ويركبوها عرضاً، وإذا مروا بمسلم جالس معتبر نزلوا وأظهروا الذلة، ولا يدخل أحد منهم الحمام إلا بصليب فى رقبته، ولا تدخلن نساءهم مع مسلمات فى حمام، وأن يكون مزر النصارى زرقا واليهود صفرا، وأن

---

(١) هو الأمير سيف الدين منكلى بغا بن عبد الله الفخرى الناصرى، أحد مماليك الناصر، رقاه بحيث أصبح أحد الأمراء بدمشق سنة ٧٣٩ هـ، ثم تولى نيابة طرابلس، ثم صار من أكابر الأمراء بمصر، اعتقله السلطان الصالح صالح بن الناصر سنة ٧٥٢ هـ ومات بسجنه عام ٧٥٣ هـ. ابن حجر: الدرر، ج٥، ص ١٣٦ ـ ١٣٦، ت رقم ٤٨٥٨.

(٢) هو الأمير سيف الدين طاز بن عبد الله الناصرى، أحد مماليك الناصر محمد ومن خاصكيته، ونائب حلب. توفى عام ٧٦٣ هـ. المقريزى: السلوك، ج٢ ق١، ص ٧٨؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٦، ص٣٦٢ ـ ٣٦٥، ت رقم ١٢٢٨.

يلبس الخف صنفين كل فردة من صنف.وفيها ظفر ابن أرتنا صاحب الروم [١] بقراجا بن دلغادر[٢] فمسكه وأرسله إلى القاهرة فسمر.

ثم إن الأمراء قصدوا إعادة الناصر حسن، فاتفقوا غالب الأمراء مع الأمير شيخو وتحالفوا ودخلوا على الصالح فخلعوه وأعادوا أخوه الناصر حسن، وكانت مدة الصالح ثلاث سنين وثلاث شهور ونصف، وسجن بالقلعة إلى أن مات فى سنة إحدى وستين وتسلطن:

الملك الناصر حسن: [المرة الثانية]

الناصر حسن يوم خلع الصالح فى ثانى شوال سنة خمس وخمسين[٣]، فمشى فى السلطنة على أتم الأمور، وشرع فى عمارة مدرسته بالرميلة فى عام ثمان وخمسين. وفيها وثب مملوك بالقلعة على الأمير شيخو فضربه بسيف ثلاث ضربات أصاب وجهه ورأسه وذراعه، ثم مُسك الضارب فسمر ثم وسط، وأقام شيخو فى ألم تلك الضربات إلى أن مات فى سلخ ذى القعدة منها. وفى عام تسع وخمسين ضربت الفلوس الجدد [وأخرجت بإشارة المقر السيفى صرغتمش

---

(١) هو محمد بن أرتنا صاحب بلاد الروم بآسيا الصغرى تولى بعد أبيه الذى دخل فى طاعة الناصر محمد عام ٧٣٨ هـ إلى عام ٧٥٤ هـ. انظر ابن حجر: الدرر، ج١، ص ٣٧١، ت رقم ٨٦٤.

(٢) هو قراجا بن دلغادر بن خليل التركمانى، نائب الأبلستين، تحالف مع بيبغا روس فى تمرده على الدولة، فجردت له السلطنة جيشاً فهزمته فهرب من الأبلستين عام ٧٥٤ هـ واستجار بأرتنا صاحب الروم فغدر به وأرسله إلى القاهرة فسجن بها، ثم هرب مرة أخرى فقبض عليه صاحب الروم وأعاده إلى القاهرة فوسط بها عام ٧٥٤ هـ. المقريزى: السلوك، ج٢ ق٣، ص٨٩٥، ٨٩٨؛ ابن حجر: السابق، ج٣، ص٣٢٩، ت رقم ٣٢٤٢.

(٣) لقد بدأ فى بناء مدرسة السلطان حسن عام ٧٥٧هـ /١٣٥٦م. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٣١٦.

الناصرى [1]] [2]. وفى عام إحدى وستين جهز الأمير بيدمر الخوارزمى [3] نائب حلب لفتح سيس، ففتح أذنة بالأمان، وطرسوس عنوة، وفتح المصيصة وقلعة كلال [4] والحديدة وغيرها.

وفى عام اثنين وستين وقع بين السلطان وبين مملوكه يلبغا العمري [5] بكوم برى [6]، فلزم يلبغا بخيمته فركب السلطان عليه ومعه بعض أمراء ليلاً على يلبغا، وكان وصل إليه الخبر بالكبس عليه فخرج عن خيامه وأكمن لهم، فكبس السلطان عليه بالمخيم فخرج يلبغا ومن معه من خلفهم فكسروهم [٧٦ ب] وهرب السلطان ومن معه إلى القلعة وألبس مماليكه ولم يجد لهم خيولاً لأن الخيول كانت فى الربيع[7]، وحجز يلبغا ما بينهم وبينها فتعين للسلطان الغلبة

(١) ضربت هذه الفلوس بإشارة الأمير صرغتمش واستمرت المعاملة بها وسميت بالفلوس الجدد، كل أربعة وعشرون فلساً بدرهم فضة. المقريزى: السلوك، ج٣ ق١، ص ٣٩؛ والأمير صرغتمش هو الأمير سيف الدين صرغتمش بن عبد الله الناصرى، من مماليك الناصر محمد ترقى فى الإمرة إلى تقدمة ألف عام ٧٤٩ هـ، ثم رأس نوبة كبير عام ٧٥٢ هـ، وصار من كبار الأمراء فى عهد الصالح صالح، والناصر حسن خاصة بعد موت الأمير شيخو، قبض عليه الناصر حسن وسجنه بالإسكندرية ومات به عام ٧٥٩ هـ. ابن حجر: الدرر، ج٢، ص٣٦٣ ــ ٣٦٥، ت رقم ١٩٧٨؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٦، ص ٣٤٢ ــ ٣٤٤، ت رقم ١٢١٧.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من الجوهر ن ص ٣٩٩.

(٣) هو الأمير سيف الدين بيدمر بن عبد الله الخوارزمى، ولى نيابة حلب عام ٧٦٠ هـ وتوجه إلى بلاد سيس ففتح عدة مدن وقلاع، وأرسل للناصر حسن بمفاتيح طرسوس، ثم تنقل فى عدة ولايات وظل من أكابر الأمراء حتى مات عام ٧٨٩ هـ. المقريزى: السابق، ج٣ ق١، ص ٥٠؛ ابن حجر: الدرر، ج٢، ص٤٦ ــ ٤٧، ت رقم ١٣٩٣؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٣، ص٤٩٨ ــ ٤٩٩، ت رقم ٧٣٨.

(٤) لم أجد اسم هذه القلعة، ولعله يقصد قلعة الكلاب بأرمينية. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٦٧.

(٥) هو الأمير الكبير يلبغا بن عبد الله الخاصكى، تأمر فى أول عهد الناصر حسن، ثم انقلب عليه واستقر أتابك فى عهد المنصور حاجى، قتله الأشرف شعبان عام ٧٦٨ هـ. ابن حجر: الدرر، ج٥، ص٢١٣ ــ ٢١٥، ت رقم ٥٠٧٩.

(٦) كوم برى أو كوم برا، بلدة من أعمال الجيزة. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص ٢٠٨؛ العينى: سيرة المؤيد، ص٢١٥ هـ٤

(٧) الربيع: هو إخراج خيول السلطان لكى ترعى فى الحقول فى فترة الربيع، وسميت فى العصر الإسلامي المبكر الارتباع. ابن منظور: لسان، ج٨، ص١٠٥.

فلبس لبس العرب هو وأيدمر الدوادار [1] ونزلا من القلعة فى آخر الليل بمفردهما قاصدين الشام فلقيهما بعض المماليك فأحضروهما إلى بيت شرف الدين بن الأزكش [2] فأحضروهما إلى الأمير يلبغا، وكان آخر العهد بالناصر.

وكانت مدة سلطنته الثانية ست سنين وسبعة أشهر وأيام، وكان ملكاً حازماً مهاباً شجاعاً ذا حرمة باسطة وكلمة نافذة، لكنه كان محباً لجمع المال شحيحاً به، وكان قصده إنشاء [أولاد الناس] [3] لأنه أقام جماعة وجعل منهم تسعة مقدمين ألوف، وطلب أولاد الناس المحتشمين ليكبرهم، وكان يقول: ما سمعت أن ابن ناس خامر على أستاذه. خلف عشر بنين وهم: أحمد وعلى وقاسم وإسكندر ويحيى وموسى وإسماعيل وشعبان ومحمد وحسين، وست بنات، ولما فقد تسلطن السلطان الحادى والعشرون من ملوك الترك:

الملك المنصور محمد :

الملك المنصور محمد بن المظفر حاجى بن الناصر محمد فى يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة، واستبد بتدبير الأمور الأمير يلبغا، فأقام مدة ثم وردت الأخبار بمخامرة الأمير بيدمر الخوارزمى فخرج السلطان له بالعسكر إلى دمشق فمسكه ومن معه من الأمراء وجُهزوا إلى ثغر الإسكندرية، ثم تحيل الأمير يلبغا من السلطان فاتفق مع الأمراء وخلعوا المنصور فى نصف شعبان عام أربع وستين وسجنوه داخل الأدر بالقلعة، وكانت مدة سلطنته سنتين وثلاثة أشهر وستة أيام، ثم تولى المملكة السلطان الثانى والعشرون من ملوك الترك:

---

(١) هو الأمير عز الدين أيدمر بن عبد الله الأنوكى الدوادار، اصله من مماليك سيدى أنوك بن الناصر محمد، تنقل فى الوظائف حتى صار مقرباً عند الناصر حسن فجعله دواداراً. المقريزى: السابق، ج٣ ق١، ص٢٤٤؛ ابن حجر: السابق، ج١، ص٤٥٨، ت رقم١١٢٧؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج٣، ص١٧٨ ــ ١٧٩، ت رقم ٦٠٥.

(٢) هو الأمير شرف الدين موسى بن الأزكش، تنقل فى الوظائف حتى ولى الأستادارية والمشير فى عهد الأشرف شعبان، توفى بالمحلة عام ٧٨٠ هــ. المقريزى: السابق، ج٣ ق١، ص٣٥١.

(٣) ما بين الحاصرتين أضافه محقق الجوهر نقلاً عن النجوم لابن تغرى بردى، ولكنه موجود بالثغر كما بالنجوم. الجوهر ص٣٥١.

الملك الأشرف شعبان:

الملك الأشرف شعبان بن الملك الأمجد حسين بن الناصر محمد وعمره عشر سنين. وفى عام سبع وستين فتح خرت برت على يد جرجى [(١)] [الإدريسى] [(٢)] [٧٧ أ]، وفيها فى يوم الجمعة ثالث عشر المحرم أخذ الفرنج مدينة الإسكندرية، وكانوا فى سبعين قطعة، فحرقوا الباب الأخضر، وقاتلوا، وقتل منهم عربان البحيرة عدة وأسروا جماعة من المسلمين فخرج لهم السلطان، فلما سمعوا به هربوا، ثم إن السلطان جدد ما هدم منها وجعل نائبها تقدمة[(٣)] من حينئذ بعد أن كانت ولاية [(٤)].

وفى عام ثمان وستين عمر الأتابكى يلبغا مائة غراب وطريدة فى دون الثمانى شهور مع عدم الأخشاب والآلات وقصد أخذ جزيرة قبرص، وفيها خرج السلطان للصيد فى البحيرة فوصل إلى الطرانة فى سادس ربيع الآخر اتفق أكابر مماليك يلبغا وخامروا على يلبغا مع بعض الأمراء فكبسوا عليه ليلاً فسمع فهرب وطلع إلى القاهرة ومنع المراكب من التعدية واجتمعت عنده الأمراء بمصر، ولما علم المماليك بهروبه اجتمعوا إلى عند السلطان ومن انضاف إليهم، وحضروا إلى بولاق التكرور [(٥)] فأقاموا بها ثلاثة أيام لم يجدوا مركباً يعدون فيها، وفى ثانى يوم حضور العسكر نَزَل المقر الأتابكى يلبغا سيدى أنوك بن الأمجد حسين بن محمد بن قلاوون أخو الأشرف إلى الجزيرة فسلطنه بها ولقبه بالمنصور وأقام هو ويلبغا والأمراء بالجزيرة والأشرف ببولاق فحضر إليه ريس يعرف بابن بنت لبطة فجهز له ثلاثين غراباً من التى أقامها الأمير يلبغا

---

(١) يذكر المقريزى أن فتح خرت برت كان فى شهر شعبان على يد جرجى الإدريسى الذى حاصر قلعة خرت برت لمدة أربعة أشهر إلا إنه لم يستطع فتحها، ثم إن خليل بن دلغادر طلب الأمان وسلم القلعة. السلوك، ج٣ ق١، ص١٢٠.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من الجوهر، ص ٤١١.

(٣) أى أصبح نائبها مقدم ألف، انظر فيما يلى ص٤٤٩

(٤) عن وقعة الإسكندرية انظر. النويري: الإحكام فى ما جرت به الأحكام؛ المقريزى: السابق، ج٣ ق١، ص ١٠٤ ــ ١٠٨.

(٥) يرجع حى بولاق التكرورأو الدكرور إلى الشيخ الصالح بن عبد الله التكرورى وهو من بلاد التكرور وكان معاصراً للخليفة الفاطمى العزيز بالله، وقد ولاه عدة مناصب فى دواوين الدولة. انظر: إبراهيم على طرخان: قيام إمبراطورية مالى الإسلامية، مقال بمجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، ١٩٧٠، ص٤١.

للفرنج، كسر بروقها وجعلها كالفلا [١]، ونزل فيها جماعة من الأمراء، فأرمى عليهم يلبغا بالنشاب ومكاحل النفط وتشاتموا وأقاموا يومين، ثم عدى السلطان من الوراق إلى جزيرة الفيل[٢] فسمع الأمراء فهربوا من يلبغا إلى عند السلطان، فطلع يلبغا إلى سوق الخيل ولم يبق معه إلا طيبغا حاجب الحجاب فرأى أمره فى إدبار فنزل عن فرسه تجاه باب الإسطبل وصلى ركعتين وحل سيفه وأعطاه لطيبغا وتوجه نحو بيته بالكبش فرجمه العوام برأس سويقة المنعم [٣].

وعند توجهه إلى بيته طلع الأشرف إلى القلعة وجهز [٧٧ ب] أمراء حضروا بيلبغا وأستاداره بعد المغرب فسجنوهما بالقلعة، فأقام إلى بعد عشاء الآخرة فجاء له بعض مماليكه وجماعة من الأمراء فنزلوا به، ونزلوا له بفرس يركبها عند حدرة باب القلعة، فلما أراد الركوب ضربه مملوك يسمى قراتمر أرمى رأسه ووقعوا فيه بالسيوف هبروه وأخذوا رأسه جعلوها فى مشعل حتى قطع دمها وسحبوا جثته نحو العروستين [٤]، فحاز طشتمر [٥] [الدوادار] [٦] أخذ الرأس منهم تحت الليل، وحضروا بجثته فخيط عليها الرأس وغسل وكفن وصلى عليه ليلاً، ودفن بتربته واستقر طغيتمر النظامى [٧] أتابك العساكر.

---

(١) الفلوة نوع من السفن برسم التعدية وحمل الأزواد. ابن دقماق: الجوهر، ص٤١٧ هـ ١٢.

(٢) جزيرة الفيل: هى جزيرة خارج باب البحر من القاهرة، وتتصل بمنية الشيرج من بحريها وبحر النيل من غربيها. المقريزى: الخطط، ج٢، ص١٨٥.

(٣) الصواب: منعم، وسويقة منعم: سوق صغيرة تقع فى حى الصليبة تجاه القصر السلطانى بالقلعة. العينى: السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد، تحقيق فهيم محمد شلتوت، القاهرة ١٩٦٧، ص٢٤٩ هـ١.

(٤) بين العروستين: أطلق هذا الاسم على خط من الأخطاط الواقعة فى الطريق الواصل من القاهرة إلى قلعة الجبل. المقريزى: السلوك، ج٢ ق١، ص٧٣ هـ١.

(٥) هو الأمير سيف الدين طشتمر بن عبد الله العلائى الدوادار، كان من أجل الأمراء فى مصر تنقل بين عدة وظائف جليلة، وهو أول دوادار فى الدولة المملوكية صار أمير مائة مقدم ألف، وتولى نيابة دمشق ثم عزل وطلب إلى مصر واستقر أتابك عسكر، ثم نفى إلى دمياط بطالاً ثم إلى القدس ومات بها عام ٧٨٦ هـ. ابن تغرى بردى: المنهل، ج٦، ص٣٩٥ ــ ٣٩٦، ت رقم ١٢٤٧.

(٦) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ٤١٩.

(٧) طغيتمر النظامى: استقر فى تدبير المملكة بعد قتل يلبغا الخاصكى، ثم أراد إمساك أسندمر الناصرى فكانت الغلبة لأسندمر فأُمسك طغيتمر واعتقل بالإسكندرية. ابن حجر: الدرر، ج٢، ص٣٢٤، ت رقم ٢٠٣٣.

وفى عام تسع وستين ركب أجلاب يلبغا على السلطان فركب عليهم ورجمتهم العوام ومسكوا أنحس مسك وسمر منهم مائة نفر ووسطوا، ونفق الأشرف على مماليكه لكل نفر مائة دينار وعلى المماليك البرانية [١] خمسين دينار.

وفى عام سبعين توجه السلطان إلى ثغر الإسكندرية بشعائر الملك والأمراء مشاة بخدمته من باب رشيد إلى باب البحر، ورمى بين يديه بالمناجق. وفيها سافرت والدة السلطان إلى الحجاز وفى خدمتها مقدمين ألفي، ومائة مملوك وعصائب وطبلخاناه مما هو عادة الملوك، وتوفيت فى عام أربع وسبعين.

وفى عام ست وسبعين حصل غلاء ووصل ثمن الأردب القمح مائة وعشرين [درهما] وفرقت الحرافيش والمستعطين على الأمراء والدواوين والتجار بقدر مقام كل واحد، ونودى "أى سائل شحت صلب ". وفيها فتحت سيس وأعمالها على يد العشقمرى الماردانى [٢] نائب حلب، وانصرمت [٣] منها دولة الأرمن، وأحضر التكفور إلى القاهرة وأقام بالكوم بين مصر والقاهرة.

(١) انقسم جند المماليك إلى قسمين رئيسين، الخاصكية، أى المماليك الذين تم شراءهم من قبل السلطان، والمماليك البرانية وهم المماليك الذين تم إلحاقهم بخدمة السلطان من شراء السلاطين السابقين. انظر: العمري: المسالك _ أيمن _، ص ٣٧ هـ ١؛ المقريزى: الخطط، ج٢، ص٢١٧.

(٢) " عشقتمر الماردينى "، الجوهر، ص ٤٣٠؛ يبدو أن صاحب الثغر قد نقل عن ابن دقماق مع بعض التصحيف فى الاسم، وقد تم فتح سيس عام ٧٧٦ هـ على يد الأمير أشقتمر الناصرى، وهو الأمير سيف الدين أقشتمر بن عبد الله الماردينى الناصرى، أصله من مماليك صاحب ماردين فأرسله إلى الملك الناصر حسن، وتنقل بين الوظائف إلى أن تولى نيابة حلب وعزل عنها عدة مرات وفى المرة الرابعة فتح بلاد سيس، ثم عزل عنها وتوفى بطالاً فى القدس عام ٧٩١ هـ. انظر: المقريزى: السلوك، ج٣ ق١، ص٢٣٧ ــ ٢٣٨، ٣٥٨، ق٢، ص٥٤٩، ٦٨٧؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٢، ص٤٥١ ــ ٤٥٤، ت رقم ٤٧٠.

(٣) انقرضت: الجوهر، ٤٣٠.

وفى عام ثمان وسبعين أبطل ضمان المغانى [١]، وفى ثالث عشر شوال خرج السلطان قاصداً للحج فأقام يوماً بسرياقوس، ثم أقام ببركة الحاج [٢] إلى ثانى عشرين شوال فسافر، ثم فى ثالث ذى القعدة أتفق مماليك السلطان ومماليك أولاده المقيمين بالقلعة ولبسوا وأتوا إلى باب الستارة [٣] فقال لهم جلبان العلائى [٤] اللالا، والزمام ورفقتهم: ما تريدون؟ فقالوا: نسلطن [٧٨ أ] سيدى على لأن أبوه مات. فلم يطاوعوهم فكسروا شباك بيت الزمام ونهبوه، ومسكوا الزمام وجلبان وأخرجوا سيدى على إلى باب الستارة فأركبوه على بعض خيولهم إلى الإيوان ثم إلى الإسطبل، وطلع جماعة من الأمراء فمسكوا وسجنوا. وفى اليوم الثانى حضر [قازان] [٥] البرقش ممن كان فى خدمة الأشرف وأخبر أن السلطان لما نزل من العقبة خامر عليه جماعة من الأمراء والمماليك وركبوا عليه فى مستهل ذى القعدة وانكسر ومعه بعض [المماليك][٦] وإنه بعجرود فأهانوه وقصدوا قتله وإنه قريب من قبة النصر. فوجدوا بها بيبغا وبشتاك [٧] وأرغون العزى [٨] فقطعوا رءوسهم وأحضروهما إلى سوق الخيل، وأما الأشرف

---

(١) ضمان المغانى: هى ضريبة فرضت على المغنين والمغنيات بحيث يدفع المستعين بهذه الفئة ضريبة لضامن هذه الطائفة. عاشور: المجتمع المصرى، ص١٠٤. وكان ذلك عام ٧٧٥ هـ وليس ٧٧٨ هـ، وعن ذلك انظر حوادث عام ٧٧٥ هـ المقريزى: السلوك؛ العينى: عقد الجمان؛ ابن حجر: إنباء الغمر.

(٢) بركة الحاج أو بركة الحجاج تقع فى الشمال من القاهرة عرفت ببركة الحجاج لنزول حجاج البر بها عند ذهابهم للحج أو إيابهم منه، وكانت من متنزهات سلاطين المماليك. المقريزى: الخطط، ج٢، ص١٦٣.

(٣) باب الستارة: باب الستارة كان من أبواب القصور المخصصة لسكنى الملك وحرمه. ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٢، ص٤ هـ٢.

(٤) هو الأمير سيف الدين جلبان بن عبد الله الحاجب،، ويقال له جلبان العلائى سيف الدين بكتمر المؤمنى، أحد أمراء الطبلخانات والحجاب فى الدولة الظاهرية برقوق، توفى عام ٧٨٨ هـ. ابن تغرى بردى: المنهل، ج٥، ص٦ ـ ٧، ت رقم ٨٥٣، وأنظر هـ ٥ لمحقق الكتاب.

(٥) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ٤٣٣.

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة لتوضيح المعنى.

(٧) هو الأمير سيف الدين بشتك بن عبد الله من عبد الكريم، أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية فى دولة الأشرف شعبان، قتل عام ٧٧٨ هـ. ابن تغرى بردى: السابق، ج٣، ص٣٧٣ ـ ٣٧٤، ت رقم ٦٧٠.

(٨) هو الأمير سيف الدين أرغون بن عبد الله العزى الأفرم، أحد أمراء الطبلخاناه فى دولة الأشرف شعبان، قتل عام ٧٧٨ هـ. ابن تغرى بردى: السابق، ج٢، ص٣١٤، ت رقم ٣٧٣.

فهرب. وفى آخر النهار أخبرت امرأة بأن الأشرف مخبأ بالجودرية [١] فكبسوا عليه فوجدوه معلقاً [٢] بالبادهنج [٣] فمسكوه وأحضروه إلى الإسطبل، وضربه أينبك [٤] تحت رجليه نحو من سبعين عصا إلى حين أعترف بالذخائر ثم خنقوه فى خامس ذى القعدة وجعلوه فى قفة ثم رموه فى بئر ثم أخرجوه بعد أيام ودفنوه بالكيمان ثم نقلوه إلى تربة والده.

كان رحمه الله هيناً ليناً حليماً محباً لأهل الخير مقرباً للعلماء والفقراء مقتدياً بأمور الشريعة محسناً لأقاربه، ولم يكن فى أيامه بالاعتقال أمير ولا جندى، وخلف ست بنين وهم، المنصور على، والصالح حاجى، وقاسم، ومحمد، وإسماعيل، وأبو بكر، وأمير أحمد ولد بعد موته، وسبع بنات، ومدة مملكته أربعة عشر سنة وشهرين ونصف، وكان عمره أربع وعشرون سنة، ثم تسلطن السلطان الثالث والعشرون من ملوك الترك:

الملك المنصور على:

الملك المنصور على بن الأشرف شعبان وهو ابن ثمان سنين، وقبل له البيعة الأمير أقتمر الحنبلى [٥]، ولبس حلة الملك وشعائره فى ثامن ذى القعدة، فأقام إلى أن درج بالوفاة فى ثالث

---

(١) الجودرية: حارة عرفت بالطائفة الجودرية إحدى طوائف العسكر أيام الحاكم بأمر الله الفاطمى. المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٥.

(٢) الصواب: أختفى، والتصحيح من الجوهر، ص ٤٣٥.

(٣) البادهنج: مكان فى البيت يوجد بجانب المطبخ. ابن دقماق: الجوهر، ص ٤٣٥ هـ ٥؛ Dozy, op.cit.volI.p.409.

(٤) هو الأمير سيف الدين أينبك بن عبد الله البدرى، أحد أمراء الطبلخاناه فى دولة الأشرف شعبان وهو القائم فى خلعه من السلطنة وقتله، وأصبح أتابك فى عهد ابنه الملك المنصور على، سجن عام ٧٧٨ هـ بالإسكندرية ولم يعلم تاريخ موته على وجه الدقة أكان عام ٧٧٨ أو ٧٨٠ هـ. ابن تغرى بردى: المنهل، ج٣، ص٢٢١ ـ ٢٢٤، ت رقم ٦٢٩.

(٥) هو الأمير سيف الدين أقتمر بن عبد الله الصاحبى الحنبلى، نائب السلطنة بالديار المصرية ثم بدمشق، كان أولاً من جملة الأمراء ثم ترقى حتى ولى نيابة دمشق ثم ولى نيابة السلطنة بمصر بعد موت الأمير منجك اليوسفى عام ٧٧٧ هـ، واستمر بها إلى أن مات عام ٧٧٩ هـ. السابق، ج٢، ص٤٩٢ ـ ٤٩٣، ت رقم ٤٩٧.

عشر من صفر عام ثلاث وثمانين وسبعمائة، وكانت مدة مملكته خمس سـنين وثلاثـة أشـهر وعشرون يوماً، ووقع فى أيامه [١].

(١) إلى هنا حدث انقطاع فى المخطوط وكانت الصفحة التالية هى القسم الثالث.

القسم الثالث

فى معرفة الممالك والأقاليم والطرق الموصلة إليها برا وبحرا ومسافاتها وما يدخل تحت ذلك من المدن والسواحل



وفيه ثلاثة أبواب:ـ

الباب الأول

فى شكل الأرض والبحر المحيط بها والرياح والأقاليم السبعة الممتدة من الشرق والغرب

وفيه ثلاثة فصول:ـ

الفصل الأول

فى ذكر شكل الأرض وما ينخرط فى سلك ذلك

أما ما اقتضت الحكمة الإلهية كشفه من أعلاها لوقوع العمارة فيه. وقد شبهوها ببيضة ملقاة فى شكل الأرض فالمقرر فى علم الهيئة أن الأرض كرية الشكل والماء محيط بها من جميع جهاتها إلا وسط طست مملوء ماء قد ظهر أعلاها والماء محيط بباقيها وهو البحر المحيط الذى هو أحد العناصر الأربعة. ولها أربع جهات:

الأولى: الشرق [١]، وهي التى تشرق فيها الشمس ويقال لها المشرق، وتسمى الريح التى تهب منها الشرقية، وتسمى القبول لمقابلة مستقبل المشرق، وتسمى أيضا الصَّبا وتهب من مطلع الشمس فى الاعتدال وطبعها حار يابس.

الثانية: الغرب[٢]، وهي التى تغرب فيها الشمس، ويقال لها المغرب أيضا، وتسمى الريح التى تهب منها الغربية، وتسمى الدَّبور أيضا لأستدبار مستقبل المشرق بها وطبعه بارد رطب.

الثالثة: الشمال، بفتح الشين وهي التى على شمال مستقبل الشرق وتسمى الريح التى تهب منها شمال باسم الجهة،وشمأل وأهل مصر يسمونها البحرية، قال أبو جعفر النحاس "وسميت بذلك لأنها يسار بها فى البحر كيف كان، وطبعه بارد يابس.

الرابعة: الجنوب، بفتح الجيم، وهو يمين مستقبل المشرق، وكأنها سميت بذلك لكونها من الجانب التى لم تسم له جهة، إذ لم يبق من الجهات الأربع إلا الجانب الأيمن،وتسمى الريح التى تهب منها

(١) المشرق: ضوء، ص٢١٨.

(٢) المغرب: السابق، نفسه.

الجنوب باسم [٧٩ أ] الجهة، أهل مصر يسمون هذه الريح المريسية لهبوبها من جهة بلاد المريس وهي بلاد النوبة، وطبعه حار رطب.

فائدة، قالت الحكماء، اكثر ما يكون كسرة النسيم ستة عشر ألف ذراع ارتفاعا، أعلى جبل فى الأرض لا يبلغ ذلك وهو بداخل فى الأرض إلى عمق مائة ذراع ثم تقف. والرياح تحدث من تموج الهواء.

ثم كرة الأرض يقسمها خط متوهم فى وسطها بنصفين نصف جنوبي ونصف شمالي، وهذا الخط يسمى خط الاستواء لاستواء الليل والنهار عنده فى فصول السنة، ويسمى البعيد من هذا الخط جنوبا وشمالا عرضا يعتبر بالدرج، ويقاطع خط آخر متوهم يقسمها نصفين، نصف شرقي ونصف غربي، ويسمى هذا الخط خط نصف النهار لمسامته الشمس فى نصف النهار. ونصف الأرض حينئذ مقسومة بأربعة أرباع وكل من هذين الخطين مقوم [1] بمائة وثمانين درجة،والدرجة ستون دقيقة، والذي حققته القدماء بطلميوس وغيره تقدير الدرجة بستة وستين ميلا وثلثي ميل، وقدره ابن الشاطر فى تاريخه بمسير يومين وبخمس برد وبعشرين فرسخا وبستين ميلا وبمائتين ألف ذراع، كل ذراع على سبيل التقدير.

واعلم أن النصف الجنوبى من الأرض لاعمارة فيه ولا فيما [2] قارب خط الاستواء فى بعض بلاد الزنج والحبشة وما والى ذلك بل أكثره مغمور بالماء، وأكثر المعمور إنما هو فى النصف الشمالى. وأقاصى الشمال أيضا لا عمارة فيه لاستيلاء البرد عليها، ثم غالب العمارة واقع فى أوساط النصف الشمالى.

---

(١) مقسوم: ضوء، ص٢١٨.

(٢) الصواب: إلا فيما، ضوء، نفسه.

الفصل الثانى

فى البحار

والمشهور منها بحران. الأول البحر الرومى الخارج من البحر المحيط الغربى ويعرف ببحر الروم لسكنى أمم الروم عليه، وربما قيل فيه البحر الشامى لوقوع بلاد الشام عليه من شرقيه، ومخرجه من البحر المحيط الغربى المعروف ببحر أوقيانوس (١) بين جزيرة الأندلس وبر العدوة من بلاد المغرب الأقصى ويسمى هناك بحر الزقاق، وربما قيل زقاق سبتة لمجاورته لها وهو هنـــاك فى غاية [٧٩ ب] الضيق. قال ابن سعيد: وهو فى زماننا ثمانية عشر ميلا. ولكنه اتسع بعد ذلك، قال فى الروض المعطار: وكان عليه قنطرة مبنية غطاها الماء. ويمتد من الزقاق هذا إلى ســـواحل الغرب وأولها من هذه الجهة مملكة فاس وحدها من الغرب من جهة البحر المحيط آسفى (٢) مدينة مسامتة لمدينة مراكش على ثلاثة أيام منها ثم يمتد إلى نيط (٣) ثم يمتد إلى أزمور (٤) ثم منـــها إلى أنفا (٥) مدينة يقال إن فيها الحبة القمح بقدر الحمصة، ثم يمر على ساحل يسمى أبو طويل بـــه مدينة سلا (٦) تجمع ثلاث مدن، ربط، الفتح، سالة. وبها كانت تدفن ملوك المغرب، ثم يمتد إلى مدينة العرائش (٧) ثم إلى مدينة أزيلة (٨) ثم يمر على مدينة طنجة وبها يطبخ معدن الفـــولاذ، ثم

---

(١) هو ما كان يطلق قديماً على البحر المحيط الذى يتخيله الجغرافيون محيطاً بالمعمور من الأرض، وله بدايتان، الأولى من الشرق يعنون بها المحيط الهندى، والأخرى من الغرب ويعنون بها المحيط الأطلنطى.

(٢) إحدى المدن المتخذة كميناء على المحيط الأطلنطى وهى إحدى مدن المغرب حالياً. البكرى: المغرب، ص٨٦؛ الإدريسى: نزهة، ج١، ص٢٢٠.

(٣) إحدى المدن الواقعة على المحيط،وتسمى أيضاً القنيط وهى إحدى مدن المغرب حالياً. أبى بكر الزهرى: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد الحاج صادق، القاهرة. ب. ت، ص ١١٥.

(٤) الزهرى: السابق، نفسه.

(٥) إحدى المدن القريبة من سلا التالية، وتمثل ميناء تجارياً لهذه المنطقة وهى إحدى مدن المغرب حالياً. الزهرى: نفسه؛ الإدريسى: السابق، ج١، ص٢٤٠.

(٦) مدينة سلا على بعد ميلين من البحر، وأغلب تجارة أهل إشبيلية بالأندلس معها ومع المدن الثلاثة التالية تعرف بسلا الحديثة وهى إحدى مدن المغرب حالياً. البكرى: السابق، ص٨٧؛ الزهرى: السابق، نفسه؛ الإدريسى: السابق، ج١، ص٢٣٩.

(٧) إحدى المدن المغربية المطلة على المحيط الأطلنطى.

(٨) أزيلة ويقال لها أصيلا إحدى مدن المغرب الأقصى. الإدريسى: السابق، ج٢، ص٥٣٠.

يمتد إلى مدينة قصر الجواز ثم يمتد شرقا وشمالا إلى سبتة مدينة عظيمة يشتمل سورها على ثلاثين بابا إلى البحر واثنين إلى البر [١] ثم يمتد إلى بر غانم إلى بادس [٢] وبها غابة خشب يعم أهل المغرب وبها جبل الحديد، ثم يمتد إلى خصاصة [٣] فرضة فاس ثم إلى مليلة وهى آخر مملكة فاس.

ويمتد إلى أول مملكة تلمسان فيمتد إلى مليلة إلى هنين [٤] فرضة تلمسان، ثم إلى وهران مدينة خراب [٥]، ثم إلى برشد وشرشال [٦] مدينتين خربتين، ثم منها إلى تنس [٧] بلدة مسورة، ثم إلى الجزائر [٨] بلدة كثيرة الفواكه والمياه، ثم إلى تدلس[٩] آخر مملكة تلمسان.

ثم يمتد إلى أول مملكة تونس وهى مدينة إفريقية، فيمتد من تدلس إلى بجاية [١٠] مدينة نزهة يسموها أهل الغرب " متنزه الدنيا "، [ثم] يصل إلى القل [١١] أرض مبسوطة، ثم إلى بونة[١٢] مدينة مسورة كثيرة العناب تساوى فيها الويبة العناب ثلاثة دراهم فلوس، ثم يمتد إلى أن يسامت تونس وهى إفريقية وهى قاعدة بلاد الغرب الأخير ومحل إقامة ملوك أولاد أبو

---

(١) تم تأسيس مدينة سبتة فى عهد عبد الرحمن الناصر ٣٠٠ ــ ٣٥٠ هـ، وتم بناء سورها فى عهد الوزير المنصور بن أبى عامر. البكرى: السابق، ص١٠٢ ــ ١٠٤.

(٢) البكرى: السابق، ص١٠٢.

(٣) ويقال لها أخصاص. البكرى: السابق، ص٨٨.

(٤) البكرى: السابق، ص٨٧.

(٥) وهران إحدى المدن التى قام البحريون الأندلسيون باتخاذها مركزاً لهم على شاطئ بلاد المغرب الأوسط. البكرى: السابق، ص٧٠.

(٦) مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط على الغرب من وهران، وهى إحدى مدن الجزائر الحالية. البكرى: السابق، ص٨١؛ الإدريسى: السابق، ج١، ص٢٥٨.

(٧) مدينة تنس قام بتأسيسها البحريون الأندلسيون عام ٢٦٢ هـ، واتخذوها مركزاً لهم على ساحل بلاد المغرب. البكرى: السابق، ص٦١؛ أشرف محمد أنس: جماعات البحر الأندلسيون، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب المنصورة ١٩٩٦، ص٤٣ ــ ٤٤.

(٨) وكانت تعرف بجزائر بنى مزغنى. البكرى: السابق، ص٨٢.

(٩) الإدريسى: السابق، ج١، ص٢٥٩.

(١٠) البكرى: السابق، ص٨٢.

(١١) القل: إحدى المراسى الصغيرة على البحر المتوسط، وإحدى مدن تونس الحالية. البكرى: السابق، ص٨٣؛ الإدريسى: السابق، ج١، ص٢٦٩.

(١٢) البكرى: السابق، ص٥٥.

فارس، وهى على البحر بمسيرة قدر بريد، وحفروا لها جونا تمشى فيه المراكب الصغار للوسق، ثم يمتد إلى الحمامات بلدة لطيفة مرساة، ثم إلى سوسة (١) أكثرها خرابا، ثم يمتد إلى المنستير (٢) بلدة لطيفة مسورة، ثم إلى المهدية مدينة مسورة بها باب [٨٠ أ] يسمى باب زبيطلة دفتاه زنة ما ألقى فيهما من الحديد ألف وثلاثة مائة قنطار لم يقفلا إلا باللوالب، ثم يمتد شرقا بجنوب حتى يجاور صفاقس ويقال إسفاقس (٣) مدينة يهرب الماء عنها فى كل يوم بقدر ثلاثة أميال ثم يعود مكانه، ثم يمتد إلى قابس (٤) مدينة لها واد يسمى العروضين كثير الفواكه به من كل فاكهة، ثم يمتد إلى طرابلس مدينة كثيرة الناس وهى آخر مملكة تونس.

ثم يمر بسواحل ديار مصر وأولها طلمينا (٥) مرساة من غير بلد، ثم يعطف شمالا ويكون للبر فى البحر دخلة إلى رأس أوتان (٦) جبل داخل فى البحر، ثم يشرق إلى رأس برنيق (٧) جبل فى البحر قبالة راس أوتان من الشرق، ثم يعطف من الجنوب، ويمتد حتى يسامت عقبة برقة حد الديار المصرية من إفريقية، ثم يمتد إلى مدينة الإسكندرية، لم يكن بالديار المصرية أمدن منها، ثم يمتد مشرقا إلى رشيد قرية صغيرة عند مصب فرقة النيل الغربية، ثم يمر على وادى السبرلس، ثم

---

(١) البكرى: السابق، ص٣٥.

(٢) توجد مدينتان باسم المنستير، إحداهما فى الأندلس بين لقنت وقرطاجنة، والآخرى هذه المدينة الواقعة بالقرب من سوسة ببلاد تونس الحالية. البكرى: السابق، ص٣٦؛ ياقوت: معجم، ج١، ص٥٠٩؛ الإدريسى: السابق، ج١، ص٢٨٢.

(٣) البكرى: السابق،ص١٩ ــ ٢٠.

(٤) البكرى: السابق، ص١٧ ــ ١٨.

(٥) طلمينا، أو طلميثة إحدى ولايات برقة، وذكرها ياقوت باسم طلمويه وهى من البلاد المندرسة. ياقوت: معجم، ج٤، ص٣٩؛ محمد رمزى: القاموس الجغرافى، ق١، ص٣١٢.

(٦) إحدى المدن القريبة من برقة. البكرى: السابق، ص٨٥.

(٧) تبنى: ضوء، ص ٢٢٠. وبرنيق إحدى المدن الواقعة بين الإسكندرية وبرقة، وكانت من أعمال مصر. ياقوت: السابق، ج١، ص٤٠٤. الإدريسى: نزهة، ج١، ص٣١١؛ ويقال لها تينى عند البكرى: السابق، ص٨٥.

يمتد إلى مدينة دمياط عند مصب فرقة النيل الشرقية ويأخذ مشرقا إلى الطينة [١] ثم يمتد إلى العريش ثم يمتد إلى رفح حد الديار المصرية من الشام.

ومن هنا ينقطع تشريقه وينعطف ويأخذ شمالا على سواحل الشام، فيمتد إلى غزة ثم إلى عسقلان ثم إلى يافا وهى منية الرملة، ثم إلى قيسارية الشام من جبل [٢] فلسطين، ثم إلى عثليث من معاملة صفد، ثم إلى عكا ثم يمتد إلى صور من معاملة صفد [٣]، ثم إلى بيروت من عمل دمشق، ثم إلى جبيل [٤] مدينة خراب، ثم إلى مدينة طرابلس ثم إلى اسطرسوس [٥] من عملها، ثم إلى بلنياس [٦] من عملها، ثم إلى جبلة من عملها ثم إلى اللاذقية من عملها ثم إلى السويدية فرضة أنطاكية من معاملة حلب.

ثم يأخذ البحر غربا بشمال على سواحل بلاد الأرمن، فيمر على رصص ثم إلى باب سكندرونة [٧] حيث دربند بلاد الروم [٨]، ثم إلى باياس [٩]، ثم يأخذ غربا بشمال إلى أياس، ثم يمتد إلى المصيصة ثم يمتد إلى أذنة ثم إلى طرسوس ثم شمالا بغرب حتى يجاوز حدود بلاد الأرمن، ويمتد على سواحل الروم التى هى الآن بيد التركمان، فيمر إلى الكرمك [١٠] وهى بساحل بلاد المسلمين بيد صاحب [٨٠ ب] قبرس، ثم يمتد شمالا إلى العلايا ويقابلها من البر الآخر مدينة

(١) الطينة: هى إحد المدن القريبة من الفرما " بور سعيد الحالية "، وهى من البلاد المندرسة. محمد رمزى: السابق، ق١، ص٨٠.

(٢) حد: ضوء، ص ٢٢١.

(٣) من عملها: ضوء، يقصد عمل تابع لعكا.

(٤) وتقع اليوم بلبنان. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٠٥.

(٥) الصواب: انطرسوس. انظر فيما يلى، ص ٤٦٥.

(٦) وتسمى أيضاً بانياس، ويرجع ياقوت سبب تسميتها إلى بانياس الحكيم صاحب الطلسمات عهد الإسكندر الأكبر. معجم، ج١، ص٤٨٩؛ وتقع اليوم بسوريا. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٦٩٧.

(٧) باب سكندرية: ضوء، ص ٢٢١. وهى بلدة على ساحل البحر بالقرب من أنطاكية، تم بنائها فى عهد الواثق " ٢٢٧ ــ ٢٣٢ هــ / ٨٤١ ــ ٨٤٦م ". أبو الفداء: السابق، ص٢٥٥.

(٨) انظر عنها فيما يلى، ص٨٤٣.

(٩) انظر عنها فيما يلى، ص٣٦٨.

(١٠) الكرك: ضوء، نفسه.

دمياط تقريبا ثم إلى أنضاليا [١]، ثم يمتد إلى بلاط ثم يمتد إلى طنغزلوا [٢]، ثم إلى أياس آيالوق [٣] ثم إلى مغنيسا ثم إلى أبزو بلدة على ممر الخليج القسطنطيني من الشرق، وربما نسب فم الخليج إليها فيقال فم أبزو، ويقابلها من البر الآخر غربى مدينة الإسكندرية فيما بينها وبين برقة، ثم يجاوز الخليج المذكور ويمتد غربا بجنوب على سواحل الروم والفرنجة فيمر على بلاد المسرا [٤]، وهى مملكة أولها من الشرق الخليج المذكور وكانت فى أيام الناصر بن قلاوون مشتركة بين صاحب القسطنطينية والكتيلان.

ثم يأخذ بين الغرب والجنوب حتى يجاوز بلاد الملفجوط [٥] وهم جنس من الروم لهم لسان ينفردون به، ويقابلها من البر الآخر شرقى برقة ثم يمتد فى الغرب إلى بلاد الباسليسة وهى امرأة ملكت هذه البلاد بعد السبعمائة فعرفت بها ويقابلها من البر الآخر أوساط برقة، وبآخر هذه المملكة من جهة الغرب جون البنادقة، وهو خليج يخرج من بحر الروم المذكور سبعمائة ميل ويمتد غربا بشمال حتى يصير طرفه بحرى رومية وعلى طرفه حد البندقية. ثم يمر من البندقية ويجاوز فم الخور المذكور إلى مملكة بوليه [٦] ويقابلها من البر الآخر أطراف برقة، ثم يمتد فى الغرب إلى بلاد قلفرية [٧] من مملكة بوليه ويقابلها من البر الآخر إطرابلس من إفريقية، ثم يمتد إلى ساحل رومية ويقابلها من البر الآخر شرقى تونس، ثم ينقطع تغريبه ويأخذ جنوبا إلى التسقان وهم جنس من الفرنج ينبت ببلدهم الزعفران [٨] ويقابلها من البر الآخر مدينة تونس، ثم يمتد فى الجنوب إلى بلاد بيزة بلدة من الركن الشمالى من جزيرة الأندلس بلد الحديد البتزانى ويقابلها

(١) أنطاكيه: ضوء، نفسه.

(٢) انظر عنها فيما يلى، ص٧٨٦.

(٣) الصواب: لوق، وأنظر فيما بعد، ص٧٨٦.

(٤) هى إحدى الممالك الصغيرة الواقعة فى غرب الخليج القسطنطينى، وكما يذكر صاحب تقويم البلدان كانت مناصفة بين صاحب القسطنطينية والقيتلان. أبو الفداء: تقويم، ص١٩٨.

(٥) هم جنس من الروم، ولهم لسان ينفردون به، وبلدهم من أعمال القسطنطينية. عن هذه المملكة انظر: أبو الفداء، السابق، ص١٩٨؛ القلقشندي: صبح، ج٥، ص٤٠٩.

(٦) ويقال لها أنبوليه وهى على الغرب من خليج البندقية. القلقشندي: السابق، ج٥، ص٤١٠.

(٧) قلفرية: ويقال لها قلورية، وهى شبه جزيرة كلابريا الواقعة فى شرق جزيرة صقلية. ياقوت: معجم، ج٤، ص٣٩٢؛ رحلة بنيامين التطيلى، ترجمة عزرا حداد، بغداد ١٩٤٥، ص٧٠ هـ٢.

(٨) القلقشندي: السابق، ج٥، ص٤١١.

من البر الآخر مرسى الخرز [١] من عمل بجاية، ثم يمتد إلى بلاد مملكة جنوة ثم يأخذ غربا إلى جبل ألبرت الفاصل بين جزيرة الأندلس وبين الأرض الكبيرة ذات الأمم المختلفة [٢].

ثم ينقطع تغريبه وينعطف شرقاً ويدخل [٨١ أ] إلى الركن الشرقى من الأندلس ويمتد فى الشرق ويستدير على الركن المذكور، ثم ينعطف غربا ثم يمتد على ساحل الأندلس فيمر على برشلونة ثم إلى طرطوشة ويقابلها من البر الآخر مدينة بجاية، ثم يمتد بين الغرب والجنوب إلى بلنسية ثم يعطف غربا إلى دانية ثم يمتد جنوباً [٣] بجنوب إلى مالقة، ثم يمتد إلى الجزيرة الخضراء ويقابلها من البر الآخر ساحل سبتة وطنجة.

ويقال إن طول هذا البحر من البحر المحيط إلى سواحل الشام ألف ومائة وسبعون فرسخا، وغاية عرضه فى بعض الأماكن ستمائة ميل، ثم من الجزيرة الخضراء إلى مغيب الشمس فى البحر المحيط جزائر يأتى الكلام عليها عند مكاتبة ملوكها إن شاء الله تعالى.

ويتصل بالبحر الرومى [٤] المتقدم ذكره بحر نيطش، وهو المعروف فى زماننا ببحر القرم لوقوع بلاد القرم على ساحله الشمالى، وربما عرف بالبحر الأرمنى لوقوع بلاد أرمينية على ساحله الجنوبى، ويتركب عليه من آخره بحر مانيطش وهو المعروف فى زماننا ببحر الأزق لوقوع بلاد الأزق على ساحله الشرقى، وأول بحر نيطش مما يلى بحر الروم من شماله الخليج القسطنطيني بعرض النيل، ويمتد شمالا على سواحل الروم من البر الشرقى منه إلى قلعة الجرون قلعة خراب تقابل القسطنطينية، ويمتد شمالا إلى مدينة كربى ثم يمتد مشرقا بشمال إلى مدينة كتروا وإلى مدينة كينولى، ثم يأخذ بين الشمال والغرب إلى فرضة سنوب، ثم يأخذ فى الاتساع إلى مدينة سامسون، ثم يمتد مشرقا إلى مدينة طرابيزون [٥] وهى فرضة بلاد الروم بهذا الساحل، ثم يمتد شمالا بغرب إلى مدينة سخوم وبينها وبين بلاد الكرج يوم واحد، ثم يمتد شرقا بشمال إلى

---

(١) مرسى الخرز: ميناء ومرفأ للسفن تقع فى المغرب الأوسط. مجهول: الاستبصار فى عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية ١٩٥٨، ص١٢٦؛ البكرى: المغرب، ص٥٥؛ ياقوت: السابق، ج٥، ص١٠٦.

(٢) يقصد بها فرنسا الحالية.

(٣) الصواب: غرباً، الضوء، ص ٢٢٢.

(٤) عن هذه البلاد الآتى ذكرها ضمن مملكة أرمينية انظر: القلقشندي: السابق، ج٥، ص٣٥٤ ــ ٣٥٥.

(٥) هى إحدى المدن الواقعة على البحر الأسود، وتقع اليوم بتركيا. لى سترانج: بلدان، ص١٦٨.

مدينة ابخاس[(١)] ثم يتقارب البرين حتى يصير كالخليج وعلى ساحله مدينة الطامات من سواحل الروم وهى حد بلاد الروم من بلاد مملكة بردا التى قاعدها مدينة السرلى.

ثم يأخذ البحر فى الاتساع شرقا وشمالا وغربا ويصير كالبركة ويمتد على سواحل بلاد الأزق إلى مدينة القراق، ثم يعطف إلى الشمال [٨١ ب] فيأخذ إلى مدينة الأزق ثم يستدير من الأزق وينتهى إلى الخليج الذى بين بحر نيطش ومابنطش، وهناك مدينة الكرش [(٢)] من بلاد الأزق مقابل بلاد الطامان[(٣)] ثم يمر جنوبا ويستمر على سواحل القرم فيمر إلى مدينة الكفا فرضة القرم ويقابلها من البر الآخر مدينة طرابيزون المذكورة، ثم يمتد إلى مدينة وذاق [(٤)] وهى فرضة بلاد القرم أيضا ويقابلها من البر الآخر مدينة سامسون المقدمة الذكر، ثم يعطف شرقا ويمتد على سواحل البلغار إلى مدينة صادوا [(٥)] وكرمان من البلغار ويقابلها من البر الآخر سنوب ويأخذ فى الأتساع غربا بجنوب ويمتد إلى مدينة أق قجا [(٦)] كرمان من بلاد البلغار ثم يأخذ جنوبا ويمتد على سواحل القسطنطينية إلى طقجى [(٧)] عند مصب نهر طنا وهو نهر بقدر نهر الفرات ودجلة ويمتد إلى مقابل مدينة كربى المذكورة ثم إلى مدينة القسطنطينية قاعدة ملك الروم ويقابلها من البر الآخر قلعة الجارون [(٨)] ثم يمتد حتى يقع فى بحر الروم حيث وقع الابتداء.

---

(١) ابخاس أو أبخاز، إحدى المدن الواقعة ببلاد الكرج " جورجيا ". ياقوت: معجم، ج١، ص٦٤.

(٢) انظر: القلقشندي: السابق، ج٤، ص٤٦١.

(٣) هى آخر حد بلاد الروم تجاه بلاد دشت القفجاق. القلقشندي: السابق، نفسه.

(٤) صوداق: صبح، ج٣، ص٢٣٧.

(٥) صارى: صبح، ج٣، ص٢٣٧؛ ج٤، ص٤٦٤.

(٦) أقجا: صبح، ج٣، ص٢٣٧؛ ج٤، ص٤٦٣.

(٧) صقجى: صبح، ج٣، ص٢٣٧.

(٨) الجرون: صبح، ج٣، ص٢٣٦.

البحر الثانى

الخارج من البحر المحيط الشرقى إلى جهة الغرب

وهو يخرج عند أقصى بلاد الصين الشرقية الجنوبية مما يلى خط الاستواء، ويمتد غربا بشمال على سواحل بلاد الصين الجنوبية، ثم يمر على المفاوز التى بين جبال الصين وإلى جبال قامرون [١] الفاصلة بين الصين والهند، ويمتد على سواحل الهند من الجنوب ويمر على سفالة الهند وهى سوفارة، ويمتد حتى ينتهى إلى آخر الهند ثم ينتهى إلى مفازة السند الفاصلة بينه وبين البحر، ويمر على[٢] ينتهى إلى فم بحر فارس الخارج من هذا البحر إلى جهة الشمال.

ويجاوزها إلى بلاد اليمن فيمر على ساحل مهرة أول بلاد اليمن ويمتد من شمالها على سواحل اليمن من جنوبه إلى عدن فرضة اليمن. ثم يمر شمالا بغرب حتى ينتهى إلى باب المندب وهى فرضة بين جبلين على أول بحر القلزم ويخرج منه ويمتد غربا بشمال إلى اثنا عشر ميلا ثم يعطف شمالا ويمتد على سواحل اليمن الغربية إلى علافقة [٨٢ أ] فرضة مدينة زبيد، ثم يمتد كذلك إلى مدينة حلى المعروفة بحلى بن يعقوب من أطراف اليمن من جهة الحجاز، ثم يمتد شمالا على ساحل الحجاز فيمتد إلى جدة فرضة مكة المشرفة ثم يمتد شمالا إلى الحجفة ميقات الإحرام لأهل مصر، ثم يمتد شمالا بغرب إلى ساحل الينبع، ثم يأخذ بين الغرب والشمال حتى يجاوز مدين ويمتد شمالا بجنوب حتى يقارب أيلة [٣] تحت العقبة، ثم يعطف جنوبا حتى يجاوزها إلى مكان يعرف برأس أبى محمد، ويكون للبر دخلة فى البحر من جهة الجنوب، ثم يعطف شمالا إلى فرضة السويس، وهى أيضا محط مكان وإقلاع المراكب بالديار المصرية وعندها ينتهى بر العرب ببحر القلزم ويبتدئ بر العجم ثم يعطف على سواحل الديار المصرية ويمتد موازيا إلى صعيدها حتى

---

(١) وتوجد بلدة فى الهند تعرف بهذا الاسم ينسب إليها نوع جيد من البخور. ياقوت: السابق، ج٤، ص٣٩٦.

(٢) الصواب: حتى، صبح، ج٣، ص٢٣٨.

(٣) أيلة كانت بلدة من أول حدود الحجاز، وقد خربت فى زلزال عام ٤٥٩ هـ، ومكانها اليوم مدينة العقبة بالمملكة الأردنية. محمد رمزى: السابق، ق١، ص١٣٦.

ينتهى إلى مدينة القلزم [١]، مدينة خراب ويقابلها أيلة من بر الحجاز، ثم يأخذ عن القلزم جنوبا بشرق حتى يسامت فرضة الطور وينتهى إلى القصير فرضة قوص ثم يتسع البحر حتى يكون تسعين ميلا وتسمى بركة الغرندل وهى التى أغرق الله تعالى فيها فرعون.

ثم يأخذ جنوبا بميلة يسيرة إلى الغرب حتى يصل إلى عيذاب [٢] فرضة قوص أيضا ويقابلها من بر الحجاز جدة فرضة مكة ثم يمتد فى سمت الجنوب سواحل بلاد السودان حتى يصير عند سواكن من بلاد البجاة، ثم يمتد حتى يحيط بجزيرة دهلك وأهلها حبشة مسلمون ويقابلها من بر اليمن حيلى، ثم يمتد إلى رأس باب المندب المقدم ذكره ويضيق هناك البحر حتى يكون مسافة رميق سهم، وهتاك ترى جبال عدن فى قلب البحر ثم يتسع قليلا قليلا حتى يمر بمدينة زيلع من بلاد الحبشة المسلمين، ويقابلها ثم يمر إلى مدينة مقدشوا ثم يمتد حتى ينتهى إلى خليج بربرا الخارج من بحر الهند فى جانبه الجنوبى ويتجاوز ويمتد [٨٢ ب] على سواحل بلاد الزنج وجزاير الواق، ثم يمر على أماكن مجهولة حتى ينتهى إلى مبدأيه من البحر المحيط الشرقى.

قلت أن هذه البحار تسمى باسم ما يسامتها من الأقاليم التى عليها، فيقال فيما يقابل إقليم الصين بحر الصين، وفيما يسامت إقليم الهند بحر الهند، وفيما يسامت إقليم الشام بحر الشام، وفيما يسامت إقليم العرب بحر العرب، ونحو ذلك.

قال فى تقويم البلدان: وطول هذا البحر من أطراف بلاد الصين الشرقى إلى القلزم ألفان وسبعمائة وثمانية وأربعون فرسخا تقريبا.

---

(١) القلزم: هى الميناء الرئيسى لمصر على البحر الأحمر فى العصور الوسطى، ولكنها خربت منذ عصر مبكر قبل عصر ياقوت الحموى الذى ذكر أنها تهدمت وحل محلها كميناء مدينة السويس. ياقوت: السابق، ج٤، ص٣٨٨؛ محمد رمزى: السابق، ق١، ص٩٩.

(٢) عيذاب: هى إحدى الثغور المندرسة على البحر الأحمر، وكانت أحد الموانئ الهامة لمصر فى العصور الوسطى. ياقوت: السابق، ج٤، ص١٧١؛ محمد رمزى: السابق، ق١، ص٣٣٨.

الفصل الثالث

فى الأقاليم السبعة الحقيقية

اعلم أنه قد قسمت الحكماء المعمور من الأرض إلى سبعة أقاليم، تمتد من الشـــرق إلى الغرب، وقد اختلفوا فى ترتيبها بحسب العرض، فقوم جعلوا ابتداء الأول منها خط الاســـتواء وأخره السابع منتهى العمارة فى شماله وهو ست وستون درجة من خط الاستواء، قال فى تقويم البلدان: والذى عليه المحققون أن ابتداء الإقليم الأول حيث العرض اثنا عشر درجة وثلثا درجة وما وراء ذلك إلى نهاية العمران فى الشمال خارج عن الإقليم السابع حيث العـــرض خمســـون وثلث درجة وما وراء ذلك إلى نهابة العمران فى الشمال خارج عن الإقليم السابع إلى الشمال فيكون من العمران مالم يدخل فى الأقاليم السابقة. وعليه وقع الترتيب فى هذا الكتاب.

فالإقليم الأول منها سعته ست درجات وثلثا درجة وثمن درجة، والثانى ســـعته ســـبع درجات وثلاث دقائق، والثالث ست درجات وثلث درجة، والرابع خمس درجات وسبعة عشر دقيقة، والخامس أربع درجات وربع وثمن وعشر درجة، والسادس ثلاث درجات ونصف وثمن وخمس درجة، والسابع ثلاث درجات وثمان دقائق.

الباب الثانى

فى مملكة الديار المصرية ومضافاتها من الممالك الشامية

وما ينخرط فى سلك ذلك من بلاد الثغور والعواصم (١) المعروفة الآن ببلاد [٨٣ أ] الأرمن وأطراف الجزيرة الفراتية فيما يصاقب الأعمال الحلبية وحدودها المنطبقة عليها من سائر جهاتها.

وفيه فصلان:

الفصل الأول

فى مملكة الديار المصرية

وهى مصر كما نطق بها القرآن الكريم فى غير موضع، وهى اسم غير مصروف سواء كان عربيا أو أعجميا لاجتماع العلمية والتأنيث. واختلف فى تسميتها بمصر، فقال قوم أن نقراوس بن مصر بن راحيل بن درايل بن عهربلت بن آدم عليه السلام هو أول من عمرها قبل الطوفان وسماها باسم أبيه تبركا، وقيل إنما سميت بمصر بن بيصر بن حام بن نوح وهو أول من عمرها بعد الطوفان، وقال الجاحظ: إنما سميت مصر لمصير الناس إليها.

وموقع الديار المصرية فى الإقليم الثانى والإقليم الثالث من الأقاليم السبعة، وقد اختلف المصنفون فى المسالك والممالك فى تحديدها، والجمهور على أن حدها الشمالى هو المعبر عنه عند أهل الديار المصرية الشرق، يبتدأ ما بين الزعقة (٢) ورفح مكان شجرة الخرق حيث يقول العوام " هذه مفاتيح الرمل " (٣)، ثم يمد هذا الحد على البحر الرومى مغربا إلى رفح ثم إلى العريش آخذا على الجفار (٤) إلى الطينة ثم إلى ثغور دمياط ورشيد والإسكندرية وهى آخر العمارة بهذا الحد، ثم إلى العيدية وإلى العميدين ثم إلى برقة وإلى العقبة الفاصلة بين الديار المصرية وإفريقية.

---

(١) الثغور من بلاد الشام هى المجاورة لبلاد الروم، والعواصم هى البلاد التى تقع خلف الثغور كأنها تعصمها. الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص١٤٣.

(٢) الزعقة: إحدى المدن المندرسة تقع بين العريش ورفح. محمد رمزى: السابق، ق١، ص٦٦.

(٣) العمري: التعريف، ص٢١٨.

(٤) الجفار: جمع جفرة، والجفرة هى السعة فى الأرض على شكل مستدير وهى من البلاد المندرسة. ياقوت: السابق، ج١، ص١٤٤، ج٤، ص١١٤؛ محمد رمزى: السابق، ق١، ص٤١.

والغربي يبتدئ من ساحل البحر الرومى حيث العقبة المذكورة ويمتد جنوبا بأرض إفريقية جنوبيه على ظاهر الفيوم والواحات حتى يقع على ظاهر النوبة على ثمان مراحل من أسوان ـ ووقع فى التعريف، بدل حدود النوبة صحراء الحبشة ـ وحدها الجنوبى هو الذى يعبر عنه أهل الديار المصرية القبلى، ويبتدئ من اخذ هذا الحد من حدود النوبة، ويمتد شرقا إلى الدوم من بلاد النوبة جنوبيه حتى[٨٣ ب] يأتى إلى بحر القلزم، وحدها الشرقى يبتدئ من آخر هذا الحد ويمتد شمالاً وبحر القلزم شرقيه إلى عيذاب وإلى القصير وإلى القلزم والسويس، ثم يأخذ شرقا من بركة الغرندل إلى تيه بنى إسرائيل، ثم يعطف شمالاً ويمر على أطراف الشام حتى ينحط ما بين الزعقة ورفح حيث وقع الابتداء.

وفى هذا الإقليم نهر النيل الذى لا نظير له، فقد ذكر بطليموس أنه ينحدر من جبال القمر من مسيلات منه، ويسير إلى جهة الشمال حتى يصير فى غيره بدوره عند خط الاستواء تسمى بحيرة كادوى ويخرج منها فيمر شمالاً على زغاو من بلاد السودان، ويمتد حتى يأتى بلاد النوبة ويجاوز مدينتها دنقلة، ثم ينحدر من الجنادل ويجاوز أسوان، وينحدر من صعيد مصر الأعلى والأدنى إلى أن يمر على الفسطاط من غربيه ويتجاوز إلى قرية شطانوف [١] فيفترق شطرين، غربى إلى قرية رشيد فيصب فى البحر المالح، وشرقى إلى ثغر دمياط فيصب فى البحر المالح، وفى آخر الشطر الغربى خليج يرمى فى بحيرة نستراوه [٢] والبرلس، وفى الشطر الشرقى خليج عند المنصورة يرمى فى بحيرة تنيس [٣] ودمياط.

واعلم أن للديار المصرية قواعد وهى على ثلاثة ضروب:

---

(١) شطانوف: إحدى مدن مركز أشمون، وذكرت فى العديد من المصادر برسم " شطنوف ". ياقوت: السابق، ج٣، ص٣٤٤؛ محمد رمزى: السابق، ق١ ج٢، ص١٦٢.

(٢) لقد كانت بحيرة البرلس تعرف قديماً ببحيرة نسترو، وذكرها ابن سعيد نستروه، أما ابن دقماق وابن الجيعان فذكراها نستراوه، أما نستراوه فهى من المدن المندرسة. ابن سعيد: الجغرافيا، ص١٤٨؛ ياقوت: السابق، ج٥، ص٢٨٤؛ ابن مماتى: قوانين، ص٩٥؛ ابن دقماق: الانتصار، ج٥، ص١١٣؛ ابن الجيعان: التحفة، ص١٣٧؛ محمد رمزى: السابق، ق١، ص٤٥٩ ـ ٤٦٠.

(٣) بحيرة تنيس هى ما يعرف حالياً ببحيرة المنزلة، وكان عليها مدينة شهيرة باسم البحيرة كانت تختص بتصنيع نوع من الأقمشة يعرف باسمها، وقد اندرست هذه المدينة الآن. ياقوت: السابق، ج٢، ص٥٢؛ محمد رمزى: السابق، ق١، ص١٩٧ ـ ١٩٨.

الضرب الأول: الفسطاط [١]، مدينة على الحافة الشرقية من النيل حول قصر الشمع[٢]، بناها عمرو بن العاص حين الفتح، وكان اسمها القديم اليون وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة، وكانت فى غاية العمارة وكثرة الناس، قال ابن المفرج: إنه عد الأسطال الحديد والنحاس المؤبدة فى القاعات والرباع المطلة على النيل فى وقته فكانت ستة عشر ألف سطل.

الضرب الثانى: القاهرة، فاعلة من القهر، ويقال فيها القاهرة المعزية نسبة إلى المعز الذى بنيت له قديما من سنة تسع وثلاثمائة [٣] بناها له جوهر القائد المعزى على ما تقدم فى القسم السابق، وكان قصر الملك بها على ما اختطه جوهر المذكور بوسطها ومكانه الآن دار الضرب وخزائن السلاح، ولم يزل هذا القصر منزل الخلفاء الفاطميين إلى [٨٤ أ] حين انقراض دولتهم، وكانت منزلة الوزير بدار الوزارة التى بناها بدر الجمدار [٤] بمكان الخانقاه الركنية بيبرس[٥] الآن، ولما تسلطن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، بنى لها السور الحجر الذى هو على عاليها الآن، قال فى التعريف: وهى اليوم أم الممالك وحاضرة البلاد ودار الخلافة وكرسى المملكة.

قلت وقد تجدد فيها بعد صاحب التعريف جوامع ومدارس وعمائر مزينة مرخمة مزخرفة تدهش البصر، وفواكه جلبت إليها أصولها ولم تعهد فيها قبل حتى صارت فى زماننا جنة الدنيا بمحاسنها.

---

(١) فى هامش الصفحة حاشية تقول [الفسطاط فى اللغة الخيمة، سميت مصر بذلك بخيمة عمرو بن العاص المضروبة حين عمارته لمصر].

(٢) فى هامش الصفحة حاشية تقول [قصر الشمع إنما سمى بذلك لإنفاذ الشمع فيه عن الحطب تعظيماً لشأن النار على رأى المجوس فسمى بذلك].

(٣) الصواب: ٣٥٨ هـ/٩٦٩م.

(٤) الصواب: الجمالى، وعن دار الوزارة التى بناها بدر الجمالى انظر القسم الثانى الباب الخاص بتاريخ الفاطميين.

(٥) كانت هذه الخانقاه من جملة دار الوزارة الكبرى فى العصر الفاطمى، بدأ فى بنائها عام ٧٠٦ هـ/١٣٠٦م، وانتهى عام ٧٠٩ هـ/١٣٠٩م ومازالت قائمة تحت رقم ٣٢. انظر: المقريزى: الخطط، ج٢، ص٤١٦ ــ ٤١٧.

الضرب الثالث: قلعة الجبل وهي مقرة السلطان ودار الملك، بناها بهاء الدين قراقوش[١] للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وهي على نشز مرتفع من تقاطيع الجبل المقطم يرتفع في موضع وينخفض في آخر، وكانت قبل ذلك مساجد من بناء الفاطميين، منها مسجد الرديني [٢]، على أن صلاح الدين لم يسكنها، ويقال إن ابنه العزيز سكنها في حياة أبيه، قال في مسالك الأبصار: أن العادل أبو بكر سكنها لما ملك. وذكر القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر إن أول من سكنها العادل محمد بن العادل أبو بكر حين استنابه أبوه على الديار المصرية[٣]. ولما سكنها اهتم بعمارتها فعمر بها أبراجاً ثم صارت سكن الملوك إلى الآن.

وعمر بها الناصر محمد بن قلاوون جامع الخطبة والإيوان والقصر وجعله محل الخدمة، ثم تزايدت بها العمارة وعمر بها الأشرف بن حسين في جنب القصر مقعداً بارزاً، وعمر المؤيد تجاهه مقعداً آخر. وهي صحيحة الهواء، ومن محاسنها وإن كانت على نشر جبل، يحمل إليها الماء من بحر النيل بالنقالات حتى يعم غالبها.

واعلم أن للديار المصرية وجهين:

الأول الوجه القبلي: وهو المعبر عنه بالصعيد، قال في التعريف: وهو أجل الوجهين قدراً وأطولها مدى.، ثم قال: وهو صعيدان أعلى وأدنى، فالأعلى كلما علا على الأشمونين [٤] إلى أسوان، والأدنى كلما سفل من الأشمونين إلى القاهرة، وغالب زرعه وحلب ضرعه غربي النيل، ويشتمل على عشرة أعمال:

---

(١) هو أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدى الملقب ببهاء الدين، وقراقوش بالتركية بمعنى العقاب الطائر، كان عبداً خصياً للسلطان صلاح الدين الأيوبي، جعله زماماً لداره بعد أن تولى السلطنة، ناب عنه في حكم مصر في بعض الفترات، وقع في أيدى الصليبيين وتم فك أسره عام ٥٨٨ هـ/١١٩٢م، هجاه الأسعد بن مماتي حينما ألف عنه كتاباً يسمى الفاشوش في أحكام قراقوش، توفى عام ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م. ابن خلكان: وفيات، ج٤، ص٩١ ـ ٩٢، ت رقم ٥٤٣.

(٢) مسجد رديني من بناء الفاطميين وكان يقع بين آدر الحريم السلطانية بالقلعة. القلقشندي: صبح، ج٣، ص٣٦٨.

(٣) لقد سكن القلعة الملك الكامل في عهد أبيه العادل عام ٦٠٤هـ/١٢٠٧م. السابق، ج٣، ص٤٩٦.

(٤) الأشمونين: إحدى البلاد القديمة تقع بالقرب من مركز ملوى بمحافظة المنيا حالياً. ياقوت: السابق، ج١، ص٢٠٠؛ محمد رمزى: السابق، ق٢ ج٤، ص٥٩.

الأول: الجيزية، وهو اقربها ومقر ولايته مدينة الجيزة وهى مدينة اختطها عمرو بن العاص كما قاله القضاعى، وبعض هذا العمل أخذا فى الجنوب [٨٤ ب] عن الجيزة معدود فى الوجه القبلى، وبعضه أخذا فى الشمال غربيا معدود فى الوجه البحرى إلا إنه غلب عليـــه حـــدها فى الوجه القبلى.

الثانى: الإطفيحية، شرقى النيل، ومقر ولايته مدينة إطفيح [١]، وولايته فى زماننا تهمـــل غالبا.

الثالث: البهنساوية، مما يلى إقليم الجيزة ومقر ولايتها مدينة البهنسا [٢]، وقـــد أهملـــت ولايته غالبا.

الرابع: الأشمونين، وهو مصاقب [٣] بعمل البهنساوية من جنوبيه، وبه تســـمى مدينتـــه وخرب غالبها، وهى مقر ولايته وقد أهملت فى زماننا.

الخامس: المنفلوطية، وهى إقليم لطيف وبلاده كلها من خاص السلطان، وماها ومغلـــها يحمل إلى الخزائن والشون الشريفة وتعوض الدولة عنها، ومقر ولايته منفلوط [٤] ولم يكن ولاة الوجه القبلى فى زماننا غيره.

السادس: الأسيوطية، مصاقب لعمل منفلوط من جنوبيه وفيه مدينة سيوط[٥]، وهى مقرة نائب الوجه القبلى، ويقال فيها أيضا سيوط، وعليه جرى ابن الساعاتى[٦] فى شعره حيث قال:

(١) أطفيح: إحدى البلاد القديمة تقع بالقرب من مركز الصف بمحافظة الجيزة حالياً. محمد رمزى: السابق، ق٢ ج٣، ص٢٥.

(٢) البهنسا: إحدى المدن القديمة، تقع بالقرب من مركز بنى مزار محافظة المنيا، وكانت كورة عظيمة فى العصر الإسلامي. ياقوت: السابق، ج١، ص٥١٦؛ محمد رمزى: السابق، ق٢ ج٣، ص٢١١.

(٣) بمعنى المجاور.

(٤) منفلوط إحدى المدن القديمة بمحافظة أسيوط. محمد رمزى: السابق، ق٢، ج٤، ص٧٨.

(٥) الصواب: أسيوط لأنه عاد وذكر الاسم الآخر بدون ألف، وقد ضبطت أسيوط فى المصادر مثل كتاب الأنساب للسمعانى، والروض المعطار للحميرى بالألف، ولكن فى الدواوين الرسمية تحذف الألف. القلقشندي: صبح، ج٣، ص٣٩٥ ـــ ٣٩٦؛ محمد رمزى: السابق، ق٢، ج٤، ص٢٥.

(٦) هو أبو الحسن على بن رستم بن هردزور المعروف بابن الساعاتى، ولد بدمشق، وكان من الشعراء البارزين فى عصره، وهذا البيت من شعره فى ديوان مقطعات النيل، توفى فى القاهرة ٦٠٤ هـــ. ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص٣٩٥ ـــ ٣٩٦، ت رقم ٤٧٨.

لله يوم فى سيوط وليلة   عمر [١] الزمان بمثلها لا يغلط

السابع: الإخميمية. مصاقب لعمل سيوط، وهو عمل صغير وبلاده بالبر الشرقى، وفيه مدينة إخميم [٢]،كانت سكن الحكماء فى زمن الكفر، وولايتها من نائب الوجه القبلى.

الثامن: القوصية، مصاقب لعمل إخميم وهو على متسع فى البرين، قاعدته مدينة قوص [٣] وهى مقر ولايته، وهى مدينة عظيمة وكانت مقرة تجار الكارم، قال فى التعريف: ووالى قوص أعظم ولاة الديار المصرية وأجلهم قدراً، وكان إذا ركب نصبت بين يديه شبابة سلطانية، ويجملها معدن الزمرد الذبابى الذى لم يكن بالدنيا مثله، وعلى القرب منها مقطع الرخام الملون والحجر البرام، ويدخل فى هذا الإقليم مدينة أسوان وهى بالبر الشرقى على خمس مراحل من قوص، وهى أعدل البلاد المصرية هواء، أخبرنى بعض سكانها أنه أقام بها فوق عشرين سنة لم يجد فيها من مات من مرض، وكانت ولايتها من الأبواب الشريفة ثم أضيفت إلى نيابة الوجه القبلى، ويقابل أسوان فى الشرق عنها عيذاب وكانت بندر التجار، ولها وال من قبل [٨٥ أ] والى قوص من زمن الفاطميين كما قاله فى التعريف، وهى آخر صعيد مصر الأعلى.

التاسع: الفيوم، وهو مصاقب لجنوبى الجيزة وشمالى البهنساوية وبينهما مقطع رمل، قال فى العزيزى " وبين مدينة الفسطاط والفيوم ثمانية وأربعين ميلاً ويتصل به نهر المنهى [٤] يسقى مزارعه بالقسمة [٥] كأرض دمشق بقراريط معلومة بشهود معتبرين استخرجه يوسف الصديق

(١) صرف: ابن خلكان، نفسه.

(٢) إحدى المدن القديمة، وهى الآن بمحافظة سوهاج. محمد رمزى: السابق، ق٢، ج٤، ص٨٩.

(٣) قوص: إحدى المدن القديمة بالصعيد وكانت عاصمة للإقليم فى العصور الإسلامية، وعنها انظر: العمري: مسالك ــ أيمن ــ، ص٨٦؛ القلقشندي: السابق، ج٣، ص٣٩٦؛ محمد رمزى: السابق، ق٢، ج٤، ص١٨٧.

(٤) هو الخليج الذى حفره يوسف الصديق عليه السلام، وبدايته من ديروط ويتجه شمالاً إلى البهنسا ثم إلى اللاهون ويمر عبر الجبال إلى أن يصل إلى الفيوم، وهو المعروف ببحر يوسف. القلقشندي: صبح، ج٣، ص٢٩٧؛ المقريزى: الخطط، ج١، ص٧١؛ محمد رمزى: السابق، ق٢، ج٣، ص٢١١؛ محمد حمدى المناوى: نهر النيل فى المكتبة العربية، القاهرة ١٩٦٦، ص١٢٠ ــ ١٢٣.

(٥) القسمة: هى زراعة قسم من الأرض وترك الآخر لإراحته من إرهاق مداومة الزراعة على مجمل الأرض، وهو ما يعرف بالقسمة وهو ما كان معمولاً به فى بلاد الشام. إبراهيم طراخان: النظم الإقطاعية، ص٢٤٢.

عليه السلام وجعل فيه ثلاثمائة وستين قرية لتمير كل قرية منها مصر عند المحل يوم من السنة، أما الآن فقد تحاملت المياه على غالب بلاده وصارت بركة ماء.

العاشر: الواح [١]، قال فى المشترك: واح بغير همز ولا لام وتجمع على واحات. وهى مصاقب لجنوبى البهنساوية والمنفلوطية والسيوطية، قال فى مسالك الأبصار: وهى بين مصر والصعيد والنوبة والحبشة. قال فى تقويم البلدان: والبرارى تحيط بها من جهاتها الأربع. قال فى المشترك: وهى ثلاث كور واح. الأولى وتقابل البهنساوية، ويعبر عنها بالواح الخاص، وواح الوسطى يقابلها شمال السيوطية وتعرف بالواح الداخلة، وواح القصوى، وهى مصاقبة للواح الوسطى وبها مدن مسورة.

الثانى الوجه البحرى: أخذا من تسميتهم الريح البحرية وهو ما سفل من القاهرة إلى البحر الرومى، وهو رطب كثير الفاكهة سهل الأرض كثير الأنهار. ويشتمل على عشرة أقاليم:

الأول: الضواحى [٢]، جمع ضاحية وهى ما يجاور القاهرة من جهة الشمال، والأمر فيها مضاف إلى ولاية القاهرة.

الثانى: القليوبية، وهى عمل جليل حسن القرى كثير الفواكه ومقر ولايته مدينة قليوب، وصارت ولايته مضافة لكاشف إقليم الشرقية أو المنوفية.

الثالث: الشرقية، مصاقب الضواحى من شمالها مما يلى الجبل المقطم، ومقر ولايته مدينة بلبيس، وله كاشف تارة يضاف إليه بلبيس وتارة يفرد عنه، وفى آخر هذا الإقليم قطيا [٣]، قال فى تقويم البلدان: قاطية بالهاء وتعرف بالجفار. قال فى [٨٥ ب] التعريف: وقد جعلت لأخذ الموجبات وحفظ الطرقات. لا يمر بها أحد من الجند أو من القضاة ذهاباً وإياباً إلا بمرسوم شريف أو كريم، وولايتها من الحضرة برأى الوزير.

---

(١) هى ما يعرف الآن بالواحات البحرية. محمد رمزى: السابق، ق٢ ج٣، ص٢٦.

(٢) يذكر القلقشندي أنه ربما سميت بذلك لبروز قراها للشمس. صبح، ج٣، ص٣٩٨.

(٣) قطيا أو قطية بلدة فى الطريق بين مصر والشام، وتقع فى الطريق بين القنطرة والعريش، وهى من البلاد المندرسة. ياقوت: معجم، ج٤، ص٣٧٨؛ محمد رمزى: السابق، ق١، ص٣٥٠.

الرابع: الدقهلية والمرتاحية [١]، وهو مصاقب لعمل الشرقية من شماله، وآخره السباخ[٢] وإلى بحيرة تنيس، ومقر ولايته المنصورة ومتوليها من قبل الأستادار، وآخر هذا الإقليم مدينة دمياط، وكان عليها أسوار من عمارة المتوكل[٣] فلما ملكها الفرنج المرة بعد المرة[٤] خربها المسلمون فى سنة ثمان وأربعين وستمائة خوفاً من استيلاء الفرنج عليها.

الخامس: عمل المنوفية، وأوله من الجنوب الفرقة الغربية من النيل من قرية شطنوف مقابل شمالى الجيزة، وآخره قرية تسمى تلا [٥] على بحر أبيار [٦]، ومقر ولايته مدينة منوف، ووهم المقر الشهابى ابن فضل الله فيها فجعلها مقرة فرعون موسى وهو وهى [٧]. وكان مقرة فرعون مدينة منف وهى أول مدينة بنيت بمصر بعد الطوفان غربى النيل بناها مصر بن مصر بن حام بن نوح عليه السلام. قال فى الروض المعطار: وأصلها بالسريانية مافة وأصلها ثلاثون رجلاً. يعنى انه حين بناها كان فى ثلاثين رجلاً من قومه فسماها بعددهم، قال ابن الأنبارى: وهى على ثلاثة عشر ميلاً من الفسطاط من جنوبيه، وبعض جدرها باق قريبا من البدرشين، ثم لما فتح عمرو بن العاص مصر عمر بها الفسطاط بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كما هى

---

(١) المرتاحية اسم كورة مندرسة كانت قاعدتها قرية نوسا الغيط مركز أجا بمحافظة الدقهلية حالياً، وكانت هذه الكورة تشمل مركز المنصورة والقسم الشمالى من مركز أجا وبعض بلاد مركز السنبلاوين، وقد استمر ترابط اسم الدقهلية والمرتاحية منذ الروك الناصرى عام ٧١٥ هـ، ثم حذف اسم المرتاحية مع بداية العصر العثمانى بعد عمل الروك العثمانى عام ٩٣٣ هـ. محمد رمزى: السابق، ق١، ص١٠٩.

(٢) ويطلق عليها السبخا أو السبخة، وهى إحدى قرى المرتاحية. محمد رمزى: السابق، ق٢ ج١، ص١٦٩.

(٣) تم بناء ذلك السور نتيجة هجوم الروم على دمياط عام ٢٣٨ هـ. انظر الطبرى: تاريخ الم، ج٩، ص١٩٣ ـ ١٩٥.

(٤) المرة بعد المرة التى يقصدها هى الهجمات الصليبية على مصر، وهى الحملة الصليبية الخامسة والسابعة.

(٥) تلا: إحدى البلاد القديمة بالمنوفية، وهناك بلدة أخرى تتبع الأشمونين. ابن مماتى: قوانين، ص١٢٢ ـ ١٢٣؛ محمد رمزى: السابق، ق٢ ج٢، ص١٧٣، ق٢ ج٣، ص١٩٩.

(٦) بحر أبيار: هو الفرقة الشرقية من فرع رشيد، ويلتقى مع الفرقة الغربية من ذات الفرع عند بلدة قديمة تسمى أبيار فعرف هذا الفرع بها. القلقشندي: صبح، ج٣، ص٢٨٨؛ محمد رمزى: السابق، ق٢، ج٢، ص١١٩.

(٧) يقصد وهم أو خطأ.

عليه الآن، ومن مضافات عمل منوف جزيرة بنى نصر [(١)] تجمع قرى كثيرة، ومدينتها أبيار بفتح الهمزة كما قاله فى الروض المعطار، وأخر هذا الإقليم ناحية مليج من الجهة البحرية، ثم مسجد الخضر[(٢)] من الجهة الشرقية.

السادس: الغربية، وهو مصاقب لعمل المنوفية من جهة الشمال مما تقدم من حدود المنوفية، ويمتد إلى البحر المالح حيث مصب النيل فى الفرقة الشرقية إلى ما هو من عمل المزاحمتين[(٣)] على فرقة النيل الغربية من الشرق، ومقر ولايته مدينة المحلة، قال فى المشترك: بمحلة الدقلا. والآن بالمحلة الكبرى، ووهم المقر الشهابى ابن فضل الله فى التعريف فسماها بمحلة المرحوم وهو وهى. وهو [٨٦ أ] عمل جليل لم يكن فى الأعمال أوسع منه ولا أكبر بلاداً ومدناً، يشتمل على قريبٍ من سبعمائة بلد وتنقسم جهاته إلى أربعة أعمال تدخل وهى، الدنجاوية والصاوية والسخاوية والسنهورية، وآخره مما يلى بحر الروم من ناحيتى سورى وبلطيم، ومن الجهة البحرية فوة.

السابع: المزاحمتين، وهو ما جاور الخليج الناصرى [(٤)] من جهة الشمال من البحر الرومى، ومن مدينة فوة إلى البحر المذكور، وهو أرطب الأقاليم وعش الأولياء وغالب أهله حتى بعض نسائهم يتلون كتاب الله، وكسبهم من جهات جل إما زرع أو ضرع أو صيد أو تجارة، ومدينة هذا الإقليم فوة من خاص السلطان لم يكن بها مقرة ولاية.

الثامن: البحيرة، مصاقب لعمل الجيزة من شماله من قرية تسمى إيزيس إلى الحاجر وهو جبل الفيوم وإلى ثغر الإسكندرية، ثم من فرقة النيل الغربية وإلى ظهر عقبة برقة، ومقر ولايته

---

(١) جزيرة بنى نصر: من البلاد المندرسة، وهى منسوبة إلى بنى نصر معاوية بن بكر بن هوازن، وكانت تشتمل على بلاد الشاطئ الشرقى لفرع رشيد بالغربية والمنوفية. ياقوت: السابق، ج٢، ص١٣٩؛ ابن مماتى: السابق، ص٩٥؛ المقريزى: الخطط، ج١، ص٢٢٦؛ محمد رمزى: السابق، ق١، ص٢١٣.

(٢) قرية مسجد الخضر: وردت فى معجم البلدان أيضاً باسم " أتنوهة أو تنوهة "، وعند ابن مماتى باسم " أنتوهة "، وسميت بمسجد الخضر فى الروك الصلاحى، وهى من قرى مركز قويسنا بالمنوفية. ياقوت: السابق، ج١، ص٨٨؛ ابن مماتى: السابق، ص٩٤؛ محمد رمزى: السابق، ق٢، ج٢، ص٢٠٥.

(٣) المزاحمتين: هو الإقليم المجاور لخليج الإسكندرية من جهة الشمال، ويشتمل على عدة أعمال، وعاصمته مدينة فوة. القلقشندي: السابق، ج٣، ص٤٠٣.

(٤) هو الخليج الذى أمر بإنشائه الناصر محمد بن قلاوون عام٧٥٢ هـ لتوصيل المياه إلى خانقاه سرياقوس. المقريزى: الخطط، ج٢،ص١٤٥؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج٩،ص٨٠.

مدينة دمنهور الوحش، وكانت نيابة ثم أضيفت إلى إستادار الإستادارية، وبه حوف رمسيس والخليجين الظاهرى والناصرى وبه العربان الجمة ذات الشعوب والقبائل ببروجة، وبه بركة النطرون، وهو معدن لم يكن فى الدنيا نظيره، قال فى التعريف: ومتحصلها فى كل سنة نحو من مائة ألف دينار، وربما أضيف إلى عمل المزاحمتين.

التاسع: عمل برقة، قال فى تقويم البلدان " إن حدها أرض العقبة الفاصلة بينها وبين إفريقية، وأرضها متسعة الأرجاء مديدة الفضاء، وهى من أزكى الأراضى دوابّ ". قال فى مسالك الأبصار: إنها شبيهة بأطراف الشام وجبال نابلس فى منابت أشجارها وكيفية أرضها، وبها المدن المبنية والقصور العلية، وكانت كثيرة الفواكه والأشجار ولكنها ذهبت باستيلاء العربان عليها. قال ابن سعيد: وكان سريرها فى القديم مدينة طبرق. قال فى الروض المعطار: وقاعدتها مدينة إنطاليس. وكان بها قاض ووال من الأبواب الشريفة فبطلا لإقامة العربان بها.

العاشر: ساحل بحر القلزم، على ما كان الحال عليه فى الزمن القديم، وبه كورتان:

الأولى ما هو من الديار المصرية وهى كورة القلزم والطور، فأما القلزم فكانت مدينة عظيمة [٨٦ ب] على ساحل البحر وبها عرف وقد خربت، وأما الطور فهو الجبل الذى كلم الله موسى عليه، قال الأزهرى " سمى بطور بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وهذه فرضة مصر ببحر القلزم.

الثانية ما هو من بر الحجاز وهو كورة أيلة وهى مدينة صغيرة من جزيرة العرب بالبر الغربى من بحر القلزم وهى مدينة اليهود الذى جعل له منهم القردة والخنازير، وكان بها وال فأبطل وخربت مدينه القلزم وصارت برجا.

الفصل الثانى

فى الممالك الشامية

وهو الشام ومضافاته، والشام قال فى تهذيب الأسماء واللغات: يجوز فتح الشين والمد على ضعف وإن كان مشهوراً . قال الجوهرى: ويجوز فيه التذكير والتأنيث: قال النووى: والمشهور التذكير. وقد اختلف فى تسميته شاما فقيل لتشاوم بنى كنعان بن حام بن نوح عليه السلام عليه حين قسم الأرض بين بنيه ومن ثم قيل الشام أرض كنعان، وقيل بل بسام بن نوح إذ يقال إنه أول من نزله واسمه بالسريانية شام بالشين المعجمة فقلبها العرب بالسين المهملة، وقيل لأن

أرضه مختلفة الألوان بالحمرة والسواد والبياض فسمى شاماً لذلك كما يسمى الخال شامة، وقيل إنه عن شمال الكعبة، والشام لغة فى الشمال.

واختلف فى تحديده، قال فى التعريف: إن حده من القبلة تيه بنى إسرائيل وبر الحجاز والسماوة إلى مرمى الفرات بالعراق وهذه أعمال[١] كلها من جزيرة العرب، وحده من الشمال البحر الرومى، وحده من الشرق أطراف السماوة [٢] والفرات، وحده من الغرب حد مصر المتقدم ذكره. وقال فى تقويم البلدان إن حده من الشمال من نابلس[٣] مع الفرات إلى قلعة نجمة [٤] إلى البيرة إلى سميساط [٥] إلى حصن منصور [٦] إلى بهسنى إلى مرعش إلى بلاد سيس إلى طرسوس إلى بحر الروم. وحده من بحر الغرب من طرسوس آخذاً على ساحل البحر الرومى إلى ما بين الزعقة ورفح، وحده من الجنوب من أول الجفار بين مصر والشام إلى حدود تيه بنى [٨٧ أ] إسرائيل إلى ما بين الشوبك وأيلة إلى البلقاء، وحده من الشرق من البلقاء إلى مشاريق صرخد إلى نابلس [٧].

(١) المحادات،: صبح، ج ٤ ص ٧٥.

(٢) السماوة: هى البادية الواقعة بين الكوفة والشام، والسماوة تعنى الأرض المنبسطة التى لاحجر بها. ياقوت: السابق، ج٣، ص٢٤٥.

(٣) الصواب: بالس، صبح، ج ٤ ص ٧٦.، وبالس بلدة بالشام بين حلب والرقة. ياقوت: السابق، ج١، ص٣٢٨.

(٤) نجم: صبح، ج ٤ ص ٧٦.

(٥) مدينة على الشاطئ الغربى للفرات على حدود بلاد الروم، ولها قلعة حصينة. ياقوت: السابق، ج٣، ص٢٥٨. وتقع اليوم بتركيا. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٣٥؛ لى سترانج: بلدان، ص١٤٠.

(٦) حصن منصور: من أعمال ديار مضر على غربى الفرات قرب سميساط، منسوب إلى منصور بن جعونة بن الحارث العامرى القيسى، وكان مقيماً به أيام مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين يجاهد الروم، قتل على يد الخليفة العباسى المنصور عام ١٤١ هـ، وقد بنى الحصن على يد هارون الرشيد فى عهد أبيه المهدى. ياقوت: السابق، ج٢، ص٢٦٥ — ٢٦٦.

(٧) الصواب: بالس، صبح، ج٤، ص٧٥ — ٧٦.

فخالف فى التعريف [١] فى بعض الحد الشمالى أدخل بلاد الأرمن المتصلة بآخر بلاد حلب من الشمال فى حدود الشام [٢].

قال فى التعريف: للناس فى الشام أقوال، منهم من يجعله شاماً واحداً ومنهم من جعله شامات فيجعل بلاد فلسطين والأرض [٣] المقدسة إلى حد الأرمن شاماً، ويقولون الشام الأعلى ويجعلون دمشق وبلادها من الأردن إلى الجبال المعروفة بالطوال شاماً، ويجعل حماة وشيزر من مضافاتها، وثم من يجعلها من حماة دون شيزر ويجعل قنسرين [٤] وبلادها وحلب مما يدخل فى هذا إلى جبال الروم وبلاد العواصم والثغور وهى بلاد سيس شاماً.

أما طوله من ملطية إلى رفح خمسة وعشرون مرحلة كما قاله ابن حوقل، وقال التيفاشى: طوله أكثر من شهر.

أما ما عليه الحال الآن بالشام فست قواعد، كل قاعدة منها تعد مملكة مستقلة بنفسها، لأن بكل مملكة منها دار سعادة به كرسى وسماط للنائب، وكان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب قسمها بين أولاده وجعل كل قسم مملكة.

القاعدة الأولى دمشق

وتسمى جلق وجيرون، وقد اختلف بنائها [٥]، قيل بناها نوح عليه السلام لما نزل من السفينة بعد أن بنى حران [٦]، وقيل بناها حبرون وأخوه بريد [٧] ابنا سعد بن لقمان بن عاد وبها يعرف باب جيرون وباب البريد من أبوابها، وقيل بناها إلعازر غلام سيدنا إبراهيم عليه السلام الذى وهبه له نمروذ بن كنعان حين خرج سيدنا إبراهيم من النار وكان اسمه دمشق

(١) يقول القلقشندي [والخلف بينهما فى شيئين]، يقصد بذلك بين العمري وياقوت الحموى،السابق، ص٧٦.

(٢) انظر العمري: التعريف، ص ٢٢٥.

(٣) الأردن: التعريف، نفسه.

(٤) قنسرين: إحدى البلاد القديمة فى بلاد الشام، فتحت عام ١٧ هـ، ظلت عامرة إلى أن قام بتخريبها سيف الدولة الحمدانى عام ٣٥٥ هـ خوفاً من وقوعها فى أيدى الروم. ياقوت: السابق، ج٤، ص٤٠٣ ـ ٤٠٤.

(٥) الصواب: بانيها، الصبح، ج٤، ص٩١.

(٦) حراف: صبح، ج٤، ص٩٢.

(٧) بريدا: صبح، نفسه.

فسميت به، وقيل بناها ذو القرنين عندما فرغ من سد يأجوج ومأجوج ووكـل بهـا غلامـه دمشقش، وقيل غير ذلك.

وهى مدينة عظيمة حسنة الترتيب، متقنة الأبنية وغوطتها أعظم مستزهات الـدنيا، وفى جنبها الغربى قلعتها يحيط بها وبالمدينة أسوار، ويدور بالقلعة خندق يطوف الماء بـه، وفى [٨٧ ب] الميدان القصر الأبلق بناه الظاهر بيبرس البندقدارى، وعلى مثله بنى الناصر محمـد بـن قلاوون القصر الأبلق بقلعة الجبل، وبجانبها الصالحية بلدة مستقلة تشرف على دمشق وغوطتها، وتسقى دمشق من نهر يسمى برادا [١] مقسم إلى سبعة أنهار، أربعة منها غربية وهى نهر داريـا ونهر المزة ونهر القنوات ونهر باناس، واثنان شرقية وهما نهر يزيد ونهر ثورا.ونهر بـردى ممتـد بينهما، ونهرا بردى [٢] والقنوات متسلطان على ديار المدينة.

وبها جامع بنى أمية بناه الوليد بن عبد الملك لا نظير له فى الدنيا ــ وقد تقـدم الكـلام عليه ــ قيل إنه أنفق عليه خراج الشام سنة، وإنه أجمع فى ترخيمه اثنى عشر ألف مـرخم، ولم تزل زاهية زاهرة إلى أن طرقها اللنك فى عام ثلاث وثمانمائة فحرق غالبها.

وتشتمل على بر وأربع صفقات، فأما برها فالمراد به ضواحيها، قال فى التعريف: وحدها من القبلة قرية الخيارة المجاورة للكسوة [٣] وما هو على سمتها طولاً، ومن الشرق الجبال الطوال من [٤] النبك [٥] إلى القرى آخذاً على عسال [٦] وما حولها من القرى إلى الزبدانى [٧]، ومـن الغرب من الزبدانى إلى قرى القران المتسامتة للخيارة المتقدمة الذكر ويدخل فى ذلـك غوطـة دمشق ومرجها.

---

(١) بردى: صبح، وعن مصادر مياه دمشق انظر القلقشندي: صبح، ج ٤ ص ٩٥

(٢) الصواب: باناس، صبح، نفسه.

(٣) الكسوة: هى أول منزل تنزله القوافل فيما بين دمشق ومصر. ياقوت: السابق، ج٤، ص٤٦١.

(٤) إلى: التعريف، ص٢٢٦.

(٥) النبك: قرية بين حمص ودمشق. ياقوت: السابق، ج٥، ص٢٥٨.

(٦) كتبها كل من القلقشندي والسحماوى كما هى [العسال]، ولكن صححها محققو صبح الأعشى عن ياقوت الحموى فكتبوها [عسان]. انظر صبح، ج٤، ص٩٧؛ ياقوت: السابق، ج٤، ص١٢٠.

(٧) الزبدانى كورة بين دمشق وبعلبك. ياقوت: معجم، ج٣، ص١٣٠.

وأما صفقاتها فأربعة:

الصفقة الأولى الساحلية والجبلية:

وهذه الصفقة هى الغربية عن دمشق، قال فى مسالك الأبصار: وهى عبارة عن بلاد غزة وما جاورها سهلاً ووعراً. قال فى التعريف: وهذه الصفقة هى الشام الأعلى ينقص منها ما هو من نهر الأردن إلى أول حدود قاقون. ثم هذه الصفقة لها ناحيتان، الناحية الأولى الساحلية وهى التى بساحل بحر الروم وتشتمل على أربعة أعمال.

الأول: عمل غزة، مدينة معروفة على نشز عال نحو ميل من البحر الرومى، صحيحة الهواء وبرها ممتد إلى تيه بنى إسرائيل من قبليها وهو موضع زرع وماشية ومرعى.

الثانى: عمل الرملة، مدينة من جهة الأردن بناها سليمان بن عبد الملك بن مروان فى خلافة أبيه، قال فى الروض المعطار: وسميت بالرملة لغلب الرمل عليها. [٨٨ أ]

قلت وفى ذلك نظر لأن الرمل ما تغلب عليها حتى صارت بلداً يتميز باسم، وبه يافا مدينة صغيرة بالساحل فى الغرب عن الرملة بينهما ستة أميال.

الثالث: عمل لد، شرقاً بشمال عن الرملة، مدينة قديمة فلما بنيت الرملة تحولت الناس إليها وتركوا اللد، وقد ثبت فى الصحيح أن المسيح عليه السلام يقتل الدجال ببابها.

الرابع: عمل قاقون، مدينة وقلعة لطيفتان على مرحلة من لد، وليس بهذه الأعمال أنهار وشرب أهلها من المطر المخزون بالصهاريج ومن آباره.

الناحية الثانية من هذه الصفقة الجبلية وبها ثلاثة أعمال.

الأول: عمل القدس، وهو لفظ غلب على مدينة بيت المقدس وهو المسجد الأقصى، أحد المساجد الثلاثة التى يشد إليها الرحال، وأصل التقديس التطهير والمراد المطهر من الأدناس، وهى مدينة مبنية على نشز جبل مستدير، عسرة المسالك، وشرب أهلها من صهاريج من ماء المطر المجتمع بها وعين تجرى إليها من بعد، وعين تعرف بعين ملوان [1]، وبها مع وجود الحرم

(١) الصواب: سلوان، صبح، ج٤، ص١٠١. عين سلوان عين يتبرك بها فى بيت المقدس. ياقوت: السابق، ج٣، ص٢٤١.

المدارس والربط، وكان بها قلعة خربت ثم جددها الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ستة عشر وسبعمائة [١].

الثانى: عمل بلد الخليل عليه السلام، واسمها عمل حبرون [٢] بالحاء لكن ذكرها فى الروض المعطار فى حرف الجيم، وهى بلدة لطيفة مباركة، روضة الأنبياء بها قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ونساؤهم.

الثالث: عمل نابلس، قال فى مسالك الأبصار: وهى مدينة يحتاج إليها. وبها البئر التى حفرها يعقوب عليه السلام وبظاهره الجبل الذى يحج الناس إليه [٣]، وهو طور نابلس.

الصفقة الثانية القبلية:

سميت بذلك لأنها قبلى دمشق، قال فى مسالك الأبصار: وتشتمل على بلاد حوران [٤] والغور. قال فى التعريف: وحدها من القبلة جبال الغور القبلية المجاورة لمرج بنى عامر، ومن الشرق البرية، ومن الشمال حدود ولاية دمشق، ومن الغرب الأغوار إلى بلاد الشقيف. قال: والأغوار كلها داخلة فى هذه الصفقة خلا ما يختص بالكرك. وتشتمل هذه الصفقة على عشرة أعمال:

الأول: عمل بيسان، مدينة صغيرة على الجانب الغربى من الغور[٥] [٨٨ ب] ذات بساتين وأشجار، وبها عين تشق المدينة وقلعة لطيفة.

الثانى: عمل بانياس، مدينة لطيفة على مرحلة ونصف من دمشق فى لحف جبل الثلج وبها قلعة الصبيبة، قال فى التعريف: وهى من أجل القلاع وأمنعها. وكان بها نائب مفرد يولى من جهة نائب دمشق.

---

(١) انظر: ابن تغرى بردى: النجوم، ج٩، ص٥٥.

(٢) هى بلدة الخليل الحالية بفلسطين. وعنها انظر: أبو الفداء: تقويم، ص٢٤١.

(٣) يقصد يهود السامرة. انظر: صبح، ج٤، ص١٠٣.

(٤) هى كورة واسعة فى جنوب دمشق. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧١٦.

(٥) الغور: هو غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق، وهو منخفض عن أراضيهما. ياقوت: السابق، ج٤، ص٢١٧.

الثالث: عمل الشعرا، وهى عن نابلس شرقا بجنوب وطوله ما بين بانياس إلى جبل الثلج، قال فى التعريف: ومقر الولاية بها تارة تكون بقرية بيت خان، وتارة تكون بقرية القنيطرة.

الرابع: عمل نوى، بلدة صغيرة فى جهة الغرب إلى الجنوب عن دمشق على نحو مرحلة منها وهى عن يمين عمل الشعرا شرق بجنوب، وإليها ينسب الشيخ محيى الدين رضى الله عنه[١].

الخامس: عمل أذرعات [٢]، قال فى الروض المعطار: ويجوز فيها الصرف وعدمه، والتاء فى الحالين مكسورة، ويقال لها يذرعات، وهى مدينة من عمل دمشق وبينها وبين الصنمين ثمانية عشر ميلاً.قال فى التعريف: إن متوليها يحكم على جميع الصفقة.

السادس: عمل عجلون، وهى قلعة على جبل عوف يشرف على الغور محدثة البناء فى زمن العادل أبو بكر بن أيوب فى سنة ثمان وخمسمائة [٣]، قال فى مسالك الأمصار: وكان بها راهب فسميت به. قال فى التعريف: وهى حصن صغير حسن على صغره وله حصانة ومنعة منيعة، ومدينة هذه القلعة الباعونة وهى على شوط فرسين [٤] من عجلون. قال فى مسالك الأبصار: وكان بها دير به راهب اسمه باعونة فسميت المدينة به وهما شرقى بيسان.

السابع: عمل البلقاء، قال فى الروض المعطار: سميت باسم البلقا بن سورية من بنى عبيد [٥] بن لوط وهو الذى عمرها، ومدينة هذه البلدة حسبان، بلدة صغيرة ولها واد وأشجار وزروع. ومن هذا العمل الصلت بلدة لطيفة من جند الأردن فى جبل الغور الشرقى فى جنوب عجلون على مرحلة منها، وبها قلعة بناها المعظم عيسى بن العادل أبو بكر [٦]. ومقتضى كلامه

---

(١) الشيخ محيى الدين النووى الشافعى رحمه الله: صبح، ج٤، ص١٠٥.

(٢) يقال لها اليوم درعا. البلاذرى: فتوح، ص٦٨٢.

(٣) يقول فى صبح [وهى محدثة البناء بناها عز الدين أسامة بن منقذ أحد أكابر أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ثمانين وخمسمائة]، نفسه، وقد بنى أسامة بن منقذ هذه القلعة لحماية نوابه من هجمات بنى عوف المجاورين له. العمري: مسالك ــ أيمن ــ، ص١١٩.

(٤) يذكر القلقشندي أنها على شوط فرس من عجلون. صبح، ج٤، ص١٠٦، ضوء، ص٢٨٦.

(٥) يذكر محققو صبح الأعشى أنها من [بنى عمان]، والتصحيح من ياقوت، ج٤، ص١٠٦؛ ياقوت: معجم، ج١، ص٤٨٩.

(٦) ينسب القلقشندي هذا الكلام إلى العمري فى مسالك الأبصار، ضوء، ص٢٨٧.

فى التعريف أن تكون الصلت عملاً مستقلاً بذاته، وعليه يدل [٨٩ أ] كلام التثقيف فإنه قال: وممن كتب له من الولاة بالممالك الشامية والى الصلت والبلقاء [١].

الثامن: عمل صرخد، بلدة صغيرة ذات بساتين وكروم طيبة الهواء، وشرب أهلها من ماء المطر فى صهاريج وفسقية بها، وجميع ما بها من البنيان وسقوف وأبواب من حجر عدس صوان. قال ابن سعيد: وليس وراء عملها من جهة الجنوب وإلى الشرق إلا البرية. ومنها طريق يعرف بالرصيف يصل المسافرون منها إلى بغداد فى نحو العشرة أيام، وبها قلعة منيعة جددها الظاهر بيبرس البندقدارى، وقد تقدم أن العادل كتبغا وليها بعد خلعه من السلطنة قبل ولاية حماة نيابة [٢].

التاسع: عمل بصرى، وقد فتح الباء فى تقويم البلدان، وهو على ستة عشر ميلاً على أربعة مراحل من دمشق، قال فى مسالك الأبصار: هى مدينة الصفقة جميعها. وبها قلعة، قال فى التعريف: وكانت دار ملك لبعض بنى أيوب، وقد تقدم أن بحيرة الراهب وجد النبى صلى الله عليه وسلم بها وأخبر بنبوته له حين المشاهدة له بعلامات النبوة، وفيها أثر مبرك ناقة النبى صلى الله عليه وسلم فى حجر صوان. قال فى التعريف: وقد يتصل عمل بصرى بأذرعات.

العاشر: عمل ذرع، بلدة من حوران، لها عمل مستقل.

الصفقة الثالثة الشمالية:

سميت بذلك لأنها عن شمال دمشق. قال فى مسالك الأبصار: وهى ساحلية وجبلية. قال فى التعريف: حدها من الشرق قرية جوسية [٣] التى بين قرية القصيب من حمص وبين قرية

---

(١) ابن ناظر الجيش: التثقيف، ص٩٩، ويذكر القلقشندي " ما رأيته فى التذكرة الآمدية نقلاً عن ابن الفارقى أحد كتاب الإنشاء بدمشق فى الدولة الناصرية ابن قلاوون، بل أخبرنى بعض كتاب الإنشاء بها أن المستقر الآن الصلت فقط والبلقاء مضافة إليها وعليه يدل كلام التثقيف " صبح ج٤، ص١٠٦ ــ ١٠٧، ضوء، ص٢٨٧.

(٢) انظر القسم الثانى، ص٢٣٤.

(٣) هى قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها باتجاه دمشق. ياقوت: السابق، ج١، ص١٨٥.

اللفكية [١] من عمل بعلبك، وحدها من الشمال مرج الأسل المستقل عن قائم الهرمل حيث يمد نهر الأربط وهو العاصى والبلاد المفردة بطرابلس من كل ما تسامت [٢] من جبل لبنان إلى البحر، ومن الغرب ما هو على سمت البحر منحدر عن صفد إلى حد ولاية بر دمشق القبلى والغربى. وتشتمل هذه الصفقة على خمسة أعمال:

الأول: عمل بعلبك، والجارى على ألسنة الناس بعلبك [٣]، وهى مدينة جليلة البناء على شمال دمشق، يقال إنها من بناء سليمان بن داود عليه السلام [٨٩ ب]. قال فى مسالك الأبصار: وهى منحصرة [٤] فى دمشق فى كمال محاسنها ورطوبتها وجريان الماء فى ديارها وأسواقها، ودهانها فائقا على كل دهان، وكانت دار ملك، ومن عشها درج نجم الدين أيوب والد الملوك الأيوبية [٥]، وبها قلعة حصينة مرجلة على وجه الأرض [كقلعة] دمشق. قال فى التعريف: إنما بنيت قلعة دمشق على كقلة [٦]. ويستدير بالقلعة وبالمدينة سور عظيم ويحيط بذلك غوطة أنيقة بها الأشجار المختلفة الفواكه، ويدخلها نهر من عين من خارجها مقسم فى جهاتها، وبخارجها جبل لبنان المعروف بعش الأولياء.

الثانى: عمل البقاع البعلبكى نسبة إلى بعلبك.

---

(١) يذكر محقق التعريف تصحيحا لاسم القرية [الفيجة] عن الصبح، ولكن فى ضوء الصبح يذكرها كما يذكرها صاحب الثغر [اللفيكة]. التعريف، ص٢٢٩، ضوء، ص٢٨٨، صبح، ج٤، ص١٠٨.، مما يؤكد أن صاحب الثغر اعتمد على ضوء الصبح، والفيجة قرية بين دمشق والزبدانى. ياقوت: السابق، ج٤، ص٢٨٢.

(٢) يذكرها القلقشندي فى الصبح والضوء [تشامل]، وحذا حذوه محقق التعريف أيضا، ولكنها هنا تتفق مع العبارة حيث تعنى تسامت أى تجاور. صبح، ج٤، ص١٠٨، ضوء، ص٢٨٨، التعريف، ص٢٢٩.

(٣) نقل صاحب الثغر عن القلقشندي العبارة منقوصة فجاءت مبهمة حيث قال القلقشندي [قال فى تقويم البلدان بفتح الباء الموحدة وسكون العين المهملة وفتح اللام والباء الموحدة الثانية وفى آخرها كاف والجارى على الألسنة فتح العين وإسكان اللام]، ضوء، ص٢٨٨.

(٤) الصواب: مختصرة، صبح، ج٤، ص١٠٩، ضوء، ص٢٢٨.

(٥) هو أبو الشكر أيوب بن شاذى، الملقب بنجم الدين، والد السلطان صلاح الدين، تولى هو وأخوه أسد الدين شيركوه حكم تكريت، ثم اتصلا بخدمة نور الدين محمود، بنى فى بعلبك الخانقاه النجمية، توفى عام ٥٦٨ هـ. ابن خلكان: وفيات، ج١، ص٢٦٠ ـ ٢٦١، ت رقم ١٠٧.

(٦) الصواب: كمثالها، صبح، ج٤، ص١٠٩.

الثالث: عمل البقاع العزيزى [١]، قال فى التعريف: ومقر الولاية به كرك نـوح عليـه السلام. قال: وهاتان الولايتان منفصلتان عن بعلبك وهما مجموعتان لوال جليل القـدر مفـرد بذاته.

الرابع: عمل بيروت، مدينة بساحل دمشق على حقة [٢] البحر الرومى، عليها سـوران وبها جبل معدن الحديد، ولها غوطة من شجر الصنوبر سعتها فى التكسير اثنا عشر ميلاً متصـل بلبنان المتقدم ذكره.

الخامس: عمل صيدا، مدينة بساحل البحر الرومى كانت حصنا حصـينا، قـال ابـن القطامى: وسميت بصيدون بن صدفا بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وهـو أول مـن عمرها وسكنها.وقال فى الروض المعطار: وسميت بامرأة تسمى صيدا [٣]. وبينها وبين دمشـق ستون ميلاً، ويشرب أهلها من قناة، وهى تشتمل على ستمائة ضيعة وشيء.

الصفقة الرابعة الشرقية:

وسميت بذلك لأنها شرقى دمشق، قال فى التعريف: وحدها من القبلة قرية القصـيب [٤] آخذا عن النبك إلى القريتين [٥]، وحدها من الشرق السماوة إلى الفرات وينتهى إلى سلمية [٦]

---

(١) ينسب البقاع العزيزى إلى العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين الأيوبى. القلقشندي: صبح، ج٤، ص١١٠.

(٢) الصواب: ضفة، صبح، ج٤، ص١١٠، ضوء، ص٢٨٩.

(٣) وسميت بامرأة: صبح، ج٤، ص١١١.

(٤) قرية القصب: التعريف، ص ٢٣٠؛ ضوء، ص ٢٨٩. وهى قرية من عمل حمص. القلقشندي: صبح، ج٤، ص١٠٨

(٥) هى قرية كبيرة قبل تدمر، وتسمى القريتين أو حوارين، وهى من أعمال حمص. ياقوت: السابق، ج٤، ص٣٣٦؛ البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٦١.

(٦) زاد فى التعريف [ولها قلعة تقاربها تعرف بشميمش، ومن الشمال ما بين سلمية إلى الرستن]، ص ٢٣١. والرستن بلدة صغيرة على نهر العاصى بين حماة وحمص. ياقوت: السابق، ج٣، ص٤٣.

إلى الرستن، وحدها من الغرب نهر الأرنط وهو العاصى [١] كما تقدم. وتشتمل على ستة أعمال [٢]:

الأول: عمل حمص. قال فى الروض المعطار: ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز فى هند لأن هذا رجل أعجمى. قال: وسميت برجل من العماليق اسمه حمص وهو الذى بناها، واسمها القديم سوريا وبه كانت تسميها الروم. وهى [٩٠ أ] مدينة جليلة مبنية فى وطأة من الأرض على نهر العاصى ولها منه ماء يجرى إلى دار النيابة، وبعض مواضع بها، قال فى العزيزى: وليس فى بلاد الشام أصح من هوائها [٣] وبوسطها بحيرة صافية يجتمع فيها طير اليم وغيره، [وليس بها عقارب ولا حيات] [٤]. قال فى التعريف: وكانت دار ملك للبيت الأسدى. قال فى المسالك: وبها القلعة المصفحة [٥]. ولم تكن بالمنيعة ويحيط بها وبالمدينة سور حصين أمنع من القلعة. وبها قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه.

الثانى: عمل مصيات [٦]، وهى بلدة عظيمة وبها قلعة حصينة فى لحف جبل اللكام الشرقى عن حماة وطرابلس من جهة الشمال عن بارين [٧] على مسافة فرسخ، وفى جهة الغرب عن حماة على مسيرة يوم، وبها أنهر صغار من أعين وبها الأشجار والفواكه [٨] وهى قاعدة قلاع الدعوة الآتى ذكرها فى أعمال طرابلس، وكانت أولاً مضافة إلى طرابلس ثم أفردت عنها وأضيفت إلى دمشق، وكانت نيابتها إمرة طبلخاناة.

الثالث: عمل قارا، وكتبت فى تقويم البلدان قاره بالهاء وهى قرية كبيرة على مرحلة ونصف من حمص وبينها وبين دمشق مرحلتان، وغالب أهلها نصارى وبها محط المسافرين.

---

(١) العبارة بلفظها وترتيبها كما هى فى ضوء الصبح، ص ٢٨٩.

(٢) خمسة أعمال: صبح، ج ٤، ص ١١٢.

(٣) وهى من أصح بلاد الشام هواء: صبح، ج٤، ص١١٣.

(٤) هذه العبارة ينسبها القلقشندي إلى ابن حوقل، صبح، نفسه.

(٥) لم يرد لها ذكر فى المسالك. انظر: ص ١٢٤.

(٦) الصواب: مصياف، الصبح، ج ٤، ص ١١٣. وفى موضع آخر يذكر أن كلا الاسمين يطلق على تلك البلدة. انظر، ص٧٧٤

(٧) بارين أو بعرين، بلدة بين حماة وحلب. ياقوت: السابق، ج١، ص٣٢٠.

(٨) وبها البساتين والأشجار: صبح، نفسه.

الرابع: عمل سلمية، وهى بلدة من عمل حمص، قال أحمد الكاتب بناها عبد الله بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، اسكن بها ولده، وهى بلدة على طرف البادية نزهة حصينة كثيرة المياه والشجر على مرحلة من حمص.

الخامس: عمل تدمر، بفتح التاء كما قاله السمعانى. قال فى التعريف: وهى بين القريتين والرحبة. ثم هى معدودة من جزيرة العرب. قال المؤيد صاحب حماة: وهى من أعمال حمص من شرقيها. قال فى الروض المعطار: أنها مدينة قديمة بنتها الجان لسليمان عليه السلام. قال: وسميت بتدمر بنت حسان بن أذينة وفيها قبرها وإنما سكنها سليمان بعدها [١]. وبينها وبين دمشق تسعة وخمسون ميلاً، وبينها وبين الرحبة مائة ميل وميلان وهى على ثلاثة مراحل [٩٠ ب] من حماة[٢].

السادس: عمل الرحبة، مدينة على الفرات بين الرقة وعانة، عدها فى القديم من ديار بكر من الجزيرة الفراتية وتعرف برحبة مالك بن طوق قائد [من] [٣] قواد الرشيد [٤] عمرها فنسبت له ثم خربت واستجدها شيركوه صاحب حمص من جنوبيها الرحبة الجديدة على نحو فرسخ من الفرات، وهى فى زماننا محط الرواحل وأحد الثغور الإسلامية. قال فى التعريف: وبها قلعة نيابة [٥] وفيها بحرية وخيالة وكشافة وطوائف من المستخدمين.

---

(١) ينسب القلقشندي هذا الكلام إلى العزيزى، صبح، ج٤، ص١١٣.

(٢) الصواب: حمص، صبح، السابق.

(٣) ما بين الحاصرتين من صبح، ج ٤، ص ١١٥.

(٤) مالك بن طوق التغلبى، توفى عام ٢٦١ هـ. ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٢٤٩؛ ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص٢١٩.

(٥) وبها قلعة ونيابة: التعريف، ص ٢٣١.

القاعدة الثانية حلب

وهى مدينة عظيمة أم أقاليم وبلاد وأغوار وبها معظم قلاع الشام وحصون وثغور، وموقعها وموقع جميع أعمالها فى الأقاليم السبعة فى الإقليم الرابع.

وفى سبب تسميتها بحلب قولان حكاهما فى الروض المعطار أحدهما أنه كان مكان قلعتها ربوة وكان سيدنا إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه يحلب غنمه فيها ويتصدق باللبن فسميت بذلك.

الثانى، أنها سميت برجل من العمالقة اسمه حلب بن المهر من ولد خان [1] بن ملكيف[2]. قال فى مسالك الأبصار[3]: وهى من قواعد الشام القديمة فى وطأة حمراء على مدرج طريق العراق وتعرف بحلب الشهباء، ولها نهران، أحدهما نهر قويق وهو نهرها القديم، الثانى نهر الساحور يجرى إلى داخلها ويتشعب فى مساكنها لكنه لا يبل صداها، وأطيب شرب أهلها من صهاريج تملأ فى الشتاء من نهرها، وهى كثيرة الفواكه وبظاهرها البر الممتد وحاضرة وبادية، وبها عسكر قائم من طوائف التركمان والأكراد والعربان غير عسكرها. ونائبها من أكابر النواب بمنزلة أمير سلاح من الدولة الناصرية محمد بن قلاوون وإلى الآن، وبوسطها قلعة بعيدة المنال على تل مرتفع بها مشهد سيدنا إبراهيم عليه السلام، وبها ماء نابع لا يخاف فيها الظمأ وعليها سوران دونهما خندق فى غاية العمق.

وبحلب أعمال متسعة وهى أوسع الشام بلاداً وبعض بلادها متصلة ببلاد سيس والروم وديار بكر وبرية العراق، قال فى التعريف: إن حدها من القبلة ما وقع على سمتها إلى الدمنة الخراب والسلسلة [٩١ أ] الرومية ومجرى القناة القديمة الواقع ذلك بين الحيار [4] والقرية

---

(١) يذكر محققو صبح الأعشى [فى الأصل خان، وفى الضوء حاف، والتصحيح من ياقوت] ج ٤، ص ١١٦ هـ-١.

(٢) مكنف: صبح، ج ٤، ص ١١٦.

(٣) اتفق نص القلقشندي مع نص العمري فى صبح الأعشى، لكن ماذكره السحماوي اختلف وإن اتفق مع ضوء الصبح. صبح، ج ٤، ص ١١٦ ــ ١١٧، ضوء، ص ٢٩١ ــ ٢٩٢.

(٤) الحيار جمع حير، صقع بالقرب من قنسرين. ياقوت: السابق، ج٢، ص٣٢٧.

المعروفة بقبة ملاعب، وحدها من الشرق البر حيث يجرى برد الثلج على أطراف بالس [١] إلى الفرات دائرة بحدها. قال: وبهذا التقسيم تكون بلاد جعبر داخلة فى حدودها، وحـدها مـن الشمال بلاد الروم مما وراء بهسنا وبلاد الأرمن مما وراء نهر جاهان، وحدها من الغرب ما أخذ من بلاد الأرمن [٢] على البحر الشامى. ثم أعمالها تنقسم على ثلاثة أقسام:

القسم الأول

ما هو داخل فى البلاد الشامية

وهو على سبعة وعشرون عملاً [٣].

الأول: عمل برها، وهو وضواحيها كما تقدم فى مصر ودمشق.

الثانى: عمل بهسنى، وهى قلعة شمالى حلب على أربعة مراحل منها فى الغرب الشمالى عن عين تاب، وبينها وبين سيواس [٤] مسيرة ستة أيام، وبها عسكر من التركمان والأكراد، ولهـا بساتين ونهر صغير وبلدة واسعة كثيرة الخير والخصب، ولنائبها مكانة جليلة.

الثالث: عمل قلعة المسلمين، المسماة فى القديم بقلعة الروم، وهى قلعة من جند قنسرين بالبر الغربى الجنوبى من الفرات فى جهة الشمال بذيل الفرات على نحو خمس مراحل من حلـب وهى من القلاع الحصينة التى لا ترام، وبها نهر مرزبان يصب فى الفرات، قال فى التعريف: وكان بها خليفة الأرمن ففتحها الأشرف خليل وسماها قلعة المسلمين.

---

(١) يقول العمري [ويحدها من الشرق البر حيث يحد بردى أخذاً على جبل الثلج ونهر الجلاب على أطراف بالس]، ص ٢٣٢.

(٢) فى الأصل: ما آخر من بلاد، والتصحيح من، العمري: التعريف، ص ٢٣٢، القلقشندي: ضوء، ص ٢٩٣.

(٣) فى الصبح ستة عشر عملاً ولكنه ذكر ستة وعشرين، ولكنه فى ضوء الصبح ذكرها كما فى الثغر. انظر صبح، ج ٤، ص ١١٩ ــ ١٣٠، ضوء، نفسه.

(٤) كان إنشاء هذه المدينة على يد السلطان علاء الدين السلجوقى، وكانت من المدن التجارية الهامة، وهى من مدن تركيا الآن. ابن عرب شاه: عجائب، ص١٥٢ هــ٤؛ لى سترانج: بلدان، ص١٧٩ ــ ١٨٠.

الرابع: عمل عين تاب، مدينة من جند قنسرين شمالى حلب على نحو مرحلتين منها فى الجنوب، وعلى نحو ثلاث مراحل من قلعة الروم ومثلها عن بسنى، وهى مدينة واسعة الأرجاء، كثيرة المياة والبساتين [و] الفواكه، بها قلعة حصينة منقوبة فى الصخر.

الخامس: عمل مرعش [١] بلدة لطية فى وطأة من الأرض على مرحلتين من حلب، وهى كثيرة المرعى ذات أنهار وأشجار، وهى مصيف وربيع لعسكر حلب.

السادس: عمل اللاوندان [٢] قلعة من جند قنسرين فى الغرب والشمال على نحو مرحلتين من حلب، وهى على جبل مرتفع ذات بساتين وأعين.

السابع: عمل كختا، وتعرف بالألف واللام فيقال الكختا، قال فى تقويم البلدان [٣]: وهى قلعة فى أقاصى الشام من جهة الشمال بشق عن حلب على نحو خمس مراحل منها عالية البناء لا ترام حصانة [٩١ ب]، ولها نهر وبساتين، وكركر منها فى جهة الشرق، وملطية فى جهة الغرب على نحو مرحلتين [٤] منها [ذات عمل متسع] [٥].

الثامن: كركر، قلعة من أقاصى الشام فى الشمال عن حلب على نحو خمس مراحل منها وعلى يوم من كختا، وهى قلعة حصينة شاهقة ترى الفرات منها كالجدول الصغير وهو منها فى جهة الشرق.

التاسع: عمل الدبرساك [٦]. شمالى حلب على نحو أربع مراحل منها، وهى قلعة حصينة ذات أعين وبساتين حسنة المنظر وبها من شرقها مروج متشعبة كثيرة العشب يمر بها نهر الأسود.

---

(١) لم يذكر العمري فى التعريف والمسالك، والقلقشندى فى صبح الأعشى، وضوء الصبح أى ذكر لمرعش من كونها من أعمال حلب. وتقع اليوم بتركيا. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٧٨؛ لى سترانج: بلدان، ص١٦١.

(٢) والصواب: الراوندان، التصحيح من، العمري: التعريف، ص ٢٣٣، المسالك، ص ١٣٠، القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ١٢١، ضوء، ص ٢٩٤.

(٣) لم ينسب القلقشندي هذه المعلومة إلى مصدر، صبح، ج ٤، ص ١٢٠؛ أبو الفداء: تقويم، ص٢٦٢.

(٤) على مسيرة يومين: القلقشندي صبح، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من التعريف، ص ٢٣٣.

(٦) الصواب: الدربساك، العمري: السابق، نفسه؛ المسالك، ص ١٣٠؛ القلقشندي: صبح، ج ٤، ص١٢٢؛ ضوء، ص ٢٩٤.

العاشر: عمل بغراس، قلعة من جند قنسرين شمالى حلب على نحو أربع مراحل منها فى جهة الجنوب، قال فى التعريف: وكانت هى الثغر فى نحر [(١)] الأرمن حتى استضيفت الفتوحات الجاهانية، وبها الرصص على ساحل البحر الرومى.

الحادى عشر: عمل القصير، قلعة على نحو أربع مراحل من حلب، قال فى التعريف: وهى لأنطاكية.

الثانى عشر: عمل الشغر وبكاس، وهما قلعتان من جند قنسرين مبنيتان على جبل مستطيل [وتحتهما] [(٢)] نهر، وبها بساتين وأشجار فى الجنوب من أنطاكية.

الثالث عشر: عمل حجر شغلان، وهى قلعة شمالى حلب على نحو ثلاث مراحل منها، وهى بالقرب من بغراس فى جهة الشمال على مسافة قريبة جدا.

الرابع عشر: عمل أبى قبيس، قلعة حصينة غربى حلب مما يلى الساحل على نحو ثلاث مراحل منها.

الخامس عشر: عمل حارم، قلعة حصينة فى جهة الغرب على نحو مرحلتين من حلب، ذات أشجار، وبها نهر صغير، وريفها [(٣)] بلدة صغيرة كثيرة المياه وبجوارها بحيرتها وعمقها.

السادس عشر: عمل كفر طاب، بلدة صغيرة من جند حمص على ثلاث مراحل منها على الطريق بين المعرة وشيزر على نحو اثنى عشر ميلاً.

السابع عشر: عمل فامية، قال فى المشترك: ويقال لها أفامية. من عمل شيزر غربى حلب على نحو أربع مراحل منها، ولها بحيرة حلوة يسقيها [(٤)] النهر المقلوب.

الثامن عشر: عمل سرمين، مدينة غربى حلب على نحو يوم منها، وعملها متسع وتسمى هذه الجهة الغربيات.

---

(١) فى بحر : صبح، ج ٤، ص ١٢٣.

(٢) ما بين الحاصرتين من، ضوء، ص ٢٩٤.

(٣) وربضها: صبح، ج ٤، ص ١٢٤.

(٤) يشقها: صبح، ج ٤، ص ١٢٥.

التاسع عشر: عمل [٩٢ أ] الجبول، بلدة شرقى حلب على نحو مرحلة منها بالقرب من الفرات، ومنها ينقل الثلج (١) إلى البلاد الحلبية.

العشرون: عمل جبل سمعان، وبه وبوطأة قرى كثيرة.

الحادى والعشرون: عمل عزاز، والجارى على ألسنة الناس أعزاز، وهى بلدة شمالى حلب بميلة إلى الغرب على نحو مرحلة منها.

الثانى والعشرون: عمل تل باشر، حصن شمالى حلب بمرحلة قريبة من عين تاب، ذات بساتين يانعة ومياه جارية.

الثالث والعشرون: عمل منبج، بلدة من جند قنسرين شرقى حلب على نحو مرحلة منها، قال ابن سعيد: بناها بعض الأكاسرة الذين غلبوا على الشام. وسماها منبه فعربت منبج، وكان بها بيت نار للفرس، وأكثر شجرها التوت وحريرها أحسن الحرير.

الرابع والعشرون: عمل تيزين، بلدة صغيرة فى جهة الغرب عن حلب على نحو مرحلة منها.

الخامس والعشرون: الباب وبزاعا، وهما بلدتان متقاربتان من جند قنسرين على مرحلة من حلب فى الجهة الشمالية الشرقية، أما الباب فبلدة صغيرة ولها البساتين الكثيرة الأنيقة وبظاهرها قبر عقيل بن أبي طالب رضى الله عنه، وأما بزاعة فهى ضيعة من مضافاتها، وإلى الباب ينسب خاص ألما ورد.

السادس والعشرون: عمل دركوش، بلدة على نهر العاصى غربي حلب على ثلاث مراحل منها، بها قلعة منيعة عاصية لم يقدر عليها هولاكو.

السابع والعشرون: عمل أنطاكية (٢)، قال ابن الجواليقي: وياؤها مشددة. وقال فى الروض المعطار: إنها مخففة.، وهى مدينة قديمة بناها بطليموس من ملوك اليونان، وقيل بناها أنطاكين، وسورها من صخر لم له نظير دوره اثنا عشر ميلاً وعدد شرفاته اثنان وعشرون (٣) ألفاً، وأبراجه مائة وستة وثلاثون برجاً على منتصف الطريق بين المعرة وحلب، وبظاهرها نهرا

---

(١) الملح: صبح، ج ٤، ص ١٢٦.

(٢) وتقع اليوم فى تركيا. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٦٩٠.

(٣) أربع وعشرون: صبح، ج ٤، ص ١٢٩.

العاصى والأسود ومجتمعاتها، وتجرى مياهها إلى دورها، وقيل إنها المذكورة بالمدينة فى قوله "وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى "، وذلك الرجل هو حبيب النجار وقبره يزار بها، يقال إنه قطعت رأسه وعلقت ثلاثة أيام ولسانه يوحد الله تعالى وكراماته مشهورة. وميناؤها السويدية، وقد [٩٢ ب] تقدم الكلام عليها فى سواحل بحر الروم.

القسم الثانى

من الأعمال الحلبية مع ما أضيف إليها من البلاد المعروفة الآن ببلاد الأرمن مما اقتلع منهم ببلاد المسلمين بعد أن غلبوا عليه ببلاد سيس وما والاها مما كان قديما يسمى بالثغور لمثاغرة العدو، وقد حدد فى التعريف هذه البلاد بجملتها فقال " وحدها من القبلة وانحراف الجنوب بلاد بغراس(١) وما يليها وحدها من الشرق جبال الدربندات، وحدها من الشمال بلاد ابن قرمان وحدها من الغرب سواحل الروم المفضية إلى العلايا وأنطاكية (٢)، وتشتمل على أحد عشر عملاً (٣):

الأول: عمل أياس، مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر على مرحلتين من بغراس، قال فى التعريف " وكان أمرها إلى نائب الشام، وجعل إلى نائب حلب "، ثم هى الآن من الأبواب الشريفة وهى المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية، وكانت استعادتها من الأرمن فى أيام الناصر محمد بن قلاوون عام ثمان وثلاثين وسبعمائة (٤).

---

(١) يذكرها فى التعريف بالصاد [بغراص]، ص٨١، ولكن القلقشندي يذكرها بالسين، صبح، ج٤ ص١٣١.

(٢) يتفق الثغر والضوء فى كونها أنطاكية، ويتفق التعريف وصبح فى كونها أنطاليا. التعريف، ص ٨١ ـــ ٨٢، صبح، ج ٤، ص ١٣١، ضوء، ص ٢٩٧.

(٣) ذكر القلقشندي أنها ثمانية أعمال [ملطية، درندة، ديركى، أياس، طرسوس، سرفندكار، سيس، أذنة]، زاد فى الثغر [المصيصة، البلستين، قيسارية].

(٤) لم تذكر المصادر التاريخية هذه السنة بعينها التى ذكرها كل من السحماوي والقلقشندى، أما ابن تغرى بردى فقد ذكرها بدون أن يحدد السنة. انظر: القلقشندي: صبح، ج٤، ص١٣٣؛ ابن تغرى بردى: النجوم: ج٩، ص١٧٢.

الثاني: عمل طرسوس [١]، قال فى اللباب: مدينة سورها [٢] من بلاد الأرمن على ساحل بحر الروم بناها الرشيد فى عام سبعين ومائة [٣] وأكملها فى سنة اثنتين وسبعين، وبها دفن المأمون [٤] واستعيدت من الأرمن فى أيام الناصر حسن [٥] وهى سجنٌ لمن يتغير عليه الملك.

الثالث: عمل أذنة [٦]، مدينة من بلاد الأرمن بناها الرشيد، وهى مدينة حصينة على ثمانية عشر ميلا من طرسوس.

الرابع: عمل سرفندكار، الموجود الآن بالدساتير إسفندكار، وهى قلعة من بلاد الأرمن على صخر وبعض جوانبها بغير سور للاستغناء عنه بالصخر وهى على الغرب [٧] من نهر جيحان من البر الجنوبى فى الشرق عن تل حمدون على أربعة أميال، وربما يقال فيها سرور دكار [٨].

الخامس: عمل سيس، قال الصاحب كمال الدين بن العديم: أن اسمها سيسه. ووافقه فى العزيزى، بناها بعض خدام الرشيد، وكانت قاعدة بلاد الأرمن ولها قلعة حصينة على جبل مستطيل عليها ثلاثة أسوار، وبينها وبين المصيصة أربعة عشر ميلاً، وكان فتحها فى أيام الأشرف شعبان على يد قشتمر المنصورى نائب حلب على ما تقدم [٩].

---

(١) تقع هذه المدينة اليوم فى تركيا بين أنطاكية وحلب. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٤٦؛ لى سترانج: بلدان، ص١٦٤.

(٢) مدينة مسورة من بلاد الأرمن: ضوء، نفسه؛ وقد نسب القلقشندي العبارة إلى صاحب الروض المعطار لا اللباب، صبح، ج ٤، ص ١٣٣

(٣) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم، ج٨، ص٢٣٤؛ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٢٧٩.

(٤) انظر القسم الثانى، ص١٦٥.

(٥) انظر القسم الثانى، ص٢٥٤.

(٦) وتقع اليوم بتركيا معروفة باسم " أضنه ". البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٦٨٢؛ لى سترانج: بلدان، ص١٦٣.

(٧) القرب: صبح، ج ٤، ص ١٣٤.

(٨) قال القلقشندي نقلاً عن صاحب حماة [سروندكار]، صبح، ج ٤، ص ١٣٤.

(٩) انظر القسم الثانى.

السادس: المصيصة (١)، والجارى على ألسنة الناس المصيص، وهى على [٩٣ أ] نصف مرحلة من أذنة، وهى على نهر جاهان ولها عليه جسر من خشب للتعدية.

السابع: عمل ملطية (٢)، مدينة من بلاد الروم شمالى حلب بميلة (٣) إلى الشرق على نحو سبع مراحل منها بناها أبو جعفر المنصور عام تسع وثمانين ومائة (٤) وجعل عليها سوراً محكماً، وهى قاعدة بلاد الثغور، وعدها ابن حوقل من بلاد الشام، وهى بلدة مسورة فى بسيط من الأرض، والجبال محتفة بها من بعد، ذات أشجار وفواكه ويدخلها نهر صغير يجرى فى دورها، وهى على ثلاث مراحل من سيس وسيواس ومرحلتين عن كختا من الغرب فتحت عام خمسة عشرة وسبعمائة (٥).

الثامن: عمل درندة، مدينة فى جهة الغرب عن ملطية على مرحلة منها ذات بساتين وأنهار وعيون وهى على نحو عشرة أيام من حلب.

التاسع: عمل ديركى، ويقال فيها دوركى، وهى مدينة فى جهة الشمال عن حلب على نحو عشرة مراحل منها.

العاشر: عمل البلستين، ويقال الأبلستين، وهى مدينة عظيمة على نحو مرحلتين من ملطية فى الجهة الغربية، وبينها وبين حلب ثمانية أيام.

الحادى عشر: عمل قيسارية، وربما كتبت قيصرية نسبة لقيصر كأنه أول من عمرها، وهى مدينة عظيمة ولم يكن بها قلعة، وبوسطها نهر جار وهى على مرحلتين من الأبلستين، ومثلها من مرعش وثلاث مراحل من ملطية.

---

(١) تقع اليوم فى تركيا. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٨٠؛ لى سترانج: بلدان، ص١٦٢.

(٢) تقع اليوم فى تركيا. البلاذرى: السابق، ق٣، ص٧٨٢؛ لى سترانج: السابق، ص١٥٢.

(٣) قبلة: ضوء، ص ٢٩٨.

(٤) هكذا فى الصبح أيضاً مما يؤكد النقل الحرفى من القلقشندي، والعبارة خاطئة لأن المنصور تولى الخلافة من عام ١٣٦ : ١٥٨ هـ، وأن بناءها على ما ذكره ياقوت الحموى عام ١٤٠ هـ. انظر، القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ١٣٢ هـ ١، ياقوت: معجم، ج٥، ص١٩٢.

(٥) ابن تغرى بردى: النجوم، ج٩، ص١٧٢ هـ٤.

أما القلاع:

فاعلم أن بالقرب من هذه الأعمال ثمان قلاع صغار [١]، وقد ذكر فى التعريف [٢] بعضها، أحدها قلعة باعروك على رأس جبل بالقرب من طرسوس على نحو نصف مرحلة، قال فى التثقيف: استجدت عام ستين وسبعمائة [٣].

الثانية: قلعة كاورا، فى الشمال عن أياس، وهى على جبل مطل [على] البحر الرومى على نحو ساعة، قال فى التثقيف: استجدت عام تسع وستين وسبعمائة.

الثالثة: قلعة كولاك، مدورة على رأس جبل فى الشمال عن طرسوس على مرحلة منها يسكنها طائفة من التركمان.

الرابعة: قلعة كرزال، قلعة صغيرة على رأس جبل بالقرب من كولاك.

الخامسة: قلعة تل حبرون [٤]، على تل عال على الغرب من جيحان إلى جهة الجنوب على نصف مرحلة، كانت قديماً حصينة بالبناء، لها سور مانع، وبها نهر يجرى وبينها وبين أياس نحو مرحلة، وعلى مرحلتين من سيس.

السادسة[٩٣ ب]: قلعة الهارونية، وربما قيل الهارونيتان، قال فى التعريف: وهما حصنان بناهما هارون الرشيد. وقال فى المشترك: الهارونية مدينة صغيرة اختطها هارون الرشيد بالثغور فى طرف جبل الكارم [٥].

---

(١) عدها القلقشندي فى صبحه ثلاثة عشر قلعة هى: [بارى كروك، كاورا، كولاك، كرزال، كومى، تل حمدون، الهارونتين، نجمة، حميص، لؤلؤة، تامرون، سنياط كلا، بلسلوص]، ج٤، ص١٣٥ ــ ١٣٧.

(٢) ذكر العمري عدة قلاع منها [كاورا، والبقية، ونجمة، وتل حمدون، وحميمص، والهارونيتان]، التعريف، ص ٢٨٣، وقد أرجع القلقشندي ذكر هذه القلاع إلى صاحب التثقيف، ضوء، ٢٩٩.

(٣) يذكر القلقشندي استناداً إلى ابن ناظر الجيش أن هذه القلعة استجدت عام ستين وسبعمائة، ووافقه صاحب الثغر، أما محقق كتاب التثقيف فقد اعتمد على إحدى نسخ الكتاب التى ذكرت أنها استجدت عام ست وستين.

(٤) تل حمدون: التعريف، ص ٢٣٨، صبح، ج ٤، ص ١٣٦، ضوء، ص ٢٩٩.

(٥) اللكام: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

السابعة: قلعة نجمة، وكان يقال لها أولاً حصن منبج، وهى شاهقة علـى القـرب مـن الفرات بناها السلطان محمود بن زنكى [١]، وفى التعريف ما يقتضى أنها من بناء المأمون [٢].

الثامنة: قلعة لؤلؤة، وهى قلعة حصينة شمالى هولاك [٣].

القسم الثالث

من الأعمال الحلبية ما أضيف إليها من بلاد الجزيرة الفراتية، وهى على ثلاثة أعمال.

الأول: عمل البيرة، وهى قلعة فى الصف الشرقى فى الشمال عن [٤] الفرات مشرقاً عن قلعة الروم على مرحلة، والفرات بينهما، وقد عدها فى تقويم البلدان من جند قنسـرين مـن أعمال الشام على صخرة وكانت سجناً حرزاً، قال فى التعريف: ولها منعة وعسكر وعمل [٥].

الثانى: عمل قلعة جعبر، وهى قلعة من ديار بكر فى البر الشرقى الشمالى عن الفـرات، وكانت تعرف قديماً بالدوسرية نسبة إلى دوسر عبد النعمان بن المنذر بناها لما جعله النعمان على أفواه الشام [٦] ثم ملكها سابق الدين جعبر القشيرى [٧] فى أيام الملوك السلجوقية فعرف به، قال فى التعريف فى الكلام على تقاسيم الشام إنها مضافة إلى دمشق، ثم قال وحقها أن تكون مـع حلب ثم أضيفت إلى حلب.

الثالث: عمل الرها، مدينة من ديار بكر [٨] فى البر الشرقى فى الشمال عن الفرات، قال فى العزيزى: مدينة عظيمة رومية فيها آثار عجيبة لم يكن بالجزيرة أحسن منها ولا أكثر فواكـه

---

(١) أبو الفداء: تقويم، ص٢٣٣؛ ياقوت: معجم، ج٤، ص٢٤١.

(٢) ذكر العمري أن ما أضيف إليها كان من عمل المأمون لا كونه منشئها. ص٢٣٨.

(٣) الصواب: كولاك، صبح، ج ٤، ص ١٣٧؛ ضوء، ص ٢٩٩.

(٤) على: صبح، نفسه.

(٥) ولها عسكر ومنعة: التعريف، ص ٢٣٢.

(٦) ابن خلكان: وفيات، ج١، ص٣٦٤.

(٧) يذكر ابن خلكان اسم جعبر القشيرى، إلا أنه لم يقف على شيء من أحواله، واختلف فى تاريخ وفاته هل كانت سنة ٤٦٤ هـ أو ٤٦٩ هـ. السابق، ج١، ص٣٦٣ ــ ٣٦٤، ت رقم ١٤٠.

(٨) ديار مضر: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

وبها عيون كثيرة تجرى منها الأنهار، وبينها وبين الفرات يوم [١]، وكان عثمـــان قرايلـــوك [٢] استولى عليها وجعلها من جملة بلاده، ولما توجه الركاب الشريف إلى محاصرة آمد بهذه الجزيرة استعادها من قرايلوك وأقام بها نائباً، وهى على هذا إلى الآن.

(١) يومين: صبح، ج ٤ ص ١٣٩.

(٢) قرايلوك: هو الأمير فخر الدين عثمان بن قطلوبك بن طور على التركمانى، الشهير بقرايلوك، استولى على غالب ديار بكر، تحالف مع تيمور لنك عند غزوه للشام عام ٨٠٣ هـ، ثم ولاه الناصر فرج نيابة الرها، وفى عهد برسباى دخل فى صراع معه تمخض عن الصلح بينهما، ومات عام ٨٣٩ هـ بعد حصار إسكندر بن قرا يوسف له وإصابته فى المعركة. ابن تغرى بردى: المنهل، ج٦، ص٤٢٤ ــ ٤٢٨، ت رقم ١٥٢٩؛ السخاوى: الضوء، ج٥، ص١٣٥، ت رقم ٤٧٤.

القاعدة الثالثة

حماة

ذكرها صاحب مسالك الأبصار بعد دمشق لقربها منها، ولكنه ذكرها فى التعريف بعد حلب لكونها دونها فى رتبة النيابة [١]، وهى مدينة قديمة لها ذكر فى التوراة، وهى على ضفة [٩٤ أ] النهر العاصى، وهى وأعمالها بين حمص وقنسرين، وبينها وبين حمص أربعون ميلاً، ولها سور جليل وبها القصور الملوكية والدور الأنيقة، ودور ملوكها وشرفاتها مطلة على العاصى، وقلعتها مبنية بالحجارة الملونة، وآثار الخير والبر فيها باقية من فواضل نعم الملوك الأيوبية، وبها النواعير [٢] على نهر العاصى تدور بجريان الماء إلى الدور السلطانية ودور الأمراء والأكابر والبساتين، ولم تزل علية القدر رفيعة المحل إلى أن كانت الدولة الأتابكية زنكى فزادت فخامتها وعظم شأنها، فلما آلت إلى ملوك بنى أيوب نضروها [٣] بالأبنية المعظمة والقصور الشاهقة والمساكن الفاخرة وتأمير الأمراء وتجنيد الجنود بها، وعظموا أسواقها وزادوا فى غراسها وجلبوا لها من أرباب الصنائع كل من فاق فى فنه إلى أن كملت محاسنها وصارت معدودة فى أحاسن الممالك، وحولها مروج ممتدة فيها مصايد الطير والوحش.

قال فى مسالك الأبصار: وليس فى الممالك الشامية بعد دمشق من يدانيها فى لطيف ذاتها من يجاورها قريب ولا بعيد. ولها أعمال وقد حدها فى التعريف فقال " حدها من القبلة الروستين وما سامته آخذاً بين قبة ملاعب وسلمية إلى حيث مجرى النهر والآثار القديمة، وحدها من الشرق البر آخذاً على سلمية إلى ما استقلت على قبة ملاعب، وحدها من الشمال آخر حد المعرة من انقرابا [٤]، وحدها من الغرب مضافات مصياف وقلاع الدعوة. وتشتمل على ثلاثة أعمال:

---

(١) ذكر ذلك القلقشندي ولكنه قال [فتبعته علي ذلك] عكس السحماوي الذى برر ذلك لكونها دونها فى رتبة النيابة. صبح، نفسه.

(٢) النواعير: ومفردها ناعور، وهو الدلو الذى يستسقى به الماء من النهر. ابن منظور: لسان، ج٥، ص٢٢٢.

(٣) مصروها: المسالك، ص ١٢٧.

(٤) لا يوجد معنى للكلمة فى التعريف، وقد ذكر محققو صبح الأعشى [أنها هكذا فى الأصل بدون نقاط (العرابا)]، صبح، ج ٤، ص ١٤١ هـ ١.

الأول: عمل برها، وفى ظاهرها وما حولها كما تقدم فى دمشق وحلب.

الثانى: عمل بارين، وهى بلدة فى الغرب عن حماة بميلة يسيرة إلى الجنوب على مرحلة منها.

الثالث: عمل المعرة، وتعرف بمعرة النعمان إضافة إلى النعمان بن بشير الأنصارى الصحابى [١]، وهى مدينة كثيرة الفواكه والخصب، ويقال إن بها قبر شيث صلوات الله وسلامه عليه، وقبر يوشع بن نون [٢]، وعلى القرب منها قبر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه. قال السمعانى بالنسبة إليها معروني [٣] وهذا [٩٤ ب] مذهب من يرى أن النسبة إلى المركب من مضاف ومضاف إليه، وينسب إليهما جميعاً كما ينسب إلى عبد شمس عبشمى وإلى عبد قيس عبقسى، أما المعروف فى النسبة إليها معرى نسبة إلى المضاف فقط.

---

(١) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك الخزرجى، ت ٦٥ هـ.ابن قانع: معجم الصحابة، ج٣، ص١٤٤، ت رقم ١١١٨؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٤، ص١٤٩٦ — ١٤٩٩، ت رقم ٢٦١٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج٦، ص٤٤٠، ت رقم ٨٧٣٤.

(٢) هو فتى موسى عليه السلام.

(٣) معرنمى: صبح، ج ٤، ص ١٤٢.

القاعدة الرابعة

طرابلس

قال فى اللباب: وقد يسقط الألف منها فرقاً بينها وبين إطرابلس الغرب. وأنكر ياقوت فى المشترك سقوطها [١]، والمتنبى يحذفها منها فى بعض شعره، قال فى الروض المعطار: ومعنى إطرابلس فيما قيل ثلاث مدن. وقيل مدينة الناس وهى مدينة من سواحل حمص واقعة هى وجميع أعمالها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة، وكانت فى الأصل من بناء الروم، وكانت الفرنج استولوا عليها وأقامت بأيديهم مائة وأربعة وثمانين سنة، ولما افتتحها المسلمون فى عام ثمان وثمانين وستمائة فى أيام قلاوون [٢] خربوها وبنوا مكانها مدينة على نحو ميل منها وسموها باسمها وهى الموجودة الآن. وهى ممصرة كثيرة الزحام وجميع بنائها بالحجر الكلس مبيضاً ظاهراً وباطناً، وغوطتها محيطة بها، ولها نهر يحكم على ديارها وطبقاتها [٣] فيجرى الماء من أعاليها التى لا يرقى منها إلا بالدرج العلية، ودمنتها تنسب إلى الوخامة، وحولها جبال شاهقة صحيحة الهواء خفيفة الماء ذات أشجار وكروم ومروج تجمع بين فواكه البلاد الحارة والبلاد الرطبة، ومينتها تهوى إليها وفود البحر الرومى وترسى بها مراكبهم وتباع بها بضائعهم، ولها أعمال متسعة، وقد حدها فى التعريف فقال: حدها من القبلة جبل لبنان ممتدا على ما يليه من مرج الأسل [٤] حيث يمتد نهر العاصى، وحدها من الشرق نهر العاصى، وحدها من الشمال قلاع الدعوة، وحدها من الغرب البحر الرومى. وتشتمل على ثمانية عشر عملاً [٥]:

---

(١) وعاب على المتنبى حذفها منها فى بعض شعره: صبح، ج ٤، ص ١٤٢.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم، ج٧، ص٣٢٠.

(٣) طباقها: صبح، ص ٣٠٣.

(٤) مذكورة هكذا فى الأصل، وعدلها كل من محققى صبح الأعشى، ضوء الصبح، والتعريف فقالوا [الأسد]، أما فى التعريف المنشور فى القاهرة عام ١٣١٢ هـ فقد ذكرها كما عند السحماوي. انظر:التعريف ــ شمس الدين ــ، ص ٢٣٥، صبح، ج٤، ص١٤٤، ضوء، ص ٣٠٣.

(٥) فى صبح الأعشى جعلها ضربين، الأول مضافاها نفسها وهى على ست نيابات، الثانى قلاع الدعوة ست قلاع بدون مصياف التى نقلت إلى دمشق. ج ٤، ص ١٤٢ ــ ١٤٧.

الأول: عمل حصن الأكراد، قلعة حصينة من جند حمص، مقابلة لحمص من غربيها على الجبل المتصل بجبل لبنان على نحو مرحلة من حمص. قال فى التعريف: وهو حصن جليل وقلعتها شمالاً [١]. قال: وكانت محل النيابة ومقر العسكر قبل فتح طرابلس.

الثانى: عمل حصن عكا [٢]، قلعة على مرحلة من طرابلس فى جهة [٩٥ أ] الشرق وسط جبل لبنان فى واد، والجبل محيط بها، وشرب أهلها من عين تجرى إليها من دير [٣] لبنان.

الثالث: عمل بلاطنس، قلعة فى جهة الشمال عن طرابلس على نحو مرحلتين، وفى الغرب من مصياف على نحو مرحلة.

الرابع: عمل صهيون، قلعة من جند قنسرين ذات حصانة ومنعة فى الشرق من اللاذقية بميلة إلى الجنوب على نحو مرحلة مبنية على صخر أصم فى ذيل جبل يظهر من اللاذقية.

الخامس: عمل اللاذقية [٤]، مدينة من سواحل الشام، وعدها فى العزيزى من أعمال حمص، قال: وهى مدينة جليلة بل هى أصل مدينة بالساحل متسعة، وهى منية الشام.

السادس: عمل المرقب، قلعة من ساحل البحر حصينة حسنة البناء مشرفة على البحر وهى سجن. ولم يتعرض لذكرها فى التعريف ولا فى مسالك الأبصار [٥].

السابع: عمل الرصافة، قلعة بالقرب من مصياف [٦] إحدى قلاع الدعوة التى كانت بيد الإسماعيلية من الشيعة المعروفين الآن بالفداوية وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية كما سيأتى، وهى غير رصافة هشام التى على حد الجانب الغربى من الفرات.

الثامن: عمل الخوابى، من قلاع الدعوة على نحو مرحلتين من طرابلس فى جهة الشمال.

---

(١) والصواب: شماء: التعريف، ص ٢٣٦؛ صبح، ج ٤، ص ١٤٤؛ ضوء، ص ٣٠٣.

(٢) حصن عكار: صبح، نفسه.

(٣) والصواب: ذيل: صبح، نفسه؛ ضوء، ص ٣٠٤.

(٤) يقول القلقشندي [وقد عدها فى التعريف فى جملة ولايات طرابلس على ما كانت عليه إذ ذاك، ثم استقرت بعد ذلك نيابة، وهى الآن أعظم نيابات طرابلس]، صبح، ج ٤، ص ١٤٥.

(٥) ذكر صاحب الثغر ذلك استنادا على القلقشندي، ولكن العمري ذكرها ضمن قلاع طرابلس، انظر: التعريف، ص ٢٣٦؛ صبح، ج ٤: ص ١٤٦؛ ضوء، ص ٣٠٤.

(٦) انظر ص٨٦٨ هـ ٤.

التاسع: عمل القدموس، ثالث قلاع الدعوة على القرب من الخوابى المقدمة الذكر، قال فى مسالك الأبصار: وبها حمام به حيات على سائر الأنواع تخالط من يدخلها ولا تضر أحدا.

العاشر: عمل الكهف، رابع قلاع الدعوة على ساعة من القدموس على نشز من جبل مرتفع [(١)].

الحادى عشر: عمل المنيقة، خامس قلاع الدعوة على جبل مرتفع بالقرب من الكهف.

الثانى عشر: عمل العليقة، سادس قلاع الدعوة على الجبل المقدم ذكره على نحو ساعة من المنيقة.

الثالث عشر: عمل أنطرطوس[(٢)]، بلدة بالساحل قال فى تقويم البلدان: وهى ثغر لأهل حمص فتحها المسلمون وخربوا أسوارها، وهى الآن آهلة.

الرابع عشر: عمل جبة المنيظرة، وهى بلدة صغيرة [٩٥ ب].

الخامس عشر: عمل الظنين، وهى كورة بسفح جبل على يوم من طرابلس كثيرة القرى وطواحين الزيتون.

السادس عشر: عمل بشرية، ويقال بشراى، على جبل، عن طرابلس نصف يوم كثير القرى.

السابع عشر: عمل جبلة، بلدة صغيرة بساحل البحر الرومى، قال فى العزيزى: ولها أعمال واسعة وبينها وبين اللاذقية اثنا عشر ميلاً، وبها مقام إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه.

الثامن عشر: أنفة، بلدة على البحر الرومى تردها المراكب بقلة.

---

(١) فى الأصل أردف صاحب الثغر العبارة بقوله [قريبة من الكهف على نحو ساعة]، فلعل المؤلف أو الناسخ اختلطت عليه الأسطر فأخذ جزءا من عبارة المنيقة التى تليها وأدخلها مع ما قبلها ولم يفطن إلى ذلك.

(٢) عدها القلقشندي من أعمال طرابلس، الأعمال الصغار وجعلها ستة أعمال، صبح، ج ٤، ص ١٤٧ — ١٤٩. ويقال لها اليوم طرطوس. البلاذرى: فتوح، ص٦٩٠.

القاعدة الخامسة

صفد

قال فى تقويم البلدان " ويقال صفت، والمشهور الدال "، قال العثمانى [1] فى تاريخ صفد: سميت بذلك لأن الفرنج أعطتها للطائفة الديدنية [2]. ثم قال: ويجوز أن تكون سميت بذلك أخذاً من الصفد، وهو القيد لأن ساكنها يمتنع من الحركة السريعة من الطلوع والنزول لارتفاع مكانها كما يمتنع المصفد بالقيد من الحركة السريعة.

وهى مدينة من جند الأردن واقعة هى وجميع أعمالها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة، قال العثمانى: إنه كان مكانها أولاً قرية فلما ملكها الفرنج بنيت مكانها هذا الحصن فى عام خمس وتسعين وأربعمائة. وقلعتها من الحصون المنيعة وربما كانت سجناً [3]. وهى تشرف على بحيرة طبرية وتحف بها جبال وأودية.

قال ابن الواسطى: بنتها الفرنج عام خمس وتسعين وأربعمائة وأكثر ما يدخل أهلها حمام الوادى لقلة الماء بها، وبساتينها فى الوادى إلى جهة بحيرة طبرية، وتشتمل على نواح وأعمال تحصنها.

قال فى التعريف: وحدها من القبلة الغور حيث جسر الصنبرة من وراء طبرية، وحدها من الشمال نهر ليطا، وحدها من الغرب البحر الرومى. وقال فى مسالك الأبصار: إن لها أحد عشر عملاً [4].

الأول: عمل برها، وهو ظاهرها كما تقدم فى غيرها.

---

(١) السمعانى: ضوء، ص ٣٠٥.

(٢) يذكر العمري فى مسالك الأبصار نقلاً عن ابن الواسطى أن الذين بنوها هم طائفة الداوية، مسالك ـ أيمن ـ ص١٣٤، والقلقشندى يذكرهم بـ [الدموية]: صبح، ج ٤، ص ١٤٩. وطائفة الداوية أو الديوية تأسست عام ١١١٩م بهدف حماية طريق الحجحاج بين يافا والقدس، ثم تحولت إلى هيئة دينية حربية وقفت جهودها على حرب المسلمين. انظر: أبو شامة: الروضتين، ج١ق٢، ص٤٢١ هـ٢.

(٣) ويذكر أبو الفداء أنها كانت مركزاً للجيش منذ استعادها الظاهر بيبرس من الفرنج. تقويم، ص٢٤٣.

(٤) العمري ـ أيمن ـ ص ١٣٦، وذكر القلقشندي فى ضوء الصبح أن العمري ذكر أن لها ستة أعمال فى التعريف، واثنا عشر عملاً فى مسالك الأبصار، ولكنه فى صبح الأعشى يذكر أنها أحد عشر عملا. انظر، الصبح، ج ٤، ص ١٥٠، ضوء، ص ٣٠٥.

الثانى: عمل الناصرة، بلدة صغيرة من جند الأردن، قال فى الروض المعطار: إنها على ثلاثة عشر ميلاً من طبرية. قال: ويقال إن المسيح ولد بها، وأهل القدس ينكرون ذلك. والمعروف أن أمه حين عادت به من مصر وعمره يومئذ [٩٦ أ] اثنا عشر سنة نزلت به هذه القرية وهى اليوم منبع الطائفة النصيرية.

الثالث: عمل طبرية، مدينة من جند الأردن بناها طبريون أحد ملوك اليونان فعرفت به، والنسبة إليها طبرانى للفرق بينها وبين طبرستان حيث ينسب إليها طبرى. وهى فى الغور فى سفح جبل على ضفة بحيرتها، قال فى مسالك الأبصار: ومن عمالها قدس وكان منها قديماً السواد وبيسان.

الرابع: عمل تينين وهونين، قال فى مسالك الأبصار: وهما حصنان بنيا بعد الخمسمائة بين صور وبانياس بجبل عاملة، وجعل العثمانى فى تاريخ صفد: هونين من عمل الشقيف وأهل هذا العمل شيعة رافضة.

الخامسة: عمل عثليث، وهو كورة بين قاقون وعكا فيها قرى متسعة، قال العثمانى: وفى آخر هذا العمل بلاد قاقون وهو آخر الأعمال الصفدية.

السادس: عمل عكا، وهى مدينة قديمة من سواحل الشام بناها عبد الملك بن مروان، وبها مسجد ينسب لصالح عليه السلام، وكانت الفرنج تغلبوا عليها ثم استعادها منهم السلطان صلاح الدين ثم بعد وفاته أخذها الفرنج ثم استعادها منهم قلاوون فى سنة تسعين وستمائة [1]. وكانت هى مدينة الساحل قبل صفد فلما خربت أقيمت صفد مقامها.

السابع: عمل صور، مدينة قديمة بساحل دمشق وكانت من أحسن الحصون، فلما استعادها المسلمون فى عام تسعين وستمائة مع عكا خربوها كى لا تصير حصناً للعدو وتمت خربة إلى الآن. ويقال إنها أقدم بلد فى الساحل وأن عامة حكماء اليونان منها، وبينها وبين عكا اثنا عشر ميلاً. قال فى التعريف: وبصور كنيسة يقصدها ملوك من البحر عند تمليكهم ليتملكوا بها وإن لا فما يصح لهم تمليك. قال: وشرطهم أن يدخلوها عنوة فلهذا لا تزال عليها الرقبة

(١) فى عهد الأشرف خليل بن قلاوون، صبح، ج٤، ص١٥٢. وقد شارك أبو الفداء فى فتحها مع الأشرف خليل. تقويم، ص٢٤٣.

وهم على هذا يأتونها مباغتة فيقضون أربهم منها بما أرادوا ثم ينصرفون، وأهل هذا العمل كلهم رافضة.

الثامن: عمل الشاغور، وهى كورة بين عكا وصفد والناصرة، وبه قرى متسعة، وجعله العثمانى شاغورين أحدهما شاغور النعبة [(١)] وهو جبل به قرى عامرة، والثانى شاغور قرابة [(٢)] وفيه عشر قرى [٩٦ ب] وبه كان مقام أولاد يعقوب عليه السلام.

التاسع: عمل الإقليم، وهو كورة بين دمشق والشغرى [(٣)] والخُرْبة [(٤)] به قرى متسعة، قال العثمانى: وغالب أهل هذه البلاد حاكمية دهرية دروز ينكرون الشرائع ويعتقدون التناسخ ولا يرون صلاة ولا صوماً ولا حجاً ولا بعثاً ولا نشوراً، ويستبيحون الميتة ولحم الخنزير ونكاح المحارم ولا يتنزهون عن النجاسة [(٥)].

العاشر: عمل الشقيف، ويعرف بشقيف أرنون، وهو اسم رجل أضيف الشقيف إليه، ويعرف أيضاً بالشقيف الكبير، وهو حصن بين دمشق والساحل وبعضه مغارة منحوتة وبعضه له دموز [(٦)] وهو غاية الحصانة وهو أكبر أعمال صفد وأهله رافضة.

الحادى عشر: عمل جنين، بلدة قديمة متسعة مركبة على كنف واد كثيف[(٧)]، به نهر ماء يجرى فى الشمال عن باعون [(٨)] على نحو مرحلة فى رأس مرج بنى عامر وبه مقام دحية الكلبى الصحابى رضى الله عنه.

---

(١) فى صبح الأعشى بدون تنقيط، ولكنها هكذا فى ضوء الصبح. انظر: صبح، ج٤، ص١٥٣ هـ٢؛ ضوء، ص ٣٠٦.

(٢) غرابة: صبح، ج ٤، ص ١٥٤؛ ضوء، ص ٣٠٦.

(٣) الشغر: صبح، ج ٤، ص ١٥٤.

(٤) ياقوت: معجم، ج٢، ص٣٥٥.

(٥) لم يذكر القلقشندي هذا الرأى فى صبح، ج ٤، ص ١٥٤.

(٦) الصواب: سور: صبح، ج٤، ص١٥٤؛ ضوء، ص ٣٠٧.

(٧) لطيف: ضوء، ص ٣٠٧.

(٨) قاقون: صبح، ج ٤، ص ١٥٤؛ ضوء، ص ٣٠٧.

الثانى عشر: عمل اللجون، قرية فى جهة الغرب عن بيسان على بشر جبل وبهـــا عـــين جالوت [1] بارزة من الجبل وبه مقام الخليل عليه السلام.

الثالث عشر: عمل قدس، المتقدم ذكرها، قال فى مسالك الأبصار: وكان معها الســـواد وبيسان وخرجا عنها وهى خراب على الساحل وبه قلعة كوكب الـــتى قـــال فيهـــا العمـــاد الأصفهانى راسية راسخة شماء شامخة، وقلعة الطور وهى قلعة على جبل الطور التى هناك بناهـــا العادل بن أيوب ثم تغلب عليها الفرنج فهدمتها.

(١) وسميت بعين جالوت للاعتقاد بأن نبى الله داود قتل بها جالوت زعيم الجبارين. ياقوت: معجم، ج٣، ص٧٦٠.

القاعدة السادسة

الكرك

وتعرف بكرك الشوبك لمقاربتها منه، قال فى تقويم البلدان من البلقاء ظنـاً [١]، وهـى وأعمالها من الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال فى مسالك الأبصار: وهى مدينة محدثة البناء كانت دير يديره رهبان ثم كثروا فكثر بناؤهم به [٢] وأوى إليهم نصارى جاورهم فقامت بـه الأسواق ودارت لهم فيه المعايش وأوت إليهم الفرنج فأداروا أسواره وصارت مدينة عظيمة ثم بنوا به قلعة حصينة عظيمة وبقى الفرنج مستولين [٩٧ أ] عليها حتى فتحها العادل أبى بكر [٣] كما تقدم، قال فى التعريف: وكانت الفرنج عملت [٤] فيه مراكب ونقلها إلى بحر القلـزم لقصد الحجاز الشريف لأمور سولتها لهم أنفسهم من قصد الحجاز فـأوقع الله بهـم العـزائم الصلاحية بن أيوب فقبض عليهم وحملوا إلى منى فنحروا بها على جمرات العقبة حيـث تنحـر الإبل [٥]. واستمرت بأيدى المسلمين من يومئذ واتخذها الملوك حرزاً وكنزاً ولم تزل الملـوك فى الزمن المتقدم يستخلفون بها أولادهم وهى بلد خصيب وتحتها[بواديه حمام] [٦] بساتين وفواكه كثيرة، ولها نواح وأعمال، قال فى التعريف: أن حدها من القبلة عقبة الصـوان وحـدها مـن الشرق بلاد البلقاء، وحدها من الشمال بحيرة سدوم، وحدها من الغرب تيه بنى إسرائيل.

وتشتمل على أربعة أعمال:

الأول: عمل برها كما فى غيرها من القواعد.

الثانى: عمل الشوبك، قال فى تقويم البلدان: وهى من جبل السراة، وهى بلدة صـغيرة داخلة فى البر أكثر من الكرك ذات عيون وجداول وفواكه مختلفة. قال فى العزيزى " وبها قلعة

---

(١) وهما: صبح، ج ٤، ص ١٥٥؛ ضوء، ص ٣٠٧.

(٢) ثم كثروا فكبروا بناءه وكثروا أبناءه: المسالك، ص ١٣٩؛ وقد ذكر هذا أيضاً القلقشندي بدون إسناده إلى مصدره، صبح، ج ٤، ص ١٥٥.

(٣) العمري ـ أيمن ـ ص ١٣٩، وفى الصبح [حتى فتحه صلاح الدين على يد أخيه العادل] ج ٤، ص ١٥٦.

(٤) عملوا : التعريف، ص ٢٣٧.

(٥) البدن: صبح، ج ٤، ص ١٥٦. أبو شامة: الروضتين، ج٣، ص١٣٨.

(٦) فى الأصل:واديه، والعبارة من، صبح، ج ٤، ص ١٥٦.

مبنية بالحجر الأبيض على تل أبيض مرتفع مطل على الغور من شرقيه [١] وينبع من تحتها عينان تجريان إلى الآبار، ومنهما يشرب أهلها وبساتينها.

الثالث: عمل زغر، مدينة قديمة متصلة بالبادية بنتها زغر بنت لوط عليه السلام فسميت بها.

الرابع: عمل معان، قال فى تقويم البلدان: على مرحلة من الشوبك.

(١) القلقشندي يرجعه إلى ياقوت وأغفله صاحب الثغر، صبح، ج ٤، ص ١٥٧.

الباب الثالث

مما أضيف إلى مملكة الديار المصرية من جزيرة العرب من الأقطار الحجازية وما صاقبها وهى على أربع جهات [١]:

الجهة الأولى

مكة

كما نطق به القرآن الكريم فى قوله عز وجل ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيدِيَهُم عَنكُم وَأَيدِيَكُم عَنهُم بِبَطنِ مَكَّةَ ﴾ [٢] سميت بذلك لقلة مائها أخذاً من قولهم " أمتك الفصيل ضرع أمه إذا امتصه " ويقال فيها أيضا " بكة " بالباء كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ [٣] أخذاً من البك وهو الدق لأنها تبك أعناق الجبابرة إذا بغوا فيها [٩٧ ب]. وقيل بالميم الحرم كله، وبالباء المسجد، وقيل بالباء موضع الطواف، ولها ستة عشر اسما [٤].

وهى من جملة الحجاز، وقيل من تهامة ورجحه فى تقويم البلدان وموقعها وأعمالها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة، وهى مدينة فى بطن واد والجبال محتفة بها وجبل أبو قبيس يشرف عليها من شرقها، وأجياد [٥] يشرف عليها من غربيها، والكعبة الحرام بوسطها، قال فى الروض المعطار: وسعتها من الشمال إلى الجنوب نحو ميلين، ومن أجياد إلى ظهر جبل قُعَيْقعَانَ [٦] مثل ذلك. والحرم مطيف بها من جميع جوانبها ومقاديره تتفاوت فى القرب والبعد عن مكة

(١) عدد القلقشندي جهاتها بثلاث، وأطلق عليها قواعد. صبح، ج ٤، ص ٢٤٨، ضوء، ص ٣٠٨.

(٢) الفتح، الآية ٢٤.

(٣) أل عمران، الآية ٩٦.

(٤) لم يذكر صاحب الثغر هذه الأسماء الستة عشر، وقد عدها القلقشندي وهى [مكة، بكة، أم القرى، البلد الأمين، أم رحم، صلاح، الباسة، الناسة، النساسة، الحطامة، الرأس، كوثى، القدس، القادس، المقدسة]. صبح، ج ٤، ص ٢٤٩.

(٥) يقصد به أحد الجبال بمكة، وسمى بذلك لموضع خيل الملك اليمنى تبع منه، أو لأنها جادت بالخيل، أو لكونه المكان الذى أطاع الله فيه الجياد لسيدنا إسماعيل. انظر: ياقوت: معجم، ج١، ص١٠٤ ــ ١٠٥؛ الفاكهي: أخبار مكة، ج٥، ص١٤٤ ــ ١٤٥؛ القلقشندي: صبح، ج٤، ص٢٥٠.

(٦) وسمى قعيقعان لأن قبيلة جرهم كانت تضع أسلحتها به فكانت تقعقع، أو لأن قبيلتى قاطوراء وجرهم تقاتلتا فيه. ياقوت: معجم، ج٤، ص٣٧٩.

وعلى حدوده أعلام منصوبة. قال الزبير بن بكار: إن أول من وضع علامات الحرم ونصب العمد عليه عدنان بن أد خوفا من الاندراس والتغير.

ومن حدوده المشهورة التنعيم [١]، والحديبية، والجعرانة [٢]. قال ابن حوقل: وليس بمكة والحرم شجر يثمر إلا شجر البادية. وإن البيت بنى سبع مرات أولها بناء الملائكة، والثانى بناء إبراهيم عليه السلام، وآخره بناء الحجاج بن يوسف الثقفى بأمر عبد الملك بن مروان. وقال الصلاح الصفدى فى تذكرته: بنيت الكعبة خمس مرات، الأولى لما بناها شيث عليه السلام، والثانية لما بناها إبراهيم عليه الصلاة والسلام على القواعد الأولى، الثالثة لما بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام، الرابعة حين أحرقت فى عهد الزبير من شرارة طارت من أبى قبيس فوقعت فى أستارها فاحترقت فشاور ابن الزبير من حضره فى هدمها وإعادتها فقالوا نرى أن تصلح ما وهى منها ولا تهدم. فقال لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له إلا بأكمل صلاح ولا يكمل إصلاحها إلا هدمها فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيم عليه السلام فأمرهم أن يزيدوا فى الحفر فحركوا حجراً فرأوا تحته ناراً وهولا أفزعهم فأمرهم أن يقووا القواعد وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر، وقيل إنه سترها حين وصل إلى القواعد وطاف الناس بتلك الأستار فلم تخلُ قط من طائف.

ولما استتم بناؤها ألصق بابها بالأرض وعمل لها بابا آخر من ورائها وأدخل الحجر فيها وذلك لحديث حدثته به خالته [٩٨ أ] عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " ألم تر قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم حين عجزت بهم النفقة " ثم قال عليه السلام: لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها [خلفاً] [٣] وألصقت بابها بالأرض وأدخلت فيها الحجر "، قال ابن الزبير: فليس بنا اليوم عجز عن النفقة.

---

(١) ذكره القلقشندي فى صبح الأعشى، ج ٤ ص ٢٥٦، ولكنه لم يذكره فى ضوء الصبح، ص ٣٠٩. وقد ذكر أن سبب التسمية راجع إلى أن على يمين هذ الموضع جبلين أحدهما عن يمينه يسمى نعيم، والآخر عن يساره يسمى ناعم والوادى بينهما يسمى نعمان. وعن ذلك انظر: ياقوت: السابق، ج٢، ص٤٩؛ الفاكهي: أخبار مكة، ج٥، ص٥٨.

(٢) هو موضع بين مكة والطائف، ولكنه إلى مكة أقرب. القلقشندي: صبح، نفسه.

(٣) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، مسالك ــ أحمد زكى ــ ص٩٥.

فلما قام عبد الملك قال: لسنا من يخلط أى حديث بشيء. فهدمها وبناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما فرغ من بنائها جاءه الحارث القباع (١) وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر ومعه رجل آخر فحدثاه عن عائشة رضى الله عنـــها بالحـــديث المتقدم فندم وجعل ينكت فى الأرض بمخصره فى يده ويقول وددت أنى [كنت حملت ابن الزبير من بناء الكعبة ما تحمل] (٢). فهذه المرة الخامسة.

ولما قام أبو جعفر المنصور (٣) أراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير، فقال له مالك بـــن أنس: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة الملوك بعدك لا يشأ أحد منهم أن يغيره إلا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس. فصرفه عن رأيه فيه.

وقيل إن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه لما بناه بناه من خمسة أجبل كانت الملائكـــة تأتيه بالحجارة منها وهى طور سيناء، وطور زنبا الدين بالشام، والجودى وهو بالجزيرة، ولبنان، وحران. وقد شاكل هذا المعنى، إذ كانت الكعبة قبله للمسلمين، أن تكون الصلوات خمســـا، وبنى الإسلام على خمس.

وارتفاع البيت خمسة وعشرون ذراعاً، وبين الحجر الأسود والـــركن الشـــامى أربعـــة وعشرون ذراعاً، وبين الركن الشامى والركن الغربى وهو جانب الحجر أحد وعشرون ذراعاً، وبين الركن اليمانى وبين الحجر الأسود عشرون ذراعاً أنقص من مقابله بذراع.

ثم مكة قرى ومخاليف، وأكثر جبالها وأوديتها معمورة مســـكونة ذات عيـــون جاريـــة وحدائق محدقة، والمشهور منها عشرة أماكن:

الأول: جدة، فرضة مكة على بحر القلزم بالغرب من مكة بميله إلى الشمال على مرحلتين منها، وبينهما [٩٨ ب] أربعون ميلاً وهى الآن .... (٤) لم تكن فى الفرض أعمر منها ولا أكثر منها تجاراً ولا بحاراً، اعمرها مولانا السلطان الملك الأشرف برسباى نصره الله تعالى فى

(١) هو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشى المخزومى القباع كان عاملاً لابن الزبير على الكوفة. الطبرى: تاريخ الرسل، ج٦، ص١٣٥.

(٢) ما بين الحاصرتين من صبح، ج ٤، ص ٢٥١. وددت أنى تركت أبا خبيب وما تحمل من ذلك. مسالك، ص٩٧.

(٣) يذكر العمري أن ذلك كان هارون الرشيد. السابق، ص٩٩.

(٤) غير واضحة فى الأصل.

عام ثمان وعشرين وثمانمائة [١]، ونشر فيها لواء العدل وبسط يد الإحسان فتسامعت تجار الأقاليم بذلك، وصارت التجار يأتونها بالمراكب فى وقت معلوم من السنة عند ظهور الريح ......[٢] فيبيعون ويبتاعون ويقايضون من كل صنف، وهم فى كل سنة يزيدون.

الثانى: بطن نخل، ويقال فيه وادى نخلة، والجارى على ألسنة الناس نخلة، قال الجوهرى: وبه كانت العزى [٣] التى [هى] [٤] أحد طواغيت قريش.

الثالث: بطن مرو[٥]، وهو واد فى الشمال عن مكة على نحو مرحلة، فيه عيون تجرى ونخيل وأشجار، والمر ذرع متصل من وادى نخل إليها.

الرابع: الهدة، وهو واد على القرب من بطن مر، وعلي مرحلة ونصف منها.

الخامس: عسفان، على ثلاثة مراحل من مكة، به عيون وحدائق، والماء منصب إليها من الهدة.

السادس: البرزة، على مرحلتين من مكة.

السابع: خليص، واد على طريق حجاج مصر، على أربع مراحل من مكة.

الثامن: واد كلية، بالقرب من خليص، وقد خرب بعد الثمانين وسبعمائة.

التاسع: الطائف، قيل سميت بذلك لأنها فى طوفان نوح عليه السلام انقطعت من الشام وحملها الماء وطاف بالأرض وأرسيت بهذا المكان [٦] واسمها القديم " وج " اسم رجل من العمالقة، ثم سكنها ثقيف فبنوا عليها حائطاً مطيفاً بها فسميت الطائف، وهى بلدة كثيرة الفواكه طيبة الهواء إلا أنها شديدة البرد.

---

(١) عن ذلك انظر فيما بعد ص٤٧٥، هـ١.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) القرى: ضوء، ص ٣٠٩.

(٤) ما بين الحاصرتين من صبح، ج٤، ص٢٥٩.

(٥) الصواب: مَرّ: صبح، نفسه، ضوء، نفسه.

(٦) أرست فى هذا الموضع : صبح، ج٤، ص٢٥٨.

العاشر: مر الظهران، وبينه وبين مكة ستة عشر ميلاً، وهو الذى نزله النبى صلى الله عليه وسلم حين فتحه [١] مع قريش، وكان به ضياع كثيرة وهو الآن خراب، قال فى الروض المعطار: وبه حصن كبير كان يسكنه شكر بن الحسن. يعنى أمير مكة.

الجهة الثانية

المدينة الشريفة

على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، والمدينة اسم غلب عليها وبه نطق القرآن الكريم فى قوله [٩٩ أ] عز وجل ﴿ وَمِمَّن حَولَكُم مِّنَ ٱلأَعرَابِ مُنَـٰفِقُونَ وَمِن أَهلِ ٱلمَدِينَـةِ ﴾ [٢] وقوله ﴿ لَئِن رَّجَعنَا إِلَى ٱلمَدِينَةِ لَيُخرِجَنَّ ٱلأَعَزُّ مِنهَا ٱلأَذَلَّ ﴾ [٣]. واسمها القديم يثرب كما قال عز وجل ﴿ يَـٰأَهلَ يَثرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُم ﴾ [٤]، قال ابن كثير فى تفسيره: إن حديث النهى عن تسميتها بذلك ضعيف. قال الزجاجي: وسميت بذلك لأن أول من سكنها يثرب بن قانية بن أرم بن عثيل بن عوف بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام [٥].

وسماها الله الدار بقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلإِيمَـٰنَ مِن قَبلِهِم ﴾ [٦]، وسماها النبى صلى الله عليه وسلم " طابة " و" طيبة " ولها أسماء غير ذلك، قال فى تقويم البلدان: وهى من الحجاز وقيل من نجد وموقعها قريب من وسط الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة. قال صاحب الهناء الدائم: إن أول من بناها تبع الأول حمير حين اعلمه من معه من الكهنة أنه يظهر نبى فى آخر الزمان اسمه محمد فبناها وأسكن بها جماعة من العلماء، وكتب كتاباً إلى النبى صلى الله عليه وسلم يذكر فيه إيمانه به قبل ظهوره وأودعه عند كبير تلك العلماء فتناقله عقبه واحداً بعد واحد حتى هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فلاقى [بعض أولاد ذلك العالم] [٧]

---

(١) الصواب: صلحه، صبح، ج ٤، ص ٢٦٠، ضوء، ص ٣١٠.

(٢) التوبة، الآية ١٠١.

(٣) المنافقون، الآية ٨.

(٤) الأحزاب، الآية ١٣.

(٥) قال الزجاجي: وهو يثرب بن قانية بن مهلائيل بن أرم بن عبيل بن عوض بن أرم بن سام بن نوح، صبح، نفسه.

(٦) الحشر، الآية ٩.

(٧) ما بين الحاصرتين من صبح، ج ٤، ص ٢٨٧.

النبى صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة ودفع الكتاب [١] إليه صلى الله عليه وسلم ". وقيل فى بنائها غير ذلك.

وهى مدينة مبسوطة [٢] فى مستو من الأرض، وكان عليها سور فى القديم، وبخارجها خندق حفره النبى صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب.وفى عام ست وثلاثين ومائتين بنى عليها إسحاق بن محمد الجعدى سوراً منيعاً باقيا عليها إلى الآن [٣]، وفيها أربعة أبواب [٤]، باب فى الشرق، وباب فى الغرب، وباب بين الشمال والغرب، وباب يخرج منه إلى أحد.

وبظاهرها عيون جارية وحدائق رائقة [٥]، وبوسطها مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وبه الحجرة الشريفة وبوسطها قبر النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، دائر عليهم مقصورة مرتفعة إلى نحو السقف عليها سترين من حرير، وخارج المقصورة بين القبر والروضة التى أخبر النبى صلى الله وسلم عليه أن ما بينها [٩٩ ب] ومنبره روضة من رياض الجنة.

ثم بالمدينة حمى ومخاليف، أما حماها فهو الذى حماه النبى صلى الله عليه وسلم وحرمه، قال فى الروض المعطار: وهى اثنا عشر ميلاً. وخارج بابها الشرقى البقيع وفيه قبر السيد إبراهيم ولد النبى صلى الله عليه وسلم، وقبر الحسن بن على، والعباس بن عبد المطلب، وعثمان بن عفان، والإمام مالك بن أنس رضى الله عنهم.

وأما مخاليفها، فالمشهور منها سبعة [٦]:

الأول: قباء، قال فى الروض المعطار: وسميت بذلك لبئر كانت هناك اسمها قباء. وهى قرية غربى المدينة على ميلين منها وبها مسجد التقوى الذى أنزل الله فيه " لمسجد أسس على التقوى "

(١) انظر نص الكتاب فى صبح، ج ٤، ص ٢٨٦ ــ ٢٨٧.

(٢) متوسطة، صبح، ج ٤، ص ٢٨٧، ضوء، ص ٣١١.

(٣) وقد جدد ذلك الباب عضد الدولة بن بويه سنة ٣٧٢ هـ. القلقشندي: صبح، ج٤، ص٢٨٧.

(٤) لم يذكر القلقشندي فى صبحه غير بابين، ج ٤، ص ٢٨٧، ولكنه فى ضوئه ذكر ما ذكره صاحب الثغر، ص٣١١.

(٥) زاهية، ضوء، نفسه.

(٦) ثمانية مخاليف: صبح، ج ٤، ص ٢٩٠؛ ضوء، ص ٣١١ ــ ٣١٢.

الثانى: خيبر، بلدة قريبة من المدينة فى جهة الشمال والشرق على نحو ست مراحل وقيل أربعة ذات نخيل وحدائق ومياه تجرى.

الثالث: فدك، بلدة على يومين من المدينة، قال الزجاجى: سميت بفدك بن حام وهو أول من نزلها.

الرابع: الصفراء، واد على ست مراحل من المدينة كثيرة المياه والحدائق والمزارع.

الخامس: ودان، واد به قرى كثيرة وخرب غالبها.

السادس: الفرع، وهو واد فى جنوبى المدينة على أربعة أيام (١) منها وهو يشتمل على عدة قرى آهلة وماؤها يصب فى رابغ (٢).

السابع (٣): وادى القرى، قال فى الروض المعطار: وهى مدينة كثيرة النخل والبساتين والعيون.

الجهة الثالثة

ينبع

قال فى تقويم البلدان: قد غلب إدخال الألف واللام عليها فيقال الينبع. قال فى الروض المعطار: وهى تسعة برد من المدينة، ولها فرضة على بحر القلزم على نحو مرحلة منها. وبها العيون والحدائق وأنواع الخضراوات وبنايتها مستحدثة، وفرضتها من أحسن الفرض وأعمرها.

مهمة: ما دخل فى حدود ديار مصر فيقال بالديار المصرية، وحدود الشام فيقال بالبلاد الشامية، وعمل الفرات فيقال بالأعمال الفراتية، وأقطار الحجاز فيقال بالأقطار الحجازية، والفرضة بمقام المنية من مرسى المراكب بها وهى مجمع التجار وأخذ الموجبات، والثغور هى سواحل التجار [١٠٠ أ] وأطراف بلاد الإسلام.

---

(١) أميال، ضوء، ص ٣١٢.

(٢) هو أحد المواقع التى يقطعها الحجاج بين مكة والمدينة. ياقوت: معجم، ج٣، ص١١.

(٣) ذكر القلقشندي أن المخلاف السابع [الجار: قال فى اللباب بفتح الجيم وألف وراء مهملة، وهى فرضة المدينة الشريفة على ثلاث مراحل منها، قال ابن حوقل: وبينها وبين ساحل الجحفة نحو ثلاث مراحل منه عن أيلة على نحو عشرين مرحلة.]، صبح، ج ٤، ص ٢٩١.

الجهة الرابعة

مراحل الحجاز

الموصلة من القاهرة إلى مكة والمدينة

اعلم أنهم لما جعلوا مسافة البريد مقسومة بمنازل مقررة محورة جعلوا مراحل الحج بأماكن معلومة محررة لا يمكن التقاصر عنها ولا تعديها على مناهل معروفة بأوقات مخصوصة فى الذهاب والإياب وهى:

أولها الريدانية ثم إلى بركة الحجاج ثم إلى البويب [١] وإلى الطليحات وإلى المنفرج ثم إلى مراكع موسى [٢] ويسموا بالمساجد ويسموا بالمصانع [٣]، ثم إلى عجرود [٤] وبها بئر ومصنع ماء عمارة الأمير شيخون، ثم إلى المنصرف وإلى وادى القباب وهو كثير الرمل عسير السلوك من رأس الثغرة ثم إلى تيه بنى إسرائيل وهو واد فسيح معطش، ثم إلى روض الكبش ويسمى مفرش النعائم وإلى نخل [٥] وبها ماء طيب، ثم إلى أبيار العلاى ويسقيها بئر بيدرا ثم إلى ثمد الحصا [٦] ويسمى العرقوب، ويقال عرقوب البغلة، ثم إلى سطح العقبة مرحلة متعبة للصعود والهبوط وهى على جانب بحر القلزم، فيها ماء طيب من الحفائر وبئر تعرف ببئر العقبة وهى ربع الطريق، ثم إلى جبل على جانب البحر أيضاً فيه ماء طيب من الحفائر ويسمى بدوار حفن وإلى عش الغراب، ثم إلى رأس الشرفة وإلى المطلة وتعرف بوادى الشربة ويسمى وادى عفان، وإلى مغارة شعيب وبها ماء ومصنع، ثم إلى ذات الرخيم وتعرف بقبر الطواشى وإلى العيون وبها مياه

---

(١) البويب من البلاد المندرسة، كانت مدخل أهل الحجاز لمصر، وتقع بسيناء. محمد رمزى: القاموس، ق١، ص٣٤

(٢) مراكع موسى: من البلاد المندرسة، كانت تقع فى موضع قريب من السويس. محمد رمزى: القاموس، ق١، ص٤٠٩.

(٣) المصانع هى ما يصنعة الناس من الأبار والأبنية، ومصنع الماء هو الحوض الذى يتجمع فيه الماء وهو يشبه الصهريج. ابن منظور: لسان العرب، ج٤،ص٢١١.

(٤) عجرود: من البلاد المندرسة، من محطات الحج المصرى على بعد ٢٠ ك من الشمال الغربى للسويس. ياقوت: معجم، ج١، ص٢٩٢؛ محمد رمزى: السابق، ق١، ص٣٢١.

(٥) نخل: إحدى مدن سيناء. محمد رمزى: السابق، ق٢، ج٤، ص٢٦٥.

(٦) ثمد الحصا: إحدى مدن سيناء. محمد رمزى: السابق، نفسه.

نابعة وأقصاب نابتة، ثم إلى الشرمة ثم إلى المويلحة وبها أبار ثم إلى المدرج المجاور لبحر القلـــزم، وبه حفائر ثم إلى مقام سيدى مرزوق وإلى حدرة دامة ويسمى الأثيلات ثم إلى الأزلم به آبار بها ماء ردىء مهمل وهى نصف الطريق، ثم إلى سماوة ثم إلى رأس وادى عنتر ويسمونها الإســـطبل ثم إلى وادى الأراك ثم إلى الوجه وبه آبار قليلة الماء يقال إنه إذا طلعت الشمس عليـــه هـــرب وقيل فيه:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير فى وجه بغير حياء

ثم إلى المحاطب ويسمى بالنهدين وإلى أكرى وإلى رأس القاع الصغير ويســـمى الحبـــك [١٠٠ ب] ثم إلى قبر القروى من غير ماء، ثم إلى كلخا ثم إلى القاع الصغير وإلى الحوراء وبها ماء عذب وبها جزيرة تلى على جانب البحر، ثم إلى العقيق [١] وهو مضيق، ثم إلى مغارة نبط وبه آبار حلوة ثم إلى وادى النور ويسمونه الطراطير وإلى قبر أحمد الأعرج الدليل وإلى آخــر وادى النور، ثم إلى رأس السبع وعرات، ثم إلى دار ابن البقر، ثم إلى الينبع وهى نصف وربع الطريق، ثم إلى الذهبة وإلى واسط وإلى المحاطب فى الوعر، ثم إلى رأس وادى بدر ثم إلى رأس قاع البزوة ويسمى عالج، ثم إلى رملة البستان، ثم إلى الحربيات ثم إلى رابغ وهى تقابل الجحفة وبهـــا يحـــرم الحاج، ثم إلى قديد [٢] ثم إلى عقبة السويق، ثم إلى خليص [٣] وبها ماء نازل من جبل يتحصـــل بحرة هناك بوسطها قبة إنشاء الملك المؤيد شيخ وهو أطيب مورد الحاج، ثم إلى مدرج على وإلى عسفان [٤] وهو كثير الوعر وبها البئر التى تفل فيها النبى صلى الله عليه وسلم ثم إلى المنحا وإلى الأجرعى ثم إلى بطن مر وبه عيون وحدائق، ثم إلى المساجد ثم إلى مكة المشرفة ثم إلى منى ثم إلى عرفة وإليها يصعدون، وبعرفة حفرت آبار من مال مولانا السلطان المالك الأشرف برسباى أعز الله أنصاره بمباشرة الأمير أرنبغا [٥] ثم العود على المزدلفة وبها المشعر الحـــرام ثم إلى مـــنى ثم إلى سبيل [الخوجى] ونعود على المنازل المتقدم ذكرها إلى أن نصل وادى الصفراء وبـــه عيـــون

(١) هو أحد الأودية القريبة من المدينة. ياقوت: السابق، ج٤، ص١٣٨.

(٢) قديد: موضع قرب مكة. ياقوت: معجم، ج٤، ص٣١٣.

(٣) الخليص: حصن بين مكة والمدينة. السابق، ج٢، ص٣٨٧.

(٤) عسفان: أو الأبواء، وسميت عسفان لتعسف السيل بها. السابق، ج٤، ص١٢١.

(٥) هو الأمير سيف الدين أرنبغا اليونسى الناصرى، أحد مماليك الناصر فرج بن برقوق، تأمر فى دولة الأشرف برسباى حج وجاور أكثر من مرة، ت ٨٥٧ هـــ. ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٦، ص١٦٣.

وحدائق، ثم إلى وادى بنى سالم ثم إلى الحديدة وإلى قبور الشـــهداء ثم إلى وادى الغزالـــة ثم إلى القرين ثم إلى أبيار على وبها ماء طيب ثم إلى المدينة الشريفة ومن شاء ذهب إليها من الينبع إلى رأس نقب على عند طرف الجبل ثم إلى وادى الصفراء.

أما المناهل فهى عشرة:

وإقامة الحاج بها متفاوتة فالأول العقبة والإقامة بها ثلاثة أيام، والعيون يوم واحد، والأزلم نصف يوم، والحوراء نصف يوم، والينبع ثلاثة أيام، ورابغ بقدر أهبة الإحرام بعد بطن مر نصف يوم، مكة من أسبوع إلى عشرة، منى نصف يوم، عرفة يوم، وفى العود منى أيام التشريق، وبدر يوم، والمدينة ثلاثة أيام، والبقيع ثلاثة أيام.

القسم الرابع

فيما يتصرف فيه كاتم السر بنظره وتدبره وما يصرف من قلمه وبيان ترتيب ديوان الإنشاء قديماً وما هو عليه الآن



[١٠١ أ] وهو يشتمل على ثلاثة أبواب:

الباب الأول

فيما يتصرف فيه بنظره وحسن تدبيره

وهو يشتمل على عشرة أنظار:

النظر الأول

النظر فى الرسل المتوجهين من سلطانه إلى ملوك الأرض شرقاً وغرباً

فيجب أن يوقظ سلطانه على أن يكون الرسول المجهز من باب سلطانه تام العقل، فصيح اللسان، حسن الشكل، قوى الحجة، عارفاً، ذكيا، ديناً _ ليؤمن من تعاطى ما يوجب إفشاء سر كتمه أو أمر يحمله _، وأن يكون خبيرا بمواقع الأمور وكثرة التجارب. فقد تقدم أن النبى صلى الله عليه وسلم اختار الرسل من خواص أصحابه لتأدية كتبه إلى الملوك، فبعث عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى، ودحية الكلبى _ وكان أجمل أهل زمانه إلى هرقل، وحاطب بن أبى لهيعة [1] إلى المقوقس، وعمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى، وغيرهم على ما ذكر فى السيرة النبوية، ووقع لهم ما هو المشهور من التدبير وعلو الهمة والأجوبة المفحمة.

حكى ابن عبد الحكم: أن النبى صلى الله عليه وسلم لما جهز ابن أبى لهيعة [1] إلى المقوقس فدخل عليه وأوصله كتاب النبى صلى الله عليه وسلم فقرأه وقال لحاطب: ما يمنع نبيكم أن يدعو على فيسلط على؟ فقال له حاطب: فما منع عيسى أن يدعو على من أبى عليه! فوجم لها ساعة ثم استعادها فأعادها عليه فسكت.

ولما سأله عن حرب النبى صلى الله عليه وسلم مع قومه فذكر أن الحرب تكون بينهم سجالا، تارة له وتارة عليه. فقال له المقوقس يقصد الاستفهام: النبى يُغلب؟ فقال له حاطب: والإله يصلب! مشيراً إلى اعتقادهم من أن عيسى إله، وهم من زعم إنه صلب وقتل فأفحمه الجواب. وأن الملوك تصغى إلى رسلهم فيما يبدونه لهم من خير [١٠١ ب] أو شر.

---

(١) الصواب: بلتعة.

النظر الثانى

النظر فى أمر البريد

قال المطرزى: البريد فى الأصل الدابة، ثم سمى به الرسول المحمول عليها، ثم سميت به المسافة المشهورة. وقيل البريد لغة هو مسافة معلومة مقدرة باثنى عشر ميلا، وقدره الفقهاء بأربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل ثلاثة آلاف ذراع بالهاشمى، والذراع أربعة وعشرون إصبعا، كل إصبع ست شعيرات معترضات ظهر إحداهما لبطن الآخرى، والشعيرة سبع شعرات بشعر البرذون أو البغل.

وقال الجوهرى: " حمل فلان على البريد "، أى البريد المرتب، ويطلق على الرسول، وهو مشتق من " بردت الحديد " إذا أرسلت ما يخرج منه، أو من أبردته إذا أرسله، وقيل من برد إذا ثبت لأنه يأتى بما استقر عليه الحال. وذهب بعضهم إلى إنه فارسى معرب، وهو من مهمات المملكة وجناح الإسلام الذى لا يقص، وطرف قادمته التى لا تخص.

والبريدى فى زماننا عَلم على واحد من المستعربين من الجند قائم فى الخدمة بمصر أو الشام لتلقى ما يؤمر به من التوجه فى مهمات الأمور أو خلاص الحقوق فينبغى لكاتم السر أن يتابع النظر فى أمره إذا كان مرتباً فى طول المسافة وقربها. ولا يصرف فى البريد إلا من تثبت عنده كفاءته، ويكون عارفاً لاحقاً بصفة الرسل المتقدمة فإنه ربما اطلع على شىء من أسرار المملكة وخفايا أمورها، وإنه ربما أسند إليه أمرا ما ظنيا فحسن فيه التصرف، فإذا كان منافياً لهذه الصفات يوشك أن يخطئ أو يزل فيحصل من خطئه وزلله مفاسد.

وكان بمراكز البريد رجال وخيول كاملة العدة لها أمراء أخورية وشادين[1] قائمين فى استخراج المعاليم والخيول والعلوفات والآلات. وكانت للبرد ألواح من نحاس، وربما كانت من فضة بقدر راحة الكف منقوش على أحد وجهيه " لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون "، وعلى الوجه [١٠٢ أ] الثانى ألقاب ذلك الملك، وإن كان بالمملكة الشامية كان على اللوح اسم نائب تلك المملكة المتوجه منها. ويجعل عليه شرابة من الحرير الأصفر يجعلها راكب البريد فى عنقه ويرسل الشرابة بين كتفيه،

---

(١) الشاد: معناها يرادف كلمة التفتيش، وتضاف إلى الوظيفة أو الجهة المراد تفتيشها مثل شاد الجوالى، وشاد الدواوين وغيرها. حسن الباشا: الفنون، ج٢، ص٦١١ ــ ٦١٣؛ البقلى: التعريف، ص١٩٣.

وتلك الألواح عند كاتم السر فإذا استقر أحد على البريد دفع إليه لوح منها وكتب له ورقة بخطه إلى أمير أخور البريد بالإسطبلات الشريفة بما تبرز به المراسيم من الخيل ويكتب اسمه سطرين بذيل المثال الذى على يده ويكتب له ما يحتاج إليه من الخيول والمضافات وإذا عاد يعيد اللوح، وكانت الصدقات الشريفة جارية عليهم بكفايتهم من كل صنف.

قال فى التعريف: إن البريد كان فى زمن الأكاسرة والقياصرة. قال العسكرى: وأول من وضعه فى الإسلام معاوية بن أبى سفيان حين استقرت له الخلافة، وقيل عبد الملك بن مروان. وقال فى التعريف: إن الوليد بن عبد الملك كان يحمل عليه الفسيفساء من القسطنطينية إلى دمشق حين صفح به حيطان الجامع ومساجد مكة والمدينة والقدس، ثم انقطع إلى آخر أيام المهدى حين أغزى ابنه هارون الروم وأحب أن يطلع على أخبار ابنه كل وقت فرتب فيما بينه وبين ابنه البريد فكان يأتى بأخباره كل يوم، ولما عاد هارون قطع أبوه ذلك وبطل إلى أن تولى هارون الرشيد الخلافة رتب البريد على ما كان عليه فى أيام بنى أمية، وكان لا يجهز عليه إلا الخليفة أو صاحب الخبر. ولما دخل المأمون بلاد الروم ونزل بنهر الأردن [1] وكان الزمان صيفاً فقعد على النهر ودلى رجليه فيه وشرب منه فاستعذب ماءه فقال لمن حوله مستفهماً: ما أطيب ما شرب عليه هذا؟ فتكلم كل أحد بما عنده فقال: أطيب ما شرب عليه هذا رطب إزاد [2]. فقالوا يعيش أمير المؤمنين حتى يأتى العراق فما استتم الكلام إلا والبريد أتت به إليه، فسر بذلك، فأكل منه وأمعن، وشرب من ذلك الماء، فتعجب الحاضرون لبلوغ أمنيته فى مجلسه، فلم يقم المأمون إلى أن حم حمى كانت [١٠٢ ب] فيها منيته.

وتم البريد إلى حين علو بنى بويه على الخلافة أبطلوه واستعملوا السعاة، فلما جاءت الدولة الزنكية أقامت النجابة ودام ذلك بينهم إلى أيام الظاهر بيبرس البندقدارى فاجتمع له أمر مصر والشام وحلب والفرات، وجهز عسكرا إلى الشام بسبب التتار وقصد أن تأتى الأخبار إليه فى كل يوم وليلة فقرر البريد لذلك على ما كان عليه. واعتنى الملوك به إلى أن غشى

---

(١) الصواب: البذندون، من المتعارف عليه أن المأمون كان جالساً على نهر البذندون، ولكن فى التعريف ذكرها البرذون وهى تصحيف وعن وفاة المأمون انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٦٤٦ — ٦٤٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٤٢٨؛ العمري: التعريف، ص ٢٤٠؛ لى سترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦٦.

(٢) إزاز: التعريف، ص ٢٤١.

اللنك[١] بلاد الشام فى أيام الناصر فرج فى عام أربع وثمانمائة فبطل البريد من مصر والشام، وله مراكز مؤبدة إلى الآن لم يكن بها خيل ولا رجال، وإنما صارت لمعرفة المسافة ". قال فى التعريف: ومراكز البريد ليست على التحرير بل متفاوتة، تارة لبعد ما بها، وتارة للأنسة. وقد تكلم فى التعريف على مراكزها بجميع الممالك فى ستة أوجه [٢].

النظر الثالث

النظر فى أمر السعاة والنجابة وحاملى الملطفات والجواسيس

ولا يستعملون إلا عند اختيار عدم توجه البريد، وأول من أتخذ السعاة عضد الدولة بن بويه[٣] على ما تقدم لأنه كان يخفى أخباره عن الخلافة، وكان لبنى بويه كل الاعتناء بالسعاة. ثم هم فى زماننا على ذلك، وهم متحضرون فى عدة معلومة بمصر وبكل مملكة من الممالك الشامية، ولكل مملكة نقيب قائم عليهم فيما يطلبون منه ويحمل دركهم، ولهم قوة على السير حتى إن منهم من يصل من دمشق إلى مصر فى أسبوع واحد مع راحة، ولهم معلوم على تسفيرهم إلى كل مملكة يستأديه لهم نقيبهم من ديوان الخاص حتى لا يتأخر أحدهم بعد تناوله الكتب لحظة واحدة.

أما النجابة، فإنه أول من أتخذهم للسير فى مهمات الأمور ملوك الدولة الزنكية حين أهمل أمر البريد ولم يكتفوا بالسعاة على ما تقدم، ثم هم أيضاً فى زماننا على ذلك، وهم جماعة من عربان الشرقية هجانة بالمناخات الشريفة، ولهم مقدم من جنسهم حاملاً لدركهم وهم أجد من

(١)قام تيمورلنك بغزو الشام عام ٨٠٣ هـ عهد الناصر فرج خرب فيه جيش تيمور الشام وهزم الجيش المملوكي وارتكبت خلال ذلك الاجتياح من الفظائع ما حفلت به مصادر التاريخ المعاصر، ثم تم الصلح بين الناصر فرج وتيمورلنك عام ٨٠٥ هـ. انظر: المقريزى: السلوك، ج٣، ق٣، ص١٠٤٦ـ ١٠٥١ ؛ ابن عرب شاه: عجائب المقدور فى أخبار تيمور، ص١٩٤ وما بعدها؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٢، ص٢٢١، وما بعدها.

(٢) عن مراكز البريد التى ذكرها العمري. انظر: التعريف، ص ٢٤٢ ـ ٢٥٣.

(٣) هو عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة أبي على الحسن بن بويه، أشهر ملوك بنى بويه واتسع ملكه حتى شمل الموصل والجزيرة، حكم من عام ٣٦٧ إلى عام٣٧٢ هـ. ابن خلكان: وفيات، ج٤، ص٥٠، ت رقم ٥٣٢.

السعاة لأن الهجن [١٠٣ أ] أسرع فى السير من غيرها وربما جهز اثنين فى الشغل المهم لقوة العزم ولهم تسافير معلومة على ديوان الخاص كالسعاة.

وأما حاملى الملطفات والجواسيس فيكونوا من اختيار رأى الملك أو صاحب دواوين الإنشاء، وله أخبارهم والإطلاع على تدبيرهم لأن العين أو الجاسوس إنما يجهز إلى العدو بخلاف غيرهما وإن كاتم السر لا يصرف منهم إلا من يثق به وعلم منه الصدق واليقظة والذكاء والفراسة التامة والحدس الصائب وكثرة الدهاء والمكر والحيل والخديعة والبهتان وله دربة بالأمور ومعرفة بالأسفار وخبرة بالبلاد وبطرقها، ولا يكون غريباً ويكون عارفاً بلغة أهل البلاد المتجسسها شبيهاً بأشكالهم حتى يندرج فيهم ويبهم أمره عليهم ويعلم منه الصبر إلى ما قد يقدر عليه إن ظُفر به، ويُختبر رأياً بالعين فيما يقصد الدخول فيه من تطور شكل أو فعل جديد أو أمر أو مكر أو دهاء. فإن وجده كاتم السر متطبعاً قابلاً عرض فعله على سلطانه فإن لاق صرفه وإن لا يستعوضه.

قيل دهات العرب فى الإسلام سبعة، معاوية بن أبى سفيان، وزياد بن أبيه [١]، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وقيس بن سعد بن عبادة [٢]، وحاجب بن زرارة [٣]، والأحنف بن قيس [٤].

---

(١) زياد بن أبيه: هو زياد بن أبى سفيان بن حرب، ألحقه معاوية بن أبى سفيان بنسب أبيه، فغلب اسم زياد بن أبيه على اسمه، وقيل زياد بن سمية، ولد عام الفتح، وتوفى عام ٥٣ هـ. ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص٩٩؛ ابن حجر: الإصابة، ج٢، ص٦٣٩، ت رقم ٢٩٨٩.

(٢) هو قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى الخزرجى، أحد الصحابة المجاهدين، فقد كان حامل لواء الأنصار فى جيش النبى، وكان له بمثابة صاحب الشرطة، دخل مصر مع جيش الفتح، وتولى حكمها للإمام على بن أبى طالب، توفى فى أواخر عهد معاوية بن أبى سفيان على أرجح الأقوال. الطبقات: السابق، ج١، ص٣٢٦؛ ابن حجر: السابق، ج٥، ص٤٧٣، ت رقم ٧١٨٢.

(٣) هو حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله التميمى، أسلم وبعثه الرسول على صدقات بنى تميم، وكان زعيم القبيلة وكان يفتخر بأنه رهن قوسه لقاء مال عند كسرى الفرس. ابن حجر: السابق، ج١، ص٥٦١، ت رقم ١٣٦٠.

(٤) هو أبو بكر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين التميمى، كان من التابعين أدرك النبى ولكن لم يصحبه، كان ممن شايعوا علياً رضى الله عنه، توفى عام ٦٧ هـ. ابن خلكان: وفيات، ج٢، ص٤٩٩ — ٥٠٦، ت رقم ٣٠٥.

النظر الرابع

النظر فى الفداوية

وكانوا فى زمن الخلفاء [(١)] يعبر عنهم بالباطنية، وهم جماعة من الإسماعيلية من الشيعة المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق القائلين بإمامته، وهذه الفرقة كانت بالبحرين فى المائة الثانية وما بعدها ومنهم القرامطة الذين خرجوا بالبحرين ثم ظهروا بأصبهان أيام ملكشاه السلجوقى واشتهروا بالباطنية وبالملاحدة ونزلوا مما حول طرابلس وأظهروا دعوتهم وإليهم تنسب قلاع الدعوة المتقدمة الذكر، وافترقوا إلى مستعلوية ونزارية.فالذين منهم ببلاد الشرق أخذوا بمذهب النزارية، والذين منهم ببلاد الشام أخذوا مذهب المستعلوية وصاروا سبعة من بعد [١٠٣ ب] المستعلى من الفاطميين بمصر.

واشتهروا بالفداوية ووثبوا على السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب مرات ليقتلوه بالشام فصالحهم على قلاعهم وإقامتهم بها فى عام اثنين وسبعين وخمسمائة، ثم انتموا إلى ملوك مصر أيام الظاهر بيبرس البندقدارى، ودخلوا تحت أمره ومن إذ ذاك وهم بالخدم الشريفة.

قال فى مسالك الأبصار: إنهم يعتقدون أن من ملك مصر كان مظهراً لهم ولذلك يتولونه ويرون إتلاف نفوسهم فى طاعته لما سيكون لهم من النعيم الأكبر بزعمهم. قال: ولصاحب مصر بمشايعتهم مزية يخافه بها أعداؤه فى تقاطير الأرض لأنه يرسل منهم من يقتل عدوه ولا يبالى أن يقتل بعده، ومن بُعث إلى عدو فجبن عن قتله قتلوه أهله إذا عاد إليهم، فلو هرب تبعوه وقتلوه "، ويسمون أنفسهم بالمجاهدين، ويقال لكبيرهم " أتابك المجاهدين " [(٢)]، وإذا كتب فى أمرهم من ديوان الإنشاء يعبر عنهم بالصقورة، وكانوا يمنعون من مخالطة الناس ومن دخول الغرباء إلى بلادهم من بيع أو شراء حتى لا يطلعون على أشكالهم، وإذا حضروا بهم يكونوا بمعزل عن الناس فى قاعة قريبة من كاتم السر لا يدخل عليهم غير واحد قائم بمصالحهم موثوق به، ويختبرهم كاتم السر فيما يتطورون فيه بالمشاهدة فإن لاق أعرضهم على سلطانه، ويكون فى

(١) يقصد بهم الخلفاء الفاطميين.

(٢) لقب ارتبط بمعنى الجهاد بدءاً من العصر الأيوبى، وهو يعنى كبير المجاهدين، حسن الباشا: الألقاب، ص١٢٤؛ البقلى: التعريف، ص١٤.

خواص خدامه [من] يتيقظون لأمرهم، وعلى كاتم السر تفقـدهم فى مضـيفهم وإقامتـهم ويوجههم والأمر بالقيام بكفايتهم فيما يحتاجون إليه.

النظر الخامس

النظر فى المهمندارية والتراجمة

وهو على ضربين:

الأول المهمندارية: جمع مهمندار بفتح الميم، وهو فارسى معرب وأصله " مهمن " ومعناه الضيف، و" دار " ممسك أى ممسك الضيف. والشرط فيه أن يكون عاقلاً عارفاً ذكياً يقظاً فطناً أميناً ناهضاً فصيحاً فى اللغتين، وغالبا يقوم نائبه مقامه فى تلقى قصاد غـير الملـوك، وإنـه إذا وردت البطاقة بورود قصاد من عند أكابر الملوك أمره كاتم السر بالملاقاة له فى جماعة من المكان الجارى به العادة لأمثاله _ وغالباً يكون ذلك بأمر الملك _، ويستفهم [١٠٤ أ] المهمندار من القصاد عن موجب حضورهم، ويحضر ما على يدهم من المطالعة لكاتم السـر ـ إن كـان ـ ليكون على بصيرة فيما حضروا لأجله ثم يحضرهم بين يدى سلطانه.

وكان فى الأيام الفاطمية صاحب ديوان الإنشاء هو الذى يتسلم المكاتبة مختومة فيفضها بيده ويقرؤها على الخليفة ويأمر بتنزيلها والإجابة عنها، وإذا وجدها خالفت العـادة فى قطـع الورق والألقاب أو الفواتح أو الترجمة فحص عن موجب ما خالفوا به العادة حتى يكون علـى بصيرة من ذلك فإنه ربما يقصد بالتغيير مقاصد أو تكون معربة عن أمر حادث. ولكاتم السـر الأمر إلى المهمندار بتنزيلهم بالأماكن اللائقة بهم بحسب مقام مرسلهم وكذلك مضيفهم وإلزام المهمندار بعدم إقامتهم بعد تناول أجوبتهم اليوم الواحد.

الثانى التراجمة: جمع ترجمان، وتفتح تاؤها وتضم، وهم بالممالك العظام قبـل الإسـلام .... [1]، وهم على اختلاف اللغات، والملازم منهم للخدمة الشريفة فى زماننا ثلاث نفر بقصد تعريب اللغة الفرنجية، وكانوا قبل الناصر فرج نفرين، أحدهما معرب عما يتلقـاه مـن الكلام، والثانى أمين عليه حين إعادته.

والشرط فيهم أن يكونوا مسلمين واطنين بأقوى جانب من الأمانة والمناصحة والصـدق ومنع الغرض وملازمة الخدمة، ويقدم فيهم السابق بالإقامة فى بلادنا بحسن السيرة وإخـلاص

(١) بياض فى الأصل.

المناصحة، وإذا وردت كتب من طوائف الفرنج إلى الديوان أُحضروا إلى الديوان وصحبتهم كاتب لاحق بصفتهم فيعربون الكتب ثم يلقوا ما يضمه لأحد كتاب الديوان فيكتبه وتعرض على كاتم السر، ثم يقرؤها على الملك. ولا يكون أقل من نفرين على تعريب كتب أهل الكفر، ويكفى الترجمان الواحد فى كتب أهل الإسلام، ولكاتم السر النظر فيهم والفحص عنهم والإطلاع على مقاصدهم، ومن وجده خارجاً عن الشروط منعه واستعوضه بغيره ممن تجتمع فيه الشروط المتقدمة الذكر فيه.

النظر السادس

النظر فى ما تتفاوت به المراتب فى المكاتبات والولايات من قطع الورق وقطة القلم والافتتاح والألقاب والدعاء

[١٠٤ ب] وكان هذا الباب فى زمن الخلفاء فى غاية التبسط وتبعتهم الملوك على ذلك حتى إن الناصر محمد بن قلاوون كان يكتب بخطه على ظاهر القصة بقلم دقيق تحت " يكتب " فى الولايات يكتب له من الألقاب الأصول " المقر " أو " الجناب " أو " المجلس " أو " مجلس " مجردة، وأن يرتب له من المعلوم كذا.

قال صاحب مواد البيان: " إن الملوك تسمح ببدرات المال ولا تسمح بالدعوة الواحدة"(١)، وهذه الأوضاع هى قانون المملكة فى القديم والحديث فإنه ما من ذو مقدار إلا وله من ديوان الإنشاء رتبة يتميز بها عن غيره وهى على خمس مراتب:

الأولى: قطع الورق، وهو أول ما يبنى عليه، وقد بينت فى باب قطع الورق ما يشتمل عليه وعدد أوصال الطرة (٢) والهامش ووسع ما بين السطور.

الثانية: قطة القلم، وهى بحسب قطع الورق فإنها تابعة للورق لا متبوعة، فلكل قطع قطة تناسبه لا تدخل على غيره، وبينته فى باب قطع الورق أيضاً.

---

(١) أى أن الملوك والسلاطين يسمحون عن رحابة نفس ببذل الأموال لعامة الناس، ولكن لا يسمحون فى المكاتبات الصادرة عنهم بأن يدعى لغيرهم بدعوة مماثلة لما ارتضوه لأنفسهم فى المكاتبات الصادرة والواردة عليهم.

(٢) الطرة: هى الهامش الذى يترك فى أعلى المكاتبات. القلقشندي: صبح، ج٦، ص٣١٤؛ البقلي: التعريف، ص٢٣٠.

الثالثة: الافتتاح، وأعلاه ما يتعدد فيه التحميد وانتهاؤه إلى سبعة ثم خمسة ثم ثلاثة ثم واحدة ثم " أما بعد "، ويكتب لملوك العرب " عبد الله ووليه " أو " من عبد الله ووليه " والدعاء والإصدار والإشارة، وربما كتب لمشايخ الصوفية بالسلام.

الرابعة: الألقاب الأصول، وهى " الديوان العزيز " و" المقام الأشرف والشريف والعالى " و" الحضرة الشريفة والعالية والسامية " و" المقر الكريم والعالى "و " الجناب الكريم والعالى " و" المجلس العالى والسامى " و" مجلس " مجردة.

الخامسة: الدعاء، فى الافتتاح " بعز الأنصار والنصرة "، و" بتضاعف النعمة ودوامها "، ولأكابر الملوك " بمزيد العظمة " فى أثناء الكلام، ولملوك العرب " جعل الله كلمته العليا "، ولملوك الكفر " بدوام البهجة ". وربما دعى للخلفاء فى أثناء الكلام " أعز الله به الدين ".

ولكل من هذه الخمس مراتب الأصول توابع تصحبها لا تخرج عنها بحالة، وصاحب ديوان الإنشاء يتصرف فيها بما يختاره من التميز أو الانحطاط مع نفى الغرض فإنه إذا [٥٠ أ] بالغ فى التميز قد يكون إطراء للمكتوب بسببه ويكون وهياً فى المملكة، وإذا أخذ فى انحطاط أحد عن ما يستحقه يكون نقصاً وبخساً لمن كتب بسببه، وربما يوقع التنافس بين الملوك، وورد " أنزلوا الناس منازلهم "، وكل مملكة من ممالك الإسلام والكفر لها قانون يمشى ديوانها عليه.

النظر السابع

النظر فى رد الأجوبة

وإشعار سلطانه بما يراه من الآراء الصائبة وتنفيذ أمر ملكه لساعته على وجه الكمال والسداد من غير تَروٍّ ولا تراخ، ومن أعظمها أن يكتب جواب كتاب ورد عليه فى يومه، وأن يكتب فى تاريخه و" كتب هذا الجواب يوم وصول كتابك وهو فى يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا " فإن ذلك مما يقيم ناموس الملك ويدل على تطلعه للأمور وانتصابه لتدبير مملكته، وهذا من أهم أمور المملكة وأعظمها وقوعاً. فينبغى لكاتم السر إلزام مقدمى البريد ونقباء الجيوش والسعاة ومقدمى النجابة بالملازمة لديوانه لسرعة إحضار من يطلب من جماعتهم لسرعة التوجه فى المهمات الشريفة، وأن يكون بأعلى همة وأعظم يقظة بورود القصاد وبمعرفة مرسليهم وبما أتوا فيه وبما يقصدونه راغباً فى قَضا أشغالهم وسرعة عودهم كى لا يحدث من تأخيرهم المفاسد، وإنه لا يهمل بغير إطلاع من الكتب الواردة على ديوانه أو الصادرة منه السطر الواحد بل ولا

الكلمة الواحدة بل ولا الحرف الواحد بل ولا حركة من حركات الضبط كما حُكى أن أبي الطيب المتنبى كان كثير المدح لبعض الملوك، ثم إنه مدح ملك عدو ذلك الملك، فحنق الملك لذلك وقال لأقتلن المتنبى فسمع المتنبى فهرب عن بلد الملك إلى غيرها، فقصد الملك مخادعته ليحضر حتى يقتله، فأمر الملك كاتبه أن يكتب له كتاباً يطيب خاطره ويحضر، وعلم الكاتب غدر الملك بالمتنبى فلما انتهى الكاتب وكتب المشيئة وضع على النون شدة لطيفة، ثم عرض الكتاب على الملك فلم ينكر فيه شيء، فلما وصل الكتاب إلى المتنبى وقف على ما تضمنته من تطييب الخاطر ثم تأمل المشيئة فوجد على النون شدة فى غير محلها فتيقظ لذلك وتذكر [١٠٥ ب] قوله تعالى ﴿ إِنَ ٱلْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخرُج إِنِى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾ (١)، فخرج من ساعته لبلدة غير معاملة ذلك الملك وذكر ذلك لأصحابه.

قيل إنه أعاد الجواب على الملك إنه سيحضر قريب، وكتب المشيئة وجعل فى آخر نونها ألف صغيرة، فلما اطلع الملك على جوابه فطمع بحضوره والظفر به، فوقف عليه الكاتب فوجد بآخر المشيئة ألف صغيرة فتيقظ لها واستحضر قوله تعالى ﴿ إِنَّا لَن نَّدخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾(٢).

فإذا تأمل كاتم السر جميع ما يرد على ديوانه من الكتب حتى لا يفوته منها النقطة الواحدة أمن إدخال الدسائس عليه فيها ثم إن كررها المرة بعد المرة لكانت أصور فى عقله وأثبت فى ذهنه، وإذا انتهى شغل المطالعات الواردة أو المحاضر أو ما فى معناها وردها أو أمر بتوريدها وأن يضاف إلى الضبارة كما سيأتى ذلك فى باب التوريد.

النظر الثامن

النظر فى أمر الحمام الرسائلى المعد لحمل البطاقة

وأصله قصة سليمان عليه السلام حين أمر الهدهد يحمل كتابه إلى بلقيس وذلك على وجه المعجزة لسليمان لا على وجه تعلم الطير حمل البطاقة وتسريحه لأن الله تعالى أطاع لسليمان الطير واستخرجوا من ذلك الأوائل حمل البطاقة على جناح الحمام لأن الذكر منه

(١) القصص، الآية ٢٠.

(٢) المائدة، الآية ٢٤.

أكثر ألفاً إلى الأنثى من غيره من أجناس الطير وأحد طيراناً فينبغى لصاحب دواوين الإنشاء تتابع النظر فى مطاراته وعدته ورحاله ودوابه ولقطه وأبراجه المقررة له ومسافات التسريح.

وكان لخلفاء بنى العباس بذلك كل الاعتناء وتنافس فيه رؤساء العراق. قال فى الروض المعطار " إنهم تنافسوا فى اقتنائه حتى بلغ الطائر الفاره سبعمائة دينار "، وقال " بلغ ثمن طائر جاء من خليج القسطنطينية ألف دينار ". وكان للحمام الرسائلى كُتاب ودفاتر تثبت أنساب الحمام وتشهد بأثمانها، واعتنى القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر بتأليف كتاب فى ذلك وسماه " تمائم الحمائم ".

وقد جرت العادة أن يحمل حمام كل برج إلى ما يليه، فإذا سرح طلب طيرته بالبرج الذى يعهدها فيه [١٠٦ أ]، وكان الحمام الرسائلى مرتباً للتسريح بالبطاقة على مدرج البريد بجميع الديار المصرية والبلاد الشامية والحلبية ثم أهمل أمره وصار إلى ما هو عليه الآن من القاهرة إلى ثغرى الإسكندرية ودمياط وقطيا. وأصل هذه التداريج برج قلعة الجبل، وقد ذكر فى التعريف مطارات الحمام من أماكنها المقررة لها، أما البلاد الشامية فإن بها الحمام الرسائلى فى أبراجها ومطاراتها إلى غزة، وبالمملكة الحلبية وأمرها راجع إلى نوابها.

حكى النويري فى تاريخه أن العزيز بن المعز أحد ملوك الفاطميين طلبت نفسه القراصية البعلبكية فى طراوتها، فعزم على السفر إلى الشام لأجل ذلك فعرض ذلك على وزيره يعقوب بن كلس [(١)] فلم يستصوبه للمشقة وإبدال المال فى هذا الغرض اليسير، ثم استدعى بحمامين وبطق على التدريج إلى عامل الشام " ساعة وقوفك عليها بطلب كاتب الحمام ويستفهم عن حاصله فإذا علمت فاتخذ لكل طائر ملفتين من حرير، [و] يجعل فى كل ملف حبة قراصية فى طراوتها بورقة خضراء، وتعلق كل ملف برجل طائر، ثم تسرح على التدريج." ففعل عامل الشام ذلك فمن ثالث يوم حضرت ستمائة طائر بألف ومائتى حبة قراصية لاصق مع كل حبة ورقة خضراء فى طراوتها، فجمعت وجعلت فى طبق من ذهب وقدمت إلى الوزير فلما رآها قدمها للعزيز فاستسر لها وقضى أربه بأكلها. فقال الوزير: إن اختار مولانا أمير المؤمنين ذلك جعلته له فى كل

(١) هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلس، كان يهودياً عمل فى خدمة كافور الإخشيدى ثم أسلم ورحل إلى المغرب فعمل فى خدمة المعز لدين الله، ثم كان أول وزير للفاطميين فى مصر. انظر: ابن ظافر: أخبار الدول، ص٣٨؛ ابن ميسر: أخبار، ص١٦٣ ــ ١٦٤؛ ابن الصيرفى: الإشارة، ص٤٧ ــ ٥٢؛ المقريزى: اتعاظ، ج١، ص٢٦٨؛ المناوى: الوزارة، ص٢٤١.

يوم. فاستعظم همته لذلك وتضاعفت محبته عنده حتى إنه لما مرض الوزير عاده العزيز وقال له: وددت أن أفديك بملكى. ولما مات أمر أن يكفن فيما قيمته عشرة آلاف دينار

والعادة أن لا يسرح طير فى ليل ولا مطر ولا وهو خماص ليؤمن من أن يصل ومن البلل والوقوع على اللقط والماء حتى لا يصاد.

تنبيه ذكر القاضى علاء الدين بن فضل الله عن القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر، إنه يجب على صاحب دواوين الإنشاء أن يأمر بحمل الحمام الرسائلى معه إذا توجه السلطان إلى سرحة أو رماية أو غير ذلك للحاجة إليه من أجل تسحب أمير أو مملوك، أو سرعة استدعاء [١٠٦ ب] شئ يختاره سلطانه.

النظر التاسع

النظر فى تدبر قراءته بين يدى ملكه

وهى ثلاث قراءات. الأولى: قراءة المطالعات، وقد جرت العادة أن الرسول أو البريدى الواصل إلى باب السلطان أن يقدمه الدوادار إلى بين يدى الحضرة ثم يتناول المطالعة منه ويمسحها بوجه محضرها ثم يناولها إلى الملك فيفض ختامها ويستعيدها الدوادار ويناولها إلى كاتم السر فيقرؤها على السلطان ويكون فى قراءتها فصيح اللسان فى النطق رقيق حاشية البيان فى حسن الإيراد قوى الملكة فى استخراج الخطوط سريع الفهم فى إدراك المعانى الخفية، ويقرب إلى سلطانه فهم المقاصد بأوضح عبارة وأحسن تأت ليحسن وقوعها فى نفس ملكه، ولا يخفى صوته حتى لا يتكلف الملك لسماعه ولا يجهره حتى لا يعد خارجاً عن أدب المخاطبة، ويعرب بديوانه غير العربية من اللغات ثم يطالع بها سلطانه من أول اجتماع عليه، فإن خواطر الملوك ملتفة إلى الإطلاع على ما يرد عليهم.

الثانية: قراءة ما يتعلق بالأمور الشرعية كالكتب الوقفية والمحاضر والسجلات وغير ذلك فينبغى له حسن تأملها والإحاطة بمضمونها والنظر فى مشكلاتها واختلاف المذاهب فيها، والأخذ بمقصدها والعمل بما شرع فيها. كل ذلك قبل عرضها على ملكه ليوضح إلى سلطانه ما اطلع عليه من أحكامها بمعنى لطيف وإدراك قريب، فإنه متى قرأها على سلطانه على الرسم المكتتب بعد عنه فهم ذلك ومجه وثقل عليه سماعه.

الثالثة: قراءة القوائم والقصص، وهى على ضربين:

الأول: القوائم جمع قائمة، سميت بذلك لأنها لم تطو ولم تدرج وتكسر طولاً مخالفة للتربيع، وهى من نصف طومار الشامى [(١)]، وغالباً ترفع من الدولة، وربما رفعت من ديوان الجيش، ومن ربع طومار البلدى وهى ترفع من بقية الدواوين والإسطبلات والخزائن والزردخاناه الشريفة أولاً فإن صاغت عينها، وإن وجدها صائغة [١٠٧ أ] ذكر مقاصدها للملك بأوضح عبارة وأقرب فهم، ويكون فيها بأعلى يقظة وأقوى عزم فربما يدس فيها ما لا يرضاه الملك أو تكون فيه حيف على الرعايا ليخرج من تبعتها.

الثانى: قراءة القصص، جمع قصة، ويجوز فيها فتح القاف وكسرها، سميت بذلك لأنها حاكية حال رافعها، فإن كان رافعها سفير تسمى " مطالعة " وهى أصل لما يكتب غالباً من ديوان الإنشاء، والأحسن أن يكون كاتبها جيد الخط حسن العبارة مطلع على المقاصد، موجزة الألفاظ، وإنها تقرأ بين يدى الملك من قيام فى الخدمة المهمة وغيرها، فيكون جهورى الصوت فى قراءتها، آتياً مقاصدها مقرباً ذلك إلى الملك بأقرب طريق، وينبغى قبل القراءة أن يجمع قصص كل مملكة إلى بعضها، ويقدم فى القراءة قصص أكابر الممالك ويبدأ فى قراءتها " رافعها فلان الفلانى، ينهى كيت وكيت، ويسأل كذا وكذا "، ولا يأتى بلفظ التقبيل فإن قيل لم يترك كاتم السر لفظ تقبيل الأرض مع إن رافع القصة سائلاً فى محل الخضوع؟. فالجواب أن كاتم السر سفير بين السائل والمسئول، والسفير لا ينبغى له أن يوهى السائل ولا ينقصه.

قلت ولعل ذلك أن يكون مأخوذاً من حديث: كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه جبريل بغار حراء وانطلقت به خديجة رضى الله عنها حتى أتت به ورقة بن نوفل، فقالت له خديجة رضى الله عنها: يا بن عم اسمع من ابن أخيك. حيث جعلت النبى صلى الله عليه وسلم منه بمقام ولد الأخ الذى هو سند وعضد.

فإن أجيب السؤال فيها جمعت على أخواتها، وإن لم تجب سؤالها شرطت من نصف هامشها شرطاً خفيفاً وجمعت على أخواتها وأعيدوا جميعاً إلى المزرة. وإذا جلس كاتم السر بديوان الإنشاء جاوب عليها بما رسم بجوابه، وليكن كاتم السر حين قراءتها حاضر الحس واسع الحضيرة قوى الفكرة وقاد الذهن حتى لا يبهم عليه أمر من الجواب المرسوم بجوابه، ولا يشغله عن ذلك شغل شاغل. وهذه القراءات هى أكثر شغل كاتم السر بديوان الإنشاء فى زماننا.

---

(١) عن أشكال وأنواع الورق ومقدار الورق. انظر القسم التاسع من هذا الكتاب.

[١٠٧ ب]

النظر العاشر

النظر فى مرءوسيه الجارى عليهم لقب التوقيع

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه: " يجب على كل ذى أمر أن يتعهد أمور رعيته حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء ثم لا يترك الواحد منهما بغير جزاء، فإن ترك ذلك تهاون المحسن وأجترأ المسيء وفسد الأمر وضاع العمل ".

فإذا تأملت ذلك نجد أمير المؤمنين رضى الله عنه قسم النظر فى الرعية إلى قسمين، الأول جزاء المحسن بالإحسان وجعله مقدماً، وورد التتريل بذلك. وفى العرف أن المحسن من الكتاب بين طائفته من يؤدى الخدمة بديوانه على ما يرضى الله، وأن يكون من قوة الدين بالمكان الأعلى، ومن كمال الفضيلة وتمام العقل وكتمان السر بالدرجة الرفيعة، وأن يكون طلق الوجه حسن الشكل فصيح اللسان على جودة من الخط، عطر الرائحة بهى الملبس سرج المركوب تابعً لرئيسه فى ركوبه وجلوسه وفتح دواته وغلقها، متحبباً لرئيسه وقرنائه ولمن دونه، مستفيداً مفيداً غير مكلف ولا متكلف، ولا متعد طوره ماشياً على الدين والحشمة والوقار واليقظة والمروءة التامة، فجزاؤه من الإحسان ما يستحقه من رئيسه من المعاضدة وقيام الوجاهة وبلوغ المقاصد والسعى له فى تضاعف الرزق ونموه والحرص على طمع أحد من الناس فى شيء من رزقهم، وأن يعود مرضاهم ويمشى فى جنازة موتاهم، وجريان نظره على المخلفين من بعدهم. ومن عجز منهم عن القيام بخدمة لهرم أو امتناع حركة أو ضعف بصر أو ضرورة شرعية رفع عنه كلفة الخدمة مع إقراره على ما يبدو من رزق، وأن يكون طلق الوجه لكبيرهم وصغيرهم متحبباً لغنيهم وفقيرهم، راغباً فى نفعهم مزيلاً لضررهم، فإن صنع الإحسان مطلوب من الكبير لمن دونه.

الثانى: جزاء الإساءة، وهو إذا أفشى المرءوس سراً كان لازماً عليه كتمانه، أو أهمل خدمة بغير ضرورة، أو جحد نعمة، أو قدم على ما لم يؤمر به، فجزاؤه ما يراه رئيسه بعد التحذير أولاً، والتهديد ثانياً فمن عفى وأصلح فأجره على الله.

الباب الثانى

فيما يصرف فيه كاتم السر قلمه

[١٠٨ أ] وهو على أربعة أنواع:

النوع الأول

التوقيع على القصص

قال ابن حاجب النعمان فى ذخيرة الكتاب: " التوقيع معناه فى كلام العرب التأثير القليل الخفيف، يقال " ناقة موقعة الجنب " إذا أثر فيها حبال الأحمال. ويحتمل أن يكون مأخوذاً من قولهم " وقع الأمر " إذا حق ولزم كما فى قوله تعالى ﴿ وَوَقَعَ ٱلقَولُ عَلَيهِم بِمَا ظَلَمُواْ ﴾ [١] أى حق ووجب، أو من قولهم " وقع الصقيل السيف " إذا أقبل عليه بمنفعة تجلوه، لأن التوقيع على القصص تجلو اللبس بالإرشاد إلى ما يعتمد فى الواقعة "، أو من وقع الطائر وهو المكان الذى يألفه من حيث أن المُوقع على القصة يألف هامشها ليوقع فيه، أو من الموقعة وهو المكان المرتفع بالجبل لارتفاع مكان الموقع فى الناس وعلو قدره.

وكان التوقيع مخصوصاً لا يشاركهم فيه غيرهم، وإذا وقع الخليفة أبدى توقيعه من إظهار العدل وحسم المظالم ونصرة الدين وصلة الرزق وتوالى النعم ما لم يسبق إليه مع الإتيان بعظيم البلاغة واستدراك خفايا الأمور وغرائب الحكم والاستشهاد والاقتباس بما يبهر العقول. فلما توزر جعفر [٢] للرشيد وبلغ منه المكانة العظمى صرفه فى التوقيع على القصص، وهو أول من وقع من الوزراء وتضاعف له بذلك الفخار على من تقدمه من الوزراء، ثم استمر التوقيع فى الوزراء تبعاً له ولم يكن لصاحب ديوان الإنشاء إذ ذاك كتابة فى التواقيع إلى أن تولى الصاحب جعفر بن المغربى ديوان الإنشاءِ فوض له أمر التواقيع ومنع الوزير من كتابتها واستمر ذلك فى كُتام السر إلى زماننا وهو أعظم تصرفات ديوان الإنشاء وأعمها نفعاً.

---

(١) النمل، الآية ٨٥.

(٢) يقصد جعفر بن يحيى البرمكى. ينسب البرامكة إلى خالد البرمكى، كان مجوسياً ثم أسلم فى عهد سليمان بن عبد الملك، ثم أصبح ولده يحيى مربياً لهارون الرشيد وعظمت مكانته هو وأبناؤه فى عهده، وقد كان جعفر البرمكى من ندماء الرشيد وأخصائه إلى أن تغير عليه وقتله عام ١٨٧ هـ، وقد اختلف المؤرخون حول أسباب قتل الرشيد لجعفر، وعن ذلك انظر. الطبرى: تاريخ الرسل، ج٩، ص٢٨٧ ـــ ٣٠٢.

والواجب على صاحب دواوين الإنشاء أن [١٠٨ ب] يقدم خوف الله تعالى فيما يوقعه ويقصد براءة ذمة سلطانه وذمته ويبتغى اتباع الحق القويم والطريق المستقيم، ويوصل السائل إلى طريق الإرشاد ويكون فى جميعها تابعاً للشريعة المطهرة على مذهب سلطانه كما حكى القاضى شمس الدين بن خلكان فى وفيات الأعيان: أن جعفر البرمكى حين صرفه الرشيد فى كتابة التواقيع على القصص كتب فى يوم واحد ألف توقيع فاستوعبها عليه بعض الحسدة فلم يجدوه خرج فى واحد منها عن موجب الفقه فاستعظمت همته لذلك ورغمت حساده.

وإذا وقع كاتم السر وأتى فى توقيعه بالألفاظ المشتملة على البلاغة التامة ويستدرك الأمور الخفية ويحاط بجميع المقاصد ويوضح الجواب من غير إشكال ولا تنافر فى الحروف، وأن يكون الجواب مطابق للسؤال، وأن ذلك لا يتعدى مهيعين:

المهيع الأول: أن يكتب "يوقع بذلك " إن كان السؤال صائغاً ويقتصر عليها، أو إن كان يحتاج إلى تفنيد فيكتب " يوقع بكذا وكذا "، أو لا يكون ذلك إلا بما يأتى فى المراسيم الصغار أو القصص الملصق عليها فى رفع المظالم أو الحوادث أو بتولية صغار الوظائف أو يحمل أمر على أمر ونحو ذلك.

المهيع الثانى: ما عدا الأمر بالتوقيع فيكتب " يكتب بذلك " إن كان السؤال صائغاً أو إن قيد أو عدل عن أمر فيكتب " يكتب بكذا وكذا "، وهذان يكتبان فيما لا يدركه حصر.

أما الإسناد الذى يسند إليها كاتم السر فيما يجب فيه التقييد فهى لا تتعدى أربعة أسانيد:_

الأول: أن يسند بالتقييد فيما يتعلق بالأوقاف إلى ما شرطه الواقف وفى جمل الولايات الأهلية على ما بيده من الولايات الشرعية، وربما كتب المستمرة الحكم أو فى غير الأهلية على ما بيده من المراسيم الشريفة أو المسندات المستمرة الحكم، وربما كتب إلى آخر وقت فإن كان لذلك تعلق بديوان الجيش كتب " على ما يشهد له به ديوان الجيوش المنصورة " أو " على ما يشهد له به المنشور الشريف أو المرسوم الشريف المستمر الحكم إلى آخر وقت ".

الثانى: أن يسند فى خلاص الحقوق الشرعية من القرض، والقراض [1] والاصدقة، [١٠٩ أ] والفرائض، والوصايا، والفيء والغنيمة، وقسم الصدقات، والأنكحة، والجزية،

(١) القرض والقراض: هو المضاربة فى لغة أهل الحجاز. ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٢١٧.

والقسمة، وإحياء الموات، والدعوى، والديات، والتدبير، والعتق، والكتابة، وعمارة معابد أهل الكتاب، ونحو ذلك مما لا يحصر إلى الوجه الشرعى.

الثالث: أن يسند فيما يتعلق بالخراج، والجراح، وكيفية القصاص، وموجبات الدية، والمعاملة، ودعوى الدم والقسامة، والحدود، وقاطع الطريق، والصيال، وضمان الولاة، ونحو ذلك إلى الحق والعدل.

الرابع: أن يسند فى الجراريف [١] السلطانية والبلدية، والحفائر [٢]، والمغارم، وفلاحة القرار [٣]، وحفر الترع والمساقى وسدها، وعمارة القناطر وضيافات الكشاف والولاة وأمراء العربان ومشايخهم وأرباب الأدراك بالثغور والسواحل والبلاد والطرقات، وحدود البلاد والطرقات والأراضى والطرقات، ومصارف المياه ومناهلها، والمعادى ومراسيها، والمصابغ، والمسابك، والمطالق، والمسامط، والمدابغ، والمدابح، ومعامل الفروج، والدخاخن والشرابات، ونحو ذلك إلى ما جرت به العادة إلا إن رسم بتغير العادة وربما قيد فى بعضها إلى آخر السنة الخالية أو إلى آخر وقت، وهذه الإسنادات إنما هى على وجه التقريب لا على وجه التحديد. وأهل مكة أخبر بشعابها.

تنبيه " قيد بأمر " ثم اختار الإطلاق " فيضرب على ما قيد به " ثم يكتب " خلا ما ضرب عليه وهو كذا " حتى لا يلتبس الضرب من غيره، وكذا إن شطب على شىء فى متن القصة، ثم اختار كتابته فيقال " وكذا على ما شطب عليه وهو كذا وكذا وكذا " إن شرط من هامش القصة، ثم كتب عليها " فيكتب " بعد انتهاء كتابته بعد القطع. فإن قدت نصفين فلا كتابة عليها.

---

(١) الجراريف: هى الآلات التى يجرف بها التراب لإقامة الجسور وحفظها عند الفيضان، ولما كانت الجسور تنقسم إلى جسور سلطانية، أى يقيمها السلطان لعموم نفعها، وبلدية يقيمها المقطعون والفلاحون، فإنه تبعاً لذلك تنسب الجراريف تبعاً لنوعية الجسور سلطانية أو بلدية. إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص٢٤٤ ــ ٢٤٥.

(٢) الحفائر، ومفردها حفير، هو التراب الذى يوضع فى الأماكن التى يجرفها الفيضان. السابق، ص٢٤٤.

(٣) فلاحة القرار، أو الفلاح القرارى هو المزارع المرتبط بزراعة الأرض، وهو لا يباع ولا يشترى، إلا أنه لا يستطيع ترك أرضه بدون رضاء سيد الأرض. المقريزى: الخطط، ج١، ص١٣٨.

أما الجواب على القصص وهو ما عدا التوقيع، فتارة تقرأ القصة على الملـــك ثم يـــبرز المرسوم الشريف فيها بما ينافى قصد السائل أو يقف عليها كاتم السر ويرى جوابها غير صـــائغ، فيكتب محل كتابة التوقيع " رسم بكذا " أو " يحتاج الأمر إلى كذا " أو " يتوجه إلى جهة كذا " ونحوه، فإن كان السؤال بما لا يقتضى التوقيع على القصة مثل أن يكون تعلقها بأحد من أرباب الأمور [١٠٩ ب] بالقاهرة وكان السؤال صائغاً أو رسم بكتابتها فيقتصـــر فى الكتابـــة فى وسط هامش القصة على " رسم بذلك " ليس إلا.

تنبيه إذا برز المرسوم الشريف بأمر على لسان نظام الملك أو النائب الكافل إن كانـــا أو الأمير الدوادار إن علق الرسالة أو ناظر الجيش فى زماننا ووقع به على هامش القصة فيقتصـــر فيها على التعيين خاصة.

النوع الثانى

التعيين على كتاب الديوان

وهم ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: التعيين على كتاب الدست، جعل ذلك علماً عليهم إضـــافة إلى دســـت المملكة وهى مرتبة جلوسهم بين يدى السلطان بدار العدل فى المواكب الحفلة لقراءة القصـــص بعد قراءة كاتم السر على ترتيب جلوسهم ويوقعون عليها بما رسم لهم به سلطانهم، كما يوقـــع عليها كاتم السر ثم ترفع إلى كاتم السر فيعينها على غيرهم، وكانوا قبل زماننا يوقعون فى كـــل الأوقات على القصص، وهؤلاء أحق كتاب ديوان الإنشاء باسم الموقعين لتوقيعهم على جوانب القصص، وكانوا فى أثناء الدولة التركية ثلاث نفر رأسهم القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر، وكان لهم كفايتهم على الدواوين الشريفة من كل صنف فى اليوم والشهر والسنة حتى بـــرنس وفرجية لأجل ركوبهم الرمايات والسرحات، وهم أعلى مقاماً من الذين كانوا يكتبون فى البريد الأشغال السلطانية، ويقوم أحدهم عن كاتم السر بسداد الوظيفة عند الملك عند تعذر حضـــور كاتم السر أو نائبه، وهم الذين يكتبون أوراق الرقاع ويوردون المطالعات وغيرها، ولهم وجاهة وقدم هجرة ومعرفة تامة، فرسم وضع التعيين على أحدهم " المولى القاضى فلان الدين الفلانى " بلقبه وعلميته، ويدعى له دعوة واحدة مثل " أعزه الله تعالى " وربما وقع الدعاء لمشايخ العلـــم منهم بـــ "أجله الله تعالى ".

المرتبة الثانية: رسم وضع التعيين على من نطلق عليه اسم توقيع الدست، ولم يبلغ الرتبة السابقة فيقتصر فى التعيين عليه بـ " المولى القاضى فلان الدين الفلانى " من غير دعاء، وربما ترك اللقب وأكتفى بالعلمية طلباً للخفة [١١٠ أ] فى الكتابة فيكتب مثلاً لشريف إذا لم يكن فيهم شريف غيره " المولى القاضى الشريف ".

المرتبة الثالثة: كتاب الدرج، جعل ذلك علماً عليهم لغالب كتابتهم فى درج الورق الخزائنى، والمراد بالدرج فى العرف العام الورق المستطيل المركب من عدة أوصال، قال ابن حاجب النعمان فى ذخيرة الكتاب: " هو فى الأصل اسم للفعل أخذاً من درجت الكتاب أدرجه درجاً إذا أسرعت فيه وأدرجه إدراجاً إذا اتخذته على مطاويه ". وهؤلاء دون الرتبتين لم يكتبوا إلا ما يعينه عليهم رئيسهم، ويجوز أن يطلق عليهم كتاب الإنشاء لأنهم يكتبون ما ينشأ من المكاتبات فيقتصر فى التعيين عليهم على اللقب والعلمية مع الإتيان بالمولى فيكون رسم التعيين " المولى فلان الدين الفلانى "، وربما كان صغيراً فيكتب " الولد فلان الدين " من غير المولى، وربما كتب " فلان الدين " من غير المولى ولا الولد. وهى أقل الرتب وهى قليل فى زماننا، فإن كان أخ أو ولد لصاحب دواوين الإنشاء كتب " الأخ أو الولد "، ثم يكتب " فلان الدين " من غير المولى.

قلت ولو كتب فى التعيين على الأخ أو الولد " المولى " لكان أجمل اقتداء بما ورد فى التنزيل حكاية عن زكريا عليه السلام حيث قال ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى ﴾ [1] وكانوا أقاربه، وهذه الرتبة أحق من يكون فيها أولاد الموقعين دون غيرهم.

النوع الثالث

محل وضع كتابة التوقيع والتعيين

وهو على ضربين:

الضرب الأول: محل وضع كتابة التوقيع، وهو فى هامش القصة من ثنيتها آخذاً فى أعلى الهامش إلى أخرها، فإن طال أخذ فى سطر ثانى وثالث، فإن ضاق الهامش من جوانبها أخذ فى الكتابة على ظهر القصة ولا عيب. وإن تحامى عن العلو فوق البسملة لكان أحسن إلى حين انتهاء العرض وكتابة التواقيع بكل حال سابقة على كتابة التعيين، ولا يتناول كاتب الإنشاء

---

(١) مريم، الآية ٥.

القصة إلا إذا اشتملت على التوقيع والتعيين، فإن أملى صاحب الديوان جوابها من غير توقيع ولا تعيين صاغت كتابتها وكذا إن استدرك [١١٠ ب] وأملى.

الضرب الثانى: محل وضع كتابة التعيين وهو على خمسة أوضاع:

الأول: محل وضع التعيين بعد الخط الشريف " يُكتب " فيكون تحته تقريباً منه فى الوسط من غير بياض فاضح، ولا تقييد إلا إن رسم به.

الثانى: محل وضع كتابة التعيين على القوائم، ولا يحضر إلا من الدواوين الشريفة، وصورة كتابتها " رسم بالأمر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه "، ثم يخلى بياضاً بعدد أربعة أصابع مطبوقة ثم يقول " أن يكتب مثال شريف أو نحوه إلى فلان الفلانى " ويكمل القائمة ويشملها خط من له الأمر فى كتابتها فقلم علامته " يُكتب ويحضر لديوان الإنشاء " فيستوعبها كاتم السر ويعينها فى ذلك البياض من أوله ليكون انتهاء التعيين عند " يُكتب "، وغالباً تعين على مُوقع الإنشاء بالديوان المجهزة منه من غير تقييد إلا أن يبرز المرسوم به.

الثالث: محل وضع التعيين على المربعات الجيشية [1] المرسومة أولاً برسم أن ينقل منها المنشور وعادتها فى نصف طومار البلدى إذا كسر فيكون مقابل تاريخ المربعة من الجهة اليمنى، ولا تعين إلا أن يكون عليها خط ناظر الجيش بالثبوت فى ظاهرها ويقتصر فيها على التعيين فقط.

تنبيه إذا كتبت جاء معه من ديوان الجيش بها عدة مناشير لا يقوم بكتابتها الكاتب الواحد ولا الاثنين فيكتب فى تعيينها " الموالى الغرار " أو " الأولاد الغرار " وهذا غالباً يكون عند تغير الدول.

الرابع: محل وضع التعيين على القصص، ولا يكون إلا فى هامش القصة آخذاً من طرف نصف هامشها بصعود إلى جهة الكتابة، فإن كان ثم نظام أو كافل ورفع لأحدهما قصة وشملها خطه بقلم العلامة " يُكتب " وكتب موقعه تحت خطه بما يصوغ فيكون التعيين تحت خط النظام أو الكافل وفوق خط الموقع ولا كتابة لغيرهما على القصص بقلم العلامة بما تستخرج به المراسيم الشريفة.

---

(١) المربعات هى الأوراق المربعة الشكل، والمربعات الجيشية هى التى تخرج عن ديوان الجيش مكتوباً بها ما يراد أن يذكر فى المنشور الخارج عن ديوان الإنشاء. القلقشندي: صبح، ج١٣، ص١٥٤ ــ ١٥٥.

أما التعيين فوق تعليق الرسالة على لسان الدوادار الكبير فمحل وضعه أن يكون فـــوق الرسالة، وصورة كتابة الرسالة أن يكتب المُوقع على هامش القصة بقلم دقيق آخذ إلى نحو كتابة القصة مميلاً بعض ميل [١١١ أ] إلى أعلاها ما مثاله " رسم برسالة الجناب الكـــريم العـــالى الفلانى " بلقبه الخاص " أمير دوادار الفلانى ضاعف الله تعالى نعمته أن يكتب توقيع أو مال أو مرسوم شريف بكذا " ثم يرفع إلى كاتم السر فيستوعبها ويعينها. وقد أهمل تعليق الرسالة لتلقى كاتم السر الأمور بنفسه من الملك فى زماننا.

الخامس: محل وضع التعيين على أوراق الرقاع، وهى أوراق لطاف بقدر ثلث وصل من العادة يكتبها كاتب السر بيده أو نائبه غالباً، وربما كتبها رأس موقعين الدست بإذن بولايـــات وظائف أرباب التقاليد والمراسيم الكبار والتفاويض والتواقيع الكبار بجميع الممالك كما سيأتى محل وضع التعين على هامشها مسامتاً للحمدلة وسيأتى صفة رسم كتابة أوراق الرقاع فى الباب الذى يلى هذا.

النوع الرابع

ما يكتبه كاتم السر فى جواب الملخصات

ما يكتبه كاتم السر فى جواب الملخصات حين عرضها وأخذ الجواب الشريف عنـــها فى البياض المخلى أسطر متقاربة مائلة إلى الصعود قليلاً حتى يخرج عن مهيع الكتابة أولا ولا يعين لأنه من مهمات البريد، فإن كان المقصد متعلقاً بالدواوين السلطانية وجه إليها وأخذ الجـــواب عنها.

الباب الثالث

فى بيان ترتيب ما كان عليه ديوان الإنشاء قديماً وما هو عليه الآن

وهو على حالين:

الحال الأول

ما كان عليه الأمر فى الدولة الفاطمية والدولة الأيوبية

قال أبو الفضل الصورى فى مقدمة تذكرته: إن أرباب الوظائف فيه كانت على ضربين، الضرب الأول: الكُتَاب وكانوا سبعة:

الأول: كاتب كان ينشئ ما يكتب من الولايات ومكاتبات الملوك، واسع الباع فى الكلام لأنه يتولى الإنشاء من نفسه وتُلقى عليه الكلمة الواحدة من كاتم السر فيبنى عليها جملة كلام إذا اقتضت الإطناب، أو يلقى عليه جملة كلام فيوجزه فى الألفاظ اليسيرة إذا اقتضت الإيجاز، وكان لاحقاً بصفات كاتم السر فى تمام المعرفة واتساع الفضيلة. [١١١ ب]

الثانى: كاتب ينشئ المكاتبات للخلفاء والقانات والملوك العظام، وكان الشرط فيه كشرط المتصدى للإنشاء، وأن يكون على مذهب ملكه لما يحتاج إليه على صحة عقيدته ونصرة مذهبه بخلاف إذا كان مخالفاً لمذهبه، فإن المخالف ربما يظهر عليه مواضع الطعن فيطعن فيه، وأن يكون مع ذلك من علو الهمة وقوة العزم وشرف النفس بالمحل الأعلى وشرف النفس لأن كل كاتب يجذبه طبعه وجبلته إلى ما هو عليه من الصفات.

الثالث: كاتب كان يكتب مكاتبات أهل الدولة من كبرائها وولاتها ووجوهها من النواب والقضاة والكتاب والمشارفين والعمال، ويكتب الأيمان والأمانات والقسائم والطراخانيات، وشرطه أن يكون مأموناً على الأسرار، كاف اليد، نزه النفس عن الغرض الدنيوى، حسن الكتابة بجميع الأقلام.

الرابع: كاتب كان يكتب المناشير والمطلقات ونحوها مما لا يختم، والكتب اللطاف والنسخ والجواد، وشرطه أن يكون مأموناً على الأسرار جيد الخط صحيح الأدب، وربما احتاج إلى معين لكثرة الكتابة عليه من هذه الأصناف.

الخامس: كاتب كان يبيض ما ينشئه المنشئ مما يحتاج إلى جودة الخط فيه، فيكتب العهود والبيعات والتقاليد والسجلات ومكاتبات الملوك ونحوه فإنه قل ما تجتمع فضيلة الإنشاء وحسن الخط فى واحد.

السادس: كاتب كان يتصفح ما يُكتب بالديوان، فإن الكاتب غير معصوم من السهو والخطأ واللحن وكل واحد يتغطى عليه عيب نفسه ويظهر عنده عيب غيره، وزمن متولى الديوان أضيق من أن يقف على كل ما يكتب بديوانه، والمطلوب أن يكون كل ما يكتب عن الملك كامل الفضيلة خطا ولفظاً ومعنى وإعراباً حتى لا يجد الطاعن فيه مطعن، والشرط فيه أن يكون مستحضراً لكتاب الله تعالى وبعض الأحاديث والآثار عالى الرتبة فى العلوم المتقدمة كاللغة والنحو والتصريف والمعانى والبيان والبديع ونحو ذلك، وأن يكون وقوراً عاقلاً [١١٢ أ] ذكياً بعيداً عن الغرض والعداوة والشحناء حتى لا يبخس أحد حقه فيما أنشأه أو كتبه، ويلزم الكتاب بعرض ما يكتبونه وينشئونه عليه قبل عرضه على متولى الديوان، فإذا تصفحه وحرره كتب خطه فيه ليلزم بدرك ما فيه ويبرأ منشئه وكاتبه من تبعته.

السابع: كاتب كان يكتب التذاكر [١] والدفاتر المتضمنة تعلقات الديوان، وكان يجعل لكل صفقة أوراقاً على حدة ويكتب " فصل من كتاب فلان ورد بتاريخ كذا مضمونه كذا أجيب عنه بكذا أو لم يجاب عنه " إلى آخر السنة فيجدد للسنة الأخرى تذكرة أخرى. وكان يكتب تذكرة أخرى لمهمات ما تخرج به الأوامر فى الكتب الصادرة تحكى ما تقدم من ذكر النواحى لأرباب الخدم، وإذا ورد جواب شئ منها نَزَله عنده.

وكان يوضع فى الديوان دفتر بألقاب الملوك وأرباب السيوف والوظائف الدينية والديوانية ومشايخ الصوفية وأمراء التركمان والعربان والأكراد وغيرهم وأسمائهم وترتيب مخاطباهم بكاف الخطاب أو هاء الكتابة ومقدار ما يدعَى له به من الدعاء وما يستحقه من قطع الورق والأقلام والمفتتحات، وإذا تغير شيء من ذلك عن مرتبته كتبه تحته وكتب موجب التغيير، وإن صرف أحد من أرباب الوظائف كتب تحت اسمه " صرف لموجب كذا واستخدم عوضه فلاناً بتاريخ كذا " وأجرى فى الورق والرتبة والدعاء والألقاب على منهاجه أو زيد أو

---

(١) التذاكر جمع تذكرة، وهى كل ما يكتب ويصدر عن السلطان إلى نوابه فى أرجاء السلطنة. القلقشندي: صبح، ج١٣، ص٧٩؛ البقلى: التعريف، ص٧٤ ــ ٧٥.

نقض، ويكون ذلك الدفتر موضوعا فى الديوان ليأخذ الكاتب منه بقدر حاجته إذا تعذر عليه الحفظ.

وكان يوضع بالديوان دفتر بالحوادث العظام وما يتلوها حتى ما يجرى فى المملكة وتاريخ كل واقعة منها حتى لو جمع من هذين الدفترين تاريخ لاجتمع.

وكان بالديوان فهرست للكتب الصادرة، وفهرستاً للكتب الواردة، وفهرستاً لما يكتب من الإنشاء للتقاليد والتواقيع والأمانات، وفهرستاً لما يترجم من الكتب الواردة بغير اللسان العربي. ويكون لكل شهر من شهور السنة فهرستاً يجعل فى إضبارة فإذا انقضت تلك السنة أخذ [١١٢ ب] فى فهرستات آخر للسنة القابلة مفصلاً بأشهُرها.

الضرب الثانى: غير الكُتَاب ممن كانت تدعو الضرورة إليه وهما نفران. أحدهما: خازن يحفظ ما فى الديوان من الإضبارات والدساتير والفهرستات، قال الصورى: " والشرط فيه أن يكون ذكياً عاقلاً عارفاً فطناً بالغ الأمانة والثقة وشرف النفس ".

الثانى: حاجب للديوان لا يمكن أحد من الدخول إليه إلا أهله خوفاً من إفشاء سر الملوك فإن الغريب منه متوقع على أن يطلع على أسرار الملوك ولا يؤمن من أن يفشى ما يسمعه وأهل هذه الصناعة لا يرون إفشاءها.

الحال الثانى

ما استقر عليه الأمر فى زماننا من الدولة التركية

وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول

نيابة كتابة السر وكتاب الديوان

وهم على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: نيابة كتابة السر

وربما عملت أحياناً وبطلت أحياناً، وغالباً يتولاها ولد كاتم السر أو أخوه أو قريبه، والشرط فيه كالشرط اللازم لصاحب دواوين الإنشاء، وهو يتصرف فى كل ما يتصرف فيه كاتم السر بنظره وقلمه عند تعذر حضوره، ومحل وضع تعيينه متنازلاً عن محل وضع كاتم السر، ولابد أن يكون تحت التعيين يكتب " نيابة ". فإذا كان كاتم السر حاضرا، اقتصر نائبه على إملاء الكتب الصادرة فى المهمات السلطانية، والوقوف على الكتب الواردة، واستخراج أجوبتها ما لم يكن جواباً، وإصلاح ما يرى إصلاحه، وإلحاق ما يرى إلحاقه منها، وتغيير ما يرى تغييره، فإذا حررت وصاغت، أوقف كاتم السر عليها ليراها ويعمل فيها بما يختاره، ويستقل بكتابة مقصدين:

الأول: أوراق الرقاع:

وربما كتبها صاحب الديوان أو موقع الدست كما تقدم وهى على أربعة أصول.

الأصل الأول

التقاليد

وهى على ضربين:

الضرب الأول: تقاليد أرباب الوظائف بالحضرة الشريفة، وهم خمسة:

الأول: بنيابة السلطنة المعظمة، فيكتب " رسم أن يكتب تقليد شريف بأن يفوض إلى المقر الكريم، العالى، الآمرى، الأميرى، الكفيلى، الفلانى فلان الفلانى، أعز الله أنصاره، كفالة الممالك الشريفة الإسلامية المحروسة ". [١١٣ أ] واختار صاحب التعريف أن يجمع له بين

"نيابة السلطنة الشريفة، وكفالة الممالك الشريفة الإسلامية المحروسة، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها، تقليداً عاماً، وتفويضاً تاماً " والتاريخ والمشيئة.

الثانى: الوزارة، فيكتب لصاحب سيف " رُسم بأن يكتب تقليد شريف، بأن يفوض إلى الجناب الكريم، أو الجناب العالى، الأميرى، المقدمى، المدبرى، الوزيرى، الفلانى الفلانى، ضاعف الله تعالى نعمته، الوزارة الشريفة بالممالك الشريفة الإسلامية، وتدبيرها بما لذلك من المعلوم الشاهد به الدواوين الشريفة المعمورة، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها "، والتاريخ والمشيئة.

فإن كان الوزير متعمماً أُبطل " الأميرى " وجعل عوض " المقدمى " " الصاحبى "، ويدعى له " ضاعف الله تعالى تنفيذه أو نعمته تقليداً عاماً وتفويضاً تاماً "، ولا يكتب ذلك إلا للنائب الكافل والوزير ليس إلا لعموم تصرفهما.

الثالث: بالإشارة " رُسم أن يكتب تقليد شريف بأن يفوض إلى الجناب الكريم أو العالى، الأميرى، الفلانى، أعز الله نصرته، أو ضاعف الله نعمته، إشارة الدولة الشريفة بالممالك الشريفة الإسلامية، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها "، والتاريخ والمشيئة.

الرابع: بكتابة السر " رُسم أن يكتب تقليد شريف بأن يفوض إلى الجناب الكريم العالى، اليمينى، السفيرى، الفلانى الفلانى لنسبه أو لبلده، أعز الله تعالى جانبه، صحابة دواوين الإنشاء الشريفة بالممالك الشريفة الإسلامية المحروسة، بما لذلك من المعلوم الشاهد به الدواوين المعمورة، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها "، والتاريخ والمشيئة.

الخامس: بالأستادارية " رُسم أن يكتب تقليد شريف بأن يفوض إلى الجناب العالى، الأميرى، الفلانى فلان الفلانى، ضاعف الله تعالى نعمته، وظيفة الأستادارية الكبرى بالأبواب الشريفة، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها "، والتاريخ والمشيئة.

الضرب الثانى: أرباب التقاليد بالوظائف الخارجة عن الحضرة الشريفة، وهم أربعة عشر: [١١٣ ب]

الأول: بنيابة الشام " رُسم أن يكتب تقليد شريف بأن يفوض إلى المقر الكريم، العالى، الأميرى، الكفيلى، الفلانى فلان الفلانى، أعز الله أنصاره، كفالة السلطنة الشريفة بالشام المحروس، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها "، والتاريخ والمشيئة.

الثانى: بنيابة حلب " رُسم أن يكتب تقليد شريف، بأن يفوض إلى الجناب الكريم، العالى، الأميرى، الكافلى، الفلانى فلان الفلانى، أعز الله نصرته، نيابة السلطنة الشريفة بحلب المحروسة، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها "،والتاريخ والمشيئة.

الثالث: بنيابة حماة " رُسم أن يكتب تقليد شريف بأن يفوض إلى الجناب العالى، الأميرى، الكافلى، الفلانى فلان الفلانى، ضاعف الله تعالى نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بحماة المحروسة، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها "، والتاريخ والمشيئة.

الرابع: بنيابة طرابلس، كذلك.

الخامس: بنيابة صفد، كذلك.

السادس: بنيابة ثغر الإسكندرية " رُسم أن يكتب تقليد شريف بأن يفوض إلى الفلانى فلان الفلانى، نيابة السلطنة الشريفة بثغر الإسكندرية المحروس، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها ".

السابع: نيابة الوجه القبلى، كذلك.

الثامن: نيابة الوجه البحرى، إذا خرجت عن الأستادارية.

التاسع: بنيابة غزة، كذلك، إذا لم يكن مقدم عسكر، فإن كان مقدم عسكر قيل " مقدم العسكر بغزة المحروسة ".

العاشر: بنيابة سيس، كذلك.

الحادى عشر: بنيابة الكرك، كذلك.

الثانى عشر: بإمرة مكة المشرفة " رُسم أن يكتب تقليد شريف بأن يفوض إلى المجلس العالى، الأميرى، الشريفى، الحسيبى، النسيبى، الفلانى الفلانى، كالحسنى ونحوه إمرة مكة المشرفة، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها "، والتاريخ والمشيئة.

الثالث عشر: بإمرة المدينة المشرفة، كذلك.

الرابع عشر: بإمرة آل فضل، ويقال فيه " أمير الملأ " كذلك.

وإن كانت ولايات لجماعة من أرباب التقاليد والمراسيم كتب " رُسم أن تكتب تقاليد شريفة أو مراسيم شريفة أو تقاليد ومراسيم شريفة " باسم من يعين فيه أو باسم من يذكر فيه ويكتب [١١٤ أ] واحد واحد بلقبه ونسبته ويدعى له بمرتبته وتكتب وظيفته ويكمل.

مهمة كتب أحياناً لنائبى الوجهين القبلى والبحرى وسيس وغزة والكرك وأمراء مكة والمدينة وآل فضل مراسيم شريفة فى قطع النصف، أما نواب الرها وملطية والأبلستين فلا يكتب لهم إلا مراسيم ولو كانوا تقدمة.

الأصل الثانى

المراسيم المكبرة

وكتابتها محصورة فى قطع النصف والثلث، وتكتب أوراق الرقاع [بها فى قطع النصف][1] بنظر الحرمين الشريفين القدس والخليل عليه السلام [2]، " رُسم أن يكتب مرسوم شريف، بأن يستقر المجلس العالى، الأميرى، الفلانى فلان الفلانى، أدام الله تعالى نعمته، فى وظيفة نظر الحرمين الشريفين القدس والخليل عليه السلام، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته بالمستمر حكمها إلى آخر وقت "، والتاريخ والمشيئة.

وعلى مثل ذلك يكتب لنائب القدس وللمقدمين المستقرين فى نيابات الأعمال الشامية ولنواب القلاع المقدمين بها ونحوهم، ودونها فى قطع الثلث بإمرة آل على " رُسم أن يكتب مرسوم شريف، بأن يستقر المجلس السامى، الأميرى، الفلانى فلان الفلانى، أدام الله تعالى سعده، فى إمرة آل على، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته المستمر حكمها إلى آخر وقت "، والتاريخ والمشيئة.

وعلى مثل ذلك يُكتب لأمراء آل مراء، وبنى مهدى، وبنى عقبة، وللأمراء الطبلخاناه من نواب الأعمال والقلاع الشامية، وشادين الدواوين، ومراكز البريد قديماً، وغير ذلك مما لا يحصر.

تنبيه المقر الشهابى لم يتعرض فى التعريف لذكر المراسيم المكبرة لأنها ما وجدت إلا بعده، لكن ذُكر منها شيء فى التثقيف، والعمل عليه الآن.

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من هامش الصفحة بالمخطوط.

(٢) هناك تعليق بالهامش يقول [الذى عليه العمل أن ناظر الحرمين يُكتب له توقيع شريف لا مرسوم].

الأصل الثالث

التفاويض

قال فى التعريف: وبه يكتب لعامة القضاة، وهى من نمط التقاليد، غير أنه يقال فى تعريفها تفويض شريف. ولا تتعدى ثمان وظائف:

الأولى: بقضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، فيكتب " رُسم أن يكتب تقليد شـــريف، بأن يفوض للجناب الكريم أو العالى، القاضوى، الكبيرى، الحاكمى، الفلانى فلان الفـــلانى — لنسبه [١١٤ ب] كقرشى أو أنصارى ونحو ذلك ــ الفلانى ــ لمذهبــه ــ أعــز الله تعــالى أحكامه، قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، بالمعلوم الشاهد به الدواوين المعمورة، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد "، والتاريخ والمشيئة.

الثانية: بقضاء قضاة الحنفية " رُسم أن يكتب توقيع شريف، بأن يفوض للجناب العالى، القاضوى، الكبيرى، الحاكمى، الفلانى فلان الفلانى الفلانى، أعز الله تعالى أحكامه، قضاء قضاة الحنفية بالديار المصرية، بالمعلوم الشاهد به الدواوين المعمورة، على أجمــل العوائــد، وأكمــل القواعد"، والتاريخ والمشيئة.

الثالثة: بقضاء قضاة المالكية، كذلك.

الرابعة: بقضاء قضاة الحنابلة، كذلك.

الخامسة: بنظر الجيش "رُسم أن يكتب توقيع شريف، بأن يفوض إلى الجنـــاب العـــالى، القضائى، الكبيرى، الفلانى فلان الفلانى، ضاعف الله تعالى نعمته، نظــر الجيــوش المنصـــورة بالممالك الإسلامية، بالمعلوم الشاهد به الدواوين المعمورة، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد"، والتاريخ والمشيئة.

قلت هو الآن أحق من يكتب له تقليد من المتعممين لأنه انتهى من هـــذه المملكـــة إلى الدرجة العليا وبلغ الغاية القصوى.

السادسة: بنظر الخاص " رُسم أن يكتب تقليد شريف، بأن يفوض إلى الجناب العـــالى، القضائى، الكبيرى، الفلانى فلان، ضاعف الله تعالى نعمته، نظر الخـــواص الشـــريفة بالممالـــك الإسلامية، بالمعلوم الشاهد به الدواوين المعمورة، على أجمل العوائـــد، وأكمـــل القواعـــد "، والتاريخ والمشيئة.

السابعة: بقضاء قضاة الشافعية بالشام المحروس، " رُسم أن يكتب توقيع شـريف، بـأن يفوض للجناب أو المجلس العالى [(١)]، القاضوى، الحاكمى، الفلانى فلان الفلانى الفلانى ـــ نسبه ومذهبه ـــ، أعز الله تعالى أحكامه، قضاء قضاة الشافعية بالشام المحروس، بما لذلك من المعلوم، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد "، والتاريخ والمشيئة.

الثامنة: بقضاء قضاة الشافعية بحلب المحروسة، " رُسم أن يكتب توقيع شـريف، بـأن يفوض إلى المجلس العالى، القاضوى، الحاكمى، الفلانى فلان الفلانى الفلانى، أعز الله أحكامـه، قضاء قضاة الشافعية بحلب المحروسة، [١١٥ أ] بما لذلك من المعلوم، على أجمـل العوائـد، وأكمل القواعد "، والتاريخ والمشيئة.

الأصل الرابع

التواقيع الكبار

قال فى التعريف: هى على أنموذج التفاويض، وإنها تكون لعامة أرباب الوظائف، جليلها وحقيرها، وكبيرها وصغيرها، حتى النواب اللاحقين بشأو الكبار فمن دونهم. لكن قال صاحب التثقيف: إنها مختصة بالمتعممين من أرباب الوظائف الدينية والديوانيـة، ولا يكتـب لأربـاب السيوف منها إلا القليل، مثل نظر المارستان والجامع الجديد ونحو ذلـك، وهـى الآن علـى ضربين:

الضرب الأول: تواقيع أرباب السيوف. وهى على درجتين:

الدرجة الأولى: تواقيع الأمراء المقدمين، ويكتب فى الثلثين بالأنظار وهى ست تواقيع:

الأول: بنظر البيمارستان، إنشاء المنصور قلاوون، وهو مختص بالأمير الكبير، فيكتـب "رُسم أن يكتب توقيع شريف للمقر الكريم، العالى، الأميرى، الكبيرى، الأتابكى، الفلانى فلان الفلانى، أعز الله أنصاره، بنظر البيمارستان المنصورى، بما لذلك من المعلوم الشاهد به ديـوان الوقف المبرور، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها " والمشيئة والتاريخ.

---

(١) كتب فى الهامش [كانت رتبة قاضى القضاة الشافعى بالشام المجلس العالى إلى حين تولى القاضى نجم الدين بن حجى كتابة السر بمصر ثم تولى قضاء الشام كتب له الجناب العالى].

الثانى: بنظر الظاهرية برقوق بين القصرين [١]، وهو مختص فى زماننا بأمير أخور، وصار يضاف إليه القانباهية [٢] وخانقاه قوصون [٣]، فيكتب " رُسم أن يكتب توقيع شريف للجناب العالى، الأميرى، الفلانى فلان أمير أخور الفلانى، ضاعف الله تعالى نعمته، بنظر المدرسة الظاهرية برقوق بين القصرين، وبنظر ما لوظيفته من الأنظار، بما لذلك من المعلوم الشاهد به ديوان الوقف المبرور، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها ".

الثالث: بنظر المؤيدية [٤] وما يضاف لها من المؤيدية برأس الصوة [٥] والمؤيدية بالجيزة، وهو مختص بالأمير الدوادار والقاضى كاتم السر معاً فيكتب " رُسم أن يكتب توقيع شريف للجناب العالى، الأميرى، الفلانى فلان الفلانى، ضاعف الله تعالى نعمته، بنظر الجوامع المؤيدية بالديار المصرية، وهى كذا وكذا، بما لذلك من المعلوم الشاهد به ديوان الوقف المبرور، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها "، والمشيئة والتاريخ.

---

(١) هى مدرسة بناها الظاهر برقوق ورتب لها صوفية وجعل بها دروساً لأهل العلم على المذاهب الأربعة. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٤١٨؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٢، ص١١٣. وهى موجودة إلى الآن تحت الرقم الأثرى ١٨٧.

(٢) يقصد بها مدرسة ومسجد قانى باى برأس سويقة منعم التى أنشأها الأمير قانى باى المحمدى وهو أحد مماليك الظاهر برقوق توفى عام ٨١٨ هـ/١٤١٥م. المقريزى: السابق، ج٢، ص٢٤٥. ابن حجر: إنباء، ج٣، ص٨٢؛ السخاوى: الضوء، ج٦، ص١٩٦. وهى موجودة تحت الرقم الأثرى ١٥١.

(٣) قبة قوصون: هى خانقاه أنشأها الأمير سيف الدين قوصون وكملت عمارتها سنة ٧٣٦ هـ/١٣٣٥م، وهى تقع شمالى القرافة تجاه الجامع المعروف باسمه أيضاً. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٤٢٥.وهى موجودة تحت الرقم الأثرى ٢٩١.

(٤) هى المدرسة التى بناها السلطان الملك المؤيد شيخ عام ٨١٨ هـ/١٤١٥م الموجودة داخل باب زويلة وكان موضعها بعض الدور وسجن يعرف بخزانة شمائل المقريزى: السابق، ج٢، ص١٨٨؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج١٢، ص١٤ هـ١، ج١٤، ص ٣١، ٤٦. وهى موجودة تحت الرقم الأثرى ١٩٠.

(٥) رأس الصوة: يقع بين الطبلخاناه السلطانية وباب القلعة المعروف بباب المدرج، أنشأه المؤيد شيخ قبل توليه السلطنة عندما كان أميرا كبيرا بغرض أن يكون داراً له، إلا إنه بعد توليه السلطنة عام ٨١٥ هـ/١٤١٢م استغنى عن هذه الدار التى لم يكتمل بناؤها بعد فحولها إلى مسجد. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٣٢٧.

الرابع: بنظر جامعى عمرو والأزهر، وهو مختص بحاجب الحجاب [١١٥ ب] فيكتب " رُسم أن يكتب توقيع شريف للجناب العالى، الأميرى، الفلانى فلان الفلانى أمـــير حاجـــب الحجاب الفلانى، ضاعف الله تعالى نعمته، فى نظر جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه بمصـــر المحروسة، وجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة، بما لذلك من المعلوم الشاهد بـــه ديـــوانى الوقـــف المبرور، على أجمل العوائد فى ذلك وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها ".

الخامس: نظر الشيخونية [١] والصرغتمشية [٢]، وهو مخصوص بـــرأس نوبـــة النـــوب، وأضيف إليه نظر الحجازية [٣] بالركن المخلق وجامع الأخضر بطريق بولاق [٤] فيكتب له كما تقدم.

السادس: بنظر سعيد السعداء، وكان مخصوصاً بأستادار الأستادارية، والآن مفوضـــاً إلى الأمير الكبير والحكم فى كتابتها على ما تقدم.

أما من يكتب له تواقيع من أرباب السيوف ممن هو خارج عن الحضرة الشريفة، نـــاظر الحرمين، وقد تقدم الكلام عليه مع أرباب المراسيم الكبار.

الدرجة الثانية: تواقيع الأنظار المنحصرة فى الأمراء الطبلخاناه فيكتب " رُسم أن يكتب توقيع شريف، بأن يستقر المجلس العالى أو السامى، الأميرى، الفلانى فلان الفلانى ـــ ويـــذكر وظيفته ويدعى له بمرتبته فى وظيفة كذا ـــ، بما لذلك من المعلوم الشاهد به ديوان الوقف المبرور على العادة المستمر حكمها إلى آخر وقت "، [والمشيئة] والتاريخ.

---

(١) الشيخونية: بنى هذه الخانقاه الأمير شيخو الأمير الكبير عام ٧٥٦ هـ/١٣٥٥م، كان مكانها جملة من قطائع أحمد بن طولون، رتب فيها دروساً لفقهاء المذاهب الأربعة، وهى مازالت قائمة إلى الآن تحت رقم أثر ١٥٢. المقريزى: الخطط، ج ٢، ص ٤٢١.

(٢) الصرغتمشية: المدرسة الصرغتمشية تنسب إلى الأمير سيف الدين صرغتمش الناصرى رأس نوبة النوب، انتهى بناؤها عام ٧٥٦ هـ/١٣٥٥م، وتقع فى حى الصليبة بالقاهرة، خصصت لتدريس المذهب الحنفى، وهى مازالت قائمة إلى الآن تحت رقم أثر ٢١٨. انظر: المقريزى: السابق، ج٢، ص٤٠٣ ـــ ٤٠٥.

(٣) الحجازية: اسم مدرسة بنتها السيدة خوند تتر الحجازية ابنة الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٦١ هـ/١٣٥٩م.والمسجد باقٍ إلى الآن تحت رقم٣٦. المقريزى: السابق، ج٢ص٣٨٢.

(٤) الجامع الأخضر: يقع هذا الجامع خارج القاهرة، وعرف بذلك لوجود نقوش وكتابات خضر على بابه وقبته، أنشأه خازندار الأمير شيخو. المقريزى: السابق، ج٢، ص٣٢٤.

الضرب الثانى: تواقيع المتعممين. وهى على درجتين:

الدرجة الأولى: من يكتب له فى النصف كناظرى المفرد والدولة وغيرهما، فيكتب " رُسم أن يكتب توقيع شريف، بأن يفوض للمجلس العالى، القاضوى، الكبيرى، الفلانى ــ وإن كان حاكماً كتب الحاكمى الفلانى فلان الفلانى ــ، ويدعى له بمرتبته فى وظيفة كذا وكذا بما لذلك من المعلوم الشاهد به كذا وكذا على العادة المستمر حكمهـا إلى آخـر وقـت "، والمشـيئة والتاريخ.

الدرجة الثانية: من يكتب تواقيع بوظائف فى قطع الثلث، فيكتب " رُسم أن يكتب توقيع شريف، بأن يستقر المجلس السامى، القضائى، الفلانى، وربما كتب المجلس السـامى، القاضـى الأجل وهو نادر، ويدعى له بمرتبته فى وظيفة كذا بما لذلك من المعلوم على عادة من تقدمه فى(١) [١١٦ أ] وقاعدته "، والتاريخ والمشيئة.

وغالباً ترفع قصص بالوظائف المستحق كتابة تواقيعها فى قطع الثلث، أما ما دون ذلـك من الولايات فلا يكتب لها أوراق رقاع جملة، ويقتصر الموقع فى كتابتها من ما يوقع فى هـامش القصة

المقصد الثانى

كتابة التوريد والمضيف والتسافير وأوراق البريد

وهى على أربعة صور:

الأولى

كتابة التوريد

وهى توريد ما يرد على ديوان الإنشاء من مطالعات أو محاضر أو قوائم أو غير ذلك حتى يُعلم حال وروده لمن حضر على يده، ومحل وضعه أن يكون من المطالعة فى ظاهر الوصل الذى فيه البسملة من جهة اليمنى خلف الكتابة، فإن كانت المطالعة من ملوك العرب أو الفرنجة كانت كتابة التوريد فى الصفحة الأولى من المطالعة وهى أول صفحة يقع عليها نظر الكاتب وصورتها أن يكتب " وردت فى تاريخ كذا وكذا على يد فلان الفلانى ويزاد فى كتابة التوريـد فى رأس

(١) كذا فى الأصل، ويبدو إنه نقص ناتج عن الكتابة من صفحة لأخرى.

المحضر أو القائمة قرين مثال فلان الفلانى الوارد على يد فلان ". وربما كتب ذلك كاتم السر بيده، والعادة إنه يكتبها نائب كاتم السر وأحق من يكتبه من كتب جواب تلك المطالعة من كتاب البريد.

الثانية: كتابة المضيف، ولا يكتبه إلا كاتم السر بيده أو نائبه بإذن، ولا يكتب المضيف إلا الأمير أو خاصكى أو أحد من البرد الخاص ليوجهه فى مهم شريف، وهو على ورق دمشق وقد صار على النصف، ومحل وضع كتابة المضيف بين الأسطر فى ورقة الطريق تحت اسم " المضاف " وصورة كتابته " ويصرف له ".

الثالثة: كتابة التسافير، ولا يكون إلا للنجابة والسعاة حين يوجههم بالأسئلة الصادرة من الديوان فى المهمات الشريفة، ولهم ضرائب معلومة يأخذونها من ديوان الخاص الكل مملكة، ويكتبها نائب كاتم السر وموقع الدست، ويكتب مررح [كذا] وصل، وصورة كتابته " رُسم أن يسفر فلان النجاب أو الهجان أو الساعى إلى المملكة الفلانية [١١٦ ب] أو الجهة الفلانية فى مهم شريف بما على يده من الأسئلة على جارى العادة "، والتاريخ والمشيئة.

الرابعة: كتابة أوراق البريد، على ما كان الأمر عليه حين كان البريد مرتباً قبل اللنك، وكان لا يكتبها إلا كاتم السر بيده أو نائبه عندما تبرز المراسيم بتوجه أحد فى مهم شريف على البريد، وصورة كتابتها " رُسم لفلان الفلانى أمير أخور الفلانى بمرتبة أن يحمل فلان الفلانى _ بحسب مقامه _ على كذا وكذا من خيل البريد بسبب توجهه فى المهم الشريف إلى المملكة الفلانية "، والتاريخ والمشيئة.

المرتبة الثانية: كتاب الدست

وهم من أيام الناصر فرج على نوبتين من كل أسبوع:

النوبة الأولى: من الأسفار فى يوم السبت يركبون فى خدمة رئيسهم يكتبون ما رسم لهم بكتابته بالخدمة الشريفة، فإذا فُض الموكب غادروا فى خدمته إلى الديوان يتقاضون أشغال المملكة إلى قريبا من نصف النهار بحسب شغلهم، وكذا فى كل يوم إلى يوم الثلاثاء من ذلك الأسبوع، وبهذه النوبة رئيس من أعيان الكتاب بقرب من مقام كاتم السر فى الشروط لازمة له المتقدم ذكرها، وهو الذى يسد عن كاتم السر إذا انقطع عند ملكه ويتلقى الأمور المهمة عند غيبة نائب كاتم السر ويقتدى بكلامه فى الديوان فى الأمر والنهى والزيادة والنقص والرفعة

والانحطاط والإطناب والإيجاز والبلاغة والفصاحة وقواعد المملكة ومعرفة مصطلح الكتـــاب فى كتابتهم بالديوان، وإليه الإمارة وعليه المعول، والقائم فى رأس هذه النوبة فى زماننا " القاضـــى ناصر الدين البرلسى العمري " (١)، عريق فى الســـؤدد (٢) ...... (٣) العراقـــة والمحتـــد (٤)، متواضع قدره جليل، ونفس زاكية إلى الخيرات تميل، كامع(٥) العقل، ذو شهامة، مطبوع علـــى الإحسان فلا تعتريه فيه شامة، ستر جميل على من يلوذ بجنابه، كعبة لمن يسعى بحـــرم وجـــوده، وملجأ القاصد رحابه، رقمت (٦) ببلاغته حلة ديوان الإنشاء الشريف، وسجع مزاد (٧) سجعه فجاء بكل غريب وطريف، مع هيبة عند الأمراء والملوك، وطريقته مثلى سلك فيهـــا أحســـن سلوك، أنشر من بحر أيامه الكرام ما كان عابراً [١١٧ أ]، وحسبك للدست الشريف منـــه قوة وناصراً، جعله الله من الذين كتب فى صحائفهم جزيل الثواب وأناله عند الله زلفى وحسن مآب.

النوبة الثانية: من الأسفار يوم الثلاثاء إلى آخر الأسبوع حيث الابتداء يفعلون ما تقـــدم ذكره فى النوبة الأولى، ولهذه النوبة رئيس من أعيان الكتاب ويكون بالصفة والشروط اللازمة فى رأس النوبة المتقدمة، والقائم فى رأس هذه النوبة فى زماننا " القاضى ناصـــر الـــدين محمـــد

---

(١) هو محمد ناصر الدين البرلسى، أحد موقعى الدست، وكان يوقع أيضاً عن الخليفة وناظر الخاص، توفى عام ٨٤٥ هـــ. السخاوى: الضوء، ج ١٠، ص ١١٥.

(٢) السؤدد أى السيادة. ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٢٢٨.

(٣) بياض فى الأصل.

(٤) المحتد بمعنى الأصل والطبع. السابق، ج٣، ص١٣٩.

(٥) المكامع: هو القريب منك الذى لا يخفى عليه شيء من أمرك. السابق، ج٨، ص٣١٤.

(٦) الرقم: هو الزخرفة. السابق، ج١٢ص٢٤٩.

(٧) المزاد: وجمع مزادة وهى التى يحمل فيها الماء، وتأتى بمعنى الارتواء. السابق، ج٣، ص١٩٩، ج١٤، ص٢٤٠.

القرشي الفاقوسى "[١]، رئيس محلي بحلى الدين الشريف، وامتطى صهوات الفخـر المنيـف، وحال لسانه فى ميدان الدست الشريف ويمينه، لعلم الملوك أنه أعزه الله كفوه الفرد وأمينة على المرتبة والسيادة، ميمون الطلعة، حليف السعادة، فضله مبين، ودينه متين، سمع الأحاديث النبوية من مشايخ عصره فسعد بذلك وفاز، والمسعود من وصله بسلسلة الذهب من إسناده العـالى، وأجاز تواضعه مع رئاسته وعلو قدره طالما نال الفقراء من خيره، وأمن الناس من شره، مقـبلاً على الصيام وتلاوة الكتاب العزيز ذى الآيات، مواظباً ليله ونهاره على الصلاة والصلات، يجود بنفسه وماله فى محبة الفقراء، أو يدلج فى السرى إلى مجالسهم يحمد القوم السرى، أثابه الله على ذلك يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً [٢].

مراتب كُتَّاب الدست: [٣]

الأول: منشئ ينشئ ما يؤمر به فى الأمور المهمة كالبيعات والعهود والتقاليـد ومـا فى معناها، ومكاتبات القانات وعظام الملوك شرقاً وغرباً. وشرطه أن يكون لاحقاً بصـفة كبـار الفضلاء وعظماء البلغاء، واسع الفكرة والحضيرة، مستنبطاً للمعانى البليغة والألفاظ الفصيحة، مديد الباع فى الكلام لأنه يتولى الإنشاء من نفسه، وتلقى إليه الكلمة الواحدة والمعنى المفـرد فيبنى عليه ذلك الكلام الطويل ويأتى بالعبارة الواسعة، ويكون قوى النفس فى كلامـه شـديد البأس فى خطابه، مرعباً للأعداء، مهولاً أمر ملكه ومملكته، قوى الحجة مطنباً فى موضع الإطناب

---

(١) هو محمد بن الحسن بن محمد الفاقوسى، المعروف بالرئيس ناصر الدين كبير الموقعين بديوان الإنشاء، بدأ الكتابة فى عهد الظاهر برقوق، ولكنه عزل عن وظيفة رئيس الموقعين فى عهد كاتب السر البدر محمود الكلستانى بسبب رفض الفاقوسى للإصلاحات التى كان ينوى البدر الكلستانى إجراءها على أسلوب الكتابة فى الديوان، ولكنه رجع إليها بعد موته، وعلت منزلته إلى أن انحطت فى عهد المؤيد شيخ عن ذى قبل وتناقصت كثيراً فى دولة الأشرف برسباى، مات عام ٨٤١ هـ. انظر: ابن حجر: إنباء، ج ٩، ص ٢٦ ــ ٢٧؛ ابن الصيرفى: نزهة النفوس، ج٣، ص ٤٣٠؛ السخاوى: الضوء، ج ٧، ص ٢٢١ ــ ٢٢٢.

(٢) كتب فى الهامش عن القاضى ناصر الدين الفاقوسى [رأيت فى منامى فى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة رجلاً عليه سمت الخير قال لى هذا الرجل ويشير بيده إلى القاضى ناصر الدين المشار إليه يُسطر فى كل يوم فى صحيفته عشر حسنات.

(٣) بياض فى الأصل، ولم يذكر المؤلف شيئاً عن ترتيب الوظائف فى فهرس المخطوط.

وموجزاً فى موضع [١١٧ ب] الإيجاز، ميالاً للخواطر جاذباً للقلوب، فإنه ناطق عن سلطانه متطبع فى العظمة بطباعه.

قيل ولما ولى المهلب [١] ولده حسان [٢] أوصاه بأن يستعقل حاجبه ويستطرف نديمه ويستفصح كاتبه، وقال له " إنما يهابك من بعد عنك بكتابك، ومن قرب منك بحاجبك، ومن جالسك بنديمك. والقائم فى ذلك فى زماننا .... [٣].

الثانى: كاتب يكتب المكاتبات الصادرة للملوك شرقاً وغرباً، وشرطه أن يكون لاحقاً بصفة من تقدم من علو الهمة وعظم الشهامة، ويكون مطلعاً على وقائع الأمور للخلفاء أصحاب الدول والملوك السالفة، واسع الباع فى العلوم مستحضراً لكتاب الله عز وجل والأحاديث النبوية والآثار المروية والأمثال السائرة وكلام فحول الشعراء مع جودة الخط وبلاغة القول ومعرفة مخاطبات الملوك ليقوى حجة سلطانه على مقاصده ويخرجه من اللوم ويبدى محاسن ملكه ويظهر ما منحه الله به من قوة سلطانه وعظيم ملكه، والقائم فى ذلك فى زماننا " القاضى معين الدين عبد اللطيف [١١٨ أ] ابن القاضى شرف الدين أبو بكر بن العجمى [٤] " ...... [٥].

---

(١) هو المهلب بن أبي صفرة أبو سعيد، وعرف بأبي صفرة بابنته صفرة فكان بها يكنى، من قبيلة الأزد، كان أبوه مما نزل بالبصرة، وقد كان المهلب من شيعة عبد الله بن الزبير، وقاتل الخوارج عن البصرة، ثم قام الحجاج بن يوسف بالزواج من ابنته وولاه خراسان، وبقى بها إلى أن توفى عام ٨٣ هـ. ابن خلكان: وفيات، ج٥، ص٣٥٠، ت رقم ٧٥٤.

(٢) الذى أوصاه المهلب هو ولده يزيد. انظر: ابن خلكان: السابق، ج٥، ص٣٥٣.

(٣) بياض فى الأصل.

(٤) القاضى معين الدين عبد اللطيف بن القاضى أبو بكر بن العجمى المشهور بابن الأشقر، تدرب على يد أبيه القاضى أبي بكر بن العجمى فى صناعة الإنشاء وتولى بدلاً منه كتابة سر حلب عام ٨٣٩ هـ ثم عاد إلى القاهرة على وظيفته الأولى فى مباشرة التوقيع، فلما مات أبوه عام ٨٤٤ هـ استقر مكانه فى نيابة كتابة السر وغيرها من الوظائف، واستمر على ذلك حتى توفى عام ٨٦٣ هـ. انظر: ابن حجر: إنباء، ج ٩ ص ١٤١؛ ابن الصيرفى: نزهة النفوس، ج ٣، ص ٣٣٢، ٣٨٣؛ السخاوى: الضوء، ج ٤، ص ٣٢٥ ــ ٣٢٦.

(٥) بياض بمساحة نصف صفحة.

الثالث: كاتب يكتب مهمات الديوان من التقاليد والتفاويض والمراسيم الكبار والتواقيع ونحو ذلك. وشرطه أن يكون لاحقاً بالصفات المتقدمة للكتاب المذكورين، خبيراً بما يستحقه كل ذى ولاية من قطع الورق وقطة القلم والافتتاحات والألقاب والنعوت والدعاء وما يوصى به، ويكون بعيداً من الغرض والشحناء حتى لا يهوى بأحد إلى فوق ما يستحقه ولا يبخس أحدا حقه، والقائم فى زماننا بذلك ....[١].

[١١٨ ب] الرابع: كاتب جيد الخط بجميع الأقلام، يكتب ما ينشأ بالديوان من الأمور المهمة لأنه قل أن يجتمع الإنشاء وحسن الخط فى واحد فرد، والقائم فى ذلك فى زماننا ....[٢].

الخامس: كاتب يكتب المناشير الإقطاعية المرسوم بإخراجها من ديوان الجيوش المنصورة. وشرطه أن يكون لاحقاً بصفة الأعيان من الموقعين المتقدمين الذكر، وأن يكون حسن الخط فى الأقلام[٣] المفتوحة[٤] والخفيفة[٥]، عارفاً بمقدار كل أحد من الأمراء وأولاد الملوك والجند وغيرهم لأن رتب المناشير بمقام الإقطاع لا بمقام الوظائف، وأن يكون عارفاً بالأقاليم والجهات والبلاد ليؤمن من تصحيفها عليه، وربما كتب فى المناشير من ديوان الإنشاء الكاتبان والثلاثة.

السادس: كاتب يكتب المكاتبات إلى ملوك الكفر، وشرطه أن يكون لاحقاً بصفة فضلاء الكتاب، مدركاً لغوامض الأمور، قوى الحجة شديد الذكاء، حسن الخط، والقائم به فى زماننا بذلك ....[٦].

---

(١) بياض بمساحة خمسة أسطر.

(٢) بياض بمساحة ثلاثة أسطر.

(٣) عن أنواع الأقلام انظر القسم التاسع من هذا الكتاب، القلقشندي: صبح، ج٣، ص٤٧، ٥٥، ٥٨، ١٠٠، ١١٥، ١٢٨.

(٤) يعنى بها قلم الطومار الكبير الذى توجد به فتحات ثلاثة أو أكثر بقدر ما يحتاج فيه من تشرب للحبر للكتابة. السابق، ص٥٠.

(٥) هو القلم الخاص بكتابة الخط الثلث، وتكون كتابته دقيقة رفيعة ولذلك أطلق عليه قلم الثلث الخفيف. السابق، ص١٠٠.

(٦) بياض بمساحة سطرين.

السابع: كاتب يكتب ما يلخص بالديوان من الكتب الواردة المبسوطة، وما يعرب من الكتب الأعجمية، وربما كان كاتب الدفتر والملطفات وغير ذلك، وشرطه جودة الخط، وأن يكون لاحقاً فى الفضيلة من تقدمه من فضلاء كتاب الديوان، ثم فى زماننا صار كاتم السر يؤهل كل من هؤلاء السبعة كتاب إلى ما هو مغدوق بالسبعة وغير ذلك.

المرتبة الثالثة: كتاب الدرج:

وهم دون كتاب الدست فى الرتبة، وغالباً يكونوا من أولاد كتاب الدست حين انتدابهم، وهم قاصرون على كتابة ما يعينه عليهم كاتم السر من خلاص الحقوق وصغار التواقيع والمراسيم وأوراق الطريق والجواز والمسطرات والمسودات ونحو ذلك، وهؤلاء يجوز أن يطلق عليهم كتاب الإنشاء لأنهم يكتبون [١١٩ أ] ما ينشأ من المكاتبات بالديوان.

النوع الثانى

أرباب الخدم بديوان الإنشاء

وهم ثلاثة [١]:

الأول: الدوادار، بخدمة صاحب الديوان، وهو فارسى معرب مركب من كلمتين يعنى " ممسك الدواة " فحذفت الهاء من آخر الدواة للخفة. أما فى اللغة فإنه يقال لحامل الدواة " داو " على وزن ماض، أما فى زماننا فإن حامل الدواة لم يكن له تصرف فى أمر ولا فى نهى ولا تناول ولا دفع، والعهدة والأمر لمن يقع عليه ذلك اللقب.

وكان قديماً لا يتولى هذه الوظيفة إلا من يكون فى محل الكمال ولا يوليه إلا الملك نفسه، وكان لا يستقر باستقرار صاحب الديوان ولا ينفصل بانفصاله، وربما تعدد إلى ثان ليقوم بما يلزمه عند غيبته، ويلزم الدوادار سبعة أمور:

الأول: الملازمة للديوان ولمخدومه فى حال الركوب والنزول والجلوس فإن احتجب مخدومه فيكون الدوادار على الملازمة أثبت ليتلقى ما يرد للديوان من الأمور فإنه ربما يرد

---

(١) بياض فى الأصل.

للديوان عند تحجب مخدومه أحد بسبب أمر مهم فلا يجد من يلجأ إليه فتتأخر الأمور ويقع الخلل.

الثانى: اليقظة وعدم الغفلة وإحاطة العلم بكل ما يصدر من الديوان وما يرد عليه من قليل وكثير وجليل وحقير وإدخال ذلك فى فكره وتصوره فى ذهنه، وأن يبدى الجواب عن كل أمر يتعلق بالديوان بحسن تأت ومعرفة وتمكن وعقل تام، فإن اطلع على وقوع ما لا يسوغ رده إلى حين المشورة عليه وخروجه على السداد.

الثالث: تناوله الأمثلة وختمها وذلك محصور فيه فلا يختم شيء منها إلا بعد وقوف مخدومه عليه وإذنه له بختمها، والختم تابع الألقاب فكلما علت ألقاب المكتوب إليه لزم تعظيم حجم المثال تعظيماً للمرسل إليه، وإذا أمره مخدومه بختم مثال فلا يخرجه من يده إلا مختوماً ولا يزاد فيه الحرف الواحد ولا النقطة الواحدة إلا بإذن مخدومه وإطلاعه على ذلك ثانياً، وإذا ختمت الأمثلة جمع كل منها لبعضها بعضاً ولف أوراق الطريق عليها إن كان وإعطائها لحاملها.

والختم [١١٩ ب] مصدر " ختم "، يقال " ختم الكتاب يختمه ختماً " ومنه قوله تعالى ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [١] والمراد به سد رأس الكتاب والطبع عليه بالخاتم لعدم الاطلاع على ما فيه. قيل إن أول من ختم الكتاب سليمان عليه السلام وبه فسر قوله تعالى حكاية عن بلقيس حين قالت لقومها ﴿ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴾[٢] أى مختوم على أحد الأقوال، وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى بعض العجم فقيل له إنهم لا يقرءون كتاباً غير مختوم فاتخذ خاتماً من فضة ونقش عليه " محمد رسول الله " ثلاثة أسطر، الله سطر أول، محمد سطر ثان، رسول سطر ثالث، وكانت كتابته من الجهة اليسرى إلى الجهة اليمنى هكذا. وكان يختم به الكتب ثم كان بعد وفاته فى يد أبي بكر، ثم بعد أبو بكر فى يد عمر ثم بعد عمر فى يد عثمان إلى أن سقط منه فى بئر أريس من أبيار المدينة فطلبه أياماً فلم يقدر عليه ثم اتخذ خاتماً غيره ونقش عليه محمد رسول الله ثم صار كل خليفة بعده يتخذ خاتماً وينقش عليه ما يقتضيه رأيه [٣].

---

(١) البقرة، الآية ٧.

(٢) النمل، الآية ٢٩.

(٣) عن خاتم رسول الله انظر القسم الثانى من هذا الكتاب.

وكان للختم فى أيام الخلفاء ديوان مفرد يعبر عنه بديوان الخاتم وبه الخاتم الذى يطبع به، وقيل إن أول من اتخذه معاوية بن أبى سفيان، وكان يغمس الخاتم فى طين أحمر يجلبه الخلفاء من سيراف [1] من بلاد فارس، وكانت الكتب فى مبدأ الإسلام تحزم من وسطها بمنفذ حتى يبلغ فى طبقات الكتاب ثم يخرجه ويجعل مكانه ورقة كالسير الصغير ثم يقط طرفا الورقة ويختم عليه، وعلى ذلك بلاد الغرب والفرنجة إلا إنهم يجعلون عوض الطين شمعاً. وكانت الملوك يتخذونه ذهباً ثم تغيرت أنفسهم فاتخذوه فضة ثم خست أنفسهم فاتخذوه قردير [2] أو شمعاً، وبلاد الشرق والديار المصرية يعانون لصاق رأس الكتاب كما هو عليه الآن.

الرابع: تناوله من الناس ما يرد للديوان من المطالعات وقراءتها والقوائم والقصص وغيرها، فيجب أن يكون يقظاً فى ذلك حاضر الحس، عارفاً لأصحابها، خبيراً بوقت ورودهم، محذقاً عما أتوا فيه، بشوشاً، أدوباً، طلق الوجه، حسن السفارة، ملتفتاً إلى رضا خواطر أركان المملكة[١٢٠ أ] وكبار المملكة وذوى العلم والصلاح، فإن لم يقض شىء من ذلك أعاده لمحضره وبسط له العدد فى التوقف فى ذلك ويرشده إلى طريق الصواب ليذهب عنه عن رضى من غير سخط ولا كسر خاطر.

الخامس: حفظه على متعلق الديوان فيلزمه اتخاذ مكان جيد حرز قريب ممنوع من الرطوبات وكثرة الريح والمطر والأتربة وأوكار ما يؤذى الورق كالفأر وغيره، ثم ينظفه ويفرشه ويجعل فيه كل صنف من الأوراق المحتاج إليها بالديوان وأقلام العلامة ومباردها والحبر والرمل والمداد والإضبارات والمسودات والدفاتر والمسطرات والعلامات المرتجعة [3] والمقروطة [4]، والكتب الواردة من عظماء الملوك، ولا يمكن أحد من الدخول إليه ولا الاطلاع على ما فيه من سر المملكة، ويجعل فيه المزرة بعد انفضاض جماعة الديوان.

السادس: التيقظ فى كتابة الدفتر بما يصدر من الأمور المهمة بالديوان فى كل يوم، والاحتراز على المسودات ونقلها للدفتر، ولا يهمل من نقلها السطر الواحد إذا كان به تعلق، وجمع ما يرد إلى الديوان من المطالعات فى ذلك اليوم وضم ما يورد منها إلى بعضه وجعلها فى

(١) هو ميناء مشهور بإيران. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٣٨؛ لى سترانج: بلدان، ص٢٩٤.

(٢) كذا فى الأصل، ولم أستطع الاهتداء إلى معناها، وأظنه يعنى معدن القصدير.

(٣) أى الأوراق التى علم عليها السلطان ورجعت إلى ديوان الإنشاء.

(٤) أى التى قطع طرفها وبت فيها سواء بالرفض أو الإيجاب.

إضبارة ويكتب عليها اسم ذلك اليوم من الشهر، فإذا انقضى الشهر جعل تلك الإضبارات فى وقاية وكتب عليها اسم ذلك الشهر من السنة، فإذا انقضت تلك السنة جعل الوقايات فى ملف وكتب عليها اسم تلك السنة ولا تفتح إلا للكتب منها.

السابع: استدعاء ما يحتاج إليه بالديوان كالأوراق البياض من كل قطع وأوراق البطايق وأقلام العلامة ومبارد براتها وفوط المزرة وقماشتها والحبر والرمل والمداد وغير ذلك وخصوصاً عند السفر.

الثانى: حامل المزرة [١] وكان يطلق عليه خازن المزرة، وربما قيل خادم المزرة وهو بمنزلة نائب الدوادار فيما يتعلق بالمزرة، وشرطه أن يكون عاقلاً أميناً ذكياً يقظاً فطناً قارئاً ملازماً، وله لوازم منها معرفته بترتيب الأوراق بقصد أخذ الخط الشريف عليها، وطريقة ذلك أن يفرش فوطة من الحرير السكندرى أحد طرفيها معقود ويكون ذلك بحضور الدوادار، وأول ما يوضع فيها أكبر [١٢٠ ب] ما يكون من قطع الورق، ثم يجعل فوقه ما دونه فى القطع إلى أن يكون قطع الثلث ثم يرتب المناشير كما تقدم فى قطع الورق وتوضع فى الفوطة ولا تختلط المكاتبات كى لا تشتبه على الملك فى العلامة، ثم توضع المراسيم المربعة والتذاكر ثم توضع بعدها أوراق الطريق والمراسيم والتواقيع الصغار ثم توضع الأمثلة وأولها ما عليه الاسم الشريف ثم والده مع صدرت، والعالى ثم والده مع أدام وضاعف، ثم أخوه ثم يلف ويوضع فى المزرة ويحمل إلى القصر فيعرض ترتيبها مرة ثانية ثم يقدم لأخذ العلامة، فيعلم أولاً أخوه وهو ما كان آخر الترتيب ثم والده إلى أن يكون آخر علامته ما وضع أولاً فى الفوطة من القطع الكامل ثم يقدم القصص المستوجبة لأخذ "يكتب " فيشملها الخط الشريف وتعاد إلى الفوطة ثم ترفع وتعاد إلى الدوادار فيأخذها ويعيدها لحامل المزرة.

تنبيه لا يوضع فى الفوطة لأخذ الخط الشريف ورق ملون ولا دنس ولا مشق ولا خشن كى لا يعثر قلم العلامة فيه ولا خفيف كى لا ينفذ منه المداد ولا موصول ولا مثقوب فى بيت العلامة ولا ما يكون ضيقاً على العلامة ولا ما يقصر فى العرض والطول عن وسع الخط. ومنها معرفته بالمراتب والألقاب والعلامات وقطع الورق ليشرع فى الجواب بما يستدعى به منه، ومنها

(١) المزرة هى ما يعرف حالياً بمحفظة الأوراق. أحمد دراج: الكتابة، ص١٥٢.

أن ينبه الدوادار على استدعاء ما تقدم من الأصناف فإن غالب حنق الملوك من تأخير مقاصدهم وأوامرهم.

الثالث: المدراء، وأحدهم مدير، أطلق ذلك علماً عليهم لدورانهم على بيوت الكتاب لإحضار ما عندهم من الكتابة المتعلقة بالديوان، والشرط فيهم الأمانة واليقظة والاحتراز، وهم فى زماننا دون العشرة على نوبتين ولكل منهم إشارة برأس ما يكتبه على يده من الأمثلة.

النوع الثالث

ما هو خارج عن الكتاب وخدام الديوان

وهى صنفان:

الأول: دفتر متخذ من طومار الشامى مكسور فى النصف على التربيع بدفتى جلد وقاية، مخروم فى وسطه محيط، يكتب فيه ملخص ما كتب فى المسودات عما صدر من الديوان من مهمات أمور [١٢١ أ] المملكة يبدأ بالكتابة فيه من رأسه بتاريخ اليوم من الشهر إلى أن ينتهى الشهر ترك ورقة بيضاء حاجزة بينه وبين الشهر الذى يليه إلى آخر السنة فيجعل الإضبارات ويتخذ دفتراً غيره، والعمل به مثل ما تقدم، وغالباً إنما يكتب فيه من كتب ذلك المهم، والأحسن أن يكون له كاتب مفرد حسن الخط يتكفل به، وكان الدفتر ضابطاً للديوان من أوائل الدولة التركية إلى آخر مباشرة القاضى بدر الدين بن فضل الله فى أيام الظاهر برقوق تركه واقتصر على المسودات إلى أيام المؤيد شيخ فاعتنى القاضى ناصر الدين البارزى به وأعاده على ما كان عليه كما هو الآن، ويكون بالمزرة حين الخدمة لسؤال يقع من الملك.

الثانى: مزرة متخذة من القماش المخرز الصافى ببطانة فى صفة الكيس طولها ذراعين وثمن مثنية، وعرضها ذراع وثلث بفلاقة من الخيط المحفر تجمع به فوهتها، وأول من اتخذها قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز قبل أن يلى القضاء والوزارة فى أيام الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد، وكانوا قبل يعملون المكاتبات فى طول النهار فرادى ومثنى وثلاث ورباع وهى جامعة لتعلق الديوان يضم فيها كل صنف إلى صنفه فى ملف حاجز إما بمنديل أو فوطة من الغزل، وكان فى الزمن القديم كل صنف مما حوته فى كيس من الحرير الأصفر الأطلس ولا يسلم لغير حارسها البتة، والأحسن أن يكون من الحرير الأصفر الأطلس.

القسم الخامس

فى ترتيب مملكة الديار المصرية وما يختص بسلطانها وأمرائها ومو ضوع الوظائف بها وقدر ما يستحقه كل أحد من أرباب الوظائف من قطع الورق حين ولايته

وهو يشتمل على [ستة أبواب] [١]:

[١٢١ ب]

الباب الأول

فيما يختص بالسلطان من شعار الملك الذى لا يشاركه فيه غيره

اعلم أن أصل ترتيب مملكة الديار المصرية مأخوذ عن ترتيب الخلافة ببغداد وعن ترتيب الفاطميين بمصر وعن الملوك الأيوبية. ذكر بعض المفسرين فى سبب نزول قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ [٢] إلى آخر الآية هو النبى صلى الله عليه وسلم وصف لـه ترتيب مملكة الأكاسرة فقال اللهم اجعلها لأمتى فحقق الله لنا ذلك وانتقل ترتيب مملكة الأكاسرة إلى الخلفاء ببغداد ثم إلى الديار المصرية وفيها الآن بقايا ألفاظهم المفخمة كطشت خاناه، وفـراش خانـاه، ودوادار، وسلحدار ونحو ذلك.ولما حضر الفاطميين إلى الديار المصرية كان من ترتيبهم ما هو مستحسن، ثم جاءت الدولة الأيوبية بمحاسن فى الترتيب، ثم انتقى ملوك الترك مـن مـذهب أولئك أحسنه فهى الآن أحسن الممالك ترتيباً وأبهجها منظراً وأكثرها إسلاماً وأشجعها فرساناً وأوحدها ظفراً ونصرة.

ويشتمل إظهار ذلك على أبواب .... [٣].

ويشتمل على عشرين نوعاً:

الأول: حلة الملك، التى يلبسها حين يعهد إليه بالسلطنة، وهى حلة خلفية سوداء يشتمل على عمامة مدورة لطيفة حرير بعدية قدر ذراع ترسل من بين كتفيه. وأول من لبس العمامـة السوداء النبى صلى الله عليه وسلم، وحين لبسه لها أرخَى طرفها بين كتفيه، ثم لبسها جماعة من الصحابة رضى الله عنهم منهم عمار بن ياسر، وقيس بن سعد بن عبادة، وعبد الله بن عبـاس، وقثم بن العباس، وكل منهم أرسل طرفها بين كتفيه ثم تبعهم على ذلك الخلفاء العباسيون وجبة حرير سوداء واسعة الكمين يسيراً وأول من لبسها من الصحابة عبد الله بن العباس، وقثم بـن العباس فى وقعة الجمل وتواترت [١٢٢ أ] الخلفاء العباسيون لبسها.

---

(١) بياض فى الأصل.

(٢) أل عمران، الآية ٢٦.

(٣) بياض فى الأصل.

وأول سلطان لبس حلة السواد بالديار المصرية من بغداد الإمام أمير المؤمنين المستنصر بالله فى عام تسع وخمسين وستمائة حين قلد السلطنة للظاهر على ما تقدم فى القسم الثانى كانت فرجية من الحرير الأسود بتركيبة من الزركش[١] وعمامة سوداء وطوق من ذهب ومن إذ ذاك استقرت حلة الملك من غير زركش ولها طوق وسيف بداوى _ ينسب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه _ يحمله بتقلده من أعلى كتفه الأيمن إلى جانبه الأيسر كما العرب، وأول من تقلده الظاهر بيبرس مع الحلة السوداء.

الثانى [٢]: سرير الملك، وهو من رسوم الملوك القديمة، وأول من اتخذ ذلك فى الإسلام معاوية بن أبى سفيان فى خلافته [حين بدن] [٣]، ثم تنافس الخلفاء والملوك فيه حتى كانت أسرة خلفاء بنى العباس تبلغ سبعة أذرع، ثم جعل الآن فى القلعة فى الإيوان من رخام نحواً من سبعة أذرع. أما جلوس الملك بالقصر فإنه يكون على كرسى من خشب لطيف دون الذراعين، وفى غير القصر على كرسى لطيف من حديد ينقل مع خادم، وربما كان عوضه مدورة [٤].

الثالث: المقصورة، وهى مقصورة بجامع الخطبة بالقلعة لا يفتح لغيره، وأول من اتخذ ذلك معاوية بن أبى سفيان، وقيل عثمان بن عفان.

الرابع: الدعاء على المنابر بعد الخليفة فى الخطبة، وأول من دعى له على المنابر مع الخليفة عضد الدولة بن بويه فى خلافة الطائع لله.

الخامس: وضع اسمه سكه على النقود، ورقم اسمه على قماش كسوة البيت الحرام وعلى الأطرزة. والسكة قديمة باسم الملوك قبل الإسلام، والرقم منقول عن خلفاء الدولتين[٥] والفاطميين.

---

(١) الزركش أى تلوين وصبغ الأثواب الحريرية. القلقشندي: صبح، ج٥، ص٨٣؛ البقلي: التعريف، ص١٦٩.

(٢) بدأ القلقشندي بسرير الملك ولم يذكر الحلة، صبح، ج ٤، ص ٦.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من القلقشندي: السابق، نفسه.

(٤) أبدل القلقشندي تلك العبارة بأن قال [وفى سائر الأيام يجلس على كرسى من خشب مغشى بالحرير، إذا أرخى رجليه كادتا أن تلحقا بالأرض، وفى داخل قصوره يجلس على كرسى صغير من حديد يحمل معه إلى حيث يجلس]. صبح، ج ٤، ص ٧.

(٥) يقصد الخلافة الأموية والعباسية.

السادس: الغاشية، وهى غاشية سرج متخذة من أديم مزركشة بالذهب يخالهـا النـاظر مصنوعة [من الذهب] (١) يحملها بعض المهتارية (٢) بين يديه فى المواكب الحفلـة فى طرفـة الجفتاه (٣) يميناً وشمالاً.

السابع: المظلة، ويعبر عنها بالستر(٤)، وبعض الناس يسموها القبة (٥)، وهى من حريـر أصفر خفيف مزركشة بالذهب، على أعلاها طائر مموه على قبة مموهة يحمل علـى رأسـه فى المواكب الحفلة ولا يؤهل [١٢٢ ب] بحملها إلا ولد السلطان أو أخوه أو أتابك العسـاكر، وفى الشام وحلب نائبهما.

الثامن: الرقبة، وهى متخذة من قطعة حرير أصفر مزركشة بقدر رقبة الفرس يكسى بها حين ركوب السلطان عليها فى المواكب الحفلة، وكانت الفرس تفعل ذلك.

التاسع: الجفتاه، وهما أوجاقيان (٦) أشقران عليهما قباوان أصفران من حرير، وعلى كل منهما طرزى زركش وكوفية مزركشة وتحتهما فرسان قرطسيان (٧) يركبـان بـين يديـه فى المواكب الحفلة بإرقماشات من زركش حتى يكون الملك فى طرفهما جداراً من حفيرة يعبر فيهـا فرس الملك.

---

(١) ما بين الحاصرتين من صبح، ج ٤، ص ٧، ضوء، ص ٢٤٢.

(٢) الركاب دارية: صبح، نفسه، والمهتار لقب واقع على كبير كل طائفة من غلمان البيوت كمهتار الشراب خاناه، ومهتار الطشت خاناه، ومهتار الركاب خاناه، و" مه " بكسر الميم بالفارسية الكبير، و" تار " بمعنى أفعل التفضيل، فيكون معنى المهتار " الأكبر ". القلقشندي: صبح، ج٥، ص٤٧٠. واللفظان هنا بمعنى واحد سواء كان المهتارية أو الركبدارية.

(٣) يلفتها: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه. الصواب ما قاله السحماوي لأن الجفتاه هى الفرسان اللذان يكونان عن يمين وشمال السلطان فى المواكب يركبهما فارسان من المماليك يقال لهما أوجاقيان أو أوشاقيان يحملان الغاشية من الركبدارية. القلقشندي: صبح، ج٤، ص٧ ـــ ٨.

(٤) أطلق عليها القلقشندي [الجتر، والجتر] فى موضعين مختلفين من صبحه، ج ٢، ص ١٣٣، ج٤، ص ٧، ولكنه فى ضوئه ذكره بـــ [الجتر]، ص ٢٤٢.

(٥) انظر، محمد الهيلة: النظم الإدارية، ج ٣، ص ١٠٩٤.

(٦) أوشاقية: صبح، ج ٤، ص ٨. وأوحدها أوشاقى أو أوجاقى، وهوالذى يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة. صبح، ج٥، ص٤٥٤.

(٧) أشهبان: صبح، ج ٢، ص ١٣٣ ــ ١٣٤؛ ضوء، ص ٢٤٢.

العاشر: القصايب، وهى رايات من حرير مزركشة، وراية فى رأسها خصلة من شعر، ورايات صفر من حرير يسمون السناجق، وكان لواء النبى صلى الله عليه وسلم أبيض.

الحادى عشر: الشبابة، متخذة من يراع يزيد عن شبر يصيت بها بين يديه فى المواكب الحفلة، وربما كان عوضها بوق من فضة أو نحاس يصيت بها لو كان الملك خارج القلعة.

الثانى عشر: الأوزان، والزاى فيه مشوبة بالصاد، وهو آله أعجمية للطرب يضرب عليه فى المواكب الحفلة، والضارب به يتكلم بالتركية فى شيء من تواريخ الملوك السالفة وأصحاب الوقائع والشجعان وعلى نحو ذلك الشعراء بالدف والموصول والكمنجاه وهم على نوبتين فى المواكب الحفلة.

الثانى عشر [1]: الجاويشية [2]، وهم أربعة نفر من الجند فرسان يصيتون بين يدى الملك فى المواكب الحفلة بالنوبة وركوبه وتصيتهم على نوبتن، الأولى تقول " بسم الله يرى بك لار " [أبعصا صلغار]، والثانية تقول " يرن بك لار ".

الرابع عشر: الطبردارية [3]، وهم جماعة من أولاد الجند وعليهم أمير بمقام رأس النوبة عليهم، يحيطون بالملك يميناً وشمالاً حين ركوبه معدون لضرب عدو يقرب منه ومن غير إذن وهم عشر نفر.

الخامس عشر: نمجة الملك، وفى أيام المواكب الحفلة تكون نمجتان متلاصقتان فى حفير واحد يحملها الجوكندار أحد الخواص من الأمراء يقف بها إلى جانب الملك عن يساره، ونمجة [١٢٣ أ] أخرى قائمة إلى جانبه وربما توكأ عليها الملك وقد يقاربها ترس صغير من فولاذ يحمله أحد الخاصكية.

السادس عشر: الزردية [4]، وهى زردية داوودية يلبسها تحت قماشة إذا كان فى تسيير أو موكب حفل احترازا من عدو غادر.

---

(١) الصواب: الثالث عشر.

(٢) انظر القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٤٧ ــ ٤٨، ٢٣٩.

(٣) الطبردارية، معناه الممسكون بالفؤوس وهى كلمة فارسية مركبة من لفظين طبر ومعناه فأس، ودار بمعنى ممسك. انظر، القلقشندي: صبح، ج ٥، ص ٤٥٨.

(٤) الزردية هى نوع من الدروع الحديدية تلبس فى الحروب والمعارك. صبح، ج٢، ص١٥١.

السابع عشر: الكزاتة، وهى خرقة من شاش ملفوفة بقدر ثلث ذراع تجعل بين الكلفتة والشاش [١] من جهة اليسار وربما اتخذها بعض الملوك من زركش، وما اتخذها إلا ملوك الدولة التركية بمصر

الثامن عشر: شقق الحرير[٢] وهى شقق متخذة من الحرير الأصفر والأحمر المسمط تفرش تحت قوائم فرس الملك خاصة حين قدومه من سفر بعيد يمر عليها من باب النصر أو من بين العروستين إلى باب الستارة بقلعة الجبل فإذا مر عليها الملك بفرسه قطعت وأخذها الجمدارية[٣].

التاسع عشر: الجمقدار، اسم مركب من لغتين، تركية وهى جمق وهو الدبوس، وفارسية دار وهى ممسك، وشرطه أن يكون حسن الشكل عظيم الهيئة مهاب يقف فى أيام المواكب الحفلة إلى جانب الملك من الجهة اليمنى رافع يده ببعض تمايل بدبوس كبير الرأس مموه بالذهب شاخص ببصره إلى بصر الملك لا يشخص لغيره إلى حين قيام الملك من مجلسه.

العشرين: نوبة خاتون، وهى من المفرحات يجمع فيها بالقلعة فى كل ليلة أصحاب آلات للطرب يقوم فيها أحد مماليك نائب القلعة بقماش كامل وبيده عصا مذهبة وبين يديه فانوس صغير يحمله أحد البابية وينقله بخفة ورشاقة ليطابق نقله ضرب وقوع الآلات، وفى السفر يكون قائماً فيها أمير جندار فيدور بالمدورة والشقة.

---

(١) الشاش قماش من نسيج رقيق قد يكون من الحرير، ومنه ما يكون مرقوماً بالذهب. ابن حجر: إنباء، ج٤، ص٤١، هـ١.

(٢) يذكر القلقشندي أنها كانت شقق من كتان أو شعر الماعز توضع على خيمة السلطان وعياله. صبح، ج ٥، ص ٢٠٩، البقلى: التعريف، ص ٢٠٣.

(٣) الجمدار، معناه الممسك بالثياب، وهى كلمة فارسية مركبة من لفظين جاما ومعناه الثوب، ودار الممسك. القلقشندي: صبح، ج ٥، ص ٤٥٩.

الباب الثانى

فى ذكر أرباب الوظائف بالمملكة من أرباب السيوف والمهاترة المتولين من الحضرة وفيه ثمان مقاصد:

المقصد الأول

فى ذكر أرباب السيوف

وهم على ست طباق:

الأولى: الأمراء المقدمين [١]، وكل منهم مقدم على ألف ومضافاته [١٢٣ ب] مائة فارس، قال فى مسالك الأبصار: وربما زاد المضاف العشرة والعشرين. وكانوا إلى أثناء دولة المؤيد شيخ أربعة وعشرون [٢] مقدماً بنائب ثغر الإسكندرية ونائبى الوجهين القبلى والبحرى. قال فى مسالك الأبصار: إن أكابر الأمراء المقدمين يقطع إقطاع الواحد منهم مائتى ألف دينار جيشية [٣] وربما زاد على ذلك. وفى زماننا غاية ما يبلغ إقطاع المقدم خالصاً ...... [٤] ألف دينار خارجاً عن المغل، وربما اجتمع للأتابكى تقدمتين ولغيره تقدمة وطبلخاناه [٥] أو عشرة ويتولون أسنى الوظائف.

---

(١) قسم القلقشندي فى ضوء الصبح أرباب السيوف على ست طباق أيضاً ولكنه اختلف فى ترتيبهم فذكرهم كالآتى [أمراء المئين، أمراء الطبلخاناه، أمراء العشرات، أمراء الخمسات، المماليك السلطانية، أجناد الحلقة]. ص٢٤٤ ــ ٢٤٥.لكنه فى صبح الأعشى فرق بين الأمراء والأجناد فجعل الأمراء أربعة والأجناد طبقتين. انظر صبح، ج ٤، ص ١٤ ــ ١٥.

(٢) يذكر القلقشندي أنهم فى الدولة الظاهرية برقوق [صارت دائرة بين الثمانية عشر والعشرين مقدماً بما فى ذلك من نائب الإسكندرية ونائبى الوجهين القبلى والبحرى]: صبح، ج ٤، ص ١٤.

(٣) الدينار الجيشى لم يكن عملة متداولة بين الناس بل مقياس لإيراد الإقطاعات، وقد قدرت قيمة الدينار الجيشى ما بين سبع، وثلاثة عشر درهماً. إبراهيم على طراخان: النظم الإقطاعية، القاهرة ١٩٦٨، ص٥٢٥؛ بيومى إسماعيل: النظم المالية، ص٢٤١. **Poliak: Feudalism in Egypt ,Syria , Palestien and Lebanon , London 1939 ,p21.**

(٤) بياض فى الأصل.

(٥) هى كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية أو بيت الطبل الذى يشتمل على الطبول والأبواق التى تدق بالقلعة أو على بيوت الأمراء. القلقشندي: صبح، ج٤، ص٨ ــ ٩.

الثانية: أمراء السبعينات [١]،وفوقهم أمراء الثمانين وهم الذين يضاف إليهم السبعين أو الثمانين ويكون قريباً من التقدمة وقد يكونوا من أقارب الملك وهو بقدر أميرى طبلخاناه ومنها يرتقى إلى التقدمة. قال فى مسالك الأبصار: إنه من أمراء الطبلخاناه ولكنه يزاد إلى سبعين وإلى ثمانين.

الثالثة: أمراء الطبلخاناه، والمضاف إلى كل منهم أربعون وهو الذى كانت تدق الطبلخاناه على بابه، لكن قال فى التعريف: فى أواخر المكاتبات أنه تكون للواحد منهم ثمانون فارساً. وهذه الطبقة لا ضابط لعدة أمرائها، وإقطاع كل منهم يبلغ إلى ثلاثين ألف دينار جيشية. قال: وينقص إلى ثلاثة وعشرين ألف دينار، وهم فى زماننا لا يدق لهم طبلخاناه إلا إذا توجهوا فى مهم شريف لكشف جسور أو قبض غلال ونحو ذلك.

الرابعة: أمراء العشرات، والمضاف إلى كل منهم عشرة فرسان، قال فى مسالك الأبصار: وربما كان منهم من له عشرون فارساً ولا يعد إلا فى أمراء العشرات ولا ضابط إلى عدد أمرائها بل يزيدون وينقصون. ويبلغ [إقطاع] الواحد منهم تسعة [٢] آلاف دينار إلى ما دون ذلك.

الخامسة: أمراء الخمسات، والمضاف إلى كل منهم خمسة فوارس وهم قليلون وأكثر ما يقع ذلك فى أولاد الأمراء رعاية لآبائهم، ويبلغ إقطاع الواحد منهم ثلاثة آلاف دينار جيشية[٣].

السادسة: الجند، وهم على ضربين: الأول جند الحلقة، ولم يكن عليهم خدمة إلا فى المهمات السلطانية [١٢٤ أ] وكانت عدقم تبلغ إلى اثنى عشر ألف نفر ثم تناقصت ولا ضابط لهم ولا تماثل فإن الواحد منهم يكون له مع جبنه بقدر سبعة أو ثمانية من درق الشجعان وبالعكس، ومنهم من باسمه عشرة دنانير جيشية ولا لها متحصل وبالعكس. والمقدمين من جند الحلقة فى زماننا تبلغ عدقم أربعين مقدماً شيوخاً لهم قدم هجرة ورأى مسدد ووجاهة فى

---

(١) انفرد صاحب الثغر بذكر هذه الطبقة من الأمراء، فالذى درج عليه القلقشندي وغيره أن أمراء الألوف وراءهم أمراء الطبلخاناه ولم يذكروا توصيف أمراء السبعينات هذا.انظر القلقشندي: صبح، ج٤، ص١٥.

(٢) سبعة: مسالك ـــ أيمن ـــ، ص ٨٥.

(٣) انفرد صاحب الثغر بذكر إقطاع أمراء الخمسات دون العمري والقلقشندى.

العسكر، يحضرون بالمواكب الحفلة بالإيوان ويكونون باشات [١] على مقطعـي الحلقـة [٢] فى السفر فى المهمات الشريفة.

الضرب الثانى المماليك السلطانية، وينسبوا جميعاً إلى اللقب الملوكى القائم بالملك وإن لم يكونوا مشتراة على وجه الإطلاق ويتميزون فى التفصيل بتجارهم أو معتقيهم، وهم على ست مراتب: الأولى الخاصكية، جعل ذلك علماً عليهم لأنهم يحضرون على الملك فى أوقات خلواتـه وفراغه وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المقدمين، ويحضرون طرفى كل نهار فى خدمة القصـر والإسطبل، ويركبون لركوب الملك ليلاً ونهاراً ولا يتخلفون فى قرب ولا بعد، ويتميزون مـن غيرهم فى الخدمة بحملهم سيوفهم ولباسهم الطرز الزركش، ويدخلون على الملك فى خلوته بغير إذن، ويتوجهوا فى المهمات الشريفة ويتأنقون فى مركوبهم وملبوسهم، وكـانوا فى القـديم لا يزيدون على أربعة وعشرين بعدد الأمراء المقدمين، والآن فهم يزيدون عن الأربعمائة [٣] ولهـم الرزق الواسع والعطايا الجزيلة من الملوك ومن هذه الإمرة.

الثانية الجمدارية، وأحدهم جام وهو بالفارسية الثوب، ودار ممسك وهم دون الخاصكية فى الرتبة والخدمة ولم يزالوا مؤبدين على الوقوف فى الخدمة لامتثال ما يأمرون به.

الثالثة السلحدرية، وأحدهم سلاح دار وهو الذى يحمل سلاح الملك أو سنجقه أو مـا يؤهل لحمله من آلات الحمل، وهم على نوب مختلفة.

---

(١) باشات: ومفردها باش، وهى كلمة تركية تعنى رئيس. حسن الباشا: الفنون، ج١، ص٢٩٣.

(٢) كان لأجناد الحلقة إقطاعات دون الإقطاعات الموزعة من السلطان طبقاً لمراسيمه على أمراء المماليك، ولكنها إقطاعات خاصة بجند الحلقة دون غيرها من فئات المماليك، وكان يشترك فى الإقطاع الواحد عشرة من جند الحلقة. إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص١٤٩؛ محمود نديم: الفن الحربى، ص١٠٧. وهو هنا يشير إلى جند الحلقة الذين لهم إقطاع.

(٣) أعتمد الكثيرون على مقولة خليل بن شاهين فى زبدة كشف الممالك أن عدد الخاصكية فى عهد الأشرف برسباى يزيدون على ألف خاصكى، زبدة، ص ١١٥ _ ١١٦. إلا أن اعتمادهم ذلك لم يبن على حقيقة واقعة ذكرها ابن شاهين نفسه إذ أن ناشر الزبدة بول رافس تغاضى عن ما ذكره ابن شاهين فى مخطوط الزبدة المحفوظ بمكتبة باريس الأهلية تحت رقم **ARABE** ٢٢٥٨ إذ قال [ولم أحرر ذلك]، ورقة ٥٠ ب. إبراهيم طرخان: النظم، ص١٨٠ هـ٩٦؛ انظر محمود نديم: الفن الحربى، ص٩٦؛ **Poliak , Feudalism in Egypt , p. 31.**

الرابعة السقاة، وأحدهم ساق وهو المعد للخدمة حين حضور الطعام والشراب وفراش ما يحتاج إلى فرشه وتقطيع اللحوم.

الخامسة مماليك الخدمة، وهم الذين لا وظيفة لهم ولا خدمة عليهم إلا من تلقاء أنفسهم أو السفر إلى مهم. [١٢٤ ب]

السادسة الكتابية، وهم الذين بالطباق [١] فى محل التعليم ما أهلوا للدخول فى الخدمة بالقماش الكامل، منهم من هو فوق البلوغ ولهم أعوان ومعلمين وخدام عليهم بالطباق ولا يكونوا إلا بالقلعة.

المقصد الثانى

أرباب الوظائف بالحضرة من الأمراء المقدمين

وهم اثنا عشر [٢] مقدماً:

الأول: النائب الكافل، وهو لقب واقع على كل من ينوب عن الملك فى عامة أموره ولا يعبر عن الكافل بمصر إلا إذا ناب بحضرة السلطان فإذا ناب فى الغيبة فلا يعبر عنه بالكافل، قال فى التعريف: وهو يحكم فى كل ما يحكم فيه السلطان ويعلم فى التقاليد [والمراسيم] [٣] والتواقيع والمناشير وغير ذلك. قال: وهذه رتبة لا يخفى ما فيها من التميز. قال فى مسالك الأبصار: يعين أرباب الوظائف الجليلة ككتامة السر والوزارة [وقل أن] [٤] لا يجيب فيما يعينه، ويخرج الإقطاع الذى عبرته خمسمائة دينار من غير زيادة، ويكاد أن يكون السلطان الثانى. وقد أهملت هذه الوظيفة من أيام الناصر فرج فى عام ...... [٥] وثمانمائة، وتقليده فى الثلثين، واختار صاحب التعريف أن يجمع له فى تقليده ذكر النيابة والكفالة.

---

(١) الطباق: ومفردها طبق، وهى الأماكن التى يسكنها المماليك الذين يشتريهم السلطان وذلك فى فترة تعليمهم وإعدادهم للحياة العسكرية. عبد المنعم ماجد: نظم دولة المماليك، ج١، ص١٥.

(٢) الصواب: ثلاثة عشر، طبقاً لتقسيمه للوظائف.

(٣) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص ٩٤.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من، صبح، ج٤، ص١٧.

(٥) بياض فى الأصل.

الثانى: الأتابكى، وأصله بالتركية " أطابك " أى " أب أمير " وهو غالباً لا يكون إلا مع عدم النائب الكافل، قال المؤيد صاحب حماة: وأول من لقب بذلك وزير ملكشاه بـــن ألـــب أرسلان السلجوقى فى حين فوض إليه تدبير المملكة عام خمس وخمسين وأربعمائة [١].

الثالث: الأمير الكبير [٢]، وهو لقب على أكبر الأمراء فى زماننا وأعظمهـــم وأقـــرهم إلى الملك مخاطبة وجلوساً وركوباً ويستشيره السلطان فى مهمات المملكة ويعول على رأيـــه، وأول من لقب بذلك الأمير شيخو [٣] حين بلغ نهاية ما صار إليه، وقد صار لقب الأتابكى علماً عليه غالباً عند فقد الأتابكى، ولم يكن لوظيفته تقليد ويكتب له توقيع بنظـــر المارســـتان فى قطـــع النصف، وربما أضيف إليه النظر على خانقاة سعيد السعداء.

الرابع: رأس نوبة الأمراء، وهو لقب قائم على أمير قائم على الأمراء فى الأمر والنـــهى والحكم عليهم [١٢٥ أ] فيما بينهم ويجلس من مجلس السلطان برأس الميسرة، وتبطل هـــذه الوظيفة أحياناً وتعمل أحياناً ولا يكتب لها تقليد [٤].

الخامس: أمير سلاح، من أكابر الأمراء وله التحدث على السلاح دارية والسلاح خاناه، يجلس عند الملك بمترلة رأس نوبة الأمراء عند فقده، ولا تبطل هذه الوظيفـــة ولا يكتـــب لهـــا تقليد.

السادس: أمير مجلس، والأفصح التعريف، فيقال أمير المجلس وتكون الألف واللام فيـــه للعهد [الذهنى] [٥]، وهو ثالث مترلة من الأمير الكبير ويضاف مع الأتابكية، ويتحدث على

---

(١) الصواب: ٤٦٥ هـــ: صبح، ج ٤، ص ١٨، ضوء، ص ٢٤٦؛ حسن الباشا: الفنون، ج١، ص٣. والمقصود بالوزير هو الوزير نظام الملك أبو على حسن الطوسى، وهو وزير السلطان ألب أرسلان ومن بعده السلطان ملكشاه وقد قتل على يد الباطنية عام ٤٨٥ هـــ. انظر: حربى أمين سليمان: غياث الدين خواندمير كما يبدو فى كتابه دستور الوزراء، القاهرة ١٩٨٠، ص٢٤٥ ـــ ٢٦٧.

(٢) انظر القلقشندي: صبح، ج ١، ص ١١٧، ٢٠٨، خليل بن شاهين: زبدة، ص ١١٢.

(٣) كان ذلك عام ٧٥٥ هـــ. ابن شاهين: السابق، نفسه؛ ابن إياس: بدائع، ج١، ص٢٠٢.

(٤) يذكر القلقشندي أنهم أربعة أمراء، واحد مقدم ألف وثلاثة أمراء طبلخاناه. انظر، صبح، ج ٤، ص ١٨، ضوء، ص ٢٤٦.

(٥) مابين الحاصرتين من، صبح ج ٥، ص ٤٥٥، ضوء، ص ٣٤٣.

الأطباء والكحالين والجرائحية والمجبرين، وقد كان قديماً أمير مشور كما كان الأمير قطلقتمر فى أيام الظاهر برقوق، وكان فى مقام أمير مجلس وبطل فى زماننا.

السابع: أمير أخور، فارسي معرب، فأمير معروف وأخور بالفارسية المذود ويلتحق بذلك السلاخورى بمعنى المتحدث على علف الخيل، وهو مركب من لفظتين فارسيتين أحدهما سرا وهو الكبير وقد غلب الناس النطق بها باللام، وأخور المذود كما تقدم وليست الياء للمبالغة. وأمير أخور متحدث على ما بالإسطبلات والمناخات [1] من جنس الحيوانات وعلى ما يصدر إليها وما يرد عليها وله رفيق من المتعممين لضبط ذلك وأتباع منهم أمير أخور ثانى وغالباً يكون من أمراء الطبلخانات وأمراء العشرات كل منهم متحدث على جنس فيقال " أمير أخور المهارة[2] "، " وأمير أخور الدسار " [3]، وربما قيل للمتحدث على الأبقار" أمير أخور السواقى"، وهم يند رجون تحت أمر أمير أخور الكبير. وله التكلم على الأمراء من العربان المتسلمين حواصل المال، وعلى السلاخورية [4]، والنجباة، والركابة [5]، والأوجاقية، والمهاترة، والركبدارية، والنجابة ومقدميها، والسيروانية، والبقر، والغلمان، والسياس، والعليق،

---

(١) أماكن وجود الإبل.

(٢) المهارة: هى الخيول الحديثة الولادة.

(٣) ربما يقصد به الجشارات، ومفردها جشار، والجشارات تطلق على أماكن الرعى، والإسطبلات، وفى بعض الأحيان على الخيل والبقر المصاحب للجيش. ابراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص٤٧٧. وأعتقد أن المقصود هنا فعلاً هو الإسطبل الخاص بالتوالد لكون المؤرخين أمثال ابن تغرى بردى قد فرقوا بين الجشار والإسطبل، انظر ج٩، ص١٧٠، ولكون معناه اللغوى يؤدى إلى ذلك. انظر لسان العرب، ج٤، ص٢٨٤.

(٤) هو المتولى علف الدواب. السابق، ج٥، ص٤٦٠.

(٥) النجباة والركابة هم العربان راكبو الجمال والخيول. عبد المنعم ماجد: نظم دولة المماليك، ج١، ص١٥١.

والعلوفات، والأتبان، وقماش الخيول، والبغال، والهجن، والجمال، والبيــاطرة، والســقاءين، ومقرته باب السلسلة [(١)]، ويسند إليه نظر البرقوقية والقانباهية وخانقاه قوصون.

الثامن: الدوادار [(٢)]، قال فى مسالك الأبصار: وهو الذى يبلغ الرسالة وعامة الأمور عن السلطان ويقدم القصص ويتناول [١٢٥ ب] العلامة ويشاور على من حضــر إلى ســلطانه وعلى الأمور المهمة، وكان يكتب على القصص إشارته بالإقطاعات قبل كتابة نــاظر الجــيش عليها بالكشف، وكان يخرج التواقيع والمراسيم بالوظائف الجليلة ويعلق الرســالة لاســتخراج الأمثلة بما يراه، ويتحدث على الإقطاعات [(٣)] والرزق والجند ويتحدث على الأحباس بتشريف يلبسه من ثانى موكب استقراره، وله التحدث مع كاتم السر على المؤيدية وما يضاف لها.

وكانت هذه الوظيفة فى القديم أميرها لا يتعدى إمرة الطبلخاناه إلى أيام الناصر حســن فاستقر فى الدوادارية الأمير طغيتمر النجمى بتقدمة ألف، ومن تلك الأيام وهو مقدم. وقد أورد له فى التعريف بوصية [(٤)] تدل على أنه كان يكتب له تقليد، وله أتباع دونه ويطلق على كــل منهم دوادار أمثلهم الدوادار الثانى يتصرف فى الحكومة قرباً وبعداً ويكتب بخــلاص الحقــوق ويشاور على الأمور المهمة ولا يكتب فى استخراج أمثلة ولا يعلق رسالة، ثم بقية الدوادارية ثالث ورابع إلى عشرة.

---

(١) باب السلسلة: هو أحد الأبواب التى تؤدى إلى المنشئات الملحقة بالقلعة، وعرف باسم باب الإسطبل فى العصر المملوكى، وقد ظل الباب موجوداً حتى العصر العثمانى تجاه جامع السلطان حسن معروفاً باسم باب الإنكشارية إلى أن جدد رضوان كتخدا الجلفى المتوفى عام ١١٦٨ هـ عمارة الباب المعروف بباب العزب بالرميلة والبدنتين على جانبيه والزلاقة فى موقع باب السلسلة، ومازال باب العزب قائماً تجاه جامع السلطان حسن، ورقم تسجيله الأثرى ٥٥٥. المقريزى: مسودة الخطط، تحقيق أيمن فؤاد سيد، ص٣٤ هـ٢؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٢، ص٣ هـ١.

(٢) الدوادار: كلمة من لفظين، الأولى عربية وهى الدواة، والثانى فارسى وهو دار بمعنى ممسك فيكون المعنى ممسك الدواة. انظر القلقشندي: صبح، ج ٥، ص ٤٦٢.

(٣) فى الأصل: الإقطات.

(٤) انظر هذه الوصية فى العمري: التعريف، ص ١٣٧ ــ ١٣٩.

التاسع: المشير [١]، والإشارة وظيفة حادثة لم تعهد قديماً، ومتوليها يتكلم على الدواوين السلطانية وما يرد عليها وما يصدر منها ولا يتصرف مباشريها فى أمر مهم فيما يتعلق بالمال إلا برأيه ومشورة، وهى تعمل أحياناً وتبطل غالباً.

العاشر: الوزير، وأول وزير لقب فى الإسلام أبو سلمة الخلال حين وزر لأبى العباس عبد الله السفاح على ما تقدم. وقد اختلف فى اشتقاق اسمه [٢]، فقيل من " الوَزر " وهو الملجأ لأن الناس يلجئون إليه فى حوائجهم، وقيل من الوِزر وهو الثقل لأنه يتكفل بأثقال الملك وقيل من " الأوزار " وهى الأمتعة لأنه يتكفل بأمتعة الملك وما فى خزائنه، وقيل من " الأزر " وهو الظهر لأن الملك تقوى به تقوى البدن بالظهر. والوزارة هى أعلى الوظائف وأسناها بعد السلطنة، قال فى مسالك الأبصار: وصاحبها هو باب الملك المقصود ولسانه الناطق ويده الباطشة.، فلما جدت عليها النيابة تأخر بعض أمرها وتقدمه أمر النائب حتى صار متوليها لا يتسع له فى التصرف بحال، ولا تنفذ[١٢٦ أ] له يد فى ولاية ولا عزل.

والوزارة على ضربين، وزارة تفويض، ووزارة تنفيذ ــ وسيأتى الكلام عليهما فى قسم الولايات إن شاء الله تعالى ــ. والوزارة على جنسين:

الأول: إذا كان رب سيف فيقتصر فى العلمية عليه بالوزير لا بالصاحب، ويكون قائم فى مجلس السلطان مع الأمراء المقدمين وتدق له طبلخانه ويتصرف فى أمور الدولة إلا أن تعلق الحسابات والتواريع [٣] وضبط أصول المال والخصم والاستحقاقات مختص بناظر الدولة.

---

(١) ذكر القلقشندي هذه الوظيفة ضمن الألقاب فقط دون أن يفرد لها وظيفة كصاحب المقصد، وقال عنها [من ألقاب الوزراء ومن فى معناهم، والمشير الذى يشير على غيره بالرأى]. صبح، ج ٦، ص ٧٠.
وهناك رأى آخر فى وظيفة المشير ذكره خليل بن شاهين فى الزبدة مجمله أن متوليها ليست له وظيفة دائمة ولكن يشغلها عدة أشخاص من المعدودين برجاحة رأيهم فى المملكة يسر السلطان إليه بأمر مهم ويحضر أكابر الدولة ويتكلمون بشأنه فى حضرته ويكون خلالها المشير ممثلاً للسلطان فى رأيه ويتحاور مع الحاضرين حتى ينتهوا إلى رأى واحد وذلك حفظاً لهيبة السلطان من أن يرد عليه أحد رأيه أو أن يستقل السلطان برأيه على الرغم من اقتناعه برأى مخالفيه حفظاً لهيبته أمام الحاضرين. زبدة ص ١٠٦.

(٢) عن اشتقاقات كلمة الوزير انظر بالتفصيل، القلقشندي: صبح، ج ٥، ص ٤٤٨ وما بعدها.

(٣) التواريع جمع ريع، وهو فضل كل شيء. ابن منظور: لسان، ج٨، ص١٣٩.

الثاني: إذا كان متعمماً يلقب بالصاحب ويضاف فى ألقابه الوزير، وأول من لقب بالصاحب ابن عباد[١] لأنه كان يصحب ابن العميد [٢] قيل وزارته فلما ولى الوزارة لقب بالصاحب. وقيل لقب بالصاحب لأن الوزير صاحب رأى الملك وتدبير أمره.

ويختص بالوزير حين ولايته أشياء نفيسة منها كوفية مزركشة بالذهب بقندس قدر ثلاثة أصابع مطبوقة يلبسها حين استقراره ويرفع عمامته عنها بقدر ربع ذراع حتى يبرز الزركش، ومنها عنبرانية [٣] متخذة من أكر العنبر المهتك يجعل فى سلك من الإبريسيم الأخضر على عدة طاقات ترسل فى حلقه إلى صدره، ومنها خف أخضر من الحرير السكندرى يلبسه، وله وللنائب فى أيام المواكب جنديان من خاص الخيل وعليهما قماش من ذهب ويسيل عليه ثوب سرج من الحرير الأصفر الأطلس بوسطه جلد فهد يرتكيه [٤] ذلك الوزير عليه كاسياً غالب الفرس مسحوب على يد أوجاقى حشم بكلفته وقماش كامل ويختص بركوب بغلة بزنارى [٥] دون أرباب الوظائف الديوانية، ويكتب تقليده فى الثلثين ويطول الكلام على ما يتعلق به.

الحادى عشر: أمير رأس نوبة النوب [٦]، وله الأمر على المماليك السلطانية وإليه مرجعهم فى الشور والمحاكمات وهو السفير بينهم وبين الملك فى الشور وبلوغ المقاصد وهو أول

---

(١) هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس، تولى الوزارة لمؤيد الدولة بن بويه ثم أخيه فخر الدولة، كان مشتغلا بالادب وله فيه عدة تصانيف، توفى عام ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م. ياقوت: معجم الأدباء، ج٦، ص١٦٨؛ الثعالبى: يتيمة الدهر، ج٣، ص١٩٢.

(٢) هو أبو الفتح على بن محمد بن الحسين بن العميد، كان من الوزراء الكتاب، لقب بذى الكفايتين تولى الوزارة لركن الدولة البويهى، قتل على يد مؤيد الدولة البويهى. ياقوت: معجم الأدباء، ج٥، ص٣٤٧؛ الثعالبى: يتيمة الدهر، ج٣، ص٢٥.

(٣) هى قلادة من عنبر مغشوش. ابن الطوير: نزهة، ص١٢١.

(٤) الصواب: يرتقيه.

(٥) نوع من الإجلال ومفردها جل، يكون مفتوحاً فوق صدر الخيل ومسدولاً على الكفل بحيث لا يرى الذيل. انظر، القلقشندي: السابق، ج ٤، ص ٥٣، قنديل البقلي: التعريف، ص ١٧٣.

(٦) رأس نوبة النوب لقب اعتبره القلقشندي خطأ من العوام لأنه يجمع على [رءوس نوب]، والمراد بالرأس هنا الأعلى أخذاً من رأس الإنسان لأنه أعلاه، والنوبة واحدة النوب وهى المرة بعد الآخرى. والصواب هو [رأس رءوس النوب]. السابق، ج ٥، ص ٤٥٥.

من يدخل على الملك فى الخدمة والقائم على مسك من يؤمر بمسكه، ويرمـــل [١] حـــين أخـــذ العلامة، وله أتباع، الأول رأس نوبة ثانى، ويقال فيه رأس نوبة [١٢٦ ب] الميسرة وله الحكم والتصرف كالأمير رأس نوبة النوب، ثم ثالث ورابع من الطبلخانـــات والعشـــرات إلى نحـــو العشرين أمير يتصرفون فى أشغال المملكة وإليه يسند النظر على الشـــيخونية والصرغتمشـــية والحجازية والجامع الأخضر وغير ذلك.

الثانى عشر [٢]: أمير حاجب ويعبر عنه فى زماننا بحاجب الحجاب، وأصله علم على من يأخذ الإذن على الإمام ثم فوض إليه الحكم عند إبطال النيابة، وصار يرفع إليه المحاكمات الـــتى كانت ترفع للنائب ويطلب من البر ويكتب عنه المطلقات، وكان من أركان الدولة الأيوبيـــة، وقال فى مسالك الأبصار: إنه ينصف بين الأمراء والجند تارة بنفسه وتارة بمراجعة الإمام [٣] وله أتباع أمثلهم الحاجب الثانى ويقال فيه حاجب الميسرة ويتصرف فى الحكم بالقاهرة، ثم ثالث إلى ما يزيد عن عشرة برسم المحاكمات والخدمة لا غير، ويسند لأمير حاجب النظر على الجـــامع العمروى [٤] بمصر، وجامع الأزهر والصندوق [٥] وغير ذلك.

الثانى عشر [٦]: أمير إستدار، مركب من كلمتين فارسيتين، أحدهما " إســـتد " بكســـر الهمزة وسكون السين والدال وفتح التاء ومعناها الأخذ، والثانية دار ومعناها ممسك، والمـــراد التولى لأخذ المال لأنه الذى يتولى قبض المال.

ويقال فيه ستدار وقد غلط بعض الكتاب فضموا الهمزة فى أوله ويلحقون فيه ألفاً بعـــد التاء، ويقولون أستاذ الدار أو أستادار ظناً منهم أن المراد بالدار المحلة وأن أستاذ بمعنى الســـيد، وممن وقع فى ذلك صاحب التعريف على الوصايا.

(١) أي يضع الرمل على الكتابة. وعن الترميل انظر القسم التاسع من هذا الكتاب.

(٢) غير واضحة فى الأصل.

(٣) السلطان: مسالك _ أيمن، ص ٥٦؛ وزاد عليها القلقشندي:وتارة بمراجعة النائب إن كان، صبح، ج ٤، ص ١٩.

(٤) يقصد جامع عمرو بن العاص.

(٥) يقصد بالصندوق هنا هو نظر الصندوق، وعنه انظر فيما يلى.

(٦) الصواب: الثالث عشر.

قال فى مسالك الأبصار: وهو المتحدث فى بيوت السلطان كلها. وكان صاحب هذه الوظيفة مقدم وله أتباع من الأمراء الطبلخانات والعشرات، يتكلم بعضهم فى الذخيرة، وبعضهم فى الأملاك، وبعضهم فى المشتروات والمبيعات، ويتميز المقدم بإستدار العالية، ثم إن الظاهر برقوق حين أخذ السلطنة أكثر من مشترى المماليك وأفرد لهم ديواناً أضاف له بلاد برسم جوامك مماليكه وعلفهم فسمى من إذ ذاك ديوان المفرد وتحدث عليه أستادار العالية وأضيف له التحدث على الأملاك والذخيرة وغيرهما والتكلم فى معلوم الحاشية، ثم فى زمن الناصر فرج [١٢٧ أ] أضيف إليه نيابة الوجه البحرى بإقطاعها وله رفيق من المتعممين ناظر يتكلم معه فى المال والغلال وأتباع من المباشرين لضبط المال _ وسيأتى الكلام عليهم إن شاء الله تعالى _ ويكتب تقليده فى الثلثين.

أما المقدمين الخارجين عن الحضرة

فثلاثة [(١)]:

الأول: نائب ثغر الإسكندرية، وقد استجد فى عام سبع وستين وسبعمائة حين طرقتها الفرنج وكانت قبل طبلخاناه، ولم يكن كافل إذ لم تكن مملكة. ويتكلم على جيشها وضواحيها من غير أن يكن لها عمل ولا بر، وهو من جملة الأمراء المقدمين بمصر وتقليده فى الثلثين.

الثانى: نائب الوجه القبلى، وهو حادث فى أيام الظاهر برقوق وكان قبل يسمى والى الولاة، وكان بكل إقليم متول من الحضرة لم يكن لوالى الولاة عليه أمر فى ولاية ولا عزل، وفى أيام المؤيد شيخ أضيفت ولايتى البهنسا والأشمونين إلى نائب الوجه القبلى يقيم فيها من يختار من جهته، ثم فى أيام الأشرف برسباى فى عام ثلاثين وثمانمائة أضيف له التحدث على ولاة الأقاليم بالوجه القبلى جميعه، وصار يقيم بكل إقليم نائباً عنه خلا كشف الفيوم فإن متوليه يلبس من الحضرة، ومرجع نائب الوجه القبلى فى الولاية والعزل إلى الأمير الإستدار، وتقليده فى الثلثين،

---

(١) لقد ذكر القلقشندي ترتيب هؤلاء المقدمين [الإسكندرية، الوجه البحرى، الوجه القبلى]، فى صبح، ج ٤، ص ٦٤ ــ ٦٥، ضوء، ص٢٦٥ــ٢٦٦، ولكنه اتفق مع صاحب الثغر فى ترتيبه فى صبح، ج ٤، ص ٢٤ ــ ٢٥.

وكان يكتب له مرسوم فى النصف ولا كان يؤهل للتقليد إذ لم يكن بالوجه القبلى كرســـى [١] ولا سماط [٢].

الثالث : نائب الوجه البحرى، وهو حادث فى أيام الظاهر برقوق وكان قبـــل كاشـــفاً يسمى والى الولاة كما فى الوجه القبلى، وهو متحدث على جميع أقاليم الوجه البحرى، وليست بنيابة، ونيابة الوجه القبلى [٣] على قاعدة النيابات فى ترتيب الحجــاب والجيــوش وأربــاب الوظائف وركوب المواكب، ولها كرسى وسماط، بل يلبس حين استقراره أطلسين ويخــرج لــه فرس بسرج وقماش ذهب ويسير تحت سطعتين، وكان يكتب له مرسوم فى النصف، ثم صــار يكتب له تقليد فى الثلثين، وقد أضيفت هذه الوظيفة إلى الأمير الأستدار من أيام الناصر فــرج على ما تقدم.

---

(١) أى كرسى شبيه بالعرش السلطانى يجلس عليه النائب. القلقشندي: صبح، ج٤، ص٢٤.

(٢) سماط أى المائدة السلطانية. نفسه.

(٣) الصواب: البحرى.

المقصد الثالث

أرباب الوظائف من الأمراء الطبلخاناه

وهم اثنا عشر أمير:

الأول: شاد الشراب خاناه، وربما كان مقدماً، وهو المتحدث على ما يرد للشراب خاناه وما يصدر منها من مأكول ومشروب ـ ولا ينحصر أصنافه ـ. وهو الأمين على الشراب والطعام حين تناول الملك له من إدخال [١٢٧ ب] سم ونحوه، ويتكلم على الأطباء والكحالين والجرائحية والمجبرين، وله كتابته على الوزير من كل صنف.

الثاني: الخزندار[١]، وأصله الخزانة دار فحذفت الألف والهاء للخفة، والمعنى ممسك الخزانة، وثم من كتبها " الخازندار " وهو غير مستقيم [٢]، وهو ينقسم على ثلاثة أنواع:

الأول المتحدث على خزائن القماش المزركش والمذهب والحرير والأشياء النفيسة والسروج الذهب وأصناف الوبر وله استدعاء ما يحتاج إليه الملك من ذلك من ناظر الخاص أو مشتراة من مال السلطان.

الثاني: خزندار العين، وهو الذى يكون تحت حاصله الفصوص من اليواقيت وغيرها، وله رفيق ناظر لضبط ذلك ومشترى ما يحتاج إليه الملك كما سيأتى الكلام عليه، وعادة خز ندار المال أن يكون خادماً لأن المال يكون بقاعات الحريم، وقد يجتمع خز ندار العين وخز ندار الصنف لواحد فرد.

الثالث: خزندار الكيس، وهو التصدى بحمل كيس العين التى برسم الصدقة ويفرقه على الفقراء حين ركوب السلطان.

الثالث: أمير أخور، وقد تقدم الكلام عليه.

الرابع: الدوادار الثانى، وقد تقدم الكلام عليه.

الخامس: رأس نوبة ثانى، وقد تقدم الكلام عليه.

السادس: الحاجب الثانى، وقد تقدم الكلام عليه.

---

(١) ذكر القلقشندي أن [عادتها طبلخاناه ثم استقرت تقدمة ألف]، صبح، ج ٤، ص ٢١.

(٢) تفسير كامل للكلمة والآراء المختلفة فيها، انظر، صبح، ج ٥، ص ٤٦٢ ـ ٤٦٣.

السابع: الزمام، وأصله زنان دار مركب من لفظتين فارسيتين، فزنان النساء، ودار ممسك أى ممسك النساء، والعامة يظنون أن زمام بمعنى قائد وهو أكبر الخدام يخاطب الملك عن تعلقات الحريم وأولاد الملوك، ويستدعى ما يحتجن إليه، ويستأذن على تزويج الخوندات (١) والمعتقات(٢)، وله أتباع من الخدام بباب الستارة من تحت أمره يتصرفون فيما يصرفهم فيه من الوظائف.

الثامن: مقدم المماليك، وهو أعظم الخدام ترفع إليه الحكومات فى المماليك السلطانية وسفيراً فيما بينهم وبين الملوك من طلب المقاصد ويحضر فى مهماتهم حين النفقة والجامكية (٣) والكسوة (٤) والضحايا (٥)، ونحو ذلك، وله نائب معتبر يقوم بمقامه عند غيبته من القلعة، وله أتباع وخدام بالطباق يصرفهم من تحت أمره فيما يختاره، ورأيت فى التعريف (٦) له وصية تدل على أنه كان يكتب له تقليد.

التاسع: نائب قلعة الجبل المحروس، وهو [١٢٨ أ] المتحدث على الحرسية (٧) والأبراج وعليه حفظ المعتقلين بها، وله الأمر على [البحرية]، وعلى فتح باب القلعة وغلقه، وإليه ترفع المحاكمات فى القلعة من عامتها، وعليه دركها حين ظهور السلطان منها، وتفقد أسوارها ومنافذها، والأمر بعمارة ما يحتاج إليه.

العاشر: متولى القاهرة، وكان يعبر عنه قديماً بصاحب الشرطة وأول من أتخذه فى الإسلام عثمان بن عفان رضى الله عنه، وهو يتولى فى زماننا ولاية مصر مضافة لولاية القاهرة وضواحيها ويحكم فى القصاص وإقامة الحدود، وله الأمر على الجيوش وغلق أبواب القاهرة وفتحها، وعليه

---

(١) الخوندات: ومفردها خوند، وهو لقب يخاطب به الذكور والإناث، وقد استعمل فى عصر المماليك للدلالة على زوجات السلاطين وبناهم. حسن الباشا: الألقاب، ص٢٨١.

(٢) المعتقة: أى الأمة المحررة من قبل سيدها.

(٣) الجامكية: هى الرواتب العينية التى تصرف للمماليك والأمراء. القلقشندي: صبح، ج٣، ص٤٥٧؛ البقلى: التعريف، ص٨٢؛ محمود فهيم: الفن الحربى، ص٦٣. Dozy; Op.Cit.,T.1,p.168; Poliak;Op.cit.,p,4.

(٤) أى الملابس التى ينعم بها السلطان على مماليكه فى الشتاء والصيف. القلقشندي: صبح، ج٤، ص٥٥.

(٥) أى الأضحيات التى تذبح فى عيد الأضحى. العمري: مسالك ــ أيمن ــ، ص٤٩.

(٦) العمري، ص ١٣٦ ــ ١٣٧.

(٧) أى حراس الأبواب.

الطواف بالأماكن المهتمة بالمال والأقمشة، ولا يمكنه النوم خارج المدينة إلا بمرسوم خوفاً من حريق أو منسر أو كسر حاصل أو فتح سجن وغير ذلك، وتدق له طبلخانه على بابه، وكان له إقطاع من جملة إقطاع الطبلخاناه إلى أثناء الأيام المؤيده فبطل وكان يكتب له مرسوم بالولاية.

الحادى عشر: أمير شكار، فأمير معروف، وشكار بالفارسية الصيد، وهو المتحدث على الطيور الجوارح وكلاب الصيد وأحواش الطير وصيادين الكراكى والطائر الرقيق، وله الأمر على السواقين والحوندارية [١] والمعلمين والبزادرة [٢] والرماكين والكلاب زيه، وربما كان يتولاها مقدمين الألوف بإقطاع التقدمة، وفى زماننا قد انحطت رتبته عن الطبلخاناه بل وعن العشرة [٣] ويسمى المكان الذى هو مجمع لأرباب الصيد شكر خاناه.

الثانى عشر: أمير جندار، مركب من كلمتين أحدهما " جان " وهى الروح بالتركية، ودار ممسك أى ممسك الروح [٤]، وكان فى القديم هو الذى يستأذن على دخول الأمراء على الملك فى الخدمة ويدخل أمامهم فى خدمة الإيوان ويقدم البريد مع الدوادار والتسلم للباب ......[٥] وله البرد دارية [٦] والجندارية، وإذا أراد السلطان قتل أحد كان بحضوره. وهو المتسلم للزردخاناه التى هى أرفع قدراً فى الاعتقالات من السجن المطلق، وربما كان مقدماً وربما كانا أميرين طبلخانيين، وقد انحطت رتبته عن ذلك حتى استقر فيها العشرات فمن دونهم.

---

(١) الحواندار: هو المتصدى لخدمة طيور الصيد، ويحملها إلى موضع تعليم الجوارح، وأصله " حيوان دار ". القلقشندي: صبح: صبح، ج٥، ص٤٧٠.

(٢) البزدار: هو الذى يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده. السابق، ج٥، ص٤٦٩.

(٣) فى زمن القلقشندي إمرة عشرة، صبح، ج ٤ ص ٢٢.

(٤) لقد ذكر القلقشندي فى صبحه تفسيرين لهذه الكلمة، الأول: فقد ذكر ما قاله صاحب المقصد بنصه تقريباً، ج ٤، ص ٢٠. الثانى: قال عنه [ولم يظهر لى وجه ذلك ـــ يعنى أصل التسمية ـــ إلا أن يكون المراد أنه الحافظ لدم السلطان فلا يأذن عليه إلا لمن يأمن عاقبته]. ج ٥، ص ٤٦٨ ـــ ٤٦٩.

(٥) بياض فى الأصل.

(٦) البرد دار فى الأصل كلمة فردا دار، وهو مركب من لفظين فارسيين، أحدهما " فردا " ومعناه الستارة، والثانى دار ومعناه ممسك والمراد ممسك الستارة، وكان فى المبتدأ يقف بباب الستارة ثم نقل إلى ديوان الإنشاء. انظر، القلقشندي: صبح، ج ٥، ص ٤٦٨ ـــ ٤٦٩.

المقصد الرابع

أرباب الوظائف من الأمراء العشرات

وهم ثمان [١٢٨ ب] أمراء:

الأول: كاشف الطير، وربما قيل فيه حارس الطير، وهو المتحدث على الفرافسية طائفة من الجند برسم مراقبة الطير الذى يصيده الملوك بالجوارح إلى أن تتوطن بمكان تألفه فيمنع من يتعرضه أو يترل بقربه ويعلم بذلك كاشف الطير بتحقيق توطين الطير ويلم الملك بها وبعدها ليترل للصيد على بصيرة.

الثانى: أستادار الصحبة، وهو المتحدث على طبيخ الأمراق والمستدعى لاحتياج الطعام من الوزير، والمتحدث على معلمين الطبيخ وصنائعهم وصبيانهم والآنية، وهو المخاطب للملك فيما يتعلق بالأطعمة وغالباً يكون معه مشرف يأمر الطباخ بما يختاره الملك.

الثالث: شاد الزردخاناه، وهو المتحدث على استعمال آلات الحرب والمخاطب للملك عن المقصود ويستدعى الأصناف من جهاتها مصراً وشاماً، وله الأمر على النفطية [١] والبارودية [٢] وصناع الزردخاه [٣] والفولاذية ونحوهم، وله رفيق متعمم لضبط الوارد والصادر ونحو ذلك.

الرابع: الجاشنكير، وهو المتصدى لذواق المأكول والمشروب قبل السلطان خوفاً من أن يدس فيهما. والجاشنكير مركب من اسمين فارسيين أحدهما " جاشنا " ومعناه الذوق، والثانى " كير " ومعناه متعاطى ويكون بمعنى الذى يذوق، والعامة يسمون ذلك الششنى، وكان طبلخاناه ثم صار عشرة ثم تركت الوظيفة وانصرف فعل الأمر بذلك للمشد.

---

(١) هم القائمون على استخدام النفط المعروف باسم النار الإغريقية. عبد المنعم ماجد: نظم المماليك، ج١، ص١٧١؛ محمود فهيم: الفن الحربى، ص١٧٥ ــ ١٧٦.

(٢) هم القائمون على استخدام مدافع البارود الصغير منها والكبير. عبد المنعم ماجد: السابق، ج١، ص١٧٢؛ محمود فهيم: السابق، ص١٧٦.

(٣) الصواب: الزردخاناه. والزرد بمعنى السلاح، وخاناه بمعنى البيت فيكون المعنى بيت السلاح. القلقشندي: صبح، ج٤، ص١١.

الخامس: والى باب القلة [1]، وهو الباب الثانى من المدرج، وهو المتحدث على غلقه وفتحه وعليه دركه وله جماعة من تحت أمره واثقون به يصرفهم فيما يختاره.

السادس: المهمندار، بفتح الميمين، وأصله " مهمن " ومعناه الضيف ودار ممسك عبارة عن الذى يتلقى الضيف بمعنى قصاد الملوك وينزلهم بالأماكن اللائقة بهم ويستخرج لهم مرتباهم على مقار مرسليهم، وغالباً يكون ذلك من موجبات المنبع بالأسواق ويسمى دار الضيافة بالفارسية منجاناه، وله نائب يقوم مقامه فى ذلك.

السابع: مقدم البريدية، وهو بمقام الرأس نوبة على جماعة البريد وله الأمر عليهم ولا يتصرفون فى البريد إلا بعد علمه، ومن تحت أمره سبع مقدمين بعدد الأسبوع [١٢٩ أ] يكون لكل يوم مقدم يطلع فيه على الأمور ويطالع مقدم البريد بذلك.

الثامن: أمير الخليفة، ولم تكن له وظيفة بل سمى بذلك لأنه يكون صحبة الخليفة فى السفر يركب لركوبه وينزل لنزوله ويراقبه بعين الحرس ولا يفرد عنه ولا يمكن أحد من الاجتماع عليه ولا يبرز لقتال لملازمته الخليفة وغالباً يكون ديناً عاقلاً عارفاً مهاباً.

المقصد الخامس

أرباب الوظائف[من] الأمراء الخمسات

وهم ست أمراء:

الأول: نقيب الجيش، والنقيب فى اللغة هو الأمين، قال عز وجل ﴿ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَى عَشَرَ نَقِيباً ﴾ [2] أى أميناً بما حكاه البغوى، وقيل النقيب هو ضمين القوم ويعبر عنه فى بعض الممالك بنقيب النقباء والصواب أن يقال فيه أمير نقباء الجيوش، قال فى مسالك الأبصار " وهو القائم على الجند فى عرضهم وإحضار من يطلب منهم وله التطلب بالخزانة السلطانية فى السفر " والتكلم عن السلطان فى المحاكمة بين الأخصام وأخذ الجواب منهم وإيضاحه للملك ويحكم فى الأمور الخفيفة كأحد الحجاب، وكان فى القديم أمير عشرة ثم انحط عن الخمسة.

(١) عرف بذلك نسبة إلى قلة بناها الظاهر بيبرس ثم هدمها المنصور قلاوون عام ٦٨٥ هـ وبنى مكانها قبة ثم هدمها الناصر محمد بن قلاوون وبنى مكانه باب القلة. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٢١٢.

(٢) المائدة، الآية ١٢.

الثانى: أمير طبر، وهو بمقام رأس النوبة على الطبردارية وهم عشر نفر، وقد تقدم الكلام عليهم، وكان فى القديم أمير عشرة ثم انحط وعن الخمسة.

الثالث: أمير علم، والعلم فى اللغة يطلق على معان، أحدها الراية وشرطه أن يكون حسن الشكل طويل اللمة، وله التحدث على الطبول والعصائب السلطانية وجماعتها، وقد انحطت رتبته عن ذلك وعن الخمسة.

الرابع: أمير منزل، وهو القائم فى الأمر على الفراشين بضرب الخيام بالأماكن الصالحة لنزول الملك، ويحدد الأماكن المتحجرة الرملة والغواصة وذات الهوام والأفاعى وينزل أركان الدولة بمراتبهم فإن لكل مكان من المنزلة اسم.

الخامس: أمير مشوى، وهو القائم على ما يشوى للملك من أصناف اللحوم والطيور وربما كانا أميرين بنوبتين، وقد انحطت مرتبتهما عن ذلك.

السادس: الخازن، ويتعدد إلى وظيفتين، الأولى من يكون تحت يده حواصل الأشربة والسكر والحلوى ونحو ذلك، والثانى الذى يحمل سجادة الملك ويفرشها له وقت الصلاة، وربما اجتمعا فى واحد، وقد انحطت رتبته عن ذلك. [١٢٩ ب]

المقصد السادس

المشدين الذين لم يكن بيدهم إمرة

وهم أربعة:

الأول: شاد الدواوين، وكان أمير عشره رفيقاً للوزير فى استخلاص الأموال، وقد انحط وصار يعمل أحياناً ويبطل غالباً، وربما استقر من غير مباشرة طلباً للمعلوم.

الثانى: شاد العمائر، وهو القائم فى عمارة الأماكن التى ينشئها الملك، وربما استقر معه مقدماً فى إنشاء الأماكن المهولة ويقال ناظر العمارة، وله الأمر على المهندسين والحجارين وصناع العمائر ونحوهم.

الثالث: شاد الحوش، القائم فى عمارة ما هدم بقلعة الجبل والأمر بتنظيف أماكنها المسلوكة وإصلاح مجارى المياه بها واستدعاء أصناف العمائر من الوزير.

الرابع: شاد الخاص، رفيقاً لناظر الخاص فى استخلاص الأموال وبيع الأصناف واستدعاء الاحتياجات، وقد أهمل أمره واستبد ناظر الخاص بذلك.

المقصد السابع

الجند من المماليك

وأرباب الوظائف المشهورة منهم خمسة:

الأول: السلاح دار، وهو الذى يحمل آلة من آلات الحرب فى القتال تختص بالملك.

الثانى: السنجقدار، وهو الذى يحمل السنجق على رأس الملك فى حالة السفر، والسنجق الرمح ذو الشطفة وهو فى لغتهم مصدر الطعن، وهم على نوبتين.

الثالث: البندقدار، وهو الذى يحمل جراوة البندق(١) مع الملك حين تصيده، وربما كانا نفرين.

الرابع: الجوكان دار، وهو الذى يحمل الجوكان وهى عصا مدهونة طولها نحواً من أربعة أذرع، وبرأسها خشبة مخروطة محدودبة تنيف عن نصف ذراع.

الخامس: البشمق دار، وهو الذى يحمل نعل الملك، " والبشمق " بالتركية النعل. وعادتهما نفرين على نوبتين.

قاعدة لفظة دار فارسية معربة ومعناها ممسك فاعل من الإمساك، وكثير من الناس يظنون أنها عربية بمعنى المحكم لدار السلطان وليس كذلك.

المقصد الثامن

مهاترة النوبات

وهم سبعة، وتوقيع كل منهم فى العادة، ويلقب بمجلس الصدر:

الأول: مهتار الشراب خاناه،وهو المتسلم لما يرد إلى الشراب خاناه من الأشربة والسكر والحلوى والفواكه والبلح والمياه المقيدة والسفوفات المسهلة والمقبضة والمبردة والعطريات والمرصد لإسقاء الملك أطيب ما يشرب [١٣٠ أ] من الماء، وربما كانا اثنين على نوبتين.

---

(١) كذا فى الأصل، وكذا كتبت عند القلقشندي فى صبح الأعشى، وقد علق عليها محققو الكتاب [كذا فى الأصل ولعله مصحف عن غرارة أو نحوه] ج ٥، ص ٤٥٨ هـ ١. البندقدار مركب من لفظين فارسيين، أحدهما بندق وهو الذى يرمى به شبيهاً بالبندق الذى يؤكل، والثانى دار بمعنى ممسك، أى ممسك البندق. انظر: القلقشندي: السابق، ج ٥، ص ٤٥٩.

الثاني: مهتار الطشت خاناه [١] وهو التسلم لقماش الملك الملبوس وما يتبعه من أصناف الجوهر بالخواتم والسيوف وغير ذلك، وله الأمر على الرختوانية [٢] والطشت دارية ونحوهم، وهم اثنين على نوبتين.

الثالث: مهتار الفراش خاناه، وهو المتسلم لقماش الخام والمستخدم لرجاله والمتحدث على ما يختار السلطان استعماله من الخام، وهم اثنين وربما كانوا ثلاثة.

الرابع: مهتار الطبلخاناه، وهو المتحدث على المطبلين والزمار والمنقرين وغيرهم، وهم اثنين وربما كانوا ثلاثة على نوبتين.

الخامس: مهتار الركاب خاناه، وهو المتسلم لقماش الخيل المذهب والمزركش وغيره، والمتحدث على الركبدارية والمهمرتية [٣] والسواس وغلمان الجوق والاستعمالات وغير ذلك، وربما كانوا اثنين على نوبتين، ويلحق بهم

السادس: معلم الزردخاناه، وهو المتكلم على الاستعمالات بالزردخاناه وعلى التفصيل والتركيب والقطع وغير ذلك من أنواع الفولاذ والحديد والنفط والأخشاب والصناع وغير ذلك.

قاعدة لفظة خاناه بمعنى البيت مضاف إلى ذلك الصنف كالشراب خاناه بيت الشراب، والزردخاناه بيت الزرد ونحو ذلك.

السابع: المحفدار، وهو المتحدث على محفة الملك وآلاتها وأقمشتها وصناعها ورجالها وما يحملها حين سفرها.

---

(١) فى الأصل هى طست خاناه بالسين نسبة إلى طست الذى يغسل فيه وحرفته العامة من سين مهملة إلى شين معجمة فدرجوا على قولهم الطشت خاناه. انظر: السابق، ج٤، ص١٠، ج٥، ص٤٦٩.

(٢) رختوان لفظ فارسي، " الرخت " اسم للقماش والواو والألف والنون بمعنى ياء النسب ومعناه المتولى لأمر القماش. انظر: السابق، ج٤، ص١١، ج٥، ص٤٧١، البقلى: التعريف، ص١٥٨.

(٣) المهمرد معناه بالفارسية الرجل الكبير، " مه " معناها الكبير، و" مرد " تعنى الرجل، وهو القائم على حفظ قماش الجمال وقماش الإسطبل والسائقين. انظر، القلقشندي: السابق، ج٥، ص٤٧١، البقلى: السابق، ص ٣٣٤.

الباب الثالث

فى ذكر من يتولى بالحضرة من أرباب الوظائف الدينية بالديار المصرية

وقدر ما يكتب لكل نوع منهم من قطع الورق على ما استقر عليه الحال، وهـــو علـــى أربعة أنواع:

النوع الأول

القضاء والإفتاء

وهو على ثلاث مراتب.

الأولى: وظيفة القضاء، والإجماع منعقد على أن القضاء فرض على الكفاية، ومـــذهب الشافعى أن يكون القاضى مسلماً، لأن الله لن يجعل للكافرين سبيلاً، فلا يولى الكافر ولا على أهل دينه، فإن قيل أن الملك يولى البطاركة ورؤساء اليهود الحكم على أهل مللـــهم ويحكمـــوا بينهم. فالجواب إنما تصح ولايتهم إلا على مذهب الأمام أبى حنيفة.

وأما مذهب الشافعى فإنها تكون ولاية زمانية لا ولاية حكم، وأن يكون القاضى يكلف آخر ذكراً عدلاً سميعاً بصيراً ناطقاً، فلا يولى صبى ولا مجنون ولا رقيق ولا امـــرأة ولا فاســـق لنقصه، ولأن الأصم لا يفرق بين إقرار [١٣٠ ب] وإنكار، والأعمى لا يفرق بين الطالـــب والمطلوب، وفى معناه من يرى الأشباح ولا يفرق الصور، والأخـــرس لا يقـــدر علـــى إنفـــاذ الأحكام.وأن يكون كافٍ فلا يولى معتل ولا من أضل بكبر، وأن يكون مجتهداً فلا يولى جاهـــل بالأحكام الشرعية وطرقها، المحتاج إلى تقليد غيره فيها ولأنه لا يصلح للفتوى، فالقضـــاء أولى، وأن المجتهد يعرف من القرآن والسنة ما يتعلق بالأحكام وخاصة وعامـــة، ومقيـــدة ومطلقـــة، ومجملة ومبينة، وناسخة ومنسوخة، وأسباب النزول، ومتواتر السنة وهـــو الآحـــاد والمتصـــل والمرسل، وحال الرواة قوة وضعفاً لأنه يتوصل بذلك إلى تقرير الأحكام، ولسان العرب لغـــة ونحواً لأن الشرع ورد بالعربية وبهذا يعرف بعرف عموم اللفظ وخصوصه وإطلاقـــه وتقييـــده وإجماله وبيانه فيعرف ما لابد منه من فهم الكتاب والسنة وأقوال العلماء عمن بعدهم إجمـــالاً وإخلافاً حتى لا يخالف الإجماع باختيار قول بالسنة والقياس بأنواعه جلية وخفية، فإن تعذر جميع هذه الشروط لخلو الزمان من المجتهد والمستقل، فولى السلطان فاسقاً أو مقلداً، فعـــد قضـــاؤه للضرورة كى لا تتعطل مصالح الناس.

أما مذهب أبي حنيفة ....[1].

[١٣١ أ] والقاضى مشتق من قضى الأمر إذا أحكمه، لأن حكمه يقطع الخصومات، وقيل قضى الأمر إذا فرغ منه لأنه يفصل الخصومات بفروغ الأمر منها.والحاكم بمعنى القاضى واشتقاقه من الحكمة وهى الحديدة القائمة فى صدر اللجام فسمى بذلك لأنه يمنع الخصم من الجماح كما تمنع الحديدة من الجماح.

تنبيه: إذا تولى قاض فينبه كاتم السر الإمام على أن يأذن له فى الاستخلاف ليكون أسهل عليه وأقضى إلى فصل الخصومات فإن نهاه الإمام لم يستخلف لأنه لم يرض بنظر غيره فإن أطلق استخلف، وشرط المستخلف كالقاضى لأنه نائبه إلا أن يستخلف فى أمر خاص ويحكم الخليفة باجتهاده أو اجتهاد مقلده إن كان مقلداً.

فائدة: القضاة الثلاثة غير الشافعى حدثوا فى سنة أربع وستين وستمائة مع وجود القاضى تاج الدين بن بنت الأعز الشافعى [2] واستمرار ولاية نظره وكان ذلك فى أيام الظاهر بيبرس وانفرد الشافعى بأربعة أشياء، النظر على الأيتام، والأوقاف، وبيت المال، ونواب البلاد، ويشارك الثلاثة فى الباقى.

أما تقاليدهم فكانت تكتب فى قطع النصف بالمجلس العالى إلى أن ولى عماد الدين الكركى قضاء الشافعية [3] أيام سلطنة الظاهر برقوق الثانية، وكان أخوه القاضى علاء الدين كاتم السر فعنى به فكتب له تقليد فى قطع الثلثين ولقب فيه بالجناب العالى، وبقى الثلاثة على ما

(١) بياض فى الأصل بمقدار تسعة أسطر.

(٢) تم هذا الأمر بناء على تذمر الأمير تاج الدين أيدغدى أحد أمراء الظاهر بيبرس من القاضى ابن بنت الأعز، لمخالفته لهم، فأوعز إلى السلطان أن يعين لكل مذهب قاضيا، فأقر ابن بنت الأعز على الشافعى، وشهاب الدين أبا حفص عمر بن عبد الله بن صالح السبكى للمالكى، وبدر الدين بن سلمان للحنفى، وشمس الدين محمد بن الشيخ عماد الدين إبراهيم القدسى للحنبلى. انظر: القلقشندي: صبح، ج٤، ص٣٥ ــ ٣٦، حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ص ٨٧٣ ــ ٨٧٤.

(٣) هو القاضى أبو عيسى المقيرى الكركى الملقب بعماد الدين الكركى. انظر: ابن حجر العسقلانى: رفع الإصر، ق١، ص٩٤.

هم عليه إلى أن تولى جمال الدين محمود [١] قضاء الحنفية فكتب له تقليد فى قطع الثلثين، ولما ولى جمال الدين يوسف البساطى المالكى [٢] فى أيام الناصر فرج كتب له تفويض فى قطع الثلثين، ولما تولى القاضى علاء الدين بن مغلى [٣] فى دولة المؤيد كتب له فى قطع الثلثين، وصار الأمر مستمر على ذلك وصار غير الشافعى عليهم بأن يكتب له الجناب الكريم.

المرتبة الثانية: قضاء العسكر، ومتوليه يحضر دار العدل ويسافر بالركاب ويقضى ويحكم وتنفذ به الأحكام الشرعية، وشرطه أن يكون لاحقاً بصفة خلفاء الحكم ويكون ماهراً فى الأحكام السلطانية، وعادهم ثلاثة من كل مذهب قاض، ولم يكن للحنبلى منهم حظ، وتوقيع كل منهم فى الثلث.

المرتبة الثالثة: [١٣١ ب] إفتاء دار العدل، وهم أربعة من كل مذهب مفتى بمعاليم على الدواوين الشريفة، وتوقيع كل منهم فى الثلث.

---

(١) هو جمال الدين محمود القيصرى العجمى، تولى قضاء الحنفية فى عهد الظاهر برقوق، وقد تولى عدة وظائف أخرى مثل الحسبة، ونظر الجيش، وقد جمع بين وظائف قاضى القضاة الحنفى، ونظر الجيوش، شيخ شيوخ خانقاه شيخو، توفى عام ٧٩٩ هـ. ابن تغرى بردى: النجوم، ج١١، ص٢٤٤، ٢٨٨، ج١٢، ص ١٢، ٢٦، ١٥٨.

(٢) هو القاضى جمال الدين البساطى، عمل كقاضٍ ومحتسب فى عصور كل من الناصر فرج والمؤيد شيخ، والأشرف برسباى، والظاهر ططر. وعن ذلك انظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٢٥٧، ج٣، ص٢٤٨.

(٣) هو قاضى القضاة علاء الدين أبو الحسن على بن بدر الدين أبو الثناء محمود بن أبى الجود أبى بكر بن مغلى الحموى الحنبلى، ولد بحماة ونشأ بها، حضر إلى مصر سنة٧٩١ هـ، ولاه المؤيد شيخ قضاء الحنابلة، توفى عام ٨٢٨ هـ. المقريزى: السلوك، ج٤، ق٢، ص٧٠١؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج١٥، ص١٢٦ ـ ١٢٨.

النوع الثانى

التداريس ومشيخة الخوانق والخطابة والإمامة

ولا يتولى ذلك إلا من اشتهر علمه ودينه ويكون ماشيا على طريقة السلف مديد البـاع فى العلوم، وتقدم العَّلامة على العالم، والعالم على الفاضل وهو على خمسة ضروب:

الضرب الأول: تداريس الشافعية، وهى أربعة:

الأول: تدريس الخشابية بجامع عمرو بن العاص بمصر، وقف الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وهو أمثل تداريس الشافعية، وكان مضافاً لقاضى القضاة الشـافعى ثم أفـرد عنـه، وتوقيع متوليه فى النصف.

الثانى: تدريس جامع طولون وكان مضافاً لقاضى القضاة الشافعى ثم أفرد عنه، وتوقيـع متوليه إذا كان منفرداً فى الثلث.

الثالث: تدريس قبة الإمام محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه (١)، وكـان مضـافاً لقاضى القضاة الشافعى ثم أفرد عنه، وتوقيع متوليه فى الثلث.

الرابع: تدريس الجمالية (٢) برأس الركن المخلق وقف الأمير جمال الـدين البجاسـى، وتوقيع متوليه فى الثلث.

الضرب الثانى: تداريس الحنفية، وهى خمسة:

---

(١) هذه المدرسة بجوار قبة الشافعى أنشأها السلطان الناصر صلاح الدين، وجعلها قاصرة على تدريس المذهب الشافعى. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٤٠٠.

(٢) تنسب هذه المدرسة إلى الأمير جمال الدين الأستادار، وعرف بالبجاسى لكونه إستادار الأمير بجاس، وكان موقعها قيسارية موقوفة فهدمها وأقام مكانها هذه المدرسة عام ٨١٠ هـ/١٤٠٧م، وانتهى منها عام ٨١١ هـ/١٤٠٨م. ثم غضب السلطان الناصر فرج على جمال الدين وقتله عام ٨١٢ هـ/١٤٠٩م واغتصب المدرسة وأطلق عليها اسمه، ثم حكم القضاة برجوع المدرسة وأوقافها إلى ذرية جمال الدين الإستادار عام ٨١٥ هـ/١٤١٢ ومازالت قائمة تحت رقم ٣٥. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٤٠١ — ٤٠٣.

الأول: تدريس الشيخونية برأس الصليبية وقف الأمير شيخو فى عشر السبعين من السبعمائة، وهو أجل تداريس الحنفية، ولم تزل الملوك ناظرة إلى متوليه بعين التعظيم لأنه شيخ الصوفية ومدرسهم وشرطه أن لا يكون قاضياً وتوقيعه فى قطع الثلث.

الثانى: مشيخة مدرسة الظاهر برقوق بين القصرين، ومدرستها على نحو تدريس الشيخونية، وتوقيعه فى الثلث.

الثالث: تدريس المؤيدية داخل باب زويلة وقف السلطان الشهيد المؤيد شيخ، وهو على نحو ما تقدم، وتوقيع متوليه فى الثلث.

الرابع: تدريس الصرغتمشية من الصليبية وقف الأمير صرغتمش، ومتوليها على نحو ما تقدم، وتوقيعه فى الثلث.

الخامس: تدريس الأشرفية (1) وقف السلطان المالك الملك الأشرف برسباى خلد الله تعالى ملكه فى عشر الثلاثين [١٣٢ أ] من الثمانمائة، وتوقيع متوليها فى الثلث.

الضرب الثالث: تداريس المالكية، ولم يكن لهم تدريس يتولاه من الحضرة سوى تدريس القمحية بمصر .... (2) وتوقيع متوليه فى قطع الثلث.

الضرب الرابع: مشيخة الخوانق من غير تداريس وهى أربعة:

الأولى: مشيخة الخانقاه الناصرية بسرياقوس، استجدها الناصر محمد بن قلاوون ويعبر عن متوليها بشيخ الشيوخ وكان ذلك يطلق على شيخ الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء، وتوقيع متوليها فى قطع النصف.

الثانية: مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء أو وقف الشهيد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولم تكن أكبر صوفة منها ولا أحسن شرطاً لأن الصوفى إذا توجه منها عدة

---

(١) المدرسة الأشرفية بدأ فى بنائها عام ٨٢٦ هـ وانتهى عام ٨٢٧ هـ، وهى ما زالت قائمة إلى الآن تحت رقم ١٧٥. انظر: المقريزى: الخطط، ج٢، ص٣٣٠ ـــ ٣٣١.

(٢) بياض فى الأصل. والمدرسة القمحية من بناء السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى، وقد نسبت إلى القمح الذى يجبى من الوقف الذى أوقفه عليها بالفيوم. وعرفت كذلك بدار الغزل وهى بجوار جامع عمرو بن العاص. المقريزى: السابق، ج٢ص٣٦٤.

سنين وعاد يجد معلومه، وإذا توجه إلى القدس أو إلى الفيوم يجد بهما ما فاته من معلوم سعيد السعداء، وتوقيع متوليها فى الثلث.

الثالثة: مشيخة الخانقاه البيبرسية برأس الجوانية، إنشاء الظاهر[١] بيبرس الجاشنكير، وتوقيع متوليها فى الثلث.

الرابعة: مشيخة تربة الظاهر برقوق بالصحراء[٢]، وقف ولده السلطان الشهيد الناصر فرج فى العشر الأول من الثمانمائة، وتوقيع متوليها فى قطع الثلث.

الضرب الخامس: الخطباء والأئمة، أما الخطباء فلم تجر العادة باستقرار أحد منهم بالحضرة الشريفة سوى خطيب جامع قلعة الجبل، وكان يكتب توقيعه فى الثلث ثم أضيف إلى قاضى القضاة الشافعى ولهذا يزاد فى ألقابه " خطيب الخطباء " ويتميز به دون غيره لأنه يخطب بالملك.

أما الأئمة والمراد بهم أئمة الملك الذى يأتم بهم فى الصلاة غير أئمة القصر. وكانوا إمامين على نوبتين ثم هم الآن ثلاثة وتوقيع كل منهم فى الثلث وكتب لبعضهم " بالمجلس العالى " فى الثلث.

النوع الثالث

أنظار الوظائف الدينية

وهى اثنا[٣] عشر وظيفة بالقاهرة:

الأولى: نظر الأشراف، وموضوعها التحدث على أوقاف الأشراف وهى بركة الحبش من ضاحية مصر، وقف ....[٤] وناحية [١٣٢ ب] بلقس من ضواحى القاهرة، وقف

---

(١) الصواب: المظفر.

(٢) تم إنشاء هذه التربة بعد موت الظاهر برقوق فى عهد ابنه الناصر فرج، واكتمل بناؤها عام ٨١٣ هـ/١٤١٠م، وهى من أكبر الترب فى جبانات القاهرة فهى تشتمل على مسجد وخانقاه ومكتبان. انظر: المقريزى: السابق، ج٢ص٤٦٣؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٢، ص١٠٣ هـ١.

(٣) بياض فى الأصل والإضافة من سياق النص.

(٤) بياض فى الأصل.

.... [١] وبعض منتفعات بالقاهرة وما يستخرج منها من الأموال وصرفه على جماعة الأشراف بمصر والقاهرة فى وقت معلوم من السنة للكبير والصغير، والذكر والأنثى بالسوية، وربما ينفق منها على الأشراف المقيمين بمكة والمدينة والواردين منهما حين النفقة، ولا يصرف شيء إلا على من يكون ثابت النسب من الحسنيين والحسينيين، وتوقيع متوليها فى الثلث.

الثانية: نظر الحسبة، وقد اختلف فى اشتقاقها، قال الماوردى: وهى مشتقة من قولك حسبك بمعنى اكفف لأنه يكف عن الظلم. وقال النحاس: أحسبه إذا كفاه لأنه يكفى الناس مؤنة من بخسهم حقهم ".وحقيقته فى اللغة " المجتهد فى كفاية المسلمين ومنفعتهم ".

وأول من قرر ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وموضوعها التحدث على أرباب المعايش والصنائع والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح فى معيشته أو صناعته، وهى على ضمنين: الأول حسبة القاهرة، ومتوليها له نواب بالباب والقاهرة والوجه البحرى إلى قطيا وبرقة خلا ثغر الإسكندرية فإن متولى الحسبة بها كان استقراره من الأبواب فى قطع الثلث ثم أضيفت إلى نائبها، وتوقيع متوليها فى الثلث.

الثانى حسبة مصر، ومتوليها له الأمر والاستنابة بقلعة الجبل والصليبية إلى قناطر السباع[٢] والقرافتين [٣] والوجه القبلى بكماله، وربما أضيفت إلى حسبة القاهرة. وكانت ولاية الحسبة منحصرة فى المتعممين ثم صار يتولاها أرباب السيوف غالباً [٤].

الثالثة: نظر الأحباس، وكان فى القديم متوليها هو المتحدث فى الأوقاف ثم أفرد ذلك عنه بناظر مستقل. واختص بنظر الأحباس رزق الجوامع والمساجد والموقوف عليها، ورزق على

---

(١) بياض فى الأصل.

(٢) قناطر السباع: أول من أنشأها هو الظاهر بيبرس، وقد أطلق عليها لقب السباع لكون رمز رنك الظاهر بيبرس يمثل السبع، ثم قام الناصر محمد بن قلاوون بهدمها وأعاد بناءها عام ٧٣٥ هـ. المقريزى: الخطط، ج٢، ص١٤٧.

(٣) يقصد بذلك القرافتين الصغرى والكبرى بالقاهرة. وعنهما انظر، ص٢٦٩.

(٤) أول من شغلها من أرباب السيوف الأمير سيف الدين منكلى بغا أمير حاجب مضافة إلى الحجوبية فى عهد السلطان المؤيد شيخ عام ٨١٩ هـ. انظر: القلقشندي: صبح، ج١١، ص٢١٠؛ السخاوى: الضوء، ج١٠، ص١٧٣، ت رقم ٧٣١؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٥١٠؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ص ١٠٣٧.

سبيل البر وصدقة، وكانت ما تخرج إلا بكتب من السلطان ويشتمل توقيعها الخط الشريف، ثم فى دولة الأشرف شعبان صار النائب الكافل هو الذى يكتب على قصص الأحباس وتواقيعهـا، ولما أهملت النيابة صار الدوادار الكبير هو الذى يكتب عليها، وله رفيق متعمم تكون عهـود الأحباس [١٣٣ أ] ومستوفيها بديوان عنده، وهو الآمر فى كتابتها بمـا يـراه، وإذا كـان الدوادار الكبير غائباً، استقل بالأمر فى كتابتها، وتوقيعه فى الثلث.

الرابعة: نظر الجوالى، وتنسب جهتها للديوان العزيز، وموضوعها التحدث فى استخراج الجزية من أهل الذمة، وكان متوليها لا تطول يده إلا علـى أهـل الذمـة بمصـر والقـاهرة وضواحيهما، وكان يستخرج من نصارى الأقاليم بالديار المصرية لمقطعى بلادهـا ثم فى الأيـام المؤيدية أضيفت جوالى البر إلى ما يتحصل من جوالى القاهرة وينفق على أهل العلم ومستحقين فى وقت معلوم من السنة ولا ضابط له يزيد وينقص، وتوقيع متوليها فى الثلث.

الخامسة: نظر الكسوة، وموضوعها التحدث على كسوة البيت الحرام وما يستخرج من بلادها، وهى ناحيتى " بيسوس [(١)]، وسردوس [(٢)] "، وأراضٍ بقليوب، وصرف ذلك فى ثمن ما يستعمل من الذهب والحرير والأجص وغير ذلك فى كل سنة، والحجرة النبوية فى كل خمـس سنين مرة، وهذه الكسوة التى يفتخر بها ملك مصر على جميع الملوك شرقاً وغرباً وهى وقـف .... [(٣)]، وتوقيع متوليها فى الثلث.

السادسة: نظر الأوقاف، وموضوعها التحدث على أوقاف الحرمين بالقـاهرة ومصـر، وكانت مضافة لنظر الأحباس كما تقدم ثم صارت إلى قاضى القضاة الشافعى، ثم آلت إلى ناظر مستقل وربما تحدث فيها أرباب السيوف ويراجعوا قاضى القضاة الشافعى فى بعـض الأمـور، ومعلومه على ذلك من مال الأوقاف، وتوقيع متوليها فى الثلث.

السابعة: نظر دار الضرب، وربما يعبر عنها بآدر الضرب جمع دار لأن لكل صنف مـن النقود دار بمكان واحد، ولها تعلق بالخاص لأخذ الموجب، وموضوعها التحدث على ضـرب

---

(١) بيسوس: إحدى البلاد المندرسة، وكانت تقع بالقرب من قرية بقلولة بمحافظة كفر الشيخ. ابن الجيعان: التحفة، ص٩؛ محمد رمزى: القاموس، ق١، ص١٨٦.

(٢) سردوس: إحدى البلاد المندرسة، كانت تتبع قرية شباس الملح محافظة كفر الشيخ. ابن الجيعان: السابق، نفسه؛ محمد رمزى: السابق، ق١، ص٢٧٥.

(٣) بياض فى الأصل.

النقود من معاملة المسلمين من الذهب والفضة والفلوس ومنع مداخلها من الغش جملة كافية، ويحرس الأوزان إن كانت عددية والحرص على الختم وصون السكة بمكان حرز، ولا تسك النقود إلا بمعزل يحضره موثوق به، ومتوليها يتحدث على صناعها ويناقشهم (١) على عدم إدخال الغش بكل ممكن، وعلى تحرير الأوزان، وتوقيعه [١٣٣ب] فى الثلث.

الثامنة: نظر خزائن السلاح، وموضوعها التحدث على خزائن السلاح، وأصل هذا السلاح أن الملكة شجر الدر أوقفت بلادا فى إقليم الجزيرة، وأرصدت خراجها إلى أن يشترى به أصناف السلاح من فضة وحرير (٢) وفولاذ وحديد وآجر ومعاليم، ويقام منه فى كل سنة كذا كذا قطعة تحمل للزردخاناه وإلى ثغور الإسلام، فأقام الأمر على ذلك عدة سنين ثم تلاشى أمر النواحى المستخرج منها المال فبطل استعمال السلاح، فلما تولى الناصر محمد بن قلاوون قصد إعادة ذلك فأخذ فى إقليم الجزيرة أراضى وعمر عمائر واشترى أماكن وأعاد عمل السلاح، فصار يعمل فى كل سنة ويحمل إلى الزردخاناه. ومتوليها يتحدث فى استخراج المال من جهاته والأمر بصرفه فيما يستعمل، وله التحدث على مباشرين ذلك والزردكاشية والمعلمين والصناع، وتوقيعه فى الثلث.

التاسعة: نظر البيمارستان المنصورى، والبيمارستان لغة فارسية ومعناه بيت الضعيف، وهو وقف المنصور قلاوون أعظم أوقاف الديار المصرية وأكبرها براً لم يباشر به ذمى خوفاً من الدسائس، ولا يداوى به ذو عاهة حذاراً من العدوة، وكان نظره قديماً للوزير مع أحد أكابر الأمراء المقدمين، ولما آل الأمر فى نظره إلى الأمير الكبير أبطل نظر الوزير منه وصار يتولى بنظره من المتعممين من يؤهل إلى نظره مع الأمير الكبير ولا ينفرد برأيه فى أمر مهم بل بمراجعة الأمير الكبير، وتوقيعه فى الثلث.

العاشرة: نظر الزردخاناه، وموضوعها التحدث على ما يستعمل بالزردخاناه من آلات الحرب والنفط واستدعاء ما يحتاج إليه من مصر والشام والثغور وغيرها، ولمتوليها التحدث على جماعة الزردكاشية والمعلمين والصناع ونحوهم رفيقاً للشاد المتقدم ذكره، وتوقيعه فى قطع الثلث.

(١) كذا فى الأصل.

(٢) كذا فى الأصل.

الحادية عشر: نظر الحرم النبوى، وموضوعها التحدث على بلاد، ودرمونة [1]، يؤخذ خراجها يجهز فى كل سنة إلى خدام قائمين بخدمة الحجرة النبوية، وأوقف السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ناحية نقادة [2] بالقوصية وثلث سندبيس [3] بالقليوبية على أربعة وعشرين خادماً، ووقف الصالح إسماعيل ثلثى سندبيس [١٣٤ أ] على ثلاثة عشر خادماً بثلاثة عشر جزء، وعلى ستة خدام بثلاثة أجزاء لكل خادمين جزء.

الثانية عشر: نظر الصندوق، وموضوعها التحدث على جهات ربخية بالمحلة وبلبيس والفيوم يتحصل منها ما يصرف على رجال ونساء وصغار وأطفال مستحقين بأسماء مفردة فى وقت معلوم، ومتوليها يراجع حاجب الحجاب فى أمرها، وكان توقيعه فى الثلث ثم تلاشى نظرها حتى صار حاجب الحجاب هو المستبد فى استقراره وعزله من غير أن يستقر من الحضرة.

النوع الرابع

ما هو خارج عن الأنظار من الوظائف الدينية المنفردة

وهما وظيفتان:

الأولى: نقابة الأشراف، وموضوعها التحدث على صيانة ذوى الأنساب الشريفة عن ولاية من يكافئهم فى النسب ولا يكافئهم فى الشرف ليكون عليهم أحنى وأمره فيهم أمضى، وهو على ضربين عامة وخاصة.

فأما الخاصة فهو أن يقتصر بنظره على مجرد النقابة من غير مجاوزة لها إلى الحكم وإقامة حدود، ولا يكون العلم معتبراً فى شروطها، ويلزمه فى النقابة على ما حكاه صاحب الأحكام السلطانية من حقوق النظر اثنا عشر حقاً.

---

(١) الدرمونة مركب كبير لنقل الغلال من وإلى الأهراء السلطانية، وحمولتها خمسة آلاف أردب. ابن شاهين: زبدة، ص١٢٢ـ ١٢٣؛ درويش النخيلى: السفن الإسلامية، ص٤٦؛ ويقصد أن خراج هذه الدرمونة كان يصرف كوقف على الحرم النبوى.

(٢) ابن الجيعان: التحفة، ص١٩٥. وهى إحدى قرى محافظة أسيوط.

(٣) لقد ذكرها كل من ابن مماتى، وابن الجيعان ضمن الأعمال القليوبية، وذكر ابن الجيعان وقفها على المسجد النبوى. ابن مماتى: قوانين، ص١٤٥؛ ابن الجيعان: التحفة، ص١١.

وأما العامة فعمومها أن يرد إليه فى النقابة عليهم خمسة أشياء، أحدها الحكم بينهم فيما يتنازعوه، الثانى الولاية على أبنائهم فيما ملكوه، الثالث إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه، الرابع تزويج الأيامى اللاتى لا يتعين أولياؤهن أو قد يعينوا فعضلوهن، الخامس إيقاع الحجر على من عته منهم أو سفه وفكه إذا أفاق أو رشد، فتصير بهذه الخمسة أشياء عام النقابة.وكان فى أوائل الدولة العباسية يقع ذلك على نقابة الطالبيين وكان يضاف للنقابة النظر على جمع أموالهم ويفرقها عليهم ثم استقل به ناظر غيره، وربما يضاف إلى نقيب الأشراف النظر على مشهد الحسين بالقرب من رحبة الأيدمرى، وتوقيعه فى الثلث، ونعوته وألقابه كأرباب السيوف.

الثانية: وكالة بيت المال، وموضوعها أن متوليها يتحدث فيما يتعلق ببيت المال من مسح أراض وعقارات وغير ذلك بمصر وغيرها من الممالك والمعاقدة على ذلك، ومستنداته فى ذلك مربعات شريفة بجلد [١٣٤ ب] عنده، قال فى مسالك الأبصار: ولا يليها إلا أهل العلم والديانة. قال: وإن مجلسه فى دار العدل تارة يكون دون المحتسب وتارة أعلاه بحسب العالم منهما. وتوقيعه فى الثلث. ورأيت من كتبه فى النصف.

أما غير هؤلاء من أرباب الوظائف الدينية فكثيرون واستقرارهم بتواقيع تارة فى الثلث وتارة فى العادة من غير أن يسمح لأحد منهم بلبس تشريف من الحضرة إلا من حصلت له عناية.

الباب الرابع

فى ذكر أرباب الوظائف الديوانية المستقرين بتوليها من الحضرة وذكر أتباعهم وما يكتب لهم من قطع الورق

وهى فى زماننا على عشرة وظائف:

الأولى: كتابة السر، وهى فى زماننا أعظم الوظائف الديوانية خطباً وأجلها قدراً، وقد تقدم الكلام عليها وعلى متوليها، وتوقيعه فى قطع الثلثين، ويلقب بالجناب الكريم وله أتباع ثلاثة:

الأول: نائبه، وشرطه أن يكون لاحقاً بصفات كاتم السر المتقدمة، وأن يكون يقظاً فى تعلق الديوان مطلعاً على مهماته من إصدار وإيراد حتى لا يخفى عليها منها ما جل ولا ما قل، ويتصرف بنظره وقلمه فيما يتصرف فيه كاتم السر من القراءة وأخذ الجواب، ويجهز القصاد ويصرف البريد والسعاة وتنفيذ أمور الملك بما يراه تصوره واهتداؤه، وتولى الولايات ويعين الألقاب ويوقع ويكتب التسافير، وعلى أوراق الرقاع وعلى الملخصات، ويعين على كتاب الديوان بما يعينه كاتب السر، غير أن محل وضع تعيينه يكون منحطاً عن محل وضع تعيين رئيسه، ولابد أن يكتب تحته نيابة للتأدب، وعليه كل الديوان فى الإملاء والاستيعاب، وقد تقدم الكلام عليه وتوقيعه فى النصف.

الثانى: كاتب الدست، وهو كاتب الإنشاء لقب بذلك إضافة إلى دست المملكة، وهى مرتبة جلوسه بين يدى السلطان مع رئيسه فى المواكب الحفلة بدار العدل، ويقرأ القصص بعد ما يقرأ رئيسه، ويوقع عليها بما يأمر به سلطانه، ثم ترفع إلى كاتب السر فيعينها، وقد كانوا فى أوائل الدولة التركية [١٣٥ أ] ثلاث نفر، رأسهم القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر، ثم تزايدوا حتى أنهم فى زماننا يزيدون عن عشرين، ولا ينتفع بغالبهم وهم على ضربين، الأول يركبون فى خدمة رئيسهم على نوبتين كما تقدم، الثانى مقتصرين على كتابة ما يعين عليهم كما تقدم الكلام عليهم.

الثالث: كاتب الدرج، لقب بذلك لكتابته فى درج الورق، والمراد بالدرج فى العرف العام الورق المستطيل المركب من عدة أوصال، قال ابن حاجب النعمان فى ذخيرة الكتاب: هو

فى الأصل اسم للفعل أخذاً من درجت الكتاب أدرجه درجاً إذا أسرعت فيه. وأدرجه إدراجاً إذا أتخذ به على مطاويه، وقد تقدم الكلام عليه.

الثانية: الوزارة، وقد تقدم الكلام عليها وعلى الوزير وما يختص به، ولها أتباع عشرة أعظمها وأجلها نظر الدولة، وكان يعبر عنها فى القديم بنظر الدواوين، قال فى مسالك الأبصار: وصاحبها يتحدث مع الوزير فى كل ما يتحدث فيه ويساويه فى الكتابة والتوقيع فى كلما يكتب، ويوقع بنعاله، وإن كان الوزير صاحب سيف كان ناظر الدولة هو المتحدث فى أمر الحسابات وما يتعلق بها "، والوزير يقتصر على التنفيذ، وتوقيعه فى النصف.

الثانية: استيفاء الصحبة، وهى وظيفة جليلة، قال فى مسالك الأبصار: وصاحبها يتكلم على جميع ما فى المملكة مصراً وشاماً، ويكتب المراسيم والمربعات الشريفة تارة بما يعمل بالبلاد وتارة بإطلاقات وتارة باستخدامات فى صغار الأعمال ومن هذا وما يجرى مجراه بالأمر الشريف أو بأمر الوزير. قال: وهذا الديوان أرفع دواوين الأموال، وفيه تثبت التواقيع والمراسيم، وكل من دواوين الأموال فرع تحته، وإليه يرجع حسابه. ولا يكتب تاريخ المراسيم المربعة إلا هو، ويلبس فى المحمل مع أكابر المباشرين جبة مطرزة، وتوقيعه فى الثلث.

الثالثة: نظر بيت المال، وموضوعها النظر على حمول المملكة إلى بيت المال والمصرف من ذلك تارة قبضاً وصرفاً، وتارة بالتسويغ تحضيراً وصرفاً، قال فى مسالك الأبصار: ولا يليها إلا ذو العدالة البارزة من أهل العلم والديانة. [١٣٥ ب] والآن فقد قصرت يد المتصرف عليها عما كانت عليه لا بشحات بيت المال، وصار الوزير يوليها لمن لم يكن له تصرف غير النفع بالمعلوم، وتوقيعه فى الثلث.

الرابعة: نظر دار الضيافة والأسواق، وموضوعها التحدث فيما يتحصل من الأسواق من الموجبات ليصرف منها لكف القصاد والرسل على يد المهمندارية ما يكفيهم بحسب مقام من أرسلهم فيما يقرره كاتم السر لهم. وعلى دار الضيافة مرتبات ومعاليم يومية وعشرية، ولم يولى ناظرها فى زماننا إلا الوزير، وكان توقيعه فى الثلث.

الخامسة: نظر المرتجعات، وكان موضوعها التحدث على مواريث الأمراء فى المتوفر عنهم عن نقص من يلزمهم استخدامه من الجند ويحاسب على ذلك ويرتجعه من إقطاعهم، وإذا ظلم المقطع فلاحه بأخذ زائد عن فلاحته استعيد ذلك منه لديوان المرتجع، وصار متوليها الآن لم

تطل يده إلا فيما يقع الاختلاف فيه بين مباشرين الأمراء والجند والشطب فيما يشرعه فيهم ويخلد عنده الشطب الفاضل بينهم، وتوقيعه فى الثلث.

السادسة: نظر المواريث الحشرية [1]، وموضوعها التحدث فى المواريث الحشرية وما يتحصل منها وإيراده لبيت المال وبيع ما آل فيه الأمر للدولة من أراض وعقارات وغير ذلك، وصار متوليها يستقر من الوزير، وكان توقيعه فى الثلث.

السابعة: نظر البيوت والحاشية، وكان موضوعها التحدث فى كل ما يتحدث فيه الأستادار من طلب ما تحتاج إليه البيوتات السلطانية وتفصيل القماش والصرف على استعماله، والتحدث على جماعة الحاشية، وتوقيعه فى الثلث وصارت هذه الوظيفة تعمل أحياناً وتبطل غالباً.

الثامنة: نظر الجهات، وموضوعها التحدث فيما يتحصل من الموجب على التجار براً وبحراً وحمله إلى بيت المال، وكان توقيع متوليها فى الثلث، وصار الآن الوزير هو الذى يوليه.

التاسعة: نظر الأهراء،وهى شون غلال الدولة بمصر فيما يرد لها ويصدر منها وكانت عليها مرتبات وصدقات فأهملت، وكان توقيع متوليها [١٣٦ أ] فى الثلث ثم صار يتولاها من الوزير.

العاشرة: استيفاء الدولة، والمتحدث فيها هو الذى يتلقى حسابات الدولة وضبط أمرها وروداً وإصداراً، وكان فى الزمن القديم منحصر ذلك فى واحد فرد ثم تعدد إلى ثان وثالث، وهم الذين يكتبون التذاكر والمربعات ونحوها، وكان توقيع متوليها فى الثلث ثم صار يتولى من الوزير. ووراء ذلك من أتباع الوزارة وظائف أخر لم يؤهل متوليها إلى الاستقرار من الحضرة ولا كتابة تواقيع فى الثلث والوزير هو المستبد بولايتهم.

الوظيفة الثالثة: نظر الخواص الشريفة، وهى من أجل الوظائف وأسناها، حدثت فى أيام الناصر محمد بن قلاوون حين انحطت الوزارة عن موضوعها بالنيابة. ولمتوليها التحدث على جهات بالقاهرة وثغر الإسكندرية وخمس دمياط وبحيرتها وثغرى نستراوه والبرلس وبحيرتها

---

(١) المواريث الحشرية: هو ديوان خاص بتحصيل مال من يموت ولا وارث له، أو يوجد وارث له فرضاً لا عصباً لا يستغرق ميراثه كل المال الموروث. القلقشندي: صبح، ج٣، ص٤٦٠.

ومدينة فوه وموجب الكارم [١]، ودواليب [٢] الخاص، وغير ذلك من حمامات ومستأجرات وفرع منفلوط، ويصرف من متحصل ذلك فى ثمن أنواع الخلع والأطرزة والسروج الذهب والكنابيش[٣] وكسوة الحريم والمماليك والضحايا وغير ذلك.

قال فى مسالك الأبصار: وقد صار متوليها كالوزير لقربه من الملك وتصرفه. ويلبس جبة من ثاني موكب استقراره بوكالة السلطان فيما يباع ويشترى ويتعوض، وتقليده فى قطع الثلثين، ويلقب بالجناب العالى، وللخاص أربعة أتباع:

الأولى: استيفاء الخاص، وموضوعها ضبط كل ما يرد لديوان الخاص وما يصدر منه، وهو المتلقى لحسابات الديوان والمستوفى عليها وكتابة ما يؤخذ الخط الشريف عليه من ديوان الخاص. وناظر الخاص مستبد بأمره فى الولاية والعزل، وتوقيعه فى الثلث.

الثاني: ناظر ثغر الإسكندرية، وهو يتحدث فيما يرد إلى الثغر وما يصدر منه من أصناف المتجر براً وبحراً وجهات بالثغر وأخذ الموجب عن ذلك وصرفه على جندها وجهات بها وكسوة حريم الملك واحتياج الخاص وغير ذلك، وأمره لناظر الخاص فى الولاية والعزل، وتوقيعه فى الثلث.

الثالثة: نظر مواريث الخاص، ومتوليها يتحدث فى مواريث الخاص من أسماء الترك وأبنائهم وتجار الشرق والكارم [١٣٦ ب] ومواريث أهل بلاد الخاص وحمل ما يتحصل من ذلك لديوان الخاص، وأمره راجع لناظر الخاص فى الولاية والعزل، وتوقيعه فى ...... [٤].

الرابعة: نظر الكارم، وهو صفة محذوفة وتقديره نظر المتخذ الكارمى هكذا موجود فى الدواوين، قالوا ولا معنى له فى اللغة، ويقال إن أصله الكانمى بالنون نسبة إلى الكانم فرقة من السودان كانوا بمصر شأنهم المتجر فى البهار المجلوب من اليمن فعرف بهم. ومتوليه له التحدث على صنف البهار الواصل براً وبحراً ومرجعه إلى ناظر الخاص فى الولاية والعزل، وتوقيعه فى الثلث.

---

(١) أى الضرائب المستحقة على تجار وتجارة الكارم. وعنهم انظر بعد قليل نظر الكارم.

(٢) انظر: تعريف زكاة الدولبة، ص٢٣٠ هـ٥.

(٣) الكنابيش: ومفردها كنبوش، وهو ما يستر به مؤخر ظهر الفرس، وهو من الذهب الزركش، ومن الصوف المرقوم. القلقشندي: صبح، ج٢، ص١٣٥.

(٤) بياض فى الأصل.

الوظيفة الرابعة: نظر الجيش، وقد تقدم أن نظر الجيش أول ما دون فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سنة عشرين من الهجرة، وهى من أجل الوظائف وأسناها وأمثلها وأسعدها، وأميزها، وموضوعها التحدث على الإقطاعات جليلها وحقيرها بجميع الممالك والجهات حتى إقطاع الخلفاء وأولاد الملوك وحتى الرزق الجيشية.

ومن ديوان الجيش ترتب الاستمارات وتخرج الاستحقاقات، وهو أضبط الدواوين وأكثرها نفعاً ومتوليه فى زماننا ....[1] وتقليده فى الثلثين، وله أربعة أتباع:

الأول: صاحب ديوان الجيش، وهو ثانى قلم لناظر الجيش وله الكتابة على ما يخرج من ديوان الجيش جميعه وضبطه، وإذا تعذر حضور ناظر الجيش كان هو المتكلم والمخاطب، واستقراره من الحضرة وتوقيعه فى ....[2].

الثانى: مستوفى الجيش، وهو الذى يكتب الكشف من الديوان وينزله بعد أخذ الخط الشريف وخط ناظر الجيش عليه وهو الذى يخرج الاستحقاقات على قدر معلوم. وهما نفرين، الأول مستوفى إقطاعات الديار المصرية، وهو يكتب فى جميعها بمفرده شرقاً وغرباً بعداً أو قرباً، ويكون فى غاية من الأمانة والضبط والمعرفة وعليه المعول، وتوقيعه فى الثلث.

الثانى: مستوفى إقطاعات البلاد الشامية، وهو لاحقاً بصفة مستوفى إقطاعات البلاد المصرية فى الأمانة [١٣٧ أ] والمعرفة، وتصرفه فى إقطاع البلاد الشامية كتصرف مستوفى إقطاع الديار المصرية وتوقيعه فى الثلث.

الثالث: مستوفى إقطاع العرب، وهو لا يكتب فى غير ذلك، وشرطه أن يكون لاحقاً بصفة من تقدم من المستوفين وربما أضيف ذلك إلى مستوفى إقطاع البلاد الشامية، وتوقيعه فى العادة.

الرابع: مستوفى الرزق، وهو الذى يكتب فى الرزق الجيشية مستقل بذلك لا يكتب فى غيرها، وشرطه أن يكون لاحقاً بصفة من تقدمه.

الوظيفة الخامسة: نظر ديوان المفرد، وهى وظيفة جليلة استجدت فى أيام الظاهر برقوق حين أقام ديوان المفرد رفيقاً إلى الأمير الأستدار المتقدم ذكره، ويتحدث فى ضبط الأموال

(١) بياض فى الأصل.

(٢) بياض فى الأصل.

والغلال وتنفيذ الأمور، وإذا كان الأستدار غائباً كان هو المتكلم والمتصرف والمجاوب، وتوقيعه فى النصف، وله أتباع ثلاثة:_

الأول: صاحب ديوان المفرد، وهو لاحقاً بصفة ناظر الديوان من المعرفة والضبط والتنفيذ ونحو ذلك، وربما كانا صاحبى ديوان، كما له ربما استقر ناظرى ديوان، وتوقيعه فى الثلث.

الثانى: مستوفى ديوان المفرد، وهو لاحقاً بصفة أحد مستوفى الدولة وعليه ما يلزمه، وربما استقر فيها اثنان وثلاثة وأمرهم فى الولاية والعزل للأمير الأستدار، وتوقيعه فى الثلث.

الثالث: عامل الباب والشونة، وهو لاحقاً بصفة المستوفين من ضبط ما يثبت بالباب من النواحى، وما بالشونة من الغلال وجهات صرف ذلك، وولايته وعزله راجع إلى الأمير الأستادار، ولم يعتنى له بكتابة توقيع.

الوظيفة السادسة: نظر الخزانة، قال فى مسالك الأبصار: وكانت الخزانة أولاً كبيرة الوضع لأنها مستودع المملكة، فلما استجدت عليها وظيفة الخاص صغر أمرها وسميت بالخزانة الكبرى وهو اسم دون (١) مسماه "، وموضوعها الآن حاصل خاص الملك من الذهب والفضة والجوهر والزركش والسروج والكنابيش والحوايص وخواص آلات الحرب والآنية والقماش والوبر على اختلاف أجناسها وأنواعها، ومتوليها مستقر من الحضرة ويكون غالباً عند الملك بالمقام الأعلى والمحل الأرفع [١٣٧ ب] لأنه مطلع للملك على ما لا يطلع عليه غيره، وهو المستدعى لما يحتاج إليه الملك من الأصناف المتقدمة تارة من الدواوين الشريفة، وتارة من غيرها، وتارة بالثمن ومتحدثاً على استعمال ما يرسم له باستعماله من الأشياء النفيسة وصرف ما يستحق صرفه، وهو رفيق للأمير الخزندار فى جميع تصرفه، قال فى مسالك الأبصار " وفى الغالب يكون ناظرها من القضاة أو ممن يلتحق بهم ".

تنبيه: إذا كان متولى هذه الوظيفة حاذقاً استعمل بالخزانة ما يحتاج إليه فى وقت يتسع المدى عليه فى استعماله فيكون حاصلاً، وربما استعمل منها قماشاً يليق بلبس العرب والعجم وأهل الحجاز والفقراء السواحة على اختلاف أجناسهم لتجهيز جاسوس أو فداوى أو متزاى

---

(١) فوق: صبح، ج ٦ ص ٣١.

فيجد ذلك حاصلاً فيلبس منه ما يحتاج إليه بين يدى الملك وينظر الملك تطبعهم فى ذلك اللبس وحركاتهم، ومتولى هذه الوظيفة الآن .... [١] وتوقيع متوليها فى النصف.

الوظيفة السابعة: نظر الإسطبلات، وهى من الوظائف السنية الجليلة الكثيرة النفع، ومتوليها يتحدث على ما بالإسطبلات من الخيول والبغال والحمير الأهلية والوحشية وغيرها، وعلى ما بالمناخات وبالحواصل من جمال البعير والهجن وعلى حواصل القماش كذلك، وعلى ما بها من أرباب الوظائف من أمراء أخورية وسلاحورية [وسجيات] [٢] ومهاترة ومقدمين وركبدارية وأوجاقية وعرب وسواس وغيرهم. وعلى صرف معاليمهم وعلى العلوفات والأتبان وغير ذلك، رفيقاً لأمير أخور الكبير، ومن تحت أمره مباشرين الإسطبلات ما يرد ويصدر وينفق ويباع، وتوقيع متوليها فى النصف.

الوظيفة الثامنة: صحابة ديوان المماليك، من الوظائف الجليلة الكثيرة النفع وهى مستجدة مع ديوان المفرد ولها تعلق بديوان المفرد، وموضوعها التحدث فى ضبط عدة المماليك السلطانية ومن يندرج معهم من أولاد الملوك والأمراء والبحرية واختلاف وظائفهم، وعلى جماعة من البرد [٣] والأئمة والمتعممين والمعلمين أرباب وظائف بيت السلطان وعلى جماعة [١٣٨ أ] من الخدام والحريم وصرف معاليمهم من جوامك وجرايات وكساوى وضحايا وغير ذلك، ومتوليها الآن يعبر عنه بكاتب المماليك، وله رفاق يكتبون معه فى ذلك، والعمدة فى الخطاب والجواب على أول قلم، وتوقيعه فى الثلث.

الوظيفة التاسعة: نظر الأملاك والذخيرة، وهما جهتان متقارنتان، فالأملاك هى الضياع والرباع وما يلحق بها المتباعين للملك أو لأقاربه، والذخيرة هى ما يستأجر للملك من النواحى والمزارع والدواليب وغير [ذلك]، ومتوليها له التحدث على هذه الجهات فيما يبتاعه الملك ويبيعه عنه وما يستأجره له ويؤجر عنه، وهو المتصرف فى صرف ما يصرف وحمل ما يحمل للخزائن، وربما تحدث فيها ذو سيف، وتوقيعه فى النصف.

---

(١) بياض فى الأصل.

(٢) كذا فى الأصل.

(٣) انظر تعريف البردار.

الوظيفة العاشرة: نظر العمائر، وموضوعها التحدث على ما يستجده السلطان من الأملاك العقارات والجوامع والمدارس ونحوها بالقاهرة وضواحيها، ومتوليها يعمل مدة العمارة ثم يبطل، وله رفيق من الأمراء. وربما كان فى العمارة المتسعة مقدماً وهو المستدعى لما تحتاج إليه العمارة من الأصناف والتكلم مع المهندسين والمعلمين فى إنشاء العمارة وعلى صرف الأجر والمون والعلوفات وغير ذلك، وتوقيعه فى الثلث، وقل أن يكتب له توقيع.

الباب الخامس

فى ذكر وظائف ذوى الرئاسة والمعلمين وزعماء أهل الذمة

وهو على ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول

وظائف ذوى الرئاسة والمعلمين

وهى على ضربين:ـ

الضرب الأول: وظائف ذوى الرئاسة، وهى خمسة:

الأولى: رئاسة الطب، وموضوعها التحدث على جماعة الأطباء وتصريفهم فى ملاطفة الأبدان بالديار المصرية، وربما صرفوا بالبلاد الشامية بالإذن. ومتوليها يكون اعلم أهل زمانه بهذه الصناعة وأحذقهم وأعرفهم بالعلاج والملاطفة ـ ولا فائدة للعلم مع عدم الحذق والمعرفة والملاطفة وعكسه ـ، وأن يكون ذا خبرة بتركيب الأدوية ومعرفة المفردات وغيرها، وهو الذى يصرف من صلح للملاطفة بالمدينة والديار المصرية، وهو المعبر عنه برئيس الأطباء، وربما كان معه ثان وثالث ورابع يلاطفون [١٣٨ ب] بأماكن يختص كل منهم بمكان من القلعة لملاطفة من به كقاعات الحريم ومنازل أولاد الملوك وطباق المماليك ونحو ذلك، والمخاطب هو الأول، وكتب لابن الصغير[1] فى النصف ولغيره فى الثلث.

---

(١) ابن الصغير: هو علاء الدين على بن عبد الواحد بن صغير، كان من الأطباء المهرة وتولى رئاستهم، توفى بحلب عام ٧٩٦ هـ وهو بصحبة الظاهر برقوق بحلب. ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٢، ص١٤٠.

الثانية: رئاسة الكحالين، وموضوعها التحدث على جماعة الكحالين والعاملين بالفولاذ فى علاج العين وتصريفهم فى ذلك بالديار المصرية وربما تصرفوا بالبلاد الشامية. وشرط متوليها أن يكون لاحقاً بصفة رئيس الطب من العلم والحذق والمعرفة بالملاطفة والعلاج، عارفاً بتراكيب الأدوية والمفردات والأكحال والأسياف أمة فى العمل بالفولاذ، ولا يصرف إلا من وثق منه بالمعرفة التامة والحذق، ولا يدخل أحد منهم فى علاج خطر إلا بعد عرضه عليه وإذنه له فى عمله، وربما اشترك اثنان فى الرئاسة أو أضيف إلى رئاسة الطب، وتوقيع متوليها فى الثلث.

الثالثة: رئاسة الجرائحية، وموضوعها التحدث على طائفة الجرائحية بالديار المصرية وتصريفهم فى صناعة الجراح وعلاج الحوادث بالأبدان. وشرط متوليها أن يكون عارفاً بذلك لاحقاً بصفة من تقدمه من الرؤساء فى الفضيلة والمعرفة، وأنه لا يصرف إلا من وثق منه بالمعرفة التامة، وربما أضيف إلى غيرها من الرئاسة، والغالب يكون فيها اثنان وربما كان فيها الثلاثة والأربعة، وتوقيع متوليها فى العادة.

الرابعة: رئاسة المجبرين، وموضوعها التحدث على طائفة المجبرين بالديار المصرية وتصريفهم بها. وشرط متوليها أن يكون لاحقاً بصفة الرؤساء المتقدمين فى الفضيلة والمعرفة، ولا يصرف إلا من وثق منه بالمعرفة، وربما كان فى ولايتها الاثنين والثلاثة، وتوقيع متوليها فى العادة.

الخامسة: رئاسة الحراقة ببحر النيل، معروفة وكان يعبر عن متوليها قديماً " برئيس الحلافة "، وله التحدث على الحراقة الكبرى وتعرف بالذهبية لتزخرفها بالذهب، ولا يركب فيها إلا الملك وعلى ما دونها من الحراريق، ولا يعمرها إلا السلطان، والتكلم على آلاتها ورجالها، واستدعاء ما يحتاج إليه، وربما كانا اثنين، وتوقيعه فى العادة.

الضرب الثانى: وظائف المعلمين، وهم المهندسون والمعلمون [١٣٩ أ] بالعمائر السلطانية، ولهم الخطاب وعليهم الجواب فيما يتعلق بالعمائر، واستقرارهم من الحضرة، وتكتب لهم تواقيع بولاياتهم فى ذلك، وعادتهم مهندسان ومعلمان وقد يزيدون، ولهم التكلم على جميع الصناع بالعمائر ومناقيبهم على صناعتهم، والنظر فى الأحجار الصالحة والخسيسة وغير ذلك، وتوقيع كل منهم فى العادة.

المقصد الثانى

فى زعماء أهل الذمة

وهم على ملتين:

الملة الأولى: النصراوية، من قول عيسى صلوات الله عليه ﴿ مَن أَنصَارِى إِلَــى اللهِ ﴾[1]، وقيل من نزوله هو وأمه بعد عودها به من مصر بالناصرة، قرية من قرى فلسطين. وكتابهم الإنجيل، قال النحاس: من نجلت الشيء إذا أخرجته، أو من ناجل القوم إذا تنازعوا لأنه لم يقع فى كتاب من الكتب المنزلة التنازع الواقع فيه أو من النجل معنى الأصيل لأنه أصل العلم الذى أطلع الله تعالى فيه خليفته عليه، ومنه قيل للولد نجل لأن أباه كالأصل له.

وقال صاحب إرشاد القاصد: يعنى الإنجيل عندهم البشارة. ثم يجتمعون على أن مريم حملت بعيسى وولدته ببيت لحم وتكلم فى المهد، وأن مريم فرت به إلى مصر ثم عادت به إلى الشام وعمره اثنان وعشرون سنة، ثم نزلت بالناصرة وأنه فى آخر عمره قبض عليه اليهود وبعثوا به إلى عامل قيصر ملك الشام على الروم فقتله وصلبه يوم الجمعة وأقام على الخشبة ثلاث ساعات، ثم استوهبه من عامل قيصر يوسف النجار قريب مريم ودفنه فى قبر كان أعده لنفسه فى القمامة بالقدس، وأنه مكث فى قبره ليلة السبت ونهار السبت وليلة الأحد ثم قام من صبيحة يوم الأحد فرآه بطرس الحوارى وأوصى إليه، وأن أمه جمعت له الحواريين فبعثهم رسلاً إلى الأقطار للدعاية إلى دينه، وهم فى الأصل اثنا عشر بطرس، واتفقوا على أن أربعة من الحواريين قصدوا لكتابة الإنجيل وهم، بطرس ومتى ولوقا ويوحنا، فكتبوا فيه سيرة المسيح جميعها وكتب كل منهم نسخة على ترتيب خاص[١٣٩ ب] بلغة من أربع لغات، فكتب بطرس إنجيله بالرومية ونسبه إلى تلميذه مرقص أول بطاركة الإسكندرية، وقيل إن الذى كتبه مرقص بنفسه، وكتب متى إنجيله بالعبرانية ونقله بعده يوحنا بن ربدة إلى الرومية، وكتب لوقا إنجيله بالرومية وقيل باليونانية بالإسكندرية، وكتب يوحنا إنجيله باليونانية بمدينة " أفسس " وقيل برومية.

ثم لما مات الحواريون أقامت النصارى لهم خلائف عبر عنهم بالبطاركة، وكانوا على خمس كراسى، منهم خليفة بطرس بكرسى رومية، وخليفة مرقص بكرسى الإسكندرية، وخليفة

(١) آل عمران، الآية ٥٢.

يوحنا الإنجيلى بكرسى القسطنطينية القديمة، وخليفة بطرس أيضاً بكرسى أنطاكية. وأن لكل طائفة تولى مطران بكرسى القدس.

وقد افترقوا النصارى فرق كثيرة، والمشهور منهم ثلاث فرق:

الأولى: الملكانية وهم أتباع ملكان الذى ظهر بالروم، وقيل منسوبون إلى مركان قيصر أحد قياصرة الروم فقيل مركانية ثم أبدلت الراء لاماً وعربت ملكانية.

الثانية: اليعقوبية، أتباع ديسقرس بطرك الإسكندرية وهو ثامن بطاركتها من حين مرقس الإنجيلى وسموا بيعقوبية لأن اسمه كان فى العلمانية يعقوب، وقيل كان له تلميذ اسمه يعقوب يبعثه إلى أصحابه أن أثبتوا على أمانة ديسقرس، وقيل نسبوا إلى يعقوب البردعانى تلميذ سايرس بترك أنطاكية. ومعتقدهم أن الكلمة انقلبت لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده، ومنهم من قال إن المسيح هو الله ويقولون مع ذلك إنه قتل وصلب ومات وبقى العالم ثلاثة أيام بلا تدبر ومنهم من يقول غير ذلك. حكى ابن عبد العميد أن ديسقرس لما ذهب إلى ما ذهب إليه رفع أمره إلى مركان فطلبه إلى رومية وجمع له ستمائة وأربعة وثلاثين أسقفاً، وناظروه بحضرة الملك فكلمته زوجة الملك فأبى الرد فلطمته بيدها وتبارى له الحاضرون بالضرب فأخرج وسار إلى القدس فأقام به واتبعه أهل القدس وفلسطين والإسكندرية والحبشة إلى الآن.

الثالثة: النسطورية، أتباع نسطوريسوس بطرك [١٤٠ أ] القسطنطينية، ومعتقدهم أن مريم لم تلد إلهاً وإنما ولدت إنساناً وأنه اتحد فى النسبة لا فى الذات، وليس هو إله حقيقة بل الموهبة وبالكرامة ويقولون بجوهرين وأقنومين [١]، وأن بطرك رومية وبطرك الإسكندرية خالفاه فى ذلك فجمع لهم مائتا أسقف بمدينة أفسيس [٢] وأبطلوا مقالة نسطوريوس وصرحوا بكفره ونفى إلى إخميم ومات بها وظهر مذهبه فى نصارى الشرق من الجزيرة الفراتية والموصل والمعرة، وذكر الشهرستانى: إنهم منسوبون إلى نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمن المأمون وتصرف فى الأناجيل برأيه.

---

(١) الأقنوم بمعنى الصفة التى يوجد عليها الله، أى إن الله ذو ثلاثة أقانيم هى الأب والابن والروح القدس فى جوهر واحد. الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص٥٢. أما عند نسطورس فجوهران بأقنومين

(٢) عقد ذلك المجمع عام ٤٣١ م. ستيفن رانسيمان: الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز جاويد، القاهرة١٩٩٧، ص١٤٨.

ومن عادة النصارى إذا مات منهم أحد يعتقدونه صوروا صورته فى حائط كنائسهم، ويصلون سبع صلوات فى اليوم والليلة وهى، الفجر والضحى والظهر والعصر والمغرب والعشاء ونصف الليل، ويقرءون فى صلاقم مزامير داود كاليهود، والسجود فى صلاقم غير محدد بل قد يستخلص فى ركعة واحدة عشرين سجدة، ويصومون كثيراً ويحرمون لحم الجمال وألبانها كاليهود ويحللون لحم الخنزير ويحرمون صوم يوم الفصح الأكبر، ويحرمون على الرجل أن يتزوج امرأتين فى قيد واحد، ويحرمون طلاق الزوجة وصرف الوجه فى الصلاة عن الشرق واستقبال صخرة القدس.

أما بطاركة النصارى ذوى الكراسى فثلاثة، قال ابن موصلايا [1] فى ترسله: تبدل الباء من البطرك ياء "، وأصله بطريك وهو القائم بأمور دين النصرانية مناطاً للتحليل والتحريم، وهم على أربعة كراسى:

الأول: الباب، بتفخيم الباء، ويقال فيه البابا ومعناه أبو الأباء لأن البطرك عندهم أب فعظموه بأن جعلوه أبو الأباء وهو بطرك الملكية، وقد وهم فى التعريف بأن جعله مقام " القان "عند التتار وهو غلط فإن القان هو الملك الأكبر والباب ليس بملك فأنه خليفة بطرس الحوارى كما تقدم، وعندهم أن إليه أمر الديانات وإليه مناط التحليل والتحريم. قال فى الروض المعطار: ومن عادته إذا اجتمع عليه أحد ملوكهم أكب على رجليه يقبلهما ولا يرفع رأسه حتى يكون الباب هو الذى يرفعها. ثم لما غلبت الروم على الملكية وعلت كلمتهم على اليعاقبة خصوا الباب بنظر كتبهم [١٤٠ ب] فصار ذلك علماً عليه، ومقرته كرسى رومية وله من سلطاننا المكاتبة لا الولاية.

الثانى: بطرك الملكانية كرسى أنطاكية وولايته من الأبواب الشريفة بعد كتابة محضر من النصارى الملكانية باستحقاقه للبطركية عليهم بمقتضى محضر ثابت، ثم يكتب محضر ثانى ويجهزونه النصارى إلى الباب برومية فيقف عليه ويجهز له استمرار الولاية إلى أنطاكية، وتوقيعه فى العادة.

(١) الصواب: موصلايا. هو العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا، أحد كُتّاب الخلافة العباسية، ظل فى خدمتهم خمس وستين عاماً، وكان نصرانياً وأسلم، مات عام ٤٩٧ هـ. انظر: ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص٤٨٠، ت رقم ٥٠٩؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج٥، ص١٨٩.

الثالث: بطرك اليعاقبة بكرسى الإسكندرية، وكان بطرك كرسى الإسكندرية تارة من اليعاقبة وتارة من الملكانية إلى حين الفتح الإسلامي فقرر فيه عمرو بن العاص رضى الله عنه بطرك اليعاقبة وتم إلى الآن.وله الأمر على طائفة النصارى اليعاقبة، وتحت طاعته ملك الحبشة ولا يستحق ولاية بطرك عندهم إلا من يكون أبوه تزوج بأمه وهى بكر وأنه لم يستطعم بلحم ما يذكى من حين ولاية ولا يشهر عليه الجامعة أصلاً، ولا تنعقد له البطركية إلا بتوجهه إلى الإسكندرية والتماس بركات يوحنا المعمدانى من أتباع الحواريين.وإقامته بقصر الشمع بمصر وولايته من الحضرة، وتوقيعه فى الثلث.

أما المطران بالقدس فأن له كرسى القدس على ما تقدم ولم يكن له خليفة من الحواريين وأن كل طائفة تولى فيه مطراناً، ومن برزت المراسيم بولايته مطراناً كان هو المستقر فى ذلك، والحكم فى ولايته كالحكم فى ولاية بطرك كرسى أنطاكية، وتوقيعه فى العادة.

وأما بطرك الملكانية بالقاهرة فإنه لم يكن له كرسى وولايته من الحضرة، وأنه إذا تولى جهز إلى صاحب كرسى القسطنطينية البطرك على جنس الروم توقيعه فيقف عليه ويجهز له استمرار الولاية بالديار المصرية فيستمر فى الولاية بذلك.

وأما النسطورية فإنه لم يكن لهم كرسى معروف ولا خليفة ولا بطرك.

الملة الثانية: اليهودية، مأخوذ من هاد إذا رجع، ولزومهم هذا الاسم من قول موسى عليه السلام ﴿ إِنَّا هُدنَا إِلَيكَ ﴾ [1]، وهم أعمر من بنى إسرائيل لأن من اليهود من ليس من بنى إسرائيل، وكتابهم التوراة، سميت بذلك أخذاً [١٤١ أ] من " وريت نارى، ووريت، وأوريتها " إذا استخرجت ضوءها لأنه قد استخرج بها أحكام شريعة موسى عليه السلام " كما قال النحاس، وقال الشهرستانى " إنها أول منَّزل على بنى إسرائيل "، وسميت كتاباً إذ ما قبلها يسمى صحفاً، بل هى أول منزل اشتمل على حدود وأحكام وما قبلها مواعظ ونحوها. وهى خمسة أسفار:

الأول: ما يشتمل عليه الخلق من آدم ليوسف.

(١) الأعراف، الآية ١٥٦.

الثانى: استخدام [المصريين] (١) من بنى إسرائيل وظهور موسى وهلاك فرعون وأحوال التيه وإمامة هارون ونزول العشر كلمات فى الألواح وهى ستة مما فى التوراة ويشتمل على أوامر ونواه وسماع القوم كلام الله، قيل كانت الألواح من زمرد أخضر وقيل ياقوت أحمر وقيل من زبرجد وقيل من خشب، ويقال إنها لوحان وأتت بصيغة الجمع كقوله تعالى ﴿ فَإِن كَانَ لَهُ إِخوَةٌ ﴾ (٢)، والمراد اثنان.

الثالث: فيه كيفية تقريب القرابين.

الرابع: عدد القوم، وتقسيم الأرض بينهم، وأحوال الرسل الذين بعثهم موسى من الشام، والمن والسلوى والغمام.

الخامس: أحكام التوراة، ووفاة هارون ثم موسى وخلافة يوشع بن نون.

وذكر المفسرون عن ابن عباس " أن موسى لما ألقى الألواح تكسرت فلم يبق فيها إلا سدسها "، ويروى أن التوراة كانت سبعين وسق بعير يقرأ الخبر منها فى سنة، وأنها رفع منها ستة أسباعها وبقى سبع واحد وفيه هدى ورحمة، وفى الذى رفع تفصيل لكل شيء.

واليهود قد افترقوا على عدة طوائف، فالمشهور منها طائفتان:

الأولى: الربانيون والقراءون، وهم كالفرقة الواحدة إذ توراتهم واحدة ولا خلاف بينهم فى أصل اليهودية، وكلهم متفقون على نبوة موسى وهارون ويوشع وإبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط، واتفقوا على استخراج ستمائة وثلاثة عشر فريضة من التوراة يتعبدون بها، ثم الربانيون ينفردون عن القرائين بشروح موضوعة لغوامض التوراة المتقدمة وضعها أحبارهم، وتفريعات على التوراة ينقلونها عن موسى، ويتفقوا على استقبال صخرة بيت المقدس فى الصلاة وعلى [١٤١ ب] أن الله كلم موسى على طور سيناء.

ويختلفون فى أمرين، أحدهما القول فى الظاهر والجنوح إلى التأويل، والقراءون يقفون مع ظهور نصوص التوراة فيحملون ما يقع فيها من ذكر الصورة لله تعالى والتكلم والاستواء على العرش، والنزول على الطور على ظاهره، والربانيون يؤولون ذلك كله.

---

(١) بياض فى الأصل. وما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص٢٥٨.

(٢) النساء، الآية ١١.

الثانى: القول بالقدر فأن الربانيون يقولون لا قدر سابق وأن الأمر أنف، والقراءون يقولون بسابق القدر، وما عدا ذلك فهم متفقون عليه.

الطائفة الثانية: السامرة، وهم أتباع السامرى المذكور فى القرآن العزيز واسمه موسى بن ظفر، وكان أصلهم من قوم يعبدون البقر فرأى جبريل مرة جاء إلى موسى راكباً على فرس الحياة فأخذ قبضة من تراب من تحت حافر فرسه وألقاه على حلى لهم وقال له كن عجلاً جسداً له خوار فصار كذلك. قال الحسن " صار حيواناً لحماً ودماً "،و قيل صار يخور ولم تنقلب عينه فكان من شأنه ما قص الله فى كتابه العزيز، وقال الشافعية " إن السامرة أن وافقت أصولهم أصول اليهود فهم منهم حتى يقروا بالجزية وإلا فلا ".

ثم السامرة لهم توراة تخصهم عن التوراة المتقدمة وعن التى بيد النصارى وهم ينفردون بإنكار نبوة من بعد موسى سوى هارون عليهما السلام، ويوشع عليه السلام، ويستقبلون طور نابلس فى صلاتهم وموتاهم زاعمين أنه الجبل الذى كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام، ويزعمون أن الله تعالى أمر داود ببنيان بيت المقدس عليه فخالف وبناه بالقدس، ولم يكن لطوائف اليهود سلطان ولا ملك قائم فى أقطار الدنيا وأنهم حيث ما كانوا ورثوا الجزية ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا، وكبيرهم من يقرره السلطان رئيساً لهم على الربانيون والقراءون والسامرة، ويشترط فى ولايته أن يكون ديناً فيهم عالماً بدينهم عفيفاً بينهم له رفقاً بهم ورأفة عليهم ويرضونه رئيساً عليهم حاكماً فيهم، وولايته من الحضرة الشريفة وإقامته بالقاهرة، وتوقيعه فى الثلث.

أما أتباع أهل الكتاب فهم على ضربين:

الضرب الأول: أتباع النصارى وهم ستة [١٤٢ أ]:

الأول: الأسقف، وهو عبارة عن نائب البطرك فى التحليل والتحريم عليهم، ويكون ذلك عند غيبة البترك [١].

الثانى: المطران، وهو عبارة عن القاضى يتخذونه لإفصال الحكومات بينهم.

الثالث: القسيس، وهو عندهم عبارة عن العالم الذى يقرءون الإنجيل والمزامير وغيرها.

الرابع: الجاثليق، وهو عندهم عبارة عن صاحب الصلاة الذى يصلى بهم فى كنائسهم.

---

(١) الصواب: البطرك.

الخامس: الشماس، وهو عندهم عبارة عن القائم بالكنيسة فى مصالحها.

السادس: الراهب، وهو الذى حبس نفسه على العبادة والخلوة وكسر الشهوة، ولم يكن لأحد منهم ولاية من الأبواب الشريفة.

الضرب الثانى: أتباع اليهود، وهم ثلاثة [١]:

الأول: الحزان، وهو عندهم بمثابة الخطيب، فإنه يصعد المنبر فى بيعهم[٢] فيعظهم ويذكرهم.

الثانى: الديان، وهو بمقام المفتى عندهم يعلمهم أمور دينهم وما يحل لهم وما يحرم عليهم.

الثالث: [الشليحصبور] [٣]، وهو الإمام الذى يصلى بهم فى بيعهم، ولم يكن لأحد منهم ولاية من الأبواب الشريفة.

(١) لقد جعلهم القلقشندي ثلاثة أيضاً ولكن مع بعض التغيير، الأول رئيس اليهود، الثانى الحزان، الثالث الشليحصبور. صبح، ج٥، ص٤٧٤ بحيث جعل الرئيس مع الأتباع، عكس السحماوي الذى تكلم عن الوظائف دون الرئيس، ولذلك فقد أضاف إليهم " الديان أو الربان " وهو الحبر الخاص بالفتيا بين اليهود. انظر: إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب، القاهرة ١٣٤٥ هـ، ص٢٠ — ٢١؛ قاسم عبده: أهل الذمة فى مصر، القاهرة ١٩٧٩، ص١١٨.

(٢) البيع هى كنائس أو أماكن عبادة اليهود.

(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج٥، ص٤٧٤؛ ضوء، ص ٣٥٠.

وقد ذكر ناشر ضوء الصبح أنه سأل حبراً من اليهود فأخبره أن الاسم مركب من كلمتين عبرانيتين أحدهما شليح، والثانية صبور ومعناهما مجتمعين رسول الجماعة.

الباب السادس

فى ذكر أرباب الوظائف الخارجين عن القاهرة بالديار المصرية وأمراء العربان ومشايخهم وأنفارهم

وهم على ثلاثة مقاصد [١]:

الأول

أرباب الوظائف بالإسكندرية

وهم ثمانية:

الأول: نائبها، وقد تقدم الكلام عليه، وأنه من جملة الأمراء المقدمين بالديار المصرية، وتقليده فى الثلثين.

الثانى: حاجبها، ولم تكن له إمرة، ولا يكتب له مرسوم.

الثالث: قاض مالكى، وهو أجل قضاتها، ولم يكن له حكم فى البر، وله التحدث على الأوقاف والمودع الحكمى والأيتام، وتوقيعه فى الثلث.

الرابع: قاضى شافعى، لم يكن له يد تطول فى أمر متولى ما يرفع إليه من المحاكمات، وتوقيعه [فى الثلث] [٢].

الخامس: قاضى حنفى، استجد فى دولة الأشرف شعبان، وتوقيعه فى الثلث.

وكان المحتسب بها ولايته من الأبواب الشريفة وكان توقيعه فى الثلث ثم أضيفت الحسبة إلى نائبها وصار يوليها من عنده، ولم يكن بها قاض حنبلى.

السادس: ناظرها، وقد تقدم الكلام عليه فى أتباع ناظر الخاص، ويعبر عنه بناظر الخواص الشريف بثغر الإسكندرية [١٤٢ ب]، وتوقيعه فى الثلث.

السابع: ناظر الصادر، والصادر عبارة عن مال يؤخذ على قدر معلوم من مال الفرنج حين إصدار متجرهم من الثغر فيحمل للناظر فيصرفه على جماعة من طلبة العلم بأسماء مقررة بالثغر والقاهرة، وربما كان ناظره مقيماً بالقاهرة وله نائب، وتوقيعه فى الثلث.

---

(١) فى متن المخطوط [مقصدين]، وفى فهرسه ثلاثة وهو الصواب.

(٢) مذكورة فى هامش الصفحة.

الثامن: كاتب درج، ويعبر عنه بها بكاتم السر، وربما كتب له موقع الإنشــاء بــالثغر، وتوقيعه فى العادة.

وكان بها ناظر دار الطراز، وناظر دار الضرب وقد بطلا لإبطال الجهتين، وبها بيمارستان وجوامع ومدارس لم يتعدى متوليها قطع العادة ولم يكن بها إفتادار عدل ولا قضاء عســكر ولا نظر جيش، ولم يكن بها قلعة ولا بر.

المقصد الثانى

فى ذكر أرباب الوظائف ببلاد الريف

والريف فى اللغة هو موضع المياه والزرع، ثم جعل ذلك علماً على بلاد القرى، وبالديار المصرية وجهان:

الأول الوجه القبلى: ولم يكن به ممن يتولى من الحضرة غير أرباب السيوف وهم علــى ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: النائب، ويعبر عنه بنائب السلطنة بالوجه القبلى، ولم يكن على طريقــة نواب الممالك إذ ليس للنيابة كرسى ولا سماط ولا عسكر بإقطاع ولا أربــاب وظــائف ولا حجاب، وقد جعله الظاهر برقوق من الأمراء المقدمين بالديار المصرية، وقد تقدم الكلام عليــه من جملة المقدمين.

المرتبة الثانية: الكاشف، ولم يكن به غير كاشف الأعمال الفيومية، وهو فى مرتبة أمــراء الطبلخاناه، وربما أضيف إليه كشف الأعمال البهنساوية، ولم يكن لنائب الوجه القبلى عليه يد تصرف بل ولايته وعزله من الحضرة الشريفة.

المرتبة الثالثة: الولاة، ولم يكن به فى زماننا غير أربع ولاة:

الأول: والى البهنساوية، ومقرته مدينة البهنسا، وصار يوليه نائب الوجه القبلى.

الثانى: والى الأشمونين، ومقرته مدينة الأشمونين، وأمره راجع إلى نائب الوجه القبلــى فى الولاية والعزل.

الثالث: والى المنفلوطية، ومقرته مدينة منفلوط [١]، والوزير مستبد بـأمره فى الولاية والعزل.

الرابع: [١٤٣ أ] والى قوص، وهو من أكبر الولاة، وربما أضيف له ولاية أسوان، وكان فى القديم يتكلم على واصل التجار من سواكن وعيذاب والقصير من البهار الكارمى ويختص بشبابة سلطانية تصيب أمامه إذا ركب كالسلطان، ثم أهمل بندر قوص وعيذاب وصارت الولاية بقوص تارة من الأبواب الشريفة وتارة تضاف إلى نائب الوجه القبلى يقيم بها من يختاره.

وقد أهمل ثلاث ولاة ولايات من الوجه القبلى، ولاية الجيزة وكان مقرته رقبة الجيزة واستغنى عنها بكشف الجيزة، وولاية إطفيح وكان مقرته إطفيح وكان عشرة، وولاية أسوان وكانت طبلخاناه.

الثانى الوجه البحرى، ولم يكن به من يتولى من الحضرة الشريفة من أرباب الوظائف غير أرباب السيوف وهم على ثلاث مراتب:-

المرتبة الأولى: النواب، وبه نائبان:

الأول: نائب الوجه البحرى، وهو من جملة الأمراء المقدمين، وقد استقرت النيابة مضافة إلى الأمير استدار من أيام الناصر فرج على ما تقدم، وصار الأستدار يقيم نائباً عنه فى البحيرة ويعبر عنه بنائب البحيرة ومقره مدينة دمنهور، ولبسه من الحضرة.

الثانى: نائب ثغر دمياط، وهى مما استجده السلطان المالك الملك الأشرف برسباى خلد الله تعالى ملكه فى عام أحد وثلثين وثمانمائة، وهو من الأمراء الطبلخاناه ومقرته مدينة دمياط، يتحدث على أجناد الثغر ويحثهم على الاستعداد والملازمة لمثاغرة العدو ومساعدة المباشرين على استخراج الأموال، وكان قبل بها والى عشرة من ناظر الخاص فأهمل لوجود النائب، وولاية نائبها من الحضرة.

المرتبة الثانية: الكشاف، وهم أربعة:

---

(١) لم يذكر القلقشندي أن منفلوط من ضمن ولايات الكشاف أو الولايات المعدودة التى لها وال فى الوجه القبلى، انظر: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٦٦.

الأول: كاشف الجيزة، وهو من الأمراء الطبلخاناه، ومقرته مدينة الجيزة من حين أهمل ولايتها، وغالباً يكون متحدثاً على الجراريف السلطانية والخفير، وولايته من الحضرة الشريفة.

الثانى: كاشف القليوبية والمنوفية، وهو من الأمراء الطبلخاناه، وقد أهملت ولاية الإقليمين به، والأستدار مستبد بأمره فى الولاية والعزل، ومقرته مدينتى منوف وقليوب.

الثالث: كاشف الغربية، وهو من الأمراء الطبلخاناه، وقد أهملت ولاية الإقليم به والأستدار مستبد بأمره فى الولاية [١٤٣ ب] والعزل، وإقامته مدينة المحلة الكبرى.

الرابع: كاشف الشرقية، وهو طبلخاناه، وكان يعبر عنه قديماً بكاشف الوجه البحرى فأهملت ولاية الشرقية به، والأستدار مستبد بأمره فى الولاية والعزل، ومقرته منية غمر، وكانت مدينة بلبيس أفردت عنه ثم أعيدت له.

المرتبة الثالثة: الولاة، ولم يبقى من ولاة الوجه البحرى سوى متولى قطيا وهو بمقام أمير عشرين وأن الوزير مستبد بأمره فى الولاية والعزل لما يتعلق باستخراج الموجب من التجار بقطيا وهو لا يتكلم فى غيرها.

وقد أهملت ولاية القليوبية وكانت عشرة، وولاية منوف كذلك، وولاية الغربية وكانت طبلخاناه، وولاية بلبيس وكانت عشرين، وولاية أشمون الرمان وكانت عشرة، وربما استقر فيها نائباً عن الأستادار أحياناً، ولم يكن بالوجهين ممن يتولى من الحضرة من أرباب المناصب غير المذكورين من أرباب السيوف.

المقصد الثالث

فى ذكر العربان بالوجهين القبلى والبحرى

وهم شعوب وقبائل، وهم على قسمين:

الأول عربان الوجه القبلى، والإمرة فيهم فى ثلاثة أقاليم:

الأول: إقليم البهنساوية [1]، قال الحمدانى: فى أن الإمرة فيه كانت فى بيتين أحدهما بيت

(١) لقد كانت البيوت التى يشير إليها السحماوي فيما بعد والتى سكنت منطقة البهنسا من قبيلة لواتة المغربية التى حضرت مع الفاطميين لفتح مصر. وعن نسب قبيلة لواتة انظر: المقريزى: البيان، ص٤٩ ـــ ٥١.

أولاد زعازع [١] من بنى حديدى [٢] وقد أهملت وصارت فى معنى المشيخة، والثانى بيت أولاد كريش[٣] أمراء بنى زيد، ومساكنهم النويرة ودلاص[٤] وهم من أولاد سعد الملك، ومن أولاده تاج الملك المشهور وصار فى معنى المشيخة أيضاً.

الثانى: إقليم الأشمونين، قال الحمدانى: أن الإمرة كانت فيه فى بنى ثعلب من السلاحية [٥] من نسل جعفر الصادق، وكانت منازلهم بدروة سربام [٦] المعروفة بدروط. وقد أهملت تلك الإمرة أصلاً وصارت الإمرة فيه على عربان عرك وهى فى بنى الأحدب [٧]، ومنازلهم البدرمان [٨]، والقائم بالإمرة فيهم الآن على عربان عرك، محمد بن واصل من أقارب أولاد الأحدب [٩].

---

(١) أولاد زعازع فرع من قبيلة لواتة المغربية. المقريزى: البيان والإعراب، ص٥٣.

(٢) يقال لهم بنو حديرة، وبنو الحديدى، وهم فرع من لواتة. السابق، ص٥٣، هـ٨٧.

(٣) قريش: صبح، ج ٤، ص ٦٨، ضوء، ص ٢٦٨؛ وهم فرع من لواتة أيضاً. المقريزى: السابق، نفسه.

(٤) نويرة دلاص: صبح، نفسه. ودلاص إحدى المدن المندرسة قبل العصر الإسلامي. انظر القلقشندي: صبح، ج٣، ص٣٧٦؛ المقريزى: السابق، ص٥٥؛ ابن الجيعان: التحفة، ص١٦٦؛ محمد رمزى: القاموس، ج١، ص٤٩.

(٥) الصواب: السلاطنة، صبح، نفسه؛ المقريزى: السابق، ص١٢٢؛ وهم بطن من الجعافرة.

(٦) دروت سربام، صبح، نفسه. وذكرها كل من المقريزى وابن الجيعان كما فى الثغر، وهى المعروفة حالياً باسم ديروط محافظة أسيوط. البيان، ص٣٩؛ التحفة،ص١٨٤؛ محمد رمزى: السابق، ج١، ص٤٨.

(٧) قبيلة عرك وبطونها فرع من قبيلة جهينة. المقريزى: السابق، ص١٢٨ ــ ١٣١.

(٨) إحدى القرى التابعة لعمل الأشمونين. ابن مماتى: قوانين، ص١٠٧؛ ابن الجيعان: السابق، ص١٧٥.

(٩) المذكور هنا محمد بن واصل غير محمد بن واصل المعروف بالأحدب زعيم قبيلة جهينة التى قامت بثورة ضد الحكم المملوكى، انتهت بأن قضى المماليك على هذه الثورة بعنف وعملوا على تشريد ما يعرف بالحلف العركى الذى كان يقود قبائل جهينة وقد قام الأحدب بثورته عام ٧٤٩ هـ. وعن هذه الثورة انظر. المقريزى: السلوك، ج٢، ق٣، ص٩١٠ ــ ٩١٣، ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٠، ص٢٣٣، ج١٢، ص ١٥٦.

الثالث: إقليم قوص، قال الحمدانى: الإمرة كانت فيه من بـــنى قضـــاعة [١٤٤ أ] فى بيتين، أحدهما بيت شادى [١] ومنازلهم بالقصر المعروف بهم، والثانى بيـــت بـــنى الكحيـــل [٢] المعروفون بالعجلة. وقال فى التعريف: إن الإمرة كانت فى زمانه بالوجه القبلى لناصر الدين عمر بن فضل [٣]، ولم يذكر مقرته ولا قبيلته، وفيما فوق أسوان كانت فى قبيلة يقال لهم الحداربة [٤] من سميرة [٥] بن مالك.

قلت ومنذ وجهت عربان هوارة وجهتها إلى الصعيد [٦] مدت رواقها عليه واستأصلت البلاد من عربانها وأخمدت أنفاسهم وصاروا على فرقتين:

الأولى: بادين، واستوطنوا الأعمال البهنساوية، وكانت الإمرة فيهم لبنى مازن ثم صارت إلى أولاد غريب ثم عادت لأولاد مازن فى سنة إحدى وثلثين وثمانمائة، ثم فى سنة ثمان وثلاثـــين تركت الإمرة عليهم وتقسمت العربان إلى خمسة أخماس وجعل لكل خمس شيخ له الأمر علـــى طائفته فيما يقصد منهم.

الثانية: بندار ومن لم عليهم من أولاد مأمن [٧] ولهان وبكيران وغيرهم، وهـــى الفرقـــة الجزيلة المال الكثيرة الرجال قد أخمدت أنفاس ما سواها من عرب البلاد واستوطنت من الجهة

---

(١) يذكرهم العمري [شاد]، مسالك الأبصار – دوريتا كرافولسكى – ص ١٥٨، ويتبع القلقشندي توضيح الاسم بقوله [بأنهم المعروفون ببنى شادى]، السابق، ج ٤، ص ٦٧؛ وهم من قبيلة بلى القضاعية. المقريزى: البيان، ص٣٠.

(٢) الصواب: العجيل، العمري: السابق، نفسه؛ ويذكرهم القلقشندي " العجالة "، السابق، نفسه؛ المقريزى: السابق، نفسه.

(٣) العمري: التعريف، ص١٠٨.

(٤) الحداربة فرع من قبيلة بلى القضاعية نزلوا منطقة البجة على البحر الأحمر واستوطنوها منذ بداية العصر الإسلامي. المقريزى: السابق، ص١٢٤.

(٥) اختلف القلقشندي فى كل من الصبح والضوء فى كتابة هذا الاسم، فكتبه فى صبح " سميرة "، ج ٤، ص ٦٨ – ٦٩، وضوء " سمرة "، ص ٢٦٩، وهكذا كانت عند العمري، السابق، نفسه.

(٦) كان توجه قبيلة هوارة إلى الصعيد فى عام ٧٨٣ هـــ حينما وجههم الظاهر برقوق قبل أن يلى السلطنة إليها، وقد انتهزتها هوارة خاصة بعد أن هدأت الثورة فى الصعيد القائمة بين جهينة والمماليك. القلقشندي: نهاية، ص٤٤١؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٢، ص١٥٦، هـــ٣.

(٧) الصواب: مؤمن، وهم إحدى فروع قبائل هوارة. المقريزى: السابق، ص١٣٦

الغربية من النيل من حاجر سيوط وإلى النيل على بلاد أبو تيج وطما وطهطا والمراغة وشندويل[١] وجزيرتها وسوهاى [٢] ومنشأة إخميم وجرجا وهى مقرة الإمرة ثم إلى البلينة وإلى فرجوط [٣] وهو [٤] إلى أرمنت وإسنا وفيما بينهما من البلاد والجزائر وفيما يقابلها من النيل من الجهة الشرقية من شرق أبويط [٥] وإلى آخر خرجة قوص. وبلادهم بلاد أمن وزرع ومراع وضرع، ومنهم من يمشى إلى السودان وإلى الحبشة وتيجر، ولأميرهم الإجلال والتعظيم عند الملوك ويلبس الخلع الأطلسان والحوايص وله الخيول الخاص بالسروج الذهب والكنابيش الزركش ويقطع له إقطاع الإمرة من غير عربانه وتدق له طبلخانه ويركب فى البحر حراقة كأمراء المقدمين، وفى البر بخيل المحاذاة والبغال السمطة والهجن والجنائب والفوانيس الأكرة، وله مباشرين ومقدمين ومتصرفين فى خلاص الحقوق، وله خيام تضرب بمنازله وخدم بيض وسود فى ملكه، والقائم بالإمرة فيهم أولاد ابن عمر وهى الآن فى [١٤٤ ب] الأمير تاج الدين إسماعيل بن الأمير يوسف بن عمر[٦]، ولم يكتب لهم تقليد.

---

(١) وكان يقال لها شندويد، ويقال لها الأن شندويل، وتقع فى محافظة سوهاج. ابن مماتى: السابق، ص١٥٨؛ ابن الجيعان: السابق، ص١٨٦.

(٢) وهى سوهاج الحالية، والتى كانت بلدة صغيرة من الأعمال الإخميمية. ابن مماتى: السابق، ص١٥١؛ ابن الجيعان: السابق، ص١٩٠.

(٣) فرجوط هى مدينة فرشوط الحالية. وكانت ضمن الأعمال القوصية. ابن مماتى: السابق، ص١٦٧؛ ابن الجيعان: السابق، ص١٩٤.

(٤) كان يقال لها هو والكوم الأحمر من الأعمال القوصية، وتقع حالياً فى محافظة قنا. ابن مماتى: السابق، ص١٩٨؛ ابن الجيعان: السابق، ص١٩٥.

(٥) أبويط: من الأعمال البهنساوية وتقع حالياً فى محافظة بنى سويف. ابن مماتى: السابق، ص١٠٣؛ ابن الجيعان: السابق، ص١٥٩.

(٦) هو إسماعيل بن يوسف بن عمر بن عبد العزيز البندارى الهوارى، أمير هوارة القبلية فى عهد الأشرف برسباى، إلى عهد الظاهر جقمق، كان مذكوراً بالخير وحسن السيرة، عزله السلطان جقمق وسجنه بالكرك فثارت هوارة ثم أعيد إلى إمرته عام ٨٤٤ هـ ومات بالقاهرة عام ٨٥٣ هـ. انظر: السخاوى: الضوء اللامع، ج٢، ص٣١٠، ت رقم ٩٦٦.

أما جمايع العرب فكثيرون وهم شعوب وقبائل، والمشهور منهم عربان فزارة [١]، وفضل، وقطاب [٢]، ولبيد [٣]، وإقامتهم بعمل البهنسا وغرب البلاد، وبنى هلبا بالإطفيحية [٤]، والمقاددة [٥] بسملوط، والصبحة بالقوصية، وبنى عدى[٦] وبنى كلب [٧] بمنفلوط، وبنى نصر [٨] بالشرق، وبنى جهينة وبنى هلال بالمراغة، والأحامدة [٩] وبنى ناب [١٠] وجذام بقوص، والعكارمة والبكرية بقنا، والكلح بأدفوا [١١] والكنوز [١٢] بأسوان.

الثانى: عربان الوجه البحرى، وهم متوطنين بالبلاد، قال الحمدانى: أن الإمرة كانت فيه فى خمسة أعمال.

(١) فزارة بطن من قبيلة قيس عيلان العربية. المقريزى: البيان، ص٤٨ ــ ٤٩.

(٢) بطن من قبائل سليم. السابق، ص٧١.

(٣) بطن من قبائل سليم. نفسه.

(٤) لقد كان هناك فرعان باسم هلبا لقبيلة جذام، أحدهما هو هلبا سويد، والآخر هلبا بعجة. القلقشندي: نهاية، ص ١٦٧، ٣٩٩؛ المقريزى: السابق، ص١٦ ــ ١٧.

(٥) هم المنسوبون إلى أولاد مقدم من قبائل غطفان. المقريزى: السابق، ص٧٣.

(٦) هم بنو عدى من قبيلة لخم. السابق، ص٦٠.

(٧) هم بطن من قبيلة قضاعة. السابق، ص٨٧.

(٨) بنو نصر من لخم. السابق، ص٥٩.

(٩) من قبيلة جرم قضاعة. السابق، ص٦.

(١٠) من قبيلة بلى القضاعية. السابق، ص٣٠.

(١١) الصواب: أدفو.

(١٢) هم خليط بين قبيلة ربيعة العربية، وبين سكان النوبة من البجاة. وعرفوا بالكنز لمساهمتهم فى القضاء على ثورة أبى ركوة الأموى فى العصر الفاطمى، فكافأ الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله زعيم القبيلة بلقب " كنز الدولة " فأصبح علماً على القبيلة. انظر المقريزى: الخطط، ج١، ص٣٠٦ ــ ٣٠٧؛ البيان، ص٤٦؛ محمود الحويرى: أسوان، ص٧١ ــ ٧٢.

الأول: عمل الشرقية قال: والإمرة فيه فى قبيلتين ثعلبة وجذام [١]، وصارت فى ثعلبة فى [العليميين] [٢]، وفى جذام فى أولاد بقر، والقائم فى الإمرة فيهم الأمير ركن الدين بيبرس ابن أحمد بن كمال الدين بقر بن خضر [٣]، ولهم من الملوك والأقيال والخلع الأطلسان بـــالحوايص وطرف الشاش والإقطاعات، وعندهم حواصل الهجن السلطانية، وإقامتـــهم بهـــربيط [٤]، وفى العائذ فى بنى عيسى ولهم ما لأمراء جذام مما تقدم، ومنازلهم نوب [٥]، والقائم بـــالإمرة فـــيهم عيسى بن سيف.

أما بنى سعد فليس لهم أمير بل شيخ، ومنازلهم برهمتوش [٦]، والمشيخة فـــيهم فى بيـــت أولاد جماز، وهى الآن فى يد يزيد بن .... [٧] بن جماز.

(١) ثعلبة وجذام بطنان من قبيلة طيئ العربية التى حضرت مع فتح مصر. القلقشندي: نهاية، ص١٩٥؛ المقريزى: البيان، ص٣ ــ ٦.

(٢) بياض فى الأصل، ومابين الحاصرتين من، صبح، ج٤، ص٦٩؛ وقد ذكرت فى الضوء " بنى علوية " ص٢٦٨؛ والصواب ما فى الصبح لكون العليميين فرعا من ثعلبة ينسبون إلى عليم بن رميح، ولا وجود لبنى علوية هؤلاء. المقريزى: السابق، ص٦.

(٣) هو بيبرس بن أحمد بن بقر شيخ العربان بالشرقية كان كريماً ديناً كثير الأدب والتواضع مات عام ٨٦٦ هــ. انظر: السخاوى: السابق، ج ٣، ص ٢٠ – ٢١، ت رقم ٩٩

(٤) إحدى المدن القديمة الواقعة ضمن أعمال الشرقية، وهى تقع اليوم بمركز كفر صقر محافظة الشرقية. ابن مماتى: السابق، ص١٩٧؛ ابن الجيعان: السابق، ص٤٥؛ محمد رمزى: السابق، ق٢، ج١، ص١٣٠.

(٥) توجد عدة بلاد باسم نوب إما مضافة إلى عمل آخر أو بمفردها، ولما كان الوصف الجغرافى لمساكن قبائل العرب يحدد الموقع المقصود، فإن نوب المقصودة هنا هى قرية " نوبة " التابعة لمركز بلبيس محافظة الشرقية لما ذكره عنها ابن الجيعان من أنها كانت للعربان، وتباعد بقية البلاد عن هذا الموقع، ولكون اسم قرية نوب المذكور فى قرى المرتاحية كما يذكر ابن مماتى. ابن الجيعان: السابق، نفسه؛ ابن مماتى: السابق، ص١٩٤؛ محمد رمزى: السابق، ق٢، ج١، ص١٠٦.

(٦) برهمتوش: إحدى أعمال الشرقية، وكان يضاف لها بلدة لزقة فيقال برهمتوش ولزقة. ابن الجيعان: السابق، ص٢٤؛ ابن مماتى: السابق، ص١١٠.

(٧) بياض فى الأصل.

الثانى: عمل المنوفية، وعربانها لواتة، والإمرة فيهم فى بنى نصير الدين، ومنازلهم فى جزيرة بنى نصر بالقصر وغيره، والقائم فيهم الآن الأمير زين الدين غيث بن ندا بن على بن أبى الوحش بن نصير الدين [1]، وصارت إمرتهم فى معنى المشيخة.

الثالث: عمل الغربية، والإمرة فيه فى أولاد يوسف من الخزاعلة من سنبس بن طيئ، وأميرهم لاحق بأكابر الأمراء فى الخلع والإقطاع، ولم يكن بالغربية الإمرة إلا فيهم، ومنازلهم سخا [2] والورق [3]، والقائم بالإمرة فيهم الآن جمال الدين عبد الله بن عثمان بن أحمد بن ناصر، وناصر أهمل، وقيل يوسف.

الرابع: عمل البحيرة، وكانت الإمرة فيه فى بنى التركية من المقادمة من بنى قائد بن مقدم، ثم انحطوا عن ذلك ورحلوا عن البحيرة وتوطنوا بأعمال الجيزة، ولم يكن لهم إقطاع ولا عليهم تقادم، وصارت إمرتهم فى معنى المشيخة، والقائم عليهم الآن شكر بن حماد بن محمد من أولاد التركية المذكورين [١٤٥ أ].

أما مشايخ زنارة [4] بالبحيرة فهم على خمسة أخماس، ولكل خمس بلاد معروفة مقسومة لها شيخ، عليه دركها [5]، ويقر ما على عربان إقليم البحيرة من التقادم والضيافات والجنابات على الأخماس.

(١) هو غيث بن ندا بن أبى الوحش ويعرف بابن نصير، شيخ عرب المنوفية كان مشهوراً بالظلم والشح مع إظهاره التدين مات بالقاهرة عام ٨٦٦ هـ انظر:السخاوى: السابق، ج٦، ص١٦١، ت رقم ٥٣٢.

(٢) سخا: كانت من أعمال الغربية، وهى الآن مركز من مراكز كفر الشيخ: ابن مماتى: السابق، ص١٤٧؛ ابن الجيعان: السابق، ص٨٠؛ محمد رمزى: السابق، ق٢، ج٢، ص١٤٦.

(٣) الورق: كانت من أعمال الغربية، وقد ذكرها ابن الجيعان مع بلدة أخرى فقال " الورق وأرميون "، ص٧٠.

(٤) بطن من قبائل لواتة المغربية. المقريزى: البيان، ص٥٠.

(٥) أى عليه حراستها.

فالخمس الأول نصفين بين بنى بو سعيد، وشيخه على بن أحمد بن بدر وإقامته بناحية شنشبا [١] وبين [مستنان] [٢] وشيخهم الآن محمد بن محمد بن سليط وإقامته بشنديد [٣].

الخمس الثانى، من بنى صالح ولهم ثلاثة أرباع الخمس، وشيخهم حامد بن عبد الله وإقامته بأمليط [٤]، وبين باطوره [٥] ولهم الربع، وشيخهم حاجى بن سلطان، وإقامته ببتوك [٦].

الخمس الثالث، بين مصغونة وشيخهم خضر بن محمد بن مقرب، وأحمد بن عثمان بن أيوب، وإقامتهم بالبسلقون [٧]، وبين فرطيطة [٨] وعرجومة [٩] .... [١٠]

---

(١) وردت عند ابن الجيعان باسم " شنشا " ص١٣٠؛ وعند ابن مماتى وابن دقماق باسم شنشبا، وهى من إقليم البحيرة. ابن مماتى: السابق، ص١٤٩؛ ابن دقماق: الانتصار، ج٥، ص١١٠.

(٢) كذا فى الأصل.

(٣) شنديد: بلدة من أعمال البحيرة، وقد ذكرت عند ابن الجيعان " شندويد أو شنديد ". السابق، ص١٢٩؛ ابن مماتى: السابق، ص١٥٧.

(٤) أمليط: من أعمال البحيرة، ويقال لها أمليط ورأس التمساح. ابن الجيعان: السابق، ص١٢٢.

(٥) باطورة: لم أجد لها ذكر بهذا الشكل، ولكن توجد بلدة فى إقليم البحيرة تسمى أبودره لدى ابن الجيعان، ص١١٧.

(٦) وتعرف باسم محلة بتوك عند ابن مماتى، ومحلة تبوك عند ابن الجيعان، والصواب الأول لوجود القرية إلى الآن باسم أبتوك مركز شبراخيت بالبحيرة. ابن مماتى: السابق، ص١٨٩، هـ٧؛ ابن الجيعان: السابق، ص١٣٣.

(٧) البسلقون: من أعمال البحيرة. ابن مماتى: السابق، ص٩٦؛ ابن الجيعان: السابق، ص١١٩.

(٨) لم أجد لها مسمى، ولعله يقصد بها منية أقريط من أعمال البحيرة والتى كانت إقطاعاً للعربان. ابن الجيعان: السابق، ص٩٣.

(٩) كذا بالأصل. ولم أجد لها تفسيراً فى الكتب الجغرافية.

(١٠) بياض فى الأصل.

الخمس الرابع، بين عرهان الكبير وهم الشوكة وبين بعاث وشيخهم إسماعيل بن زايد[١]، وإقامته بأبي صمادة [٢]، وبنى عرهان الصغير وهم متساوة وفى خليفة، وصار إسماعيل المذكور شيخاً عليهم.

الخمس الخامس، بين زمران وواكدة، وبنى حنون، وشيخهم محمد بن موسى وإقامته برمسيس [٣]، وبنى طازولة وبنى حسين وبنى عبد المؤمن، ومشايخهم أولاد راشد، وإقامتهم ببلقطر [٤].

أما عربان تروجة [٥] وهم عربان مزاتة لم يدخلوا بهذه الخمسة أخماس، وهم شعوب وقبائل عديدة ينقسمون على خمسة أقسام:

القسم الأول: مزاتة العريضية وشيخهم سليمان بن شرف، وإقامته ببنها.

الثاني: غرين وشيخهم ابن بدران، وإقامته ببطورس [٦].

الثالث: بنى عونة، وهم فرقتين، فالأولى أولاد الشيخ، وشيخهم ...... [٧] بن رحاب، الثانية العقلة وشيخهم .... [٨] بن إبراهيم بن سعدان.

الرابع: الخوالد وشيخهم ابن عز الدين.

الخامس: بنى سالم وشيخهم عبد الله بن يوسف، وإقامتهم جميعاً الآن بناحية تروجة.

---

(١) إسماعيل بن زايد أحد مشايخ العربان بالبحيرة، وسط فى أواخر ذى الحجة عام ٨٥٣ هـ انظر: السخاوى: السابق، ج٢، ص ٢٩٨ – ٢٩٩، ت رقم ٩٢٠.

(٢) أبو صمادة: بلدة من أعمال البحيرة. ابن مماتي: السابق، ص٢٢٧؛ ابن الجيعان: السابق، ص١١٧.

(٣) رمسيس من أعمال البحيرة، وتعرف منطقتها بحوف رمسيس. ابن مماتي: السابق، ص١٤٣، ٢٢٥؛ ابن الجيعان: السابق، ص١٢٧.

(٤) بلقطر من أعمال البحيرة. ابن مماتي: السابق، ص١١٦؛ ابن الجيعان: السابق، ص١٢٤.

(٥) تروجة: من أعمال البحيرة: ابن مماتي: السابق، ص١٢٢؛ ابن الجيعان: السابق، ص١٢٤.

(٦) بطورس: من أعمال البحيرة، وتعرف منطقتها بحوف رمسيس. ابن مماتي: السابق، ص١١٧؛ ابن الجيعان: السابق، ص١٢٤.

(٧) بياض فى الأصل.

(٨) بياض فى الأصل.

الخامس: عمل برقة، وكانت عربانه داخلين تحت الطاعة الشريفة، وكان على أميرهـــم تقادم فى كل سنة للإسطبلات والمناخات الشريفة إلى آخر دولة الظاهر برقوق، وآلت الإمـــرة فيه إلى عمر بن عريف، وكان مشهوراً بالصلاح والدين والعفة ثم بعده من قابل السلطنة وقدم وأخلع عليه، ومن غاب أهمل وصارت الإمرة على عربان [١٤٥ ب] برقة فى معنى المشيخة، وعربان برقة لبيد[١] ويتشعبوا إلى فرق كثيرة.

(١) هى قبيلة عربية يقال إنها من قبائل سليم، ويقال إنها من غطفان، وعنها وعن تشعباتها انظر: المقريزى: البيان، ص٧٣.



القسم السادس

فى ذكر الممالك الشامية وأرباب الوظائف بها ومقدار ما يكتب لهم من قطع الورق

ويشتمل على خمس ممالك وعملين لكل منها نيابة:-

المملكة الأولى

دمشق

سميت مملكة لأن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب عند موته فرق الممالك بين أولاده، وجعل لكل مملكة كرسى وسماط، فأعطى الأفضل على دمشق والساحل وبيت المقدس، وصرخد، وبصرى، وهونين، وبنين، والسوادة، وغزة، ومن حينئذ وهى مملكة، وفيها مقصدان.

المقصد الأول

حاضرها

وهم على أربعة أصناف:

الصنف الأول

أرباب السيوف

وأعلاهم نائبها، وهو أعظم النواب بالممالك، ويعبر عنه بكافل السلطنة، وهو قائم بها قريباً من مقام السلطان الحاضر فى أكبر أموره يولى ببرها من أرباب السيوف من الطبلخانات فمن دونها، ويولى بها من يوليه السلطان من أرباب الوظائف الصغار الدينية والديوانية ويكتب على تواقيع أرباب الوظائف الكبار بها، ويكتب على المربعات بتعيين الإقطاعات ويجهزها فيخرج عليها الإقطاع، ولا يثبت منشور شريف بإقطاع بالشام إلا بعد كتابته عليه، وإنه بالحضرة يكون جلوسه إلى جانب الملك عند غيبة نائب مصر، ويخصص بألقاب ونعوت لم يسمح بها لغيره، وقد أفرد عنه نيابة غزة وجبال نابلس ونيابة القدس ونيابة حمص ....(1) وغيرها، وصار أمرها فى الولاية والعزل من الأبواب الشريفة وتوقيعه فى الثلثين.

وبدمشق من الأمراء المقدمين ثمانية، ومن الطبلخاناه أحد وعشرون، ومن العشرينات اثنان وعشرون، ومن العشرات أحد وخمسون، ومن الخمسات ثلاثة وعشرون، وبها مقدمين الحلقة، وجندها وهم جم كبير. وأكبر أمرائها الأمير الكبير ويقال له أتابك العساكر بالشام قياساً على الأمير الكبير بمصر.

---

(1) بياض فى الأصل.

[١٤٦ أ] وبها حاجب الحجاب من أكبر مقدميها، وبها حاجب ثاني طبلخاناه وأربعة غيرهم عشرات. وبها نائب قلعتها لم يكن للنائب عليه يد ولا تصرف، وعليه حفـظ القلعـة ورجالها وآلاتها وحواصلها ولا يسلم مفاتيحها إلا لمن يتولاها عنه أو لمن رسم الملك بتسليمها، قال في التعريف: وعادته مقدم ألف. والآن كذلك [١]، وتوقيعه في النصف.

وبها أستدار الديوان الشريف، من جملة الأمراء المقدمين، يتحدث على نواحي الـديوان الشريف بها ودواليبه ويحمل ما يتحصل من ذلك للخزائن الشريفة، ومن تحت أمره مباشـرين وجماعات، ومرسومه في النصف.

وبها دوادار من قبل السلطان من أمراء الطبلخاناه في خدمة نائبها مطلع على تصـرف النائب فيما قل وجل كالأمين عليه لأنه ربما يقع خلل من النائب فينبه الدوادار الملـك علـى ذلك، وذلك حادث في سنة ثمان وعشرين وثمانمائة [٢].

وبها نقيب الجيش، ويقال فيه أمير نقباء الجيوش على طريقة مصر، وولايته من الأبـواب الشريفة، ومرسومه في الثلث.

وبها المهمندار لتلقي القصاد والرسل وعمل مصالحهم إلى حين سفرهم لمصر، ومرسـومه في الثلث

وبها والي الشرطة من قبل نائبها، يحكم داخل المدينة في الحدود والقصاص والجنايات بعد عرض ذلك على النائب.

وبها شاد الدواوين، وكان متصرفاً حين كانت الوزارة، وكانت الوزارة لها شأن كـبير فلما انحطت الوزارة منع متوليها التصرف وصار يكتفي بالمعلوم، وتارة يوليها النائـب وتـارة يتولاها من الأبواب.

---

(١) يذكر القلقشندي نقلاً عن التثقيف [وكان عادة نائبها في الأيام المتقدمة مقدم ألف، ثم استقرت بعد ذلك طبلخاناه، وهي على ذلك إلى الآن]، صبح، ج٤، ص١٨٥.

(٢) هنا يبرز التغير في السلك الوظيفي بين كل من القلقشندي وصاحب الثغر، فبينما نجد القلقشندي يقول [قلت: أما سائر أرباب الوظائف من الأمراء المستقر مثلهم بالحضرة السلطانية كرأس نوبة، وأمير مجلس ...... فلا وجود لهم هناك، وإنما يكون للنائب مثلهم من أجناده كغيره من سائر الأمراء]، السابق، ج٤، ص١٨٨. فإننا نجد صاحب الثغر يبرز أن وظيفة الدوادار استحدثت عام ٨٢٨ هـ.

وكان بها شاد المهمات برسم التحدث فى الاحتياجات السلطانية والخزندارية على الخلع والتشاريف وتقدمة البريد وغير ذلك ثم أهمل.

وكان بها أمير أخور البريد ثم أهمل لإهمال البريد.

الصنف الثانى

أرباب الوظائف الدينية

وهم اثنا عشر [١]:

الأول: قاضى القضاة الشافعى، وهو أعظم أرباب المناصب الدينية بها، وله التحدث على الأيتام والأوقاف والمودع، وله خطابة الجامع الأموى وجملة أنظار وتصادير وتداريس، ويقيم النواب بالمدينة وبالبر جميعه ومدن غير دمشق، وتوقيعه فى النصف، وكتب لابن حجى بعد كتابة سر مصر [١٤٦ ب] بالجناب العالى.

الثانى: قاضى القضاة الحنفى، ومقامه قريباً من مقام قاضى القضاة الشافعى، وله النظر على جملة أنظار وتصادير وتداريس وأوقاف، وله نواب بالمدينة لا بالبر، وتوقيعه فى النصف.

الثالث: قاضى القضاة المالكى، وهو قريباً من مقام قاضى القضاة الحنفى، وله النظر على بعض أوقاف وتداريس وغير ذلك، وتوقيعه فى الثلث.

الرابع: قاضى القضاة الحنبلى، وهو قريباً من مقام المالكى، وتوقيعه فى الثلث.

الخامس: قضاة العسكر، وهما قاضيان، أحدهما شافعى، والآخر حنفى، وتوقيع كل منهما فى الثلث.

السادس: مفتين دار العدل، وهما اثنان شافعى وحنفى، وتوقيع كل منهما فى الثلث.

السابع: وكيل بيت المال، وهو قريباً من وكيل بيت المال بمصر، وتوقيعه فى الثلث.

الثامن: نقيب الأشراف، وظيفة جليلة، ومن ألقابه الأميرى وأخواها، وتوقيعه فى الثلث.

التاسع: المحتسب، وصار يتولاها فى زماننا جماعة من أرباب السيوف، وولايته من الأبواب الشريفة، وتوقيعه فى الثلث.

---

(١) الصواب: ثلاثة عشر، طبقاً لتقسيمه.

العاشر: نظر الأوقاف، وهو رفيقاً للقاضى الشافعى بها، وربما كان مستبداً بالكلام فيها، وتوقيعه فى الثلث.

الحادى عشر: ناظر الجامع الأموى، وهو مضاف إلى نائبها.

الثانى عشر: خطابة الجامع الأموى، وهى مضافة إلى قاضى القضاة الشافعى كما تقدم، وتوقيعه فى الثلث.

الثالث عشر: ناظر البيمارستان النورى، وهو مضاف إلى نائبها، وتوقيعه فى الثلث.

الصنف الثالث

المدرسين ومشايخ الخوانق

وهم ثلاثة:

الأول: مدرس الريحانية [(١)]، وهو للحنفية، وتوقيعه فى الثلث.

الثانى: مدرس الجامع الأموى ...... [(٢)]، وتوقيعه فى الثلث.

الثالث: شيخ السميساطية[(٣)]، وتوقيعه فى الثلث، ولم يكتب لأحد من مشايخ الصوفية فى الثلث غيره.

الصنف الرابع

أرباب الوظائف الديوانية

وهم أربعة:

الأول: كاتم السر، وهو لاحق بكاتم السر بمصر ولا يطلق هذا اللقب إلا على كاتمى الأسرار بالديار المصرية والشام، وتوقيعه فى [١٤٧ أ] النصف، وكتب للقاضى جمال الدين

---

(١) المدرسة الريحانية: تقع بجوار المدرسة النورية، أنشأها جمال الدين ريحان الطواشى خادم نور الدين محمود عام ٥٦٥ هـ، وتم بناؤها عام ٥٧٥ هـ، وأوقف عليها عدة أوقاف، وجعلها خاصة بتدريس المذهب الحنفى. النعيمى: الدارس، ج١، ص٤٠١.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) تنسب الخانقاه السميساطية لأبى القاسم على بن محمد بن يحيى السلمى السميساطى المتوفى عام٤٥٣هـ، من العاملين بعلم الهيئة والهندسة، و الخانقاه فى أصلها كانت دارا لعبد العزيز بن مروان، عن تاريخها انظر: النعيمى: الدارس، ج٢،ص١١٨ـ ١٢٦.

الكركى بالجناب العالى بعد كتابة السر بمصر، وله أتباع كتاب الدست وهم نحو من ست نفر وعليهم الملازمة، وكتاب الدرج، وتوقيع كتاب الدست فى الثلث والدرج فى العادة.

الثانى: ناظر الجيش، وهو وظيفة سنية، أكثر وظائف الشام متحصلاً، وتوقيعه فى النصف.

الثالث: الوزير، وكانت الوزارة بالشام من الوظائف السنية لاحقاً بوزراء الديار المصرية، قال فى التعريف .... [1] وقد انحطت عن ذلك وصار الوزير بالديار المصرية مستبد بأمر متوليها فى الولاية والعزل، وربما تولى من الحضرة، ويعبر عنه بناظر المملكة الشامية، وتوقيعه فى الثلث.

الرابع: ناظر الخاص بها، وله فروع يتحدث فيها ويأخذ متحصلها للخاص، وناظر الخاص مستبد بأمره فى الولاية والعزل، وتوقيعه فى الثلث.

وكان بها ناظر المهمات، وناظر الخزانة، وناظر خزائن السلاح، وناظر البيوت، وناظر الأسواق، وناظر مراكز البريد، وناظر الحوطات وهو نحو استيفاء المرتجع، وكان يكتب لكل منهم فى الثلث ثم أهملوا.

الصنف الرابع[2]

الصنائعية ذوى الرئاسة

وهم ثلاثة:

الأول: رئيس الأطباء، ولا يتولى إلا إن أثنى عليه رئيس الأطباء بالديار المصرية، ويكون لاحقاً بصفتهم ويصرف الأطباء بالبلاد الشامية، وتوقيعه فى الثلث.

الثانى: رئيس الكحالين، والحكم فيه حكم رئيس الأطباء، وتوقيعه فى العادة.

الثالث: رئيس الجرائحية، والحكم فيه كما تقدم، وتوقيعه فى العادة.

ولم يكن بها رئيس مجبرين ولا معلمين من قبل السلطان.

---

(١) بياض فى الأصل.

(٢) الصواب: الصنف الخامس.

الصنف الخامس

زعماء أهل الذمة

وهم ثلاثة:

الأول: بطريرك اليعاقية، وهو نائب البطرك بمصر، وشرطه أن يكون لاحقـاً بصـفته، وشرطه اللازم له، ولا يكتب توقيعه إلا بعد إذن البطرك بالقاهرة بالكتابة له وتوقيعه فى العادة.

الثانى: بطريرك الملكانين، والحكم فيه كما تقدم فى بطرك اليعاقبة، وتوقيعـه فى [١٤٧ ب] العادة.

الثالث: رئيس اليهود، وهو يتحدث على طائفة القرائين والربانيين والسامرة، وشرطه أن يكون لاحقاً بصفة رئيس اليهود بالقاهرة وبشروطه اللازمة له، وتوقيعه فى العادة، ولا يكتب له توقيع إلا بإذن الرئيس بالقاهرة فإنه بمقام نائبه، وربما تحدث على السامرة شخص بمفرده مـن تحت أمر الرئيس بمصر، ويسمى الرييس براء مهملة ثم ياء موحدة وياء وسين.

المقصد الثانى

عمل برها مما هو خارج عن حاضرة دمشق وولاية الأمور بها

على أربعة أنواع:

النوع الأول: النيابات، وهى ست:

الأولى: نيابة القدس، من الصفقة الغربية، وكانت فى الزمن المتقدم نيابة صغيرة يوليهـا نائب الشام، ثم صارت طبلخاناه فى سنة سبع وستين وسبعمائة كما قاله فى التثقيف [١]، وهـى الآن فى رتبة تقدمة بالشام، وولاية متوليها من الأبواب الشريفة وربما يضاف إليه نظر القـدس والخليل، ويعبر عنه بنظر[٢] الحرمين كما عبر به فى التثقيف، وربما أضيف له كشـف الرملـة ونابلس، ويكتب لنائب القدس مرسوم فى النصف وبنظر الحرمين توقيع فى النصف.وبالقـدس

---

(١) يذكر فى التثقيف أن نيابة القدس استجدت عام ٧٧٧ هـ، ص ٩٨. وكذلك فى صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩٩.

(٢) الصواب: بناظر.

وال بقلعتها وعادة ولايته من نائب الشام، وبها شيخ الحرم وولايته من الأبواب الشريفة، وتوقيعه فى الثلث.

وبها شيخى المدرستين الصلاحيتين (١) إنشاء الشهيد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، أحدهما لطلبة العلم والمحدثين وهى الكبرى وتوقيع شيخها فى نصف، والثانية رباطاً للمترددين والمجاورين كما تقدم الكلام عليه، وتوقيع متوليه فى العادة.

وبها قاضى شافعى وولايته من الأبواب الشريفة وتوقيعه فى ...... (٢).

وبها خطيب القدس ...... (٣) وتوقيعه فى ...... (٤).

الثانية: نيابة صرخد، من الصفقة القبلية كما تقدم، وهى نيابة صغيرة وولايتها من نائب الشام. وبصرخد قلعة حصينة منيعة عمرها الظاهر بيبرس البندقدارى كما تقدم، وولايتها من الأبواب الشريفة.

الثالثة: نيابة بعلبك، من الصفقة الشمالية، وكانت إمرة عشرة، وهى طبلخاناه، وولايتها من نائب الشام.

الرابعة: نيابة حمص، [١٤٨ أ] من الصفقة الشرقية، قال فى التعريف: إنها طبلخاناه. وهى الآن تقدمة، ولم يكن بحمص فيمن يتولى من أرباب الوظائف الدينية والديوانية ويكتب له من الأبواب الشريفة غير نائبها، ومرسومه فى النصف، والحاجب بها، ولم يكتب له مرسوم.

الخامسة: نيابة عجلون، من الصفقة القبلية، قال فى التثقيف: وهى وإن كانت نيابة على حالها فنائب الشام مستقل بالولاية فيها. وفى سنة إحدى وثلاثين فى الأيام الأشرفية استقرت نيابتها طبلخاناه من الأبواب الشريفة، وكتب مرسوم نائبها فى الثلث.

السادسة: نيابة مصياف، من الصفقة الشرقية، وكانت من معاملة طرابلس ثم أضيفت إلى

---

(١) انظر الخانقاه الصلاحية بالقدس.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) بياض فى الأصل.

(٤) بياض فى الأصل.

الشام ثم عادت إلى طرابلس [1]، وهى طبلخاناه، وعادة نيابتها من الأبواب الشريفة، ومرسوم متوليها فى الثلث.

النوع الثانى: الكشف وولاة الولاة، وهما كاشفان:

الأول: كاشف القبلية، قال فى التعريف: ومقرته مدينة أذرعات. فإن كان مقدماً فولايته من الأبواب الشريفة ويسمى كاشف الكشاف، وإن كان طبلخاناه فولايته من نائب الشام ويسمى والى الولاة، وولايته الآن من نائب الشام بغير إقطاع.

الثانى: كاشف الرملة، من الصفقة الغربية، مستجد فى أيام الظاهر برقوق، وولايته من الأبواب الشريفة، ومرسومه فى الثلث.

النوع الثالث: الولايات، وهى ثلاث طبقات:

الأولى: الطبلخاناه، وهى ثلاث ولايات:

الأولى: ولاية نابلس،وقد أضيفت إلى كشف كاشف الرملة.

الثانية: ولاية بيروت، من الصفقة الشمالية، ويوليها نائب الشام بإمرة صغيرة.

الثالثة: ولاية صيدا، من الصفقة الشمالية، وربما كانت إمرة عشرة، وولايتها من نائب الشام بإمرة صغيرة.

الثانية: العشرات، وهى نابلس وصيدا، وقد تقدم الكلام عليهما [2].

الثالثة [3]: أجناد الحلقة ومقدميها، وهى ولاية الرملة، وقد نظمت باستقرار الكاشف بها[4].

وولاية لد: من الصفقة الغربية، وقد أضيفت إلى كاشف الرملة أيضاً.

وولاية قاقون: وقد أضيفت إلى كاشف الرملة أيضاً.

---

(١) يبدو أنها عادت إلى طرابلس بعد عهد القلقشندي إذ يذكر أنها أضيفت إلى دمشق واستمرت على ذلك إلى الآن – أى إلى عهد القلقشندي –، صبح، ج ٤، ص ٢٠٢.

(٢) يقصد بذلك فى الولايات الطبلخاناه، وقد أوضح القلقشندي تفسير ذلك بقوله [ربما وليها إمرة عشرة]، ضوء، ص ٣١٩.

(٣) فى الأصل:الطبقة الثالثة من الولايات، حذفت لتناسق العناوين.

(٤) يعنى أنها كانت فى القديم ولاية لجندى حلقة ثم من أيام الظاهر برقوق تم رسمها للكاشف بإمرة طبلخاناه.

وولاية بلد الخليل عليه الصلاة والسلام: وقد أضيفت إلى نيابة القدس حين اســتقرت القدس نيابة.

وولاية بيسان: من الصفقة القبلية، وولاياها من نائب [١٤٨ ب] الشام.

وولاية بانياس منها وقد تكون إمرة عشرة، ويوليها نائب الشام.

وولاية الشعرا منها، وكانت فى الزمن القديم مضافة إلى بانياس ثم أفردت عنها.

وولاية حسبان والصلت، منها ويوليها نائب الشام.

وولاية البقاع البعلبكى والبقاع العزيزى من الصفقة الشمالية، قال فى التعريف: وهاتان الولايتان الآن منفصلتان عن بعلبك وهما مجموعتان لوال واحد جليل منفرد بذاته، ويوليهمـــا نائب الشام.

وولاية تدمر منها، وولايته من قبل نائب الشام.

وولاية قلعة الصبيبة، ولها الآن طبلخاناه بصفد وولايتها من الأبواب.

قلت إن هذه الطبقات من النيابات والكشف والولايات ليست مستلزمة استمرار الرتبة بل ربما أن يحط أو يزاد.

المملكة الثانية من الممالك الشامية

حلـــب

وفيه مقصدان:

المقصد الأول

حاضرها

وهم على أربعة ضروب:

الضرب الأول

أرباب السيوف

وهم على نحو ممن تقدم من دمشق من أمير كبير، وحاجب الحجاب، ونائـــب القلعـــة، وأمراء مقدمين وطبلخاناه وعشرينات وعشرات وخمسات ومقدمى الحلقة والجند، ويزاد إقطاع الحلقة عما على دمشق.

ونائبها من أعظم النواب بالمرتبة الثانية من نائب الشام، ويولى فى عمل حلب من أرباب السيوف من الطبلخاناه فمن دونها، ويكتب عنه التواقيع والمربعات كنائب دمشق، ولا يثبـــت منشور بالمملكة الحلبية إلا بعد شموله بخطه، وعمله أوسع الممالك ولا يكون إلا فى غايـــة مـــن المعرفة والشجاعة لأن مملكته أول الممالك وآخرها، وتقليده فى الثلثين.

وبحلب من الأمراء المقدمين ستة أمراء بما فيهم من الأمير الكبير بها، وحاجب الحجـــاب، ونائب القلعة، وأمير التركمان البياضية، ومن الطبلخاناه ستة أمراء بما فيهم من أمراء التركمان، ومن العشرينات خمسة عشر أميرا بما فيهم من أمراء التركمان، ومن العشرات أربعة وعشـــرين أميرا بما فيهم من أمراء [١٤٩ أ] التركمان، ومتولى الحجر بقلعة المسلمين، ومن الخمســـات خمسة عشر أميراً بما فيهم من أمراء التركمان.

وأرباب الوظائف بها على أربعة ضروب:

الأول

أرباب السيوف

وهم أربعة:

الأول: الأمير الكبير، وهو أكبر مقدميها وأعلاهم مكانة بعد النائب، إليه خطابه وعليه المعول فى الرأى.

الثانى: حاجب الحجاب، وهو بمقام الأمير الكبير، وحاجب ثانى طبلخاناه، وثالث عشرة، ورابع مثله.

الثالث: نائب القلعة، وكان من أمراء الطبلخاناه ثم استقر مقدماً وقد تقدم الكلام على أن قلعتها من أعظم القلاع، وفيها من الأجناد البحرية أربعين رجلاً لا يظعنون عنها لسفر ولا لغيره، وبها حرسية وبها حواصل جمة، ومرسوم نائبها فى النصف.

الرابع: إستدار الديوان بها، وأنه يعمل أحياناً ويبطل غالباً، وربما تحدث فى أمرها نائب القلعة، وتكلم على ما يتحصل للديوان الشريف، وإذا رسم استقرار إستدار يكون مرسومه فى الثلث.

الضرب الثانى

أرباب الوظائف الدينية

وهم سبعة:

الأول: قاضى القضاة الشافعى، وهو أجل أرباب الوظائف الدينية، وتفويضه فى النصف.

الثانى: قاضى القضاة الحنفى، وهو قريباً من قاضى القضاة الشافعى وتوقيعه فى الثلث.

الثالث والرابع: قاضى القضاة المالكى، وقاضى القضاة الحنبلى، وتوقيع كل منهما فى الثلث.

الخامس والسادس: قاضيا عسكر حنفى وشافعى، وتوقيع كل منهما فى الثلث.

السابع: وكيل بيت المال، وتوقيعه فى الثلث.

وكان بها محتسب وكان توقيعه فى الثلث ثم أضيفت الحسبة إلى نائبها فصار مستبداً بهـا، ولم يكن بها إفتا دار عدل [١].

الضرب الثانى [٢]

أرباب الوظائف الديوانية

وهم ثلاثة:

الأول: كاتم السر، وكان يعبر عنه بصاحب ديوان المكاتبات بحلب ولا يسمح لـه بصاحب ديوان الإنشاء بحلب، ثم فى زماننا كتب له كاتم السر الشريف بحلب المحروسة، وكان توقيعه فى الثلث، ثم كتب فى النصف، وله أتباع كتاب الدست وهم نحو من ستة، وتوقيع كل منهم فى الثلث، وكتاب الدرج نحو عشرة، وتوقيع كل منهم فى العادة.

الثانى: ناظر الجيش، ونظر الجيش بها من الوظائف السنية [١٤٩ ب] حتى يقال إن أكبر وظائف المتعممين متحصلاً كتامة السر بمصر، وقضاء الشافعية بدمشق، ونظر الجيش بحلب، وتوقيعه فى النصف.

الثالث: الوزير، وكانت الوزارة بها من الوظائف السنية ثم انحطت عن رتبتها وأضيفت إلى نائبها فصار مستبداً بها.

الضرب الرابع

أرباب الوظائف الصنايعية

وهم ثلاثة:

الأول: رئيس الطب، ولا يسمح له بولاية إلا إن أثنى عليه رئيس الطب بمصر، وتوقيعه فى العادة.

الثانى: رئيس الكحالين، وحكمه كرئيس الطب، وتوقيعه فى العادة.

الثالث: رئيس الجرايحية، وحكمه كذلك، وتوقيعه فى العادة.

ولم يتولى بها معلمين ولا أحد من زعماء أهل الذمة.

---

(١) يذكر القلقشندي أن بها إفتا دار عدل انظر: صبح، ج٤، ص٢٢١، ضوء، ص ٣٢٣

(٢) الصواب: الثالث.

المقصد الثانى

ما هو خارج عن حاضرتها

وهم على أربعة أنواع:

النوع الأول: النيابات، وهى على ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: نيابة مقدمى الألوف، وهى [سبعة وعشرون نيابة] (١)، وولاية متوليها من الأبواب الشريفة، ومرسوم كل منهم فى النصف.

الأولى: نيابة قلعة المسلمين، وتعرف فى القديم بقلعة الروم.

الثانية: نيابة الأبلستين، وكان بها ناصر الدين بك بن ذو الغادر (٢)، فسولت له نفسه العصيان فطرد منها وحرقت .... (٣)

[١٥٠ أ] الطبقة الرابعة: نيابة مقدمى الحلقة وأجنادها،وهى تسع نيابات وولاياتها [١٥٠ ب] من نائب حلب، وهى نيابة قلعة قارى (٤)، ونيابة كاورا، وقد أضيفت إلى سيس، ونيابة كولاك، ونيابة كرزال، ونيابة كوش، ونيابة تل حمدون وقد أضيفت لأياس، ونيابة قلعة نجمة .... (٥)، ونيابة حموص (٦) وقد أضيفت إلى أياس، ونيابة قلعة لؤلؤة.

النوع الثانى: مما هو خارج عن حلب من الولايات التى يوليها نائبها إلا النادر، وهى اثنا عشر ولاية (٧) :

الأولى: ولاية برها، ويسمى والى الولاة، وكان قديماً طبلخاناه.

الثانية: ولاية كفر طاب.

---

(١) بياض فى الأصل، انظر القسم الحادى عشر، ص.

(٢) هو محمد بك بن ذلغادر صاحب أبلستين وحمو السلطان الظاهر جقمق، توفى عام ٨٤٦ هـ. ابن حجر: إنباء، ج٤، ص٢٠٦؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٥، ص٤٩٩.

(٣) بياض بمقدار صفحة ونصف إلا من السطر الأخير.

(٤) بارى كرواك: صبح، ج ٤ ص ٢٢٩.

(٥) بياض فى الأصل.

(٦) حميمص: صبح، ج٤، ص ٢٢٩؛ حمص: ضوء، ص ٣٢٦.

(٧) القلقشندي يذكرها عشر ولايات، ضوء، ص ٣٢٦، ومما ذكره صاحب الثغر نجد أنها ثلاثة عشر ولاية.

الثالثة: ولاية سرمين، وربما كانت إمرة عشرة.

الثالثة [١]: ولاية الجبول.

الخامسة: ولاية جبل سمعان، ومتوليها مقيم بحلب ويحضر مواكب نائبها.

السادسة: ولاية الروانه [٢].

السابعة: ولاية عزاز، وكانت إمرة عشرة.

الثامنة: ولاية تل باشر، وكانت ولاية مفردة ثم أضيفت لعين تاب.

التاسعة: ولاية منبج.

العاشرة: ولاية تيزين.

الحادية عشر: ولاية الباب وبزاعا.

الثانية عشر: ولاية دركوش.

الثالثة عشر: ولاية أنطاكية، واستقرت ولايتها من الأبواب الشريفة بإقطاع حلقة، ووراء ذلك ولايات أخرى صغار ببلاد الأرمن كل جند من نائب حلب.

النوع الثالث: مما هو خارج عن حلب.

طوائف التركمان، وهم طوائف كثيرة، لكن عد منهم فى التثقيف [اثنا عشر] [٣] طائفة بأعمال حلب.

الأولى: الدلغارية، وهم جماعة بن ذو الغادر .... [٤].

الثانية: الأجقية، وهم جماعة أولاد رمضان، وأميرهم الآن ...... [٥]، وبلاده سيس.

الثالثة: الأوزرية، وهم جماعة داوود بن أوزر أميرهم، وبيده طبلخاناه، وبلاده أياس.

---

(١) الصواب: الرابعة.

(٢) لعلها المذكورة عند القلقشندي [الروندان]، وقد عدها القلقشندي من نيابة العشرات فقال [وقد أخبرنى بعض كتاب السر بحلب أنها استقر بها آخرا جندىّ، وتوليتها من نائب حلب]، صبح، ج٤، ص٢٢٧، ضوء، ص ٣٢٥.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من، ابن ناظر الجيش: التثقيف، ص ٧٣ ــ ٧٤.

(٤) بياض فى الأصل.

(٥) بياض فى الأصل.

الرابعة: الأوشرية، وهم بظاهر حلب وأميرهم الآن ...... [١]

الخامسة: الدكرية، وهم جماعة سالم الدكرى وكانوا بجعبر ثم انتقلوا [١٥١ أ] إلى عجلون، وأميرهم الآن فرغلى بن دمشق جحا بن سالم الدكرى، واستقر فى نيابة عجلون فى قلعتها.

السادسة: الخربندلية ...... [٢]

السابعة: الأغاجرية، ومنازلهم قريباً من مرعش وبلادها، ولم يكن لهم أمير قائم فيهم.

الثامنة: الورسق، وهم تركمان طرسوس، وأميرهم الآن ...... [٣]

التاسعة: القنقية، ومنازلهم ظاهر حلب، ولم يكن لهم أمير قائم فيهم.

العاشرة: الكبكتة، وهم كذلك.

الحادية عشرة: أولاد طشجون، وهم كذلك.

الثانية عشرة: البياضية، وهم بظاهر حلب، وأميرهم الآن [٤] وبيده تقدمة، وقد تقدم من جملة مقدمين الألوف بحلب.

قلت ربما رحلت طوائف التركمان عن هذه المنازل طلباً للمرعى والاستسقاء، أما الأكراد فألهم طوائف كثيرة، وكانوا خرجوا عن الطاعة من أيام اللنك ثم دخلوا تحتها فى أيام المؤيد، ولا حاجة لذكرهم هنا.

(١) بياض فى الأصل.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) بياض فى الأصل.

(٤) لم يذكر اسم هذا الأمير ولم يترك بياضا كعادته إذا لم يكن يعرف اسم الشخص الذى يذكره.

المملكة الثالثة

حماة

وقد قدمها صاحب مسالك الأبصار وغيره على المملكة الطرابلسية [١] لأنها كانت بيد الملوك الأيوبية إلى أن آلت فى أيام الناصر محمد بن قلاوون إلى الملك المؤيد إسماعيل بن الأفضل على ثم إلى ولده الأفضل محمد [٢].

قال فى مسالك الأبصار: كان صاحبها يستقل بإعطاء الإمرة والإقطاعات وتولية القضاة والوزراء وكتام السر وغيرهم بها، ويكتب المناشير والتواقيع من جهته، ولكنه لا يمضى أمر كبير فى مثل إعطاء إمرة أو وظيفة كبيرة حتى يشاور عليها صاحب مصر فيجيبه: الرأى بما تراه. قال: ومع ذلك فصاحب مصر متصرف فى ولاية صاحبها وعزله. ولم يزل الأمر على ذلك إلى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة فولى فيها الناصر محمد بن قلاوون نائب سلطنة [٣].

ونيابتها نيابة جليلة وإن كانت نيابة طرابلس [١٥١ ب] مقدمة عليها فى المطلقات الكبار، وفيها مقصدان:

المقصد الأول

فى حاضرها

وهم على ثلاثة ضروب:

الضرب الأول

أرباب السيوف

ولم يكن بها من المقدمين غير نائبها وتقليده فى الثلثين.

---

(١) ذكر القلقشندي فى صبح الأعشى المملكة الطرابلسية قبل حماة، ولكنه فى ضوء الصبح قدمها على حماة. انظر: صبح، ج ٤، ص ٢٣٣، ضوء، ص ٣٢٧ ـــ ٣٢٩.

(٢) تملك الملك الأفضل ناصر الدين محمد بن أبى الفداء الحكم فى الفترة من ٧٣٢ ـــ ٧٤١هـ. ابن تعرى بردى: النجوم، ج٩، ص١٠٠، ٢٤.

(٣) ذكر القلقشندي أن ذلك حدث فى عهد المنصور أبى بكر بن الناصر محمد ووليها الأمير قوصون، ضوء، ص ٣٢٨.

وبها من الأمراء الطبلخاناه أربعة، الأول، الأمير الكبير بها، الثانى حاجب الحجاب وبها حاجب ثانى. وبها من الأمراء العشرينات ثلاثة، ومن الأمراء العشرات أحد عشر، ومن الخمسات عشرة، وبها أجناد الحلقة، وبها المهمندارية وشد الدواوين ونقابة العساكر وولاية المدينة ومتوليها أجناد من قبل نائبها.

الضرب الثانى

أرباب الوظائف الدينية

وهم ستة، الأربعة قضاة وتوقيع كل منهم فى الثلث، الخامس، قاضى العسكر [حنفى][1]، السادس، وكيل بيت المال، وتوقيعه فى العادة. وكان بها محتسب ولايته من الأبواب ثم أضيفت إلى نائبها.

الضرب الثانى [2]

أرباب الوظائف الديوانية

وهم اثنان:

الأول: كاتم السر بها، ويعبر عنه بصاحب ديوان المكاتبات بحماة، وتوقيعه فى الثلث، وله أتباع من كتاب الدست، وتوقيع كل منهم فى العادة.

الثانى: ناظر الجيش بها، وتوقيعه فى الثلث، وكان بها وزير ثم انحط إلى نظر المملكة ثم أضيفت إلى نائبها، ولم يكن بها من يتولى من الأبواب من ذوى الرئاسة ولا من زعماء أهل الذمة.

المقصد الثانى

ما هو خارج عن حاضرتها

ولم يكن بأعمالها نيابات بل تقتصر على ثلاث ولايات يتولاها أجناد من قبل نائبها:

الأولى: ولاية برها كما فى حلب.

الثانية: ولاية بارين.

---

(١) بياض فى الأصل، والزيادة من: القلقشندي: صبح، ج٤، ص ٢٣٨، ضوء، ص ٣٢٨

(٢) الصواب: الثالث.

الثالثة: ولاية المعرة.

ولم يكن بها تركمان ولا عرب ينسبون إليها كغيرها.

المملكة الرابعة

طرابلس

وابتداء نيابتها من حين فتحها المنصور قلاوون واقتلعها من أيدى الفرنج فى عام ثمان وثمانين وستمائة بعد أن ملكها الفرنج مائة وأربعة وثمانين سنة، وفيها مقصدان:

المقصد الأول

فى حاضرتها

وهم على ثلاثة أنواع:

النوع الأول

أرباب السيوف

وهم أربعة:

الأول: نائبها، وهو مقدم على نائب حماة فى المطلقات [١٥٢ أ] ويجلس فوقه وأوسع عملاً منه وأكثر عسكراً إلا أن نيابة حماة أقدم، وكانت دار ملك وتقليده فى الثلثين.

الثانى: الأمير الكبير بمقام الأمير الكبير فى حلب.

الثالث: الحاجب الكبير، وهو يجلس على ميمنة نائبها بخلاف غيره من حجاب الممالك فأنهم يجلسون عن ميسرة النائب، وهو مقدم وبها حاجبان غيره طبلخاناه، وحاجب رابع عشرة.

الرابع: استادار الديوان الشريف، وربما أضيف إلى الحاجب الكبير، ومرسومه فى الثلث.

وفيها من الأمراء الطبلخاناه بما فيهم من نواب القلاع وهى المرقب، وصهيون، وحصن الأكراد ...... [1].

وبها من الأمراء العشرينات خمسة عشر، وبها من الأمراء العشرات أربعة عشر، وبها من الأمراء الخمسات أحد وعشرون، وبها جند الحلقة. ولم يكن بها قلعة بل نائبها هو المتسلم لها،

(١) بياض فى الأصل.

وبها المهمندارية وهما اثنان، أكبرهما ولايته من الأبواب، وبها نقابة النقباء وولايته من الأبواب، وبها تقدمة التركمان، وولاية المدينة ومتوليهما أجناد من قبل نائبها، وكان بها شد الدواوين وشد الخاص وتلاشى أمرهما وأهملا.

النوع الثانى

أرباب الوظائف الدينية

وهم خمسة [1] :

الأربعة قضاة، وتوقيع كل منهم فى الثلث.

الخامس: وكيل بيت المال، وتوقيعه فى العادة، وكان بها قاضى العسكر ومفتى دار العدل وقد بطلا وأهملا، وكان بها محتسب ولايته من الأبواب كانت ثم أضيفت إلى نائبها.

النوع الثالث

أرباب الوظائف الديوانية

وهم اثنان:

الأول: كاتم السر بها، ويعبر عنه بصاحب ديوان المكاتبات بطرابلس، وربما عبر عنه بصاحب ديوان الإنشاء بطرابلس، ورأيت فى بعض الدساتير من عبر عنه برئيس ديوان الإنشاء بطرابلس، وتوقيعه فى الثلث، وله أتباع من كتاب الدست، وتوقيع كل منهم فى العادة.

الثانى: ناظر الجيش بها، وتوقيعه فى الثلث، وكان بها نظر المملكة فأضيفت إلى نائبها، ولم يكن بها من يكتب له ولاية من ذوى الرئاسة ولا من زعماء أهل الذمة.

المقصد الثانى

عمل برها

وهو نوعان:

النوع الأول

(١) يذكر القلقشندي الأربعة قضاة، وقاضيا عسكر شافعى وحنفى، ومفتيا دار عدل كذلك ومحتسب ووكيل بيت المال، صبح، ج٤، ص٢٣٤. على عكس صاحب الثغر الذى يبدو أنه كان أكثر دراية بالتطورات التى حدثت على الوظائف داخل السلطنة المملوكية وذلك يظهر فى معرفته بما بطل من وظائف فى زمنه.

النيابات

وهى أحد عشر نيابة:

الأولى: نيابة المرقب [(١)]، وهى طبلخاناه كما تقدم الكلام عليها.

الثانية: نيابة حصن الأكراد، طبلخاناه.

الثالثة: نيابة [١٥٢ ب] صهيون، طبلخاناه، والثلاثة ولاية نوابها من الأبواب الشريفة.

الرابعة: نيابة حصن عكار، من نائبها.

الخامسة: نيابة بلاطنس، من نائبها.

السادسة: نيابة الأذقية [(٢)]، من نائبها.

السابعة: نيابة القدموس، من نائبها.

الثامنة: نيابة الكهف، من الأبواب.

التاسعة: نيابة المنيقة، من نائبها.

العاشرة: نيابة العليقة، من النائب بها، وكانت مصيات من جملتها ثم أضيفت إلى دمشق.

النوع الثانى

الولايات

وهى سبع ولايات يتولاها أجناد من نائبها:

الأولى: ولاية أنطرسوس [(٣)].

الثانية: ولاية جبة المنيظرة.

الثالثة: ولاية الظنين.

---

(١) لم يذكرها القلقشندي ضمن نيابات طرابلس، السابق، ج٤، ص ٢٣٥ ــ ٢٣٦، ولكن ابن ناظر الجيش يوردها مع نيابات طرابلس، السابق، ص ١٠٥.

(٢) الصواب: اللاذقية.

(٣) ويقال لها اليوم طرطوس. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٦٩٠.

الرابعة: ولاية بشرية [١].

الخامسة: ولاية جبلة.

السادسة: ولاية جبيل.

السابعة: ولاية البترون [٢].

وبها جماعة من التركمان وأميرهم أبو بكر بن ضوجى، ورسم المكاتبة إليـــه ...... [٣] وتعريفه اسمه، ومن أكابرهم محمد بن إيمان وأولاد البعرات، ولم تجرى العادة بمكاتبتهم، وبها من العربان بنى كلاب، ولم يكن لهم أمير قائم عليهم ولا مقدم، ومنازلهم بالمملكة من مكان لمكان.

المملكة الخامسة

صفد

وابتداء نيابتها من حين افتتحها الظاهر بيبرس واقتلعها من أيدى الفرنج فى ســـنة أربـــع وستين وستمائة [٤]، وحكمها فى ترتيب النيابة والإمرة وأرباب الوظائف على نحو من طرابلس وحماة، وليس فى أعمالها نيابة صغيرة كما فى طرابلس وحلب بل جميعها ولايات صغار يوليها من يختاره نائبها من الجند، وهى على مقصدين:

المقصد الأول

فى حاضرهًا

وهم على ثلاثة أنواع:

النوع الأول

أرباب السيوف

(١) كتبت فى الهامش: وصحته بشراى.

(٢) لم يذكر القلقشندي ولاية جبيل أو البترون فى صبحه أو ضوئه.

(٣) بياض فى الأصل.

(٤) يذكر القلقشندي أنها أصبحت نيابة من حين أخذها السلطان الظاهر بيبرس من الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن أيوب فى سنة ٦٧١ هـــ، انظر: ضوء، ص ٣٣١.

وهم أربعة:

الأول: نائبها، وهو ثانى رتبة من نائب طرابلس، وله ما لنائب طرابلس وحماة من الخلع والأخصاص والإنعامات، وتقليده فى الثلثين.

الثانى: نائب قلعتها، وكان طبلخاناه ثم صار مقدماً ثم عاد طبلخاناه، وقلعتها من القلاع الحصينة على ما تقدم، ومرسومه على حكم إمرته.

الثالث: الحاجب الكبير بها، وهو من أمرائها [١٥٣ أ] الطبلخاناه.

الرابع: إستدار الديوان الشريف بها، وهو من أمراء العشرات غالباً، وربما أضيفت إلى الحجبة. وبها من الأمراء الطبلخاناه أربعة، ومن الأمراء العشرينات ثلاثة، ومن الأمراء العشرات ستة، ومن الأمراء الخمسات ثلاثة، وبها نقيب النقباء وولايته من نائبها، وبها المهمندار وولايته من نائبها، وبها جند الحلقة.

النوع الثانى

أرباب الوظائف الدينية

وهم خمسة:

الأربعة قضاة وتوقيع كل منهم فى الثلث، وربما كتب للمالكى والحنبلى فى العادة. الخامس وكيل بيت المال وتوقيعه فى العادة، ولم يكن بها أفتادار عدل ولا قضاء عسكر، وكان بها محتسب وكان يتولى من الأبواب، ثم أضيفت الحسبة إلى نائبها.

النوع الثالث

أرباب الوظائف الديوانية

وهم اثنان:

الأول: كاتم السر بها، ويعبر عنه كما يعبر عن كاتم السر بطرابلس.

الثانى: ناظر الجيش، على حكم ناظر الجيش من طرابلس، وكان بها ناظر مملكة ثم أضيف نظر المملكة إلى نائبها.

المقصد الثانى

عمل برها

وفيه إحدى عشر ولاية يوليها نائبها لأجناد:

الأولى: ولاية الناصرة.

الثانية: ولاية طبرية.

الثالثة: ولاية تينين وهونين.

الرابعة: ولاية عثليث.

الخامسة: ولاية عكا.

السادسة: ولاية صور.

السابعة: ولاية الشاغور.

الثامنة: ولاية الشقيف.

التاسعة: ولاية جيدين [١].

العاشرة: ولاية [الإقليم] [٢].

الحادية عشر: ولاية برها.

ولم يكن بها عربان سوى عرب بشارة وهم عربان ولم يكن لهم أمير ولا مقدم، وكان استقر عليهم كاشف من قبل السلطان.

العمل الأول من البلاد الشامية

غــــزة

وكان مضافاً إلى نائب الشام يولى فيه من يختاره من أرباب الوظائف ثم أفرد عنه واستقر به نائباً من الأبواب وله التصرف به [مناحلا] [٣] وحلاً، وتارة يكون مقدم العسكر منفرد له عمل الساحل خاصة.

---

(١) جينين: صبح، ج ٤، ص ٢٤١، ويطلق عليها [ولاية مرج بنى عامر]، طه ناجى الطراونة: مملكة صفد فى عهد المماليك، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٢٦.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من صبح، ج ٤، ص ٢٤١.

(٣) كذا فى الأصل.

فائدة: يتميز النائب بغزة عن أن يكون مقدم العسكر بأن يلبس فوقانياً فوق الأطلسين، وتقليده فى الثلثين [١٥٣ ب]، فإن كان مقدم عسكر كتب له مرسوم فى النصف.

ولم يكن بغزة أمير مقدم غيره ولا بها قلعة، وبها من أرباب السيوف الحاجب الكبير وهو طبلخاناه، وربما كان استادار الديوان الشريف مع الحجبة. وبها استادار الديوان الشريف وغالبا إذا أفرد يكون أمير عشرة، ومرسومه فى الثلث. وبها المهمندارية،وهما نفران وولاية أكبرهما من الأبواب. وبها نقابة النقباء بمقام نقابة الجيش، وولايته من الأبواب. وكان بها شد الدواوين، وأمير أخور البريد وتلاشى أمرهم. وبها والى المدينة ووالى البر وولايتهما من نائبها.

وبها قاضى شافعى وكانت ولايته من قاضى القضاة الشافعى بدمشق ثم أفرد وصار ولايته من الأبواب، وتوقيعه فى الثلث، وبها قاضى حنفى كذلك، وبها قاضى مالكى وتوقيعه فى العادة، وهو والحنفى مستجدان، وبها وكيل بيت المال، وتوقيعه فى العادة، وبها محتسب وولايته من نائبها.

وبها من أرباب الوظائف الديوانية، كاتب درج وربما عبر عنه بكاتب الإنشاء، وتوقيعه فى العادة، وناظر جيش، وتوقيعه فى العادة، وكان بها وزير من قبل وزير الشام ثم بطل وأضيف ذلك لنائبها.

العمل الثانى من البلاد الشامية

الكرك

وتسمى كرك الشوبك، وهو كعمل غزة، واستقرار النيابة به من حين اقتلع الظاهر بيبرس الكرك من عمر بن العادل أبى بكر بن أيوب فى سنة إحدى وسبعين وستمائة.

وبها من أرباب السيوف نائبها، وهو فى رتبة نائب غزة، ومرسومه فى النصف لأنه لم يكن بها كرسى ولا سماط، ولم يكن بها أحد من الأمراء إلا نائب قلعتها، وربما كان طبلخاناه، ومرسومه فى الثلث، وحاجبها وهو جندى حلقة.

وبها من أرباب الوظائف الدينية، قاضى شافعى ليس إلا، وتوقيعه فى الثلث، ووكيل بيت المال، وتوقيعه فى العادة، وحسبتها لنائبها.

وبها من أرباب الوظائف الديوانية، كاتب درج، وتوقيعه فى العادة، وربما ولاه نائبها [١٥٤ أ]، وبأعمالها من ولاة الأمر نوعان:

النوع الأول: الولايات، وهى أربع ولايات، ولاية برها، وولاية الشوبك، وولاية زعر، وولاية معان، وكلها بها أجناد من نائبها.

النوع الثانى: العربان وسيأتى الكلام عليهم مع عرب الشام إن شاء الله تعالى.



القسم السابع

فى ذكر أرباب الوظائف بالأقطار الحجازية وعربانها الأشراف وعربان الممالك الشامية ومقدار ما يكتب لهم من قطع الورق

وهو على ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول

فى ذكر أرباب الوظائف وترتيبهم بالأقطار الحجازية

وهو على أربع جهات:

الجهة الأولى

مكة المشرفة

ولم يكن بها أحد من الأمراء أرباب السيوف غير أميرها وهو من الأشراف بنى حسن، وإمارته إمارة أعرابية ليست على ترتيب النيابات فى الممالك المتقدمة من عمل المواكب وتصريف الجيش وتنفيذ أمور السلطنة وغير ذلك.

وهو قائم بحفظ مكة ومخاليفها وقراها وأعمالها وحفظ تجارها ومجاوريها والوفود الواردة إليها، وفى كل سنة يخرج يقبل خف البعير الحامل للمحمل خدمة للسلطان ويتولى كسوة البيت بالكسوة التى يجهزها السلطان إليه فى كل سنة وينتزع الكسوة العتيقة عنه ويفرقها على مستحقيها من بنى شيبة [1].

وله أتباع ووزير وحاجب، وتقليده فى الثلثين، وثم من نقصه فكتب له مرسوم فى النصف، وفى كل سنة يطلع لها أمير من الأمراء بمصر ومعه جماعة نحو من ثلاثين نفر من المماليك السلطانية لقمع المفسدين بها.

وبها من أرباب الوظائف الدينية أربع قضاة، وتوقيع الشافعى والحنفى فى الثلث، والمالكى والحنبلى فى العادة، وربما كتب لهما فى الثلث. وبها جملة نظار على غير البيت ومدرسين وتصادير، وخطيب البيت وأئمته ومؤذنيه وخدمته وولاياتهم من الأبواب فى العادة.

ولم يكن بها دار نيابة ولا قضاة عسكر ولا أفتادار عدل ولم يكن بها من أرباب الوظائف الديوانية غير ناظر جدة فرضتها وهو مستجد من سنة سبع وعشرون وثمانمائة فى الأيام الأشرفية

---

(١) بنو شيبة هم من بنى عبد الدار من قريش، وكانت مفاتيح الكعبة بأيديهم فى الجاهلية، فلما فتحها رسول الله أبقاها معهم وقال لهم هى فيكم ليوم القيامة. القلقشندي: صبح، ج١، ص٤١٠.

[١٥٤ ب] برسباى خلد الله ملكه [١]، وهو يتحدث على عشر ما يتحصل من المراكب الواردة من بلاد الهند واليمن وغيرها وما يتوجب على ما يشحن منها وحمل ذلك للخزائن الشريفة، وله رفيق من الأمراء الطبلخاناه أو العشرات، وتولى هذه الوظيفة العظيم الخطب من الوزراء ولا غيرهم.

والمراكب الواردة من بلاد الهند تأتى من السنة القبطية فى شهر ...... [٢] بريح تسمى الأرنب، وتسمى فى بلاد الهند ريح النوروذ، فيؤخذ للسلطان على ما يرد فيها من الأصناف العشر فى نظير الموجب، ويأخذ أمير مكة من العشر الثلث وما يصل إلى بندر جدة من مصر واليمن وبربرة فالموجب عليه لأمير مكة خاصة، وأن ما يشحن من ساحل جدة إلى بلاد الهند من أصناف المرجان والزئبق والزعفر والنحاس والجوخ والقماش وغير ذلك، يؤخذ على كل زنة كل ألف ومائة من ثلاثين افلورى [٣]، وذلك يسمى " راط " ولأمير مكة فى ذلك الثلث، وتوقيع نظر جدة فى الثلث، وربما كتب فى النصف.

---

(١) لقد كان استحداث وظيفة نظر جدة نتيجة معاناة التجار الهنود فى ميناء عدن اليمنى، ولذلك شجعت السلطنة المملوكية رسو هذه السفن فى ميناء جدة مع تخصيص أحد الموظفين الذين يذهبون إلى جدة مع موسم الحج ويتقاضون الرسوم التى قررها الدولة على هذه المتاجر. انظر: المقريزى: السلوك، ج٤، ق٢، ص٦٨١، ٧٠٧؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٠٣.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) افلورى أو فلورى: هى الدنانير الأفرنتية التى ضربت فى فلورنسا، وتسمى المشخصة لوجود صور أشخاص منقوشة عليها. المقريزى: السابق، ج٤، ق٢، ص٧٠٩؛ عبد الرحمن فهمى: المسكوكات، ص٥٤٧.

الجهة الثانية

المدينة الشريفة

على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، ولم يكن بها من أرباب السيوف غير أميرها، وإمرتها فى الأشراف من بنى حسين السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، مستقرة فيهم من زمن المعز الفاطمى الذى بنى القاهرة وإلى الآن. ولأميرها ما لأمير مكة فى التشريف، والجلوس، والخلع، والمواهب، والمكانة، والوزراء، والحجاب، والأتباع.والوزراء بها، وبمكة، والحجاب، قائمين فى الخدمة والسفارة من غير حكم ولا تصرف.

وبها من أرباب الوظائف الدينية ثلاث قضاة، شافعى وحنفى ومالكى، وتوقيع كل منهم فى الثلث، وربما كتب للمالكى فى العادة، وبها خطيب الحجرة النبوية وتوقيعه فى الثلث، وبها وبمكة وكيلى بيت المال وولايتهما من أميريهما، وبها وبمكة محتسبان وولايتهما من الأبواب، وبها شيخ الخدام بالحجرة الشريفة، وكان من أكبر الطواشية فى مقام أمير عشرة، وكان توقيعه فى الثلث، ثم استقر الأشرف برسباى القاضى ولى الدين بن قاسم [(١)] شيخ الخدام وكتب توقيعه فى النصف.

أما كسوة الحجرة الشريفة فإنها تكسى فى كل سبع سنين مرة لأنها لم تكن بارزة للشمس فلا تبلى بسرعة [١٥٥ أ]، قال ابن النجار فى تاريخ المدينة إن أول من كسى الحجرة الشريفة الثياب الحسين بن أبى الهيجاء صهر الصالح طلائع بن رزيك وزير القائم الفاطمى، عمل لها ستارة من الدبيقى الأبيض [(٢)] محكمة الطرز والخامات المرقومة من الإبريسم البنفسجى

---

(١) هو محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله القاضى ولى الدين الشيشينى الأصل المحلى المولد، كان نديماً للسلطان الأشرف برسباى، تولى شيخ خدام المسجد النبوى بعد وفاة الطواشى بشير التنمى سنة ٨٣٩ هـ، ثم نظر الحرم المكى عوضاً عن سودون المحمدى، توفى عام ٨٥٣ هـ. ابن تغرى بردى: المنهل، ج٥ _ مخطوط _ ورقة ١٩٨ ب _ ١٩٩ أ؛ الصيرفى: نزهة النفوس، ج٣ص٣٣٤_٣٣٥.

(٢) هو نوع من الأقمشة التى اشتهرت باسم البلد التى تنتجها وهى دبيق فيما بين الفرما وتنيس. ياقوت: معجم، ج١، ص٤٣٧.

والأحمر [١] مكتوب فيها سورة يس جميعها، وكانت قبل ذلك مـــوروة بالرخـــام ثم كســـاها المستضيء العباسى ستارة من الإبريسم البنفسجى عليها الطرز والخامات المرقومة البيض، وعلى دور جاماتها مرقوم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى، وعلى طرازها اسم الأمام المستضيء، ومـــن ذاك استقرت كسوتها على حسب ما يراه مستعملها.

ولم يكن بها أحد من أرباب الوظائف الديوانية ولا ولاة بر.

الجهة الثالثة

الينبع

ولم يكن بها أحد من أرباب السيوف غير نائبها، ولا يسمح له بالأمارة، ونيابتها دون رتبة إمارتى مكة والمدينة وهى فى بنى قتادة بن إدريس بن مطاعن من بنى الحسن بن علـــى بـــن أبى طالب رضى الله عنهم، ولم يكن بها ممن يتولى من الأبواب غير نائبها.

الجهة الرابعة

سواكن

ويقال إنها من أرض الحبشة، وهى جزيرة كما تقدم الكلام عليها، ولم يكن بها ممن يتولى من الأبواب غير نائبها، ويعبر عنه فى بلاده " بالحدربى " اسم جنس على من يتولى نيابتـــها، ولا يمتد لنائبها باع غير الجزيرة، ومرسومه فى الثلث، وربما كتب له توقيع فى الثلث.

(١) فى صبح [الأصفر والأحمر] ج ٤، ص ٣٠٣. ولكن الذى رقمها بالأبريسم البنفسجى هو الخليفة العباسى المستضيء بالله كما يذكر فيما بعد. والإبريسم نوع من الغزل الشبيه بالحرير يدخل فى صناعة الثياب والأقمشة، وهو لفظ فارسى معرب. ابن منظور: لسان، ج٦، ص١٧٥؛ ج١٢، ص٤٦.

المقصد الثانى

فى العربان الأشراف بالأقطار الحجازية

وهم على فرقتين:

الفرقة الأولى

الحسنيين

وهم عربان مكة ومخاليفها، والإمرة فيهم فى بنى عجلان من بنى قتادة بن إدريس بن مطاعن من بنى الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، ولم تزل الإمرة مستقرة بأيديهم من زمن الناصر لدين الله العباسى إلى الآن.

وأميرها لم يزل فى الذروة العليا والسنام الأرفع على جميع العربان شرقاً وغرباً لشرف نسبه وقيامه بخدمة بيت الله الحرام، وله من الملوك عظيم الإقبال وجزيل الإحسان، والقائم بالإمرة فيهم الآن ...... [1] بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن بونمى[2] [١٥٥ ب] بن بوسعد على [3] بن قتادة بن إدريس بن حسين بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله الأكبر بن موسى الجواد بن عبد الله المحسن بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم.

ولأمير مكة أتباع بمكة ومخاليفها وقراها من بنى الحسن، وله بها العتقاء وربما كان فيهم المماليك البيض. ولم يكن فى العربان أشرف من بيتهم، ومنهم الأشراف بالينبع وفيهم الإمرة فى بنى قتادة بن إدريس المذكور. ولم يسمح لوليها إلا بالنيابة من غير الإمرة كما تقدم، والقائم بالنيابة الآن ...... [4] عقيل بن وبير بن مختار بن محمد بن راجح، ومرسومه فى الثلث، وربما كتب له توقيع.

---

(١) بياض فى الأصل. وهو المتولى ولاية مكة عام ٨٤٠ هـ ولقبه زين الدين أبو زهير بركات. المقريزى: السلوك، ج٤، ق٢، ص٩٩٠.

(٢) الصواب: أبونمى، القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٢٧٣.

(٣) الصواب: أبو سعد بن على، القلقشندي، السابق، نفسه.

(٤) بياض فى الأصل. كان هو نائب ينبع عام ٨٤٠ هـ. المقريزى: السابق، نفسه.

الفرقة الثانية

الحسينيين

وهم الأشراف من عربان المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، والإمـرة فيهم فى بنى طاهر من بنى الحسين السبط بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم وهى مستقرة فيهم من زمن المعز الفاطمى الذى بنى القاهرة وإلى الآن كما تقدم. والقائم بالإمرة فـيهم الآن ...... [١] مانع بن على بن عطية بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى [٢].

المقصد الثالث

فى عربان البلاد الشامية

وهم على خمس طباق:

الطبقة الأولى

العربان الداخلة فى نطاق دمشق

والمؤمر فيهم سبع قبائل:

القبيلة الأولى

أل ربيعة

من طيئ من القحطانية، وهم بنو ربيعة بن حازم بن على بن مفرج بن دغفل بن جراح، وفى بنى جراح كانت الرئاسة فى الدولة الفاطمية، قال فى التعريف: وهم يزعمون أنهم من ولـد [على بن] [٣] جعفر بن يحيى البرمكى من العباسة بنت المهدى. أخت الرشيد، قال: لو اقتصروا على عدهم فى طيئ لكان أبذخ لشرفهم وأقوم لفخارهم إذ لا تعدل العـرب بفـارس. قـال الحمدانى. وكان مبدأ ربيعة أنه نشأ فى أيام الأتابكى زنكى صاحب الموصل، وكان أيام طغرلـوا

---

(١) بياض فى الأصل. توفى مانع بن عقيل مقتولاً عام ٨٣٩ هـ، وتولى الإمرة ابنه وميان. المقريزى: السابق، ج٤، ق٢، ص٩٨٨، ٩٩٠.

(٢) انظر كامل النسب منذ عام ٧٩٩ هـ وما قبلها، القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٣٠١ ـ ٣٠٢.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من، العمري: التعريف، ص ١١١.

السلجوقى أمير عرب الشام، ووفد على السلطان نور الدين محمود فأكرمه، وكان لـه أربعـة أولاد وهم فضل ومراء وثابت ودغفل [(١)].

قال فى مسالك [١٥٦ أ] الأبصار: أنهم لم تزل لهم عند الملوك المكانة العلية والدرجة الرفيعة. والإمرة الآن فيهم فى ثلاثة أبطن [(٢)]:

البطن الأول " آل فضل " وهم بنو ربيعة وهم رأس الكل وأعلاهم رتبة وأرفعهم منزلة، قال فى مسالك الأبصار " أنهم يتشعبون شعباً كثيرة منهم آل عيسى وآل فرج وآل سميط وآل على وآل مسلم "، وذكر من المضافين إليهم ما لا يحصى كثرة، ثم قال " وأسعد بيت منـهم فى وقتنا آل عيسى " يعنى محمد بن فضل.

وقد صاروا بيوتاً منهم بيت عيسى، وبيت فضل، وبيت حارث بن عيسى، وأولاد محمد بن عيسى، وأولاد حديثة بن عيسى، قال: وأولاد عيسى هؤلاء هم ملوك البر فيما بعد أو قرب وسادات الناس. قال: وإن ديارهم من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة [(٣)] آخذين علـى شـقة الفرات وأطراف العراق حتى [ينتهى حدهم قبلة بشرق] [(٤)] إلى الوشم وآخذين يسـاراً إلى البصرة، ولهم مياه كثيرة ومناهل مورودة ".

وأما الإمرة عليهم قال فى مسالك الأبصار: إنه لم يصرح لأحد منهم بإمرة على العـرب بتقليد من السلطان إلا من أيام العادل أبو بكر بن أيوب. والذى استقر عليه الحال أن لهم أمير منهم يجلس بالحضرة مع الأمراء المقدمين ويلبس بنظير نائب غزة أو صفد، وهو أعظم العـرب بذخاً وأمثلهم عند الملوك ويعبر عنه " بأمير الملأ " وتقليده فى الثلثين، والقـائم بـالإمرة الآن فيهم .... [(٥)].

---

(١) لعل صاحب الثغر ينقل هنا عن الحمدانى مباشرة بدون الاعتماد على العمري أو القلقشندي.

(٢) عدهم القلقشندي من الأفخاذ طبقاً لترتيب الأنساب القبلية فالبطن يتلوها الفخذ.

(٣) نقلها القلقشندي عن المسالك بدون الألف واللام عكس صاحب الثغر انظر: العمري: مسالك ـ دورونيا ـ، ص ١١٦، القلقشندي: نهاية الأرب، ص ١١٠.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من، العمري: السابق، ص ١١٦، القلقشندي: السابق، ص ١١٠، صبح، ج ٤، ص ٢٠٤.

(٥) بياض فى الأصل.

ثم أن لكل طائفة منهم أمير تصدر إليه المكاتبات من الأبواب الشريفة إلا أنه لا يكتب له تقليد ولا مرسوم.

البطن الثانية " آل مراء " (١)، وهم بنو مرى (٢) بن ربيعة بن فضل المقدم ذكره، قال فى التعريف: ومنازلهم حوران. قال فى مسالك الأبصار:[إن منازلهم بالبرية] (٣)، وقد تشعبت آل مراء شعباً كثيرة وهم آل محمد بن حى (٤)، وفيهم الإمرة، وآل منيخر، وآل نمى، آل بقـرة، وأل شما مع خلق كثير يدخل فى مضافاتهم. ثم قال: وآل مراء أبطال مناجيد ورجال صـناديد وأقيال قل [كونوا حجارة من حديد] (٥).

وأما الإمرة فيهم فعلى قريب مما تقدم فى آل فضل، ولأميرهم المكانة العليـا والدرجـة السنية، ومرسومه فى قطع النصـف، والقـائم بـالإمرة فـيهم الآن [١٥٦ ب] الأمـير ....(٦)، ثم دونه أمراء على طوائفهم يكاتبون من الأبواب الشريفة.

البطن الثالثة " آل على "، وهم بنو على بن حديثة بن عتيبة (٧) بن فضل المتقدم ذكره، وهم من آل فضل، قال فى مسالك الأبصار " وهم آل بيت عظيم الشأن مشـهور السـادات [ذى] (٨) أموال جمة ونعم فخمة (٩) ومكانة فى الدولة علية (١٠) [وأفعال لم تزل عند الملـوك

---

(١) أختلف الجميع فى كتابة اسم هذه القبيلة، فالعمرى كتبها فى التعريف " مراء "، ص ١١٢، وفى المسالك "مرا"، ص ١١٤، وابن ناظر الجيش كتبها " مرى "، ص١٣٠، والقلقشندى كتبها فى نهاية الأرب "مرا"، ص١١١، صبح، ج ٤، ص٢٠٨.

(٢) كذا فى الأصل.

(٣) أختصر صاحب الثغر ما ذكره كل من العمري والقلقشندى فى وصفهما أماكن مساكنهم بهذه الجملة، انظر وصفهما كاملاً، المسالك _ دوررونيا، ص ١٣٧ _ ١٣٨، صبح، ج ٤، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(٤) أحمد بن حجى: صبح، ج ٤، ص ٢٠٩.

(٥) كونوا حجارة أو حديداً: العمري: السابق، ص ١٣٨.

(٦) بياض فى الأصل.

(٧) الصواب: عصية، العمري: المسالك ـ دوررونيا ـ، ص ١٣٦؛ عقبة: صبح، ج٤، ص٢١٠.

(٨) غير موجودة فى المسالك، ص ١٣٧، والسياق عند صاحب الثغر أوضح.

(٩) الصواب: ضخمة، العمري: السابق، ص ١٣٧، القلقشندي: السابق، نفسه.

(١٠) الدول عالية: المسالك ـ دوررونيا ـ، نفسه.

مرضية] [١]، وديارهم مرج دمشق وغوطتها بين إخوانهم آل فضل وبنى عمهم آل مراء. قال فى التعريف: وإنما نزلوا غوطة دمشق حيث صارت الإمرة إلى عيسى بن مهنا وبقى جار الفرات فى تلابيب التتار.

وأما الإمرة عليم فلم تزل فيهم من عهد جدهم محمد بن أبى شمر بن على بن حديثة بن عصية بن فضل بن ربيعة من الأيام المنصورية قلاوون حين أمسك مهنا بن عيسى وبعث فى ذريته، ومرسومه فى قطع النصف، والقائم بالإمرة الآن فيهم .... [٢].

القبيلة الثانية

جرم

من طيئ أيضاً، وهم بنو جرم واسمه ثعلبة وإنما جرم اسم أمه فعرفوا بها، ومنازلهم بلاد غزة والداروم مما يلى الساحل وإلى بلاد الخليل عليه الصلاة والسلام، ولهم أفخاذ كثيرة.

وأما الإمرة عليهم قال فى التعريف: أن الإمرة على عرب غزة _ يعنى جرماً المذكورين _ كانت لفضل بن حجى، والمعروف إنما يكون لهم مقدم لا أمير. ومشى على ذلك فى التثقيف، وقال إن مقدمهم كان فى زمانه فى دولة الظاهر برقوق [٣]، على بن فضل، والقائم بالتقدمة فيهم الآن عمر بن على بن أبى بكر، ويكتب له ...... [٤].

القبيلة الثالثة

ثعلبة

من طيئ أيضاً، وهم بنو ثعلبة بن سلامان، وثعلبة بطنان وهم، درما وزريق أولاد عوف بن ثعلبة، وقيل أولاد ثعلبة لصلبه، قال الحمدانى " وثعلبة الشام من درما إلى غمات [٥]، ولم يذكرهم صاحبى التعريف والتثقيف لعدم مكاتبتهم وإقامتهم ببلاد غزة.

---

(١) لا توجد فى المسالك، وسياقها منسجم مع النص.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) لقد كتب صاحب التثقيف كتابه فى عهد الأشرف شعبان عام ٧٧٨ هـ. التثقيف، ص٤.

(٤) بياض فى الأصل.

(٥) الصواب: آل غياث، القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٢١٢.

القبيلة الرابعة

بنو مهدى

قال فى مسالك الأبصار: إنهم من طريف. وطريف من [١٥٧ أ] جذام، قال فى التعريف: إنهم من القحطانية. ولكن قال فى الكلام على مكاتبات عرب الشام: إن بنى مهدى من عذرة. قال: ومنازلهم البلقاء. وزاد فى مسالك الأبصار فقال: إن منازلهم بالبرية. وهم الآن بالبلقاء ممتدين إلى حسبان والصلت.

أما الإمرة عليهم، قال فى التعريف: إنها مقسومة فى أربعة بينهم. وتبعه فى التثقيف [١]. ورأيت فى بعض الدساتير أنها صارت فيهم فى ثلاثة، وهى الآن فى أمير واحد،ومرسومه فى قطع الثلث، والقائم بالإمرة الآن فيهم .... [٢].

القبيلة الخامسة

زبيد

وعدهم جماعة، ولم يتعرض لهم فى مسالك الأبصار، وذكر الجوهرى أن زبيد اسم قبيلة، والمعروف أن زبيد من سعد العشيرة من مذحج بن كهلان من القحطانية، قال فى التعريف: إن منهم زبيد المرج، وزبيد حوران، وزبيد الأحلاف. وتبعه على ذلك فى التثقيف، وكان لهم أمير فبطل وخرج إقطاعه عنه.

القبيلة السادسة

بنو خالد

وهم عرب حمص، قال الحمدانى: وهم يدعون النسب إلى خالد بن الوليد رضى الله عنه، وقد أجمعت العلماء على انقراض عقبه. قال فى مسالك الأبصار: ولعلهم من ذوى قرابته من مخزوم، وكفاهم بذلك فخاراً أن يكونوا من قريش. ولم يكن لهم الآن أمير.

---

(١) وهم، هارون بن ثابت بن سعيد بن محفوظ العنفشى، وسعيد بن نجدى بن حسن العنفشى، وزامل بن عبيد بن محفوظ العنفشى، ومحمد بن عباس بن قاسم بن راشد العسرى. ابن ناظر الجيش، ص ١٣٠.

(٢) بياض فى الأصل.

القبيلة السابعة

غزية

وقد عدهم فى التعريف من جملة عرب الشام وهم بطن من هوازن من العربانية [١]، قال فى العبر: ولم يزل لهم الصولة. قال الحمداني: وهم بطون وأفخاذ. وأشار فى التعريف إلى أن الغالب عيهم عدم الطاعة، ولم يكن لهم مقرة غير أنهم يتزلون بغالب أراضى الشام.

القبيلة الثامنة

حارثة

.... [٢].

الطبقة الثالثة

عربان المملكة الحلبية

وهم قبيلتان:

القبيلة الأولى

بنو كلاب

قال فى مسالك الأبصار: وهم عرب أطراف حلب والروم، يتكلمون بالتركية [١٥٧ ب] ويركبون الأكاديش، وهم من أشد العرب بأساً ولكن لا يدينون لأمير لجمع كلمتهم، ولو انقادوا لأمير واحد فلم يبق لأحد من العرب بهم طاقة [٣]. قال: وإن السلطان إذ ذاك أمنهم [٤] وأمر عليهم سليمان بن مهنا وجعل عليهم حفظ جعبر وما والاها.

---

(١) الصواب: العدنانية، القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٣٨٨.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) لقد رتب صاحب الثغر هذه الجملة من مجمل كلام العمري، انظر بالتفصيل: العمري: السابق، ص ١٤٣ ـ ١٤٥، القلقشندي: صبح، ج٤، ص٢٣١. والصواب أن يقال: لن يبقى لأحد.....

(٤) وذلك أن أحمد بن نصير المعروف بالتترى قد عاث فى الأرض فساداً وقطع الطريق، ثم أمنه الناصر محمد بن قلاوون وخلع عليه فانقادت له بنو كلاب. انظر: العمري: السابق، ص١٤٤ ـ ١٤٥، القلقشندي: السابق، ج ٤، ص ٢٣٢.

والآن فلهم ثلاث نزلات، النزلة الأولى من العمق، والنزلة الثانية ببلاد جعبر، والنزلة الثالثة على شط الفرات، والقائم بالإمرة فيهم الآن ...... [١]

القبيلة الثانية

أل بشار

قال فى مسالك الأبصار: وديارهم الجزيرة وكهلا حصن بلاد حلب [٢] قال: وحالهم فى عدم الانقياد لأمير واحد كحال بنى كلاب، ولا يزال آل فضل منهم على وجل. والآن فقد طالت يد الفضل عليهم ولم يكن لهم أمير معروف، ومنهم نحو من مائتى نفر ركابة بالإسطبلات الشريفة.

الطبقة الرابعة

بنى كلاب عربان المملكة الطرابلسية

ويقال إنهم من بنى كلاب عربان المملكة الحلبية المقدم ذكرهم، ولم يكن لهم أمير فيهم، ومنازلهم المملكة الطرابلسية من مكان إلى مكان.

الطبقة الخامسة

بنى عقبة وهم بكرك الشوبك

قال فى مسالك الأبصار " وأميرهم كان شطى بن عبية، وكان الناصر محمد بن قلاوون قد أقبل عليه [أهلاً ورفعه إلى السماكين] [٣]، وألحقه بأمير آل فضل، وأقطعه الإقطاعات الجليلة، وألبس له التشريف الكبير. ولم يزل فى ترادف النعمة ومزايد العز إلى أن توفى، والقائم بالإمرة الآن فيهم ...... [٤]، ومرسومه فى قطع النصف.

(١) بياض فى الأصل.

(٢) والأحص ببلاد حلب: المسالك، ص ١٤٥.

(٣) إقبالاً أحله فوق السماكين: المسالك، نفسه.

(٤) بياض فى الأصل.

ومن عرب الكرك بنو زهير وهم عرب الشوبك وجماعة تلم بهم، ولم يكن لهم أمير معروف.

تنبيهات ثلاثة: أحدها: أن ما تقدم ذكره من ولايات أرباب الوظائف بالممالك والأعمال المتقدمة لم يكن على سبيل اللزوم بل يد الملك طائلة فى مملكته يولى فى كل جهة منها من يختاره، وإنما إذا كان للنائب عادة بولاية جهة فولى بها من يختاره فلا إنكار.

الثانى: أن مقدار قطع الورق لأرباب الوظائف غير النواب لم يكن لازماً لذلك القطع، وإنما ذلك بحسب رأى كاتم السر.

الثالث: أن قطع الورق لأرباب السيوف بحسب الإمرة كما سيأتى.



القسم الثامن

فى أمور تشترك فيها الولايات والمكاتبات وغيرها من الأمور المهمة التى يحتاج إليها بديوان الإنشاء



[١٥٨ أ] وفيه خمسة أبواب:

الباب الأول

فى الكنى والألقاب

أما الكنى فجمع "كنية " وهى أحد أقسام العلم، والمراد بها ما صدر بأب أو أم، نحو " أبى القاسم " و" أم كلثوم ". وكان للعرب بالكنى أتم اهتمام، حتى إنهم كنوا الحيوان، فكنوا الأسد " أبا الحارث "، والثعلب " أبا الحصين "، والضبع " أم عامر "، وغير الحيوان فكنوا البحر " أبا خالد ". وكان التعظيم عندهم فى المخاطبة الكنى، حتى كنوا من اسمه كنية فى الأصل اعتناء، فقالوا فى أبى بكر " أبى المناقب "، ويستوى فيها الجليل والحقير.

أما تكنية أهل الكفر والفسقة وأهل البدع، فقد أفتى النووى رضى الله عنه: إن كان لا يعرف إلا بالكنية جاز تكنيته، كما قال عز وجل ﴿ تَبَّت يَدَا أَبِى لَهَبٍ ﴾ [(١)]، وكان اسمه عبد الله[(٢)]، وتكرر فى الحديث ذكر أبى طالب بكنيته واسمه عبد مناف.

ويكنى الرجل بما له من ولد من ذكر وأنثى، فقد كنى بذلك جماعة من الصحابة والتابعين، ويكنى الرجل بأكبر أولاده، وإن لم يكن له ولد فبالحيوان وبغير الحيوان، كما كنى النبى صلى الله عليه وسلم أبا هريرة واسمه عبد الرحمن بن صخر بأبى هريرة حين رآه حامل هرة، وكنى على رضى الله عنه بأبى تراب حين رآه نائماً تحت جدار الكعبة على التراب.

ثم الرجل قد يكون له كنية واحدة، وقد يكون له كنيتان فأكثر، وقد كان لأمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ثلاث كنى: أبو عمرو، وأبو عبد الله، وأبو ليلى، والمرأة كالرجل فى جميع ذلك.

والكنية تقع فى المكاتبات على ثلاث حالات:

الأولى: بكنية المكتوب عنه. قال عمر بن محمد المدائنى: إن أول من تكنى فى كتبه الوليد بن عبد الملك. قال النووى: والأولى لا يذكر الرجل كنيته فى كتابه ولا فى غيره، إلا إذا كان لا يعرف إلا بكنيته، أو يكون أشهر من اسمه.

---

(١) المسد، الآية ١.

(٢) الصواب: عبد العزى.

ثم الكنية من المكتوب عنه قد تكون فى صدر الكتاب كما يكتب عن الخلفاء " من عبد الله[١٥٨ ب] أبى فلان فلان "، أو فى موضع العلامة كما يكتب الكاتب فى الطغراة عن السلطان إلى ملوك الكفر بعد سياقه ألقاب السلطان فيقال " أبو فلان فلان ".

الثانية: تكنية المكتوب إليه. وبها كان الاعتناء فى الزمن المتقدم إذا كان المكتوب إليه ممن يستحق التعظيم.

الثالثة: تكنية المكتوب بسببه إذا قصد تعظيمه، وقد أهملوا ذلك كتاب زماننا [١].

وتقع الكنية فى الولايات فى الطرة، مثل أن يقال " عهد شريف بأن يفوض إلى أبى فلان فلان "، وفى أثناء الولاية حيث يجرى ذكره، والأسماء فإنها ترد مقترنة بالكنية حيث ما وقعت الكنية، ويكتب بانفراد عن الكنية فى أوراق الطريق وغيرها.

والألقاب فهى جمع " لقب "، وهو فى اللغة " النبز "، قال ابن حاجب النعمان فى ذخيرة الكتاب: وهو ما يخاطب به الرجل ممن ذكر عيوبه وما ستره عنده أحب من كشفه وليس من باب الشتم والقذف. والعامة استعملت اللقب فى موضع اللقب الحسن وأوقعوه موقعه لكثرة استعمالهم إياه. ولاشك أن مراد الكتاب باللقب والنعت ما أدى إلى المدح خاصة.

وقد اصطلح الكتاب على أن يسموا صفات المدح التى يوردونها بصيغة الإفراد ألقاباً نحو " الأمير الأجل " أو " الأميرى الأجلى "، وصورة المدح التى يوردونها بصورة التركيب نعوتاً كـ " سيف أمير المؤمنين " أو " ظهير الملوك والسلاطين "، ولا معنى لتخصيص كل واحد منهما بالاسم الذى يسمونه به إلا مجرد الاصطلاح، وأن لا فلا نزاع فى إطلاق اللقب والنعت عليهما.

واعلم أن ألقاب المدح ونعوته لم تزل واقعة على أشراف الناس، فقد ثبت تلقيب سيدنا إبراهيم بـ " الخليل "، وموسى بـ " الكليم "، وعيسى بـ " المسيح "، ويونس بـ " ذى النون ". وكان النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يلقب بـ " الأمين "، ولقب أبو بكر بـ "عتيق" ثم بـ " الصديق "، ولقب عمر بـ " الفاروق "، وعثمان بـ " ذى النورين "، وعلى بـ " حيدرة "، وحمزة بـ " أسد الله "، ولقب محمد بن على أول خلفاء بنى العباس بـ

---

(١) لم يذكر القلقشندي ما ذكره صاحب الثغر من أن هذه الطريقة قد تم إهمالها فى وقته. انظر: ضوء، ص٣٣٦.

"السفاح "، ثم لقب أخوه أبو جعفر بـ " المنصور "، ثم توالت ألقاب الخلفاء بعد ذلك إلى الآن، ثم وقع التلقيب بالإضافة إلى [١٥٩ أ] الدولة فى أيام المكتفى بالله فلقب المكتفى بالله الحسين ابن القاسم " ولى الدولة "، وهو أول من لقب بالإضافة إليها، ولقب المقتدر بالله على [بن] الحسين المقدم ذكره " عميد الدولة "، ووافت الدولة البويهية أيام المطيع والأمر على ذلك فكان أول من لقب من الملوك بنى بويه الثلاثة عماد الدولة، وركن الدولة، ومعز الدولة. ثم أختار أبو أسحق الصابئ أن يزاد لعضد الدولة " تاج الملة "، فكان يقال " عضد الدولة وتاج الملة ".

ثم أفتتح التلقيب بالإضافة إلى الدين أيام القادر بالله، وأول من لقب بذلك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه، فزيد له " نظام الدين "، فكان يقال " بهاء الدولة ونظام الدين "، ثم صار ذلك داخلاً على كل كبير وصغير من ذكور المسلمين.

وكان الكتاب فى آخر الدولة الفاطمية يلقبوا بـ " الفاضل، والرشيد والعماد" وما أشبه ذلك، ثم دخلوا بالتلقيب فى عموم الإضافة إلى الدين، ولما صارت الوزارة لبدر الجمالى لقب بـ " أمير الجيوش "، ثم لقب الوزراء بعده بنحو " الأفضل "، ثم لقب رضوان بـ " الملك الأفضل " بزيادة لقب الملك فاستقرت فى وزرائهم إلى أن كان فى أخرهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب حين وزر للعاضد ثم أستقر ذلك لقباً عليه بعد سلطنته ودام ذلك فى من بعده من ملوك الديار المصرية إلى الآن.

ولما دخلت الناس فى عموم التلقيب بالإضافة إلى الدين، اختص التلقيب بالإضافة إلى الدولة لكبار النصارى، نحو " ولى الدولة "، و" فخر الدولة "، ثم اختص النصارى بالتلقيب بصيغة أفعل مضافاً إلى الشيخ فيقال: " الشيخ الأسعد " أو " الشيخ الأمجد " ونحوه، وعلى مثلهم يلقب طوائف اليهود.

واعلم أن الأسماء لم يكن منها شئ يعز عن التلقيب، وكما يشترك فى الاسم الواحد الاثنين والثلاثة، فيشترك فيه اللقبان والثلاثة، وربما كانت أربعة بحسب شهرة اللقب فى ذلك الإقليم أو ذلك الجنس، كما يلقب عمر بـ " ركن الدين " عند أرباب السيوف، وبـ " سراج الدين " عند أرباب الأقلام، وبـ " شجاع الدين " عند أهل مكة واليمن [١٥٩ ب] وبـ

"زين الدين" عند أهل الشام، ومن الألقاب الصالحة له " ناصر الدين "، ولعل أن يكون ذلك أمثل ألقابه.

الباب الثانى

فى ألقاب أرباب الوظائف

وهى على أربعة أنواع [١]:ـ

النوع الأول

ألقاب أرباب السيوف

وهى على ضربين:ـ

الضرب الأول

الألقاب المفردة

وهى على ثلاثة [٢] ألقاب:ـ

الأول: الخليفة، وهو لقب على الزعيم الأعظم القائم بأمور الأمة كما سيأتى الكلام عليه.

الثانى: السلطان، وهو لقب خاص فى العرف على القائم بالملك كما سيأتى الكلام عليه.

الثالث: الملك، وهو الزعيم الأعظم ممن لم يطلق عليه اسم الخلافة كما سيأتى الكلام عليهم فى قسم الولايات [٣].

النوع الثانى

ألقاب أرباب الوظائف من النصارى

والمشهور منهم خمسة [٤] ألقاب:ـ

---

(١) ثمانية: ضوء، ص ٣٤٠.

(٢) عشرة: ضوء، نفسه.

(٣) لم يذكر صاحب الثغر الضرب الثانى من النوع الأول.

(٤) ثمانية: ضوء، ص ٣٤٩.

الأول: الباب، بتفخيم الباء، ويقال فيه " البابا "، وربما أبدلت تلك الألف هاء فيقال "البابه" وهو لقب على البطرك القائم بأمور دين النصارى الملكانية بمدينة رومية بالقسطنطينية[١] وإليه مرجعهم فى أمر ديانتهم، بل إنه عندهم مناط التحليل والتحريم. ومعناه [٢] " أبو الأباء "، والأصل فيه أن طائفة النصارى من شأنهم أن كل منهم يخاطب من فوقه بـ " الأب " فاخترعوا له لفظاً يميزه عن غيره فعبروا عنه بـ " أب الأباء "، وأول من وضع ذلك على بطرك الإسكندرية، ثم نقل إلى بطرك رومية تعظيماً له من حيث إنه خليفة بطرس الحوارى، وبطرك الإسكندرية خليفة مرقص تلميذ بطرس المذكور.

وقد وقع فى التثقيف من إنه عندهم بمثابة " القان " عند التتار، وليس كذلك لأن مرجع الباب إلى متعلقات دينهم، ومرجع القان إلى متعلقات ملكهم، ويقال فيه " الباب الجليل.

الثانى: البطرك، وقد تقدم الكلام عليه وعلى أتباعه.

الثالث: الحضرة، وهى من ألقاب ملوكهم، ويقال فيها " الحضرة العلية " و" الحضرة السامية "، و" الحضرة الكريمة "، و" الحضرة الموقرة "، وقد تأتى مع الإضافة فيقال: "حضرة الملك الجليل " أو " حضرة المحتشم الجليل ".

الرابع: النائب، وهو من ألقاب [١٦٠ أ] نوابهم ويقال فيه " النائب الجليل ".

الخامس: الكنصل، وهو من طائفة الفرنجة، ويقال فيه " الكنصل المحتشم ".

النوع الثالث

الألقاب التى تتفرع عنها الألقاب فى الولايات والمكاتبات وهى على ضربين:

الضرب الأول

الألقاب الإسلامية

وهى على حالين:ـ

---

(١) من المعروف أن كنيسة روما غير كنيسة القسطنطينية نتيجة الانفصال فى الأساس العقائدى بين الكنيستين، وتمثل كنيسة القسطنطينية إحدى زعامات الكنيسة الشرقية، وكنيسة روما الكنيسة الغربية. هسى: العالم البيزنطى، ص٢٣٦ ــ ٢٣٩؛ رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة، ج٢، ص١٩٢ ــ ١٩٩.

(٢) وهو لفظ رومى معناه: ضوء، ص٣٤٩.

الحالة الأولى

الألقاب المذكرة

وهى على تسعة ألقاب:ـ

الأولى: الديوان، وهو من الألقاب المستعملة فيما يكتب به للخلفاء، ويقال فيه " الديوان العزيز "، قال فى التعريف: والمراد به ديوان الإنشاء لأن المكاتبات منه صادرة وعليه واردة، والانخضاع عن مخاطبة الخليفة وتنزيل الخطاب منزلة من يخاطب نفس الديوان [(١)].

الثانى: الجانب، وهو من ألقاب ولاة العهد بالخلافة ومن فى معناهم كـ " إمام الزيدية " باليمن، وهو فى اللغة اسم الناحية [(٢)]، والمراد به الناحية التى بها صاحب اللقب كنى بها عنه تعظيماً على أن تتفوه بذكره.

الثالث: المقام، وهو من الألقاب الخاصة بالملوك، وأصله فى اللغة اسم لموضع القيام ومنه قوله تعالى ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [(٣)]، أى أثر موضع قدميه فى الصخرة التى كان يقوم عليها لبناء البيت، ثم توسع فيه فأطلق على ما هو أكبر من ذلك من محلة الرجل أو بلده، ومن ثم قال الزمخشرى فى قوله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [(٤)] إنه خاص استعمل فى معنى العموم بمعنى إنه يستعمل فى موضع الإقامة بالجملة ويجمع على " مقامات ". قال فى عرف التعريف: يقال فيه " المقام الأشرف " و"المقام الشريف " و" المقام العالى "، قال فى صبح الأعشى: ولو قيل " المقام الكريم " تأسياً بلفظ القرآن لكان أوجه.

الرابع: المقر، وتجمع على " مقرات "، وكان من ألقاب الملوك وعليه كتب القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر عهد المنصور قلاوون، ثم انحط عن رتبة الملوك بالديار المصرية إلى من دونهم حين لقب الملوك بـ " المقام ". قال فى عرف التعريف: ويختص بكبار الأمراء كنائبى مصر والشام والأمير الكبير وأولاد السلاطين إن قدموا.

---

(١) العمري، ص ١٨؛ وإن كان هناك تقديم وتأخير فى العبارة عند صاحب الثغر والقلقشندى أيضاً.

(٢) للناحية: ضوء، ص ٣٥١.

(٣) أل عمران، الآية ٩٧.

(٤) الدخان، الآية ٥١.

الخامس: الجناب، وأصله فى اللغة " الفناء " وما قرب من محلة القوم [١٦٠ ب]، ومنه قولهم " لذنا بجناب فلان "، و" فلان خصيب الجناب "، فيعبر عن الرجل بفنائه وما قرب منه، ويجمع على " أجنبة " كمكان وأمكنة، وعلى " جنابات " كجماد وجمادات. قال فى عرف التعريف: ويقال فيه " الجناب الشريف [١] " و" الجناب الكريم [٢] " و" الجناب العالى " وهو مختص بذوى الرتبة الوسطى من أرباب السيوف وأعيان أرباب الوظائف الدينية والديوانية.

السادس: المجلس، وأصله فى اللغة موضع الجلوس إشارة إلى مكان جلوس المكتوب إليه، وكان فى الدولة الأيوبية لا يلقب به إلا الملوك ومن فى معناهم، كما هو موجود فى مكاتبات القاضى الفاضل والعماد الأصبهانى، وقد انحط فى زماننا عن رتبة الملوك حيث طرأ عليها أعلى منها، وهو ينقسم إلى قسمين " عالى وسامى "، وهما اسمان منقوصان كـ " الوالى، والقاضى "، والقاعدة فى علم النحو، إنه إذا دخلت الألف واللام على الاسم المنقوص زاد فيه إثبات الياء وحذفها، فيقال " القاضى والقاض "ونحو ذلك، وحينئذ فيجوز فى " العالى والسامى " إثبات الياء وحذفها، ولكن الكتاب لا يستعملونها إلا بالياء. وأما " العالى والسامى " فيجوز أن تكون الياء فيهما هى اللاحقة للاسم المنقوص، وتكون حينئذ ساكنة، ويجوز أن تكون ياء النسب التى للمبالغة على ما سيأتى بيانه، وتكون مشددة.

أما السامى بغير ياء فيجوز أن يكون المراد حذف ياء النسب لا الياء اللاحقة للاسم المنقوص وحينئذ فتحذف الياء من الألقاب التى تنعت فيتبقى " المجلس السام الأمير الأجل " ونحو ذلك.

السابع: مجلس، مجرداً عن الألف واللام، وتضاف [٣] إلى ما بعده، ويضاف إلى أرباب السيوف والأقلام والوظائف الدينية والمشايخ والتجار فيقال " مجلس الأمير أو القاضى أو الشيخ أو الصدر "، وكان فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون لقب على الرتبة الثانية من أرباب الوظائف.

(١) الجناب الشريف العالى،ضوء، ص ٣٥٢.
(٢) الجناب الكريم العالى، نفسه.
(٣) مضافاً: ضوء، ص ٣٥٣.

الثامن: أن يقتصر على المضاف إليه، فيقال " الأمير أو القاضى أو الشيخ أو الصدر " وهى أقل المراتب قديماً وحديثاً.

التاسع: الحضرة، قال فى [١٦١ أ] أدب الكاتب: بفتح الحاء وضمها وكسرها. والمراد بها حضرة المكتوب إليه، وقال الجوهرى: قربه وفناؤه. وأكثر ما تستعمل فى مكاتبات الخلفاء وكان يقال لها " الحضرة العالية " و" الحضرة السامية ".

قال صاحب معالم الكتابة: إنها كانت فى الدولة الأيوبية يكتب بها لأعيان الدولة من الوزراء وغيرهم، وإن السلطان لم يكن يكاتب بها أحدا من الداخلين تحت حكمه والمنسحب عليهم أمره. ويكتب بها الآن عن الأبواب السلطانية إلى بعض الملوك، ويقال فيها " الحضرة الشريفة [١] " و" الحضرة الكريمة العالية " و" الحضرة العلية " بحسب رتبة المكتوب له، وتستعمل فى الكتب الصادرة إلى ملوك الكفر، ويقال فيها بعد الدعاء للحضرة " حضرة الملك الجليل "، وربما استعملت فى الولايات، فيكتب فى بعض الولايات للبطرك ويقال " حضرة الشيخ".

الحالة الثانية

الألقاب المؤنثة

وهى على ثلاثة ألقاب:ـ

الأول: الدار، وهى مفردة تجمع على " ديار " و" آدر " و" دور "، ويقال فيها " الدار العزيزة "، وكانت تكتب قديماً لديوان الخلافة ثم استقر الحال على أن يكتب به من الأبواب السلطانية للخواتين من نساء الملوك ويعبر عنهن فى زماننا بـ " الخوندات "، ولا يطلق هذا اللقب إلا على نساء الملوك وأولادهم أو أمهاتهم أو أخواتهم.

الثانى: الستارة، ويقال فيها " الستارة الشريفة " ويكنى بذلك عن المرأة الجليلة التى بصدد أن تنصب الستارة على بابها حجاباً لها.

الثالث: الجهة، ويقال فيها " الجهة الشريفة " و" الجهة الكريمة "، وهى فى أصل اللغة اسم الناحية التى يقصد بها المرأة الجليلة كما كنوا عن الرجل الجليل بـ " الجانب " وهى فى

---

(١) الحضرة الشريفة العالية، ضوء، ص ٣٥٤.

المعنى أعلى من الستارة لاتساع نطاقها، كما أن الجناب أعلى من المجلس لاتساع نطاق الجناب.

مهمة: كثير من الكتاب يظنون أن هذه الألقاب أحدثها المقر الشهابى ابن فضل الله وليس كذلك بل هى قديمة من أيام القاضى الفاضل، ولكن المقر الشهابى رتبها وجعل أعلاها المقر وأقلها الأمير، وجعلها ميزاناً لمقام كل أحد من السلطنة.

تنبيه: [١] الألقاب الملحق بها ياء النسب تارة يراد بها النسب الحقيقى على ما به كـ " القضاء " فإنه منسوب إلى القضاء الذى هو موضوع الوظيفة كما تقدم. وتارة يراد بها المبالغة كـ " القاضوى " بأنه [١٦١ ب] منسوب إلى القاضى نفسه مبالغة وفى معناه " الأميرى " نسبة إلى الأمير، و" الشيخى " نسبة إلى الشيخ، ونحو ذلك. والأصل فيه أن عادة العرب إذا أرادوا المبالغة فى وصف شئ أدخلوا عليه ياء النسب، فيقولوا فى الأحمر " أحمرى " مبالغة فى الحمرة وما أشبه ذلك. والمجلس السامى فما فوقه يثبت فيها ياء النسب إلا فى الألقاب السلطانية فى الطغراة، والمجلس السامى بغير ياء فما تحته تكون مجردة عن ياء النسب.

الضرب الثانى [٢]

الألقاب المركبة

المعبر عنها عند الكتاب بالنعوت، والتركيب فيها يكون بالإضافة، فتارة يكون فيها بإضافة واحدة نحو " ممهد الدولة [٣] " وتارة يكون بإضافتين نحو " سيف أمير المؤمنين [٤] "، وتارة يكون ثلاث إضافات نحو " حاكم أمور ولاة الزمان "، وربما زيد على ذلك.

وتارة يكون بوصف المضاف نحو " بقية السلالة الطاهرة "، وتارة يكون بالعطف على المضاف إليه، إما بعطف واحد نحو " سيد الملوك والسلاطين "، وإما بأكثر نحو " فاتح الممالك

---

(١) هذا التنبيه عند القلقشندي هو " الضرب الأول من المقصد الرابع فى الألقاب المفرعة عن الأصول ". انظر: ضوء، ص ٣٥٧.

(٢) يتبع المقصد الرابع عند القلقشندي بهذا العنوان. انظر: السابق، نفس الصفحة.

(٣) الدول: ضوء، ص ٣٥٨.

(٤) سيد أمراء العالمين: ضوء، نفسه.

والأقاليم والأقطار "، وتارة تكون بجار ومجرور بعد المضاف إليه نحو " سيد الأمراء فى العالمين ". وقد يكون التركيب بعد الإضافة إما بجار ومجرور نحو " المجاهد فى سبيل رب العالمين "، وإما بجار ومجرور وإضافتين نحو " المعفى على ملوك آل ساسان " وغير ذلك.

ثم إنه إن كان لقب الأصل مذكراً جاء بصفة التذكير فى ألقابه ونعوته، وإن كان مؤنثـاً كـ " الجهة " فى ألقاب النساء، أتت الألقاب والنعوت مؤنثة، فيقـال " الجهـة الشـريفة أو الكريمة"، وفى النعوت " سيدة الخواتين فى العالمين ". وإن كان لقب الأصل مجموعاً نحو " مجالس الأمراء "، جاءت الألقاب والنعوت مجموعة، فيقال " الأمراء الأجلاء الأكابر " وما أشبه ذلك.

وفى النعوت إن كان ذلك اللقب اسم جنس نحو " عضد الملوك والسلاطين "، أو مصدراً نحو " عون الأمة "، جاز إبقاؤه على الإفراد، لأن المصدر واسم الجنس لا يثنيان ولا يجمعـان. وإن لحظ فيه معنى التعداد، جاز الجمع، فيقال " أعوان الأمة [١] وأعضاد الملوك والسلاطين "، ويجوز عضد الملوك وأعضاد الملوك كما قاله فى التعريف. [١٦٢ أ]

النوع الرابع [٢]

أن يأتى لصاحب كل لقب من الألقاب الأصول بما يلائمه من الأوصاف

مثل أن يصف " الديوان العزيز " أو " الجانب الشريف " فى لقبى ديوان الخلافـة، وولى العهد " بالمولوى والسيدى النبوى " لانتسابهما إلى مقام النبوة بقرابة العباس للنبى صلى الله عليه وسلم، ويصف السلطان بـ " الأعظم المالك الملك " وما يناسبه مثل " العادل " و" المـرابط " ونحو ذلك. ومن النعوت مثل " سلطان الإسلام والمسلمين محيى العدل فى العالمين ".

ويصف أرباب السيوف بما فيه معنى الشـجاعة والجهـاد مثـل " العـونى الغيـاثى " و"المثاغرى" و"المرابطى "، ويصف نواب السلطنة بما فيه معنى العدل وتمهيـد الـدول مثـل "الممهدى المشيدى " و" ممهد الدول سيد الممالك "، ويصف قضاة القضاة بصـفات الحكـم، والعدل، مثل "الحاكمى العادلى "، ويصف العلماء بصفات العلم، مثل " العالمى المفيـدى " و"

---

(١) الملة: ضوء، ص ٣٥٩.

(٢) هذا عند القلقشندي النوع الخامس فى الألقاب المفرعة من الألقاب الأصول المتقدمة الذكر ومراعاة مناسباتها، وقد جعله فى ثلاثة أوجه على عكس صاحب الثغر الذى جعله فى مقصد واحد. انظر: ضوء، ص ٣٥٩.

قدوة العلماء العاملين " و"حجة المناظرين " وشبهه، ويصف الوزراء بحسن التدبير والتنفيذ، مثل " المدبرى المنفذى " و" مدبر الدول " و" جمال الممالك "، ويصف كتام السر [١] ومن فى معناهم بصفة البلاغة، وحسن التدبير، والتنفيذ، ونفاذ الأمر، وصواب الرأى، مثل " البليغى، المنفذى، المدبرى، المشيرى "، وفى النعوت مثل " جمال البلغاء، أوحد الفضلاء، جلال الكتاب، كهف الحساب، لسان السلطنة، سفير المملكة "، ونحو ذلك.

ويصف أهل الصلاح والتصوف بصفات العبادة، مثل " العالمى، الزاهدى، السالكى "، وفى النعوت مثل " زين العباد، فقيه [٢] الزهاد "، ويصف التجار، برفعة القدر، والأمانة، والاحترام، والتقريب، ونحوه مثل " المحترمى الرئيسى "، وفى النعوت مثل " شرف الأكابر فى العالمين، أوحد الأمناء المقربين " وما يجرى هذا المجرى.

قلت ولو أتصف ملك أو وزير أو أمير بالخير والصلاح، أضيف فى ألقابه ألقاب أهل الصلاح، كما أضيف فى ألقاب الأمير بيدمر[٣] نائب الشام كان " العابدى، الخاشعى، الناسكى" لنسبه إلى الخير والصلاح.

وأما الألقاب المؤنثة فيتعين أن نصفها أولاً بصفات العظمة، مثل " الجهة الشريفة، العالية، المعظمة "، ثم بما فيه من معنى الصيانة، مثل " المحجبة المصونة "، وفى النعوت مثل [١٦٢ ب] " جميلة المحجبات، جليلة المصونات " ونحو ذلك.

وأما ألقاب أهل الكفر فيراعى فيها ما يناسبها، فيصف الباب والبترك [٤] بـ " القديس الروحانى، الخاشع " ويصفه بالعلم فى ملته، وقيامه بشرائعها، مثل " عظيم الملة المسيحية، قدوة الطائفة العيسوية، عماد بنى المعمودية، كبير الطائفة الصليبية " وما أشبه ذلك. ويصف ملوكهم بصفات الشجاعة والعلم فى شريعته، والعدل فى رعيته، مثل أن يقال " الضرغام، الغضنفر، السميدع " " العالم فى ملته، العادل فى مملكته " وما أشبه ذلك.

---

(١) كتاب السر: ضوء، ص ٣٦٠.

(٢) إمام: ضوء، نفسه.

(٣) هو الأمير بيدمر الخوارمى نائب الشام فى عهد الأشرف شعبان. انظر القسم الثانى، ص٢٥٤هـ٤.

(٤) البطريرك: ضوء، نفسه.

وأما ألقاب أهل الكفر المؤنثة فيقال " المكرمة، المبجلة، الموقرة، العالمة فى ملتها، العادلة فى رعيتها ".

الباب الثالث

فى تفاوت الألقاب فى العلو والهبوط

وهو على خمسة [١] أنواع:ـ

النوع الأول

الألقاب المفردة

وهى على أربعة أضرب:ـ

الضرب الأول: فيما [٢] يقع فيه التفضيل لجوهر[٣] اللفظ، وهو [٤] التوابع الــتى تلــى الألقاب الأصول كــ " العزيز، والأشرف، والشريف، والكريم، والعالى، والسامى "، فبعضها أرفع من بعض، فالعزيز أرفع من الجميع لأن كل وصف دون العز ليس عليه [٥] كثير التفات، والأشرف أرفع من الشريف لما فى الشرف من صيغة التفضيل، والشريف أرفع من الكريم [لما تقدم عن ابن السكيت أن الكرم يكون فى الرجل وإن لم يكن له آباء شرفاء] [٦] لأن الشرف لا يكون إلا لمن له آباء شرفاء، والكريم لا يعتبر فيه ذلك، وبمقتضى ذلك يرجح الشريف على الكريم بكل حال. والكريم أرفع من العالى لأن الكرم إن حمل على خلاف اللؤم فهو صفة مدح وإن حمل على صفات على خلاف البخل فهو صفة مدح، والعالى يحتمل أن يكون من " على "، "علاء " إذا شرف، أو يكون من " علا يعلو " إذا ارتفع فى المكان وليس العلو فى المكان مــن صفات المدح وما هو صفة للمدح أولى منه [٧] احتمل المدح وعدمه.

---

(١) عند القلقشندي على نوعين.

(٢) ما: ضوء، ص ٣٦١.

(٣) بجوهر: ضوء، نفسه.

(٤) هي: ضوء، نفسه.

(٥) إليه: ضوء، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج ٦، ص ٩٨؛ ضوء، نفسه.

(٧) بكل حال أعلى مما: ضوء، نفسه.

الضرب الثانى: ما يقع فيه التفضيل بحسب لحوق ياء النسب التى للمبالغة، وقد اصطلحوا على [أن] (١) ما ألحقت به ياء النسب أرفع رتبة مما يجرد عنها، إلا أن [١٦٣ أ] ما هو منسوب إلى نفس صاحب اللقب اعلى من المنسوب إلى شئ خارج عنه ومن جعل " القاضوى" الذى هو منسوب إلى القاضى أعلى من القضاوى (٢) الذى هو منسوب إلى القضاء، على إنهم لم يقفوا مع كون (٣) ما دخلت عليه ياء النسب أرفع فى جميع الأحوال، وقد استعملوا " الأجل " ونحوه فى الألقاب السلطانية (٤) التى هى أعلى الألقاب فقالوا " السلطان الأجل العالم العادل " إلى آخر ألقابه المفردة من غير إلحاق ياء النسب، ثم استعملوا [مثل] (٥) ذلك فى ألقاب " السامى " بغير ياء فما دونه ممن (٦) هو أدنى الألقاب رتبة وكأنهم اكتفوا بمكان (٧) السلطان من الرفعة عن المبالغة بإلحاق ياء النسب.

الضرب الثالث: ما يقع فيه التفضيل بصيغة مبالغة غير (٨) ياء النسب، كما فى "الكفيلى" فإنه أرفع رتبة من " الكافلى "، لأن صيغة فعيل أبلغ فى المعنى من صيغة فاعل، من حيث أن فعيل لا تصاغ إلا من فعُل بضم العي،ن كما يقال كرم فهو كريم، وعظم فهو عظيم، بخلاف فاعل.

الضرب الرابع: ما يقع فيه التفضيل بحسب ما فى ذلك اللقب من اقتضاء الرفعة لعلو متعلقه (٩) كـ " الممهدى والمشيدى "، فإن من ينتهى فى الرفعة (١٠) إلى أن يكون ممهد الدولة(١١) ومشيد الممالك لا نزاع فإنه فى علو المرتبة بالمكان الأرفع. وكذلك ما يجرى هذا

---

(١) ما بين الحاصرتين، ضوء، نفسه.

(٢) القاضى: صبح، ج٦، ص١٠٠.

(٣) على حكم فى كون: ضوء، ص ٣٦١.

(٤) ألقاب السلطان: ضوء، ص ٣٦٢؛ وصبح كالثغر، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٦) مما: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٧) بمكانة: صبح، نفسه.

(٨) بغير: ضوء، نفسه؛ وصبح كالثغر، ج٦، ص١٠١.

(٩) تعلقه: ضوء، نفسه؛ وصبح كالثغر، نفسه.

(١٠) الرتبة: صبح، نفسه.

(١١) الدول: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

المجرى كـ "المدبرى" بالنسبة إلى الوزراء، و" المحققى " بالنسبة إلى العلماء، و" الأصيلى " بالنسبة إلى العراقة فى كرم الأصل ونحو ذلك.

النوع الثانى

الألقاب المركبة

المعبر عنها بالنعوت المختصة بأرباب السيوف وهى على ستة أضرب:-

الضرب الأول: أن يضاف إلى الإسلام، وقد جعل فى عرف التعريف أعلاها فى السلطانيات " ركن الإسلام والمسلمين "، وأورد ذلك فى المكاتبة إلى النائب الكافل، وكانت مكاتبته بـ " الجناب الكريم " إذ ذاك، ثم جعله الكتاب بعده " معز الإسلام والمسلمين " مع "المقر الكريم" على ما هو الآن مستعمل، وجعلوا دون ذلك " عز الإسلام والمسلمين "، وأوردوه مع " الجناب الكريم، والعالى "، [وجعل فى عرف التعريف فى الإخوانيات " عز الإسلام والمسلمين " أعلى الألقاب، فأورده مع " المقر الشريف "، ثم طرده فيما بعد ذلك من "المقر الكريم " و" المقر العالى "] [١]، ثم جعلوا [٢] دونه " مجد الإسلام والمسلمين " وأوردوه[٣] مع " المجلس العالى " [١٦٣ ب] وجعلوا [٤] دون ذلك " مجد الإسلام " فقط من غير عطف

[المسلمين] [٥] عليه، وأوردوه [٦] مع " المجلس السامى " بغير ياء وبياء، ودون ذلك " مجد الأمراء " وأورده مع " مجلس الأمير "، وقد تابعه فى التثقيف [٧] على ذلك.

الضرب الثانى: أن يضاف إلى الأمراء، وقد جعل فى عرف التعريف أعلاها " سيد الأمراء فى العالمين "، وأورده مع " الجناب الكريم "، وكانت أعلى المكاتبات، وجعل دونه " سيد أمراء

---

(١) ما بين الحاصرتين من، ضوء، ص٣٦٢.

(٢) جعل: ضوء، نفسه.

(٣) فأورده: ضوء، ص ٣٦٣.

(٤) جعل: ضوء، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، ضوء، نفسه.

(٦) فأورده: ضوء، نفسه.

(٧) وتابعه على ذلك فى التثقيف: ضوء، نفسه.

العالمين " وأورده مع " الجناب العالى "، وهى فى زماننا موروودة مع " المقر الكـريم "، ودونـه "شرف الأمراء فى العالمين " وأورده مع " المجلس العالى " بالدعاء، ودونـه " شـرف الأمـراء المقدمين" [١] وأورده مع " المجلس السامى " بغير دعاء، ودونه " مجد الأمراء " فقط، وأورده مع " المجلس السامى "، ودونه " فخر الأمراء " وأورده مع " مجلس الأمير ".

الضرب الثالث: أن يضاف إلى " الغزاة والمجاهدين "، وقد جعل صاحب التعريف أعلاها " ناصر الغزاة والمجاهدين " وأورده فى ألقاب النائب الكافل، وجعل دونه "نصـير [٢] الغـزاة والمجاهدين " وأورده بمكاتبة نائب الشام، وتابعه فى التثقيف وجعله إلى آخر " المجلس العـالى " بدعاء، ودونه " أوحد المجاهدين " وجعله مع السامى بغير ياء، ودونه " زين المجاهدين " وجعله مع مجلس الأمير. أما فى عرف التعريف فإنه أعرض عن " ناصر الغزاة والمجاهدين " مع " المقـر الشريف "، وأتى مع " المقر الكريم " " بنصير الغزاة والمجاهدين " ثم مع " الجناب الشـريف " وإلى آخر " المجلس العالى " بـ " نصرة الغزاة والمجاهدين "، فجعل " نصير الغزاة والمجاهـدين " أبلغ من " نصرة الغزاة والمجاهدين " لما فى نصير من التذكير، ثم أتى مع " السامى بالياء بـــ " ذخر الغزاة والمجاهدين "، ثم مع " السامى " بغير ياء بـ " زين الأمراء المجاهـدين "، ثم مـع " مجلس الأمير " بـ " زين المجاهدين ".

الضرب الرابع: أن يضاف إلى الجيوش، وقد جعل صاحب التعريف أعلاهـا " أتابـك الجيوش " فأورده فى ألقاب النائب الكافل، وجعل دونه " زعيم الجيوش " وأورده فى ألقـاب نائب الشام، وجعل دونه " زعيم جيوش الموحدين " فأورده فى ألقاب نائب حلب [١٦٤ أ]، وأورد فى عرف التعريف " زعيم الجيوش " مع " المقر الشريف والكـريم والعـالى "، وأورد " زعيم جيوش الموحدين " مع " الجناب الشريف والكريم والعالى "، وعلى نحو من ذلك جرى فى التثقيف ".

الضرب الخامس: أن يضاف إلى الملوك والسلاطين، فقد جعل فى عرف التعريف أعلاها " ظهير الملوك والسلاطين "، وأورده مع " المقر الكريم " إلى آخر " المجلس العـالى " بالـدعاء،

---

(١) أورد القلقشندي بعد ذلك " وأورده مع " صدرت والعالى "، ودونه " شرف الأمراء فى الأنام " وأورده مع " السامى " بالياء، ودونه " زين الأمراء المجاهدين " وأورده مع " السامى " بغير ياء، ودونه " مجد الأمراء " وأورده مع " مجلس الأمير ". ضوء، ص ٣٦٣.

(٢) نصر: التعريف، ص ٩٧؛ ضوء كالثغر، نفسه.

وجعل دونه " عضد الملوك والسلاطين " وأورده مع " المجلس العالى والسامى "، ودونه " عمدة الملوك والسلاطين " وجعله مع " مجلس الأمير ". وأما فى التثقيف فأنه أورد " ظهير الملوك والسلاطين " مع:" المجلس السامى " بالياء، وجعل " عمدة الملوك والسلاطين " مع " السامى " بغير ياء، و" عدة الملوك والسلاطين " مع " مجلس الأمير ".

الضرب السادس: أن يضاف إلى أمير المؤمنين، وأعلاها " قسيم أمير المؤمنين " وهو من الألقاب الخاصة بالسلطان.

قلت: إن أول من لقب بذلك من السلاطين الظاهر بيبرس البندقدارى، حين وفد عليه بمصر الإمام المستنصر بالله أحمد فى رجب عام تسع وخمسين وستمائة، فبايع السلطان وقلده ولقبه بقسيم أمير المؤمنين، وكان قبل يلقب بـ " صاحب أمير المؤمنين "، وإذا عظم لقب بـ "خليل أمير المؤمنين ".

ودونه " خليل أمير المؤمنين " وهو من ألقاب بعض الملوك الأجانب المكتوب إليهم عن الأبواب الشريفة وألقاب أولاد الملوك، ودونه " عضد أمير المؤمنين " وهو أعلى ما يكتب للنواب عن الأبواب الشريفة، وجعله فى عرف التعريف مع " المقر الشريف " خاصة، وفى التثقيف مع " المقر الكريم "، ودونه " سيف أمير المؤمنين "وأورده مع " المقر الكريم والعالى "، وجعله فى التثقيف مع " الجناب العالى " وتستعمل الآن مع " الجناب الكريم "، ودونه " حسام أمير المؤمنين"، وجعله فى عرف التعريف مع " الجناب الشريف والكريم والعالى " وهو مستعمل الآن مع " الجناب والمجلس العالى " بالدعاء، واقتصر على ما يضاف إلى الملوك والسلاطين.

النوع الثالث

ألقاب القضاة والعلماء

وهى على خمسة ضروب:-

الأول: أن يضاف إلى الإسلام، وقد جعل فى عرف التعريف أعلاها " حجة الإسلام [١٦٤ ب] والمسلمين " أو " ضياء الإسلام والمسلمين "، وأوردها مع " الجناب الشريف " الذى هو عنده أعلى المراتب، ودونه " بهاء الإسلام " وأورده مع " الجناب الكريم "، ودونه " مجد الإسلام " وأورده مع " المجلس العالى " فما دونه.

الثانى: أن يضاف إلى العلماء ونحوه، وجعل فى عرف التعريف أعلاها " سيد العلماء والحكام " وجعله " للجناب الشريف " فما فوقه، " والكريم والعالى "، ودونه " تاج العلماء والحكام " وأورده مع " المجلس السامى " بالياء، ودونه " جمال الأعيان " وأورده مع " المجلس السامى " بغير ياء فما دونه.

الثالث: أن يضاف إلى الأنام، [وقد جعل فى عرف التعريف أعلاها " شرف الأنام "][1] وأورده مع " الجناب الشريف والكريم والعالى "، ودونه " فخر الأنام " وأورده مع " المجلس العالى " بالدعاء، ودونه " بهاء الأنام " وأورده مع " صدرت والعالى والسامى " بياء وبغير ياء.

الرابع: أن يضاف إلى الملوك والسلاطين، وقد جعل فى عرف التعريف أعلاها إلى القضاة " حكم الملوك والسلاطين " ولغيرهم من العلماء " خالصة الملوك والسلاطين " وهو عنده " للجناب الشريف " فما فوقه، ودونه " بركة الملوك والسلاطين " وأورده مع " الجناب الكريم " و" الجناب العالى " و" المجلس العالى " مع الدعاء، ودونه " صفوة الملوك والسلاطين " وأورده مع " صدرت والعالى " وما دونه.

الخامس: أن يضاف إلى أمير المؤمنين، وقد جعل فى عرف التعريف أعلاها " ولى أمير المؤمنين " وجعله مع " الجناب الشريف " فما فوقه، ويحسن [2] أن يجىء مع " الجناب الكريم " خالصة أمير المؤمنين " ومع " الجناب العالى " " صفى أمير المؤمنين " أو " صفوة أمير المؤمنين ".

النوع الرابع

ألقاب كتام السر والوزراء ونظار الخاص والجيش ومن دونهم من الكتاب

وفيه أربعة أضرب:-

الضرب الأول: أن يضاف إلى الإسلام، قال القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى بعض دساتيره إن أعلاها لهم " ركن الإسلام والمسلمين "، وجعل فى عرف التعريف أعلاها للوزراء " صلاح الإسلام والمسلمين " وأورده مع " المقر الشريف " فما دونه من " المقر الكريم والعالى " و" الجناب الشريف والكريم " [١٦٥ أ]، ودون ذلك " جمال الإسلام والمسلمين " وأورده

(١) ما بين الحاصرتين من، ضوء، ص٣٦٥.

(٢) قلت يحسن: ضوء، نفسه.

مع " الجناب العالى "، وجعل دون ذلك " مجد الإسلام " مجرداً عن معطوف عليه وأورده مع " المجلس العالى والسامى ".

الثانى: أن يضاف إلى الكبراء، قال فى عرف التعريف إن أعلاها " سيد الكبراء فى العالمين" وأورده مع " المقر الشريف والكريم والعالى "، و" الجناب الشريف، والكريم، والعالى "، ويختص الوزير بالإضافة إلى الوزراء فيقال " سيد الوزراء فى العالمين "، وجعل لمن دونه " شرف الرؤساء الكتاب " وأورده مع " المجلس العالى "، ولا يخفى أنه يجىء عند " أوحد الكتاب " أو " شرف الكتاب " مع " المجلس السامى " بالياء فما دونه.

الثالث: أن يضاف إلى الملوك والسلاطين، وجعل فى عرف التعريف أعلاها " ظهير الملوك والسلاطين " وأورده مع " المقر والجناب الشريفين " و" المقر الكريم والعالى "، ودونه " صفوة الملوك والسلاطين " وأورده مع " المجلس العالى " فما دونه.

الرابع: أن يضاف إلى أمير المؤمنين، ولم يزد فى عرف التعريف على " ولى أمير المؤمنين " وأورد مع " المقر الشريف والكريم والعالى " و" الجناب الشريف "، ويحسن [1] أن يجىء مع " الجناب الكريم " " خالصة أمير المؤمنين "، ومع " الجناب العالى " " صفى أو صفوة أمير المؤمنين "، ولا يضاف إلى أمير المؤمنين مع " المجلس العالى " لما دونه من الألقاب بل يقتصر فى الإضافة إلى الملوك والسلاطين.

النوع الخامس

ألقاب أهل الصلاح

وهى على أربعة ضروب:-

الأول: أن يضاف إلى الإسلام، وقد جعل فى عرف التعريف أعلاها " صلاح الإسلام " وأورده مع " الحضرة " ومع " الجناب الشريف والكريم "، ودونه " جلال الإسلام " وأورده مع " الجناب العالى "، ودونه " ضياء الإسلام " وأورده مع " المجلس العالى "، ودونه " جمال الإسلام " وأورده مع " المجلس السامى " بالياء فما دونه.

---

(١) وقلت يحسن: ضوء، ص ٣٦٦؛ صبح كالثغر، ج٦، ص١٠٩.

الثانى: أن يضاف إلى العارفين ونحوه، وجعل فى عرف التعريف " شيخ شيوخ العارفين " وأوردها مع " الحضرة الطاهرة " التى هى أعلى الرتب، وجعل دونه " أوحد المحققين " وأورده مع " الجناب الكريم "، ودونه " أوحد الناسكين " وأورده مع " الجناب العالى.

الثالث: أن يضاف إلى الأنام، وجعل [فى عرف التعريف] [1] [١٦٥ ب] أعلاها " خالصة الأنام " وأورده مع " الحضرة الشريفة " التى جعلها أعلى رتبهم ومع " الجناب الشريف والكريم والعالى "، ودونه " شرف الأنام " وأورده مع " المجلس العالى "، ودونه " زين الأنـــام " وأورده مع " المجلس السامى " بالياء وبغير ياء.

الرابع: أن يضاف إلى الملوك والسلاطين، ولم يزد فى عرف التعريف على أن يكتب لهم " بركة الملوك والسلاطين ".

أما ما يضاف إلى أمير المؤمنين فلم يورد لهم فى عرف التعريف شيئاً منه، ويحسن أن يجيئ للعظيم منهم نظير ما تقدم للعلماء مثل " ولى أمير المؤمنين "، ودونه " خالصة أمير المــؤمنين "، ودونه " صفى أو صفوة أمير المؤمنين ".

(١) ما بين الحاصرتين من، ضوء، ص٣٦٧.

الباب الرابع

فى تفاوت الألقاب بالتقديم والتأخير

وهى على نوعين:-

النوع الأول

الألقاب المفردة

وهى على سبعة أضرب:-

الضرب الأول: الألقاب التى تلى الأصول، كالأشرف، والشريف، والكريم، والعالى، والسامى. فالأشرف والشريف يلى " المقام "، والكريم يلى " المقر " و" الجناب "، والعالى يلى "المقام " على قلة، ويلى " المقر والجناب والمجلس "، والسامى يلى " المجلس " خاصة.

الثانى: ما يلى الألقاب التى تلى الأصول، وهى العالى إذا تأخرت رتبته عن أن يلى الأصول قبل الأشرف والشريف والكريم، فيقال " الأشرف العالى "، و" الشريف العالى "، و" والكريم العالى ".

الثالث: ما يلى العالى [١]، وهو اللقب الذى يقع بالتمييز كـ " الأميرى " و"القضائى"، و" الشيخى " ونحو ذلك فيقال " العالى الأميرى " أو " العالى القاضوى أو القضائى " أو " العالى الشيخى " وما أشبه ذلك.

الرابع: ما يلى لقب التمييز [٢]، وهو " الكبيرى " فيقال " الأميرى الكبيرى " أو " القاضوى الكبيرى " أو " الشيخى الكبيرى ".

الخامس: ما يقع قبل لقب التعريف الذى هو " الفلانى " أو " فلان الدين " وهو اللقب الدال على الوضع [٣] دلالة خاصة كـ "الكفيلى والكافلى " للنواب، و" الوزيرى والصاحبى " للوزراء، و" الحاكمى " للقضاة، و" الشيخى " للعلماء والصلحاء، و" الخواجى " للتجار، فإن كان المكتوب له نائب سلطنة كتب له قبل لقبه الخاص " الكفيلى أو الكافلى " بحسب رتبته.

---

(١) التالى: ضوء، ص ٣٦٧.

(٢) الوظيفة: ضوء، ص ٣٦٨.

(٣) الوظيفة: ضوء، نفسه.

وإن كان قاضياً كتب له " الحاكمى "، قال فى التثقيف: وإن كان وزيراً كتب [١٦٦ أ] له " الصاحبى "، فإن كان من أرباب السيوف كتب له " الأميرى الوزيرى "، ورأيت من يكتب الوزيرى أيضاً للمتعممين من الوزراء.

السادس: ما يقع فصلاً بين الألقاب المفردة والألقاب المركبة، وهو لقب التعريف الخاص كـ " الفلانى " و" فلان الدين " فإنه يكون موضوع بين المفردة والمركبة كالفاصل بينهما.

السابع: ما ليس له موضع مخصوص من الألقاب المفردة، وهو ما بين اللقب الذى يقع به التمييز من الأميرى ونحوه وبين اللقب الذى قبل لقب التعريف كـ " العالمى والعادلى " ونحوهما، فالقلم فى ذلك مطلق العنان بالتقديم والتأخير غير أن غالب الكتاب جعلوا " الظهيرى " قبل " الكفيلى أو الكافلى " فإن لم يكونا فيكون قبل لقب التعريف الخاص.

النوع الثانى

ما تتفاوت فيه مراتب الألقاب بالتقديم والتأخير فى الألقاب المركبة

وهى على ثلاثة أضرب:-

الضرب الأول: ما يلى لقب التعريف الذى هو " الفلانى " أو " فلان الدين "، وهو ما يضاف إلى الإسلام مثل " ركن الإسلام والمسلمين "، فقد اصطلحوا على أن يكون ذلك أول الألقاب المركبة.

الثانى: ما يقع آخر الألقاب، ويختلف الحال فيه باختلاف حال المكتوب له، فإن كان ممن يكتب له " المجلس السامى " بغير ياء فما دونه جعل آخر الألقاب فيه ما يضاف إلى " الملوك والسلاطين " ونحوه. وإن كان ممن يكتب له " المجلس السامى " فما فوقه جعل آخر الألقاب فيه ما يضاف إلى " أمير المؤمنين " مثل " عضد أمير المؤمنين " أو " ولى أمير المؤمنين " ونحو ذلك.

الثالث: ما بين أول الألقاب المركبة وبين آخرها، وقد اصطلحوا على أن يقدم من ذلك ما يقتضى رفعة المكتوب له على أبناء جنسه مثل " سيد الأمراء فى العالمين " لأمير و"سيد الأشراف فى العالمين " لشريف، و" سيد الرؤساء فى العالمين " لمتعمم ونحوه.

الباب الخامس

فى ترتيب الألقاب الفروع بحملها على الألقاب الأصول وذكر أصول فى ترتيب الألقاب والمناسبة بين الفروع والأصول

وهى على أربعة [١] أنواع:-

النوع الأول

ألقاب الخلافة ومن فى معناهم

وهى على خمسة [٢] أضرب:-

الضرب الأول: ألقاب الخليفة فقط. اعلم أنه كان يقال له فى الزمن القديم " عبد الله فلان " فإن كان اسم الخليفة " عبد الله " كرر مرتين، مرة لاسم العلم، ومرة لاسم الخلافة فيقال " عبد الله عبد الله أمير المؤمنين "، ثم زيد فيه الكنية بعد ذلك فقيل " عبد الله فلان أبو فلان الإمام الفلانى " بلقب الخلافة مثل " المعتضد بالله " ونحوه أمير المؤمنين. ثم زيد فيه بعد عبد الله " ووليه " فقيل " عبد الله ووليه فلان الدين الإمام الفلانى أمير المؤمنين " وهو ما استقر عليه الحال.

الثانى: ألقاب ديوان الخلافة، وهى " الديوان العزيز، المولوى، السيدى، النبوى، الإمامى، الفلانى " بلقب الخلافة كـ " المتوكلى " ونحوه.

الثالث: ألقاب ولاة العهد بالخلافة، وهى " الجناب الشريف [٣]، السيدى، النبوى، الفلانى " كـ " المعتضدى " ونحوه، وربما أبدل " الجانب " بـ " الجناب " مع بقية الألقاب المتقدمة.

الرابع [٤]: ألقاب أولاد الخلفاء، وهى " النجل السعيد، الأجل، الكبير، الأوحد، الأمجد، الحسيب، النسب، الأصيل، العريق، فلان الدين أبى فلان فلان "، والنعوت " مجد أو جلال

---

(١) ثلاثة عشر: ضوء، ص ٣٦٩.

(٢) أربعة: ضوء، نفسه.

(٣) الجناب الشريف المولوى، ضوء، نفسه.

(٤) لم يذكر القلقشندي ذلك التصنيف فى صبح الأعشى أو ضوء الصبح.

السلالة العباسية، فخر العترة الهاشمية، زين الدرة الذرية، سليل الخلافة، عضد الملوك والسلاطين، نجل أمير المؤمنين، أبى فلان فلان ".

الخامس: ألقاب إمام الزيدية باليمن، وهى " الجانب الكريم [١]، السيدى، الإمامى، الشريفى، الحسيبى، النسيبى، الفلانى " بلقب التعريف كـ " الناصرى " " سليل الأطهار، جلال الإسلام، شرف [٢] الأنام، بقية البيت النبوى، فخر الحسب العلوى، مؤيد أمور الدين، خليفة الأئمة، رأس العلماء [٣]، صالح الأولياء، علم الهداة، زعيم أمير [٤] المؤمنين، ذخر المسلمين، منجد الملوك والسلاطين.

النوع الثانى

الألقاب الملوكية

وهى على ضربين:-

الضرب الأول

ألقاب السلطان بالديار المصرية على ما استقر عليه الحال

وفيها مذهبان:

المذهب الأول:على ما أورده صاحب التعريف وهى " السلطان السيد الأجل الملك الأشرف – مثلاً – العالم، العادل، المجاهد، المرابط، المثاغر، المؤيد، المظفر، المنصور، الشاهنشاه، فلان الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، محيى العدل فى العالمين، وارث الملك، ملك العرب والعجم والترك، ظل الله فى أرضه، القائم بسنته وفرضه، إسكندر الزمان، مملك أصحاب المنابر [١٦٧ أ] والأسرة والتيجان، واهب الأقاليم والأمصار، مبيد الطغاة والبغاة والكفار، حامى الحرمين الشريفين والقبلتين، جامع كلمة الإيمان، ناشر لواء العدل والإحسان، سيد ملوك الزمان أبو فلان فلان ". فإن كان من آبائه من ملك قيل " ابن السلطان الشهيد الملكى الفلانى الفلانى – بلقبى الملك والخاص – والد الملوك والسلاطين أبى فلان فلان – ثم يدعى له بمثل –

---

(١) الجناب الكريم العالىضوء، ص٣٦٩.

(٢) سيف: ضوء، نفسه.

(٣) العلياء: صبح، ج٦، ص١٢٣؛ ضوء، نفسه.

(٤) ساقطة من صبح، ضوء

خلد الله تعالى سلطانه ونصر جيوشه وأعوانه "، ويكون آخر الدعاء آخـــر الســـطر وتكـــون الأسطر مزدوجة.

أما صاحب التثقيف فإنه زاد وغير وقدم وأخر فقال " السلطان الأعظم [١]، الملـــك [٢]، الفلانى السيد، الأجل، العالم، العادل [٣]، المجاهد، المرابط، المثاغر، المظفر، المؤيـــد، المنصـــور، فلان[٤] الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، محيى العدل فى العالمين، منصف المظلومين من الظالمين، وارث الملك، سلطان العرب والعجم والترك، فاتح الأقطار، ومانح الممالك والأقاليم[٥] والأمصار، إسكندر الزمان، ومولى الإحسان، جامع كلمة الإيمان، مملك أصحاب الممالـــك [٦] والتخوت والتيجان، ملك البحرين، مسلك سبل القبلتين، خادم الحرمين الشريفين، ظل الله فى أرضه، القائم بسننه وفرضه، سلطان البسيطة، مؤمن الأرض المحيطة، سيد الملوك والســـلاطين، ولى أمير المؤمنين أبو فلان فلان ". وحذف " الشاهنشاه " لأن معناها " ملك الملوك " [٧]، وقد ورد النهى عن التسمى بذلك قال: والواجب أن يكون بدل " ولى أمير المؤمنين " " قسيم أمير المؤمنين ".

ورأيت من كتب " خادم المساجد الثلاث "، وهو أعم من " خادم الحرمين".

المذهب الثانى: أن يلقب " المقام الشريف أو الكريم أو العالى " مجرداً عنهما ويقتصر على المفردة دون المركبة مثل أن يقال " المقام الشريف، العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفـــلانى أبي فلان فلان "، قال فى التعريف: وإلى هذا ذهب المتأخرون من الكتاب. ثم قال: وأنـــا علـــى الأول أعمل. والذى ذكره صاحب التعريف هو المستعمل فى زماننا.أما ألقاب السلاطين الـــتى تكتب بالطغراة لا تكون إلا مفردة.

---

(١) الأعظم المالك، التثقيف، ص ٢١.

(٢) الملك الأشرف، التثقيف، نفسه.

(٣) العادل المؤيد، التثقيف، نفسه؛ صبح، ج٦، ص١٢٤؛ ضوء، ص٣٧٠

(٤) الشاهنشاه ناصر الدنيا والدين: التثقيف، ص ٢٢؛ صبح، ج٦، ص١٢٤؛ ضوء، ص ٣٧٠.

(٥) ساقطة من صبح، نفسه.

(٦) المنابر: التثقيف، صبح، ضوء، نفسه.

(٧) الأملاك: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

الضرب الثانى

الألقاب التى يكتب بها السلطان لغيره من الملوك

وهى على ثلاثة أصناف:

الأول: ولاة العهد بالسلطنة، وهى " المقام العالى، العالمى، العادلى، الملكى، الفلانى الفلانى كالأشرفى والسيفى ". والذى كتبه القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر [١٦٧ ب] من ألقاب الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون حين عهد له أبوه بالملك وهى " السيد الأجل، الملك الأشرف، صلاح الدنيا والدين، فخر الملوك والسلاطين، خليل أمير المؤمنين ".

قال فى التثقيف: فإن كان أخاً أو ولداً زِيدَ فيه " الأخوى " أو " الوالدى "، ويلقب أولاد السلاطين من ألقاب الأصول بـ " المقام العالى " إذا كانوا يجلسون فوق الأمراء بالخدمة ولم يعهد لهم بالملك.

الثانى: ألقاب الملوك المستقلين بصغار الممالك كما كان صاحب حماة فى أيام الناصر محمد بن قلاوون، وهى " المقام الشريف العالى السلطانى الملكى الفلانى " بلقب الملك، وربما كتب له قبل لقب الملك " الأصيلى " لعراقته فى الملك.

الثالث: ألقاب المكتوب إليهم من الملوك الأجانب، وهى على أربع طباق:

الأولى: ما يصدر بالمقام، وأعلاها " المقام الأشرف " كألقاب صاحب الهند قديماً، وهى:

" المقام الأشرف العالى، المولوى، السلطانى، الأعظمى، الشاهنشاهى، العالمى، العادلى، المجاهدى، المثاغرى، المظفرى، المؤيدى، المنصورى، _ الفلانى _ اسكندر الزمان، سلطان الأوان، منبع الكرم والإحسان، المعفى على ملوك [١] آل ساسان وبقايا أفريساب، وخاقان ملك البسيطة، سلطان الإسلام، غياث الأنام [٢]، أوحد الملوك والسلاطين ". ودونها " المقام الشريف ".

ومثالها على ما كتب به للنك عند عقد الصلح بينه وبين الناصر فرج عام خمس وثمانمائة وهى:

(١) ساقطة من صبح، ج٦، ص١٢٦؛ ضوء، ص٣٧١.

(٢) ذكرت فى هامش المخطوط.

" المقام الشريف العالى الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، المظفرى، المجاهدى، الوالدى، الملاذى القطبى، نصرة الدين، ملجأ القاصدين، ملاذ العابدين، قطب الإسلام والمسلمين تيمور كوركان ".

وعلى ما كتب به للشيخ حسن الكبير صاحب بغداد [١] كان، وهى: " المقام الشريف، العالى، السلطانى، الكبيرى، العالمى، المؤيدى، المجاهدى، المرابطى، المنصورى، الملكى الفلانى الفلانى ".

وعلى ما كتب به لشاه رخ ولد اللنك [٢] صاحب مملكة الفرس الآن وهى:

" المقام الشريف العالى الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الملاذى، المعينى، نصرة الدين، ملجأ القاصدين، ملاذ العارفين، ظهير الملوك السلاطين ".

ودونها على ما ذكره صاحب التعريف [٣] فى ألقاب القان ببلاد أزبك وهى [١٦٨ أ]:

" المقام العالى السلطانى الكبيرى، الملكى، الأكرمى الفلانى الفلانى " بلقبى الملك، والتعريف " فلان الدنيا والدين، مؤيد الغزاة والمجاهدين، قاتل الكفرة والملحدين [٤] والمشركين، ولى أمير المؤمنين ".

---

(١) هو الأمير الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا الجلايرى، المعروف بالشيخ حسن الكبير، ملك بغداد وتبريز من الأيلخانيين، وهادن المماليك فى مصر عكس ملوك التتار الذين وجهوا أكثر من حملة إلى الشام للاستيلاء عليها، توفى عام ٧٥٦ هـ. انظر: الصفدى: الوافى، ج١١، ص٤٠٥؛ ابن حجر: الدرر، ج٢، ص٩٥؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٥، ص٦٩ ـ ٧١ ت رقم ٨٩٣.

(٢) هو القان معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك، سلطان هراة وسمرقند وشيراز وما والاهم من بلاد ما وراء النهر، ملك البلاد بعد ابن أخيه خليل بن أميران شاه بن تيمورلنك، كان ذا علاقات متوترة مع السلطان الأشرف برسباى بسبب محاولته مد نفوذه إلى الحرمين الشريفين والحط من شأن السلطان برسباى إلا أن محاولاته باءت بالفشل معه، ثم تحسنت أيام السلطان جقمق. توفى عام ٨٥١ هـ. انظر: المقريزى: السلوك، ج٤ق٢، ص٨٣٣، ٨٨٧؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٦، ص١٩٩ ـ ٢٠٣ ت رقم ١١٧٤؛ السخاوى: الضوء، ج٣، ص٢٩٢، ت رقم ١١١٩.

(٣) الذى ذكر ذلك هو صاحب التثقيف.

(٤) ساقطة من صبح، ج٦ص١٢٦؛ ضوء، ص٣٧١.

وكما كتب إلى القان محمد خان بن حسن بن أخو طمطمش خان [١] صاحب الدشت[٢] فى الأيام الأشرفية برسباى وهى:

" المقام العالى السلطانى، الكبيرى، الملكى، الأعدلى، الشمسى، شمس الدنيا والدين، مؤيد الغزاة والمجاهدين، قاتل الكفرة والملحدين والمشركين، ولى أمير المؤمنين".

وكما كتب لصاحب المغرب الأقصى قديماً فى ما ذكره فى التعريف وهى:

" المقام العالى السلطانى، السيد الأجل [٣]، العالم، العادل، المجاهد، المرابط، المثاغر، المؤيد، المظفر، المنصور [الأسرى، الأسنى، الزكى، الأتقى، المجاهـد فى الله، الغالـب بنصـر الله][٤] المؤيد[٥] على أعداء الله، أمير المسلمين [٦]، قائد الموحدين، مجهز الغزاة والمجاهدين، مجند الجنود، عاقد البنود، مالئ صدور البرارى والبحار، مزعزع أسرة الكفار، مؤيد الملة [٧] معز الأمة [٨]، شرف الملوك والسلاطين، بقية الشرف [٩] الكريم والنسب الصميم، ربيب الملك القديم أبو فلان فلان ".

---

(١) وذلك عام ٨٣٢ هـ. العينى: عقد الجمان، تحقيق عبد الرازق الطنطاوى القرموط، ص٣٥٨.

(٢) الدشت باللغة الفارسية تعنى البرية، عرفت أولاً بدشت القبجاق، ثم عرفت بدشت بركة نسبة إلى بركة بن دوشى بن طوخان بن جنكيز خان. المقريزى: درر العقود الفريدة، ص٥١١؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٦٢.

(٣) الجليل: التعريف، ص٤٠.

(٤) التعريف، نفسه.

(٥) ساقطة من، صبح، نفسه؛ وضوء، نفسه.

(٦) أمير المؤمنين: التعريف، نفسه

(٧) السنة: التعريف، نفسه؛ صبح، ج٦، ص١٢٧؛ ضوء، نفسه.

(٨) الملة: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٩) السلف: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

الطبقة الثانية: ما يصدر بالمقر، وأعلاها " المقر الكريم " كما كتب لصاحب هراة قـديماً قبل أن يأخذها اللنك على ما ذكره فى التعريف وهى:

" المقر الكريم العالى، العالمى، العادلى، المجاهدى، المؤيدى، المرابطى، المثاغرى، الأوحدى ـ الفلانى ـ شرف الملوك والسلاطين (١)، خليل أمير المؤمنين ".

وكما كتب لصاحب كرستان (٢) من بلاد الروم (٣) فيما ذكره فى التثقيف وهى: " المقر الكريم العالى، الملكى، الأجلى، العالمى العادلى (٤)، المجاهدى المؤيـدى المثـاغرى، المرابطـى، المظفرى، العضدى (٥) _ الفلانى _ عز الإسلام والمسلمين، فخر الملوك والسلاطين، نصـرة (٦) الغزاة والمجاهدين، زعيم الجيوش، مقدم العساكر، ظهير أمير (٧) المؤمنين ".

وكما كتب للإسكندر بن قرا يوسف صاحب بغداد فى زماننا(٨) وهى:

" المقر الكريم العالى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المجاهدى، المؤيدى، الغـوثى، الغيـاثى، الزعيمى، المرابطى، المثاغرى، الممهدى، المشيدى، الظهيرى ...... (٩)، عز الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء فى العالمين، مقدم العساكر، ممهد الدول، مشيد الممالك، زعيم الجيوش الموحـدين، عون الأمة، غياث الملة، ظهير الملوك والسلاطين، عضد[١٦٨ ب] أمير المؤمنين ".

---

(١) التعريف، ص٥٧؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٢) كرمينان: صبح، نفسه؛ كرمدان: ضوء، نفسه.

(٣) ساقطة من صبح وأضافها محققوه عن ضوء، ج٦، ص١٢٧ هـ١.

(٤) ساقطة من صبح وأضافها محققوه من ضوء، ج٦، ص١٢٧ هـ١.

(٥) المنصورى: صبح، ج٦ص١٢٧؛ ضوء، نفسه.

(٦) نصير: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٧) صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٨) إسكندر بن قرا يوسف بن قرا محمد بن بيرم بن خجا التركمانى، ملك تبريز، ملك البلاد بعد موت أبيه قرا يوسف فى سنة ٨٢٣ هـ ودام فى حكمها مدة طويلة وخربت البلاد فى أيامه، قتله ابنه شاه قوماط عام ٨٤١ هـ بقلعة النجا من أعمال تبريز. انظر: المقريزى: درر العقود، ج٢، ص٤٧٤ ـ ٤٧٨، ت رقم ٢٧١؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٢، ص٣٧٣ ـ ٣٧٤، ت رقم ٤١٨؛ السخاوى: السابق، ج٢، ص٢٨٠، ت رقم ٨٨٥.

(٩) بياض فى الأصل.

وكما كتب لمراد بك بن عثمان [١] صاحب برصا وبلاد الروم على ما استقر عليه الحال وهى كالألقاب المتقدمة لإسكندر من غير زيادة ولا نقص. وكما كتب لصاحب ماردين وهى " المقر الكريم، العالى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الأوحدى، الملكى، الفلانى. ودونه كما كتب لصاحب مالى والتكرور وهى:

" المقر العالى، السلطان [٢]، الجليل، الكبير، العالم، العادل، المجاهد، المؤيد، الأوحد، عز الإسلام، شرف ملوك الأنام، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، جمال الملوك والسلاطين، سيف الخلافة، ظهير الإمامة، عضد أمير المؤمنين ".

الطبقة الثالثة: ما يصدر بالجناب، وأعلاها " الجناب الكريم "، كما كتب لملك التكرور على ما ذكره فى التثقيف وهى:

" الجناب الكريم [٣] العالى، الملك، الجليل، العالم، العادل، المجاهد، المؤيد، المثاغر، المرابط، العابد، الخاشع، الناسك، الأوحد _ فلان _ ذخر الإسلام والمسلمين، نصرة الغزاة والمجاهدين، زعيم [٤] جيوش الموحدين، ركن الملة [٥]، عماد الملة [٦]، جمال الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين ".

وكما كتب لملكى البرنو والكانم فى ما ذكره فى التعريف وهى:

(١) هو مراد بك بن أبى الفتح محمد بن بايزيد بن مراد بن أرخان بن عثمان الملقب غياث الدين كرشجى، تولى الحكم بعد أبيه عام ٨٢٤ هـ، وكان ذا علاقة طيبة بسلاطين مصر. توفى عام ٨٥٥ هـ. السخاوى: الضوء، ج١٠، ص١٥٢، ت رقم ٦٠٤؛ يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سليمان، استنبول ١٩٨٨، ص١٢٠؛ محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقى، بيروت ب. ت، ص١٥٣.

(٢) الصواب: السلطانى، صبح، ج٦، ص١٢٧؛ ضوء، ص٣٧١.

(٣) التثقيف، ص ٢٥؛ صبح، نفسه؛ ضوء، ص٣٧٢.

(٤) عون: التثقيف، نفسه.

(٥) الصواب: الأمة، التثقيف، نفسه.

(٦) التثقيف: نفسه؛ وساقطة أيضاً من صبح، وضوء.

" الجناب الكريم، العالى، الملك، الجليل، الكبير، العالم، العادل، الغازى، المجاهد [١]، الهمام، الأوحد، المظفر، المنصور، _ فلان الدين _ عز الإسلام، شرف ملوك الأنام، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، جمال الملوك والسلاطين، سيف الخلافة، ظهير الإمامة، عضد أمير المؤمنين ".

وكما كتب لصاحب حصن كيفا حين ارتفعت مكانته عن " المجلس " [٢] وهى:

" الجناب العالى، الكبيرى، المجاهدى، المؤيدى، المرابطى، المثاغرى، الأوحدى، الفلانى الفلانى _ بلقبى الملك، والتعريف _ عز الإسلام والمسلمين، زعيم جيوش الموحدين، ذخر الملة، سليل الملوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين ".

الطبقة الرابعة: ألقاب المجلس العالى، كما كتب لصاحب حصن كيفا قديماً على ما ذكره فى التعريف وهى:

" المجلس العالى، الملكى، الفلانى، الأجلى، العالمى، العادلى، المجاهدى، المؤيدى، المرابطى، المثاغرى، الأوحدى، الأصيلى _ الفلانى [١٦٩ أ] بلقب التعريف _ عز الإسلام والمسلمين، بقية الملوك والسلاطين، نصير الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، شرف الدولة [٣]، ذخر الممالك، خليل أمير المؤمنين أو عضد أمير المؤمنين ".

ودونه " المجلس السامى " بغير ياء كألقاب صاحب دنقلة إذا كان مسلماً فيما ذكره فى التعريف وهى:

" المجلس الجليل الكبير [٤] الغازى، المجاهد، المؤيد، الأوحد، العضد، فلان الدين، مجد الإسلام، زين الأنام، فخر المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين ". ولم يذكر فيها " السامى " ولا " الملكى ".

---

(١) التعريف كالثغر، وفى صبح، ضوء تمت إضافة: الإمام.

(٢) يذكرها القلقشندي مع ألقاب " المجلس "، وكان هذا الارتفاع فى الكتابة لصاحب حصن كيفا تمت بعد زمنه.

(٣) الدول: التعريف، ص ٥٢؛ صبح، ج٦، ص١٢٨؛ ضوء، ص٣٧٢.

(٤) التعريف، ص ٤٨؛ ضوء، ص٣٧٢.

أما ما يصدر بالألقاب الدينية فيختلف الحال فيه باختلاف الممالك [أما ما يصدر بالألقاب المؤنثة كالحضرة، فيختلف الحال فيه باختلاف الممالك] [١]، فألقاب القان بها على ما كان الحال عليه فى أيام السلطان أبو سعيد [٢] وما قبله فهى: " الحضرة الشريفة العالية السلطانية، الأعظمية، الشاهنشاهية، الأوحدية، القانية ". قال فى التعريف: ومجردها عن [٣] الملكية لهوانها عندهم. قال فى التثقيف: وكان يكتب إلى القان أزبك [٤] فى أيام الناصر محمد بن قلاوون:

" الحضرة الشريفة العالية، حضرة السلطان الكبير، الأخ، الشقيق، العالم، العادل، القان، المعظم، الأوحد شاهنشاه الملك أزبك [أل خان] [٥]، سلطان الإسلام والمسلمين، أوحد الملوك والسلاطين، عماد الملك، سلطان المغل والقبجاق والترك، جمال ملوك الزمان، ركن بيت جنكزخان، معز طمغاج، صاحب التخت والتاج، عضد المتقين، ذخر المؤمنين ".

وكما كتب إلى جانى بك بن أزبك [٦] فى سنة خمس وخمسين وسبعمائة وهى:

" الحضرة الشريفة العالية، السلطانية، الأعظمية، العالمية، العادلية، الأكملية، القانية، الأخوية، العزيزية، الملكية، الشرفية ".

وكما كتب إلى صاحب تونس فيما ذكره فى التعريف وهى:

" الحضرة الشريفة العلية، السنية، السرية، العالمية، العادلية، الكاملية، الأوحدية، حضرة الإمارة العدوية، ومكان الإمامة القرشية، وبقية السلالة الطاهرة الزكية، حضرة أمير المسلمين، وزعيم الموحدين، والقائم فى مصالح الدنيا والدين، السلطان الكبير [١٦٩ ب] المجاهد،

---

(١) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، ضوء، نفسه.

(٢) السلطان أبو سعيد بن غازان سلطان دولة المغول الإيلخانيين ببلاد فارس بالمشرق الإسلامي. فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٢٨٩.

(٣) من غير أن يخلط فيها: التعريف، ص ٦٧؛ ولا يخلط: ضوء، نفسه.

(٤) القان أزبك خان: هو ملك بيت بركة أو مملكة دشت القبجاق، وقد تزوج السلطان الناصر محمد بن قلاوون ابنته. انظر: ابن حجر: الدرر، ج٢، ص٥.

(٥) ما بين الحاصرتين من، التثقيف: ص ١٢.

(٦) جانى بك بن أزبك: تولى الحكم فى دشت القبجاق من عام ٧٤١ إلى عام ٧٥٨ هـ. زمباور: معجم الأسرات الحاكمة، ص٣٦٣.

المرابط، المؤيد، المثاغر، المظفر، المنصور، الأوحد، المتوكل على ربه، والمجاهد فى حبه، والمناضل عن الإسلام بحربه [١] فلان ".

النوع الثالث

الألقاب العامة لسائر الطوائف

وهى على ثمانية أصناف:-

الصنف الأول

ألقاب أرباب السيوف

وهى على خمس درجات:-

الدرجة الأولى: درجة المقر [٢]، ومثالها على ما أورده فى التثقيف:

" المقر الكريم العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الغوثى، الغياثى، الزعيمى، المرابطى، المثاغرى [٣]، الأوحدى، الممهدى، المشيدى، الظهرى، الفلانى، عز الإسلام والمسلمين، سيد أمراء العالمين [٤]، ناصر الغزاة، ذخر المجاهدين، ملجأ الفقراء والمساكين، زعيم جيوش الموحدين، أتابك العساكر، ممهد الدول، مشيد الممالك، غياث الملة، عون الأمة، ظهير الملوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين "، فإن كان أخاً أو ولداً أو قريباً زيد فى الألقاب " الولدى أو الأخوى أو القريبى "، وفى النعوت للأخ " شقيق الملوك والسلاطين "، وللولد "سليل الملوك والسلاطين " أو " نجل الملوك والسلاطين "، وللقرابة " قريب الملوك والسلاطين "

الدرجة الثانية: درجة الجناب، وهى على مرتبتين :

المرتبة الأولى: مرتبة الجناب الكريم، ومثالها على ما أورده فى التثقيف:

---

(١) بذبه: التعريف، ص ٤٢.

(٢) جعلها القلقشندي على ثلاث مراتب " المقر الشريف، المقر الكريم، المقر العالى " صبح، ج٦، ص١٣٠ ــ ١٣١.

(٣) الزعيمى، العونى، الغياثى، المثاغرى، المرابطى: التثقيف، ص ٨٨؛ صبح، ج٦، ص١٣٠.

(٤) فى جميع نسخ التثقيف كالثغر، ولكن محقق التثقيف عدلها كما هى موجودة عند القلقشندي " سيد الأمراء فى العالمين "، التثقيف، ص ٨٨ هـ ٥.

" الجناب الكريم العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، العونى، الزعيمى، المرابطى، المثاغرى [١]، الممهدى، المشيدى، الظهيرى، [الكافلى] [٢] الفلانى، عز [٣] الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء[٤] فى العالمين، نصرة [٥] الغزاة والمجاهدين، زعيم الجيــوش [٦] مقــدم العساكر، ممهد الدول، مشيد الممالك، عماد الملة، عون الأمة [٧]، ظهير الملــوك والســلاطين، سيف [٨] أمير المؤمنين ".

المرتبة الثانية: مرتبة الجناب العالى، وهى " الجناب العالى، الأميرى، الكبيرى "، وتــأتى بقية الألقاب المتقدمة إذا كانت المكاتبة مفتتحة " يضاعف "، فإن كانت مفتتحة بــــ " أدام " كتب:

" الجناب العالى، الأميرى، الكبير، العالمى، العادلى، المؤيــدى، الأوحــدى، المجاهــدى، الهمامى، العضدى، الظهيرى، النصيرى، [٩] الفلانى، عز الإسلام والمســلمين، ســيد الأمــراء [١٧٠ أ] فى العالمين [١٠]، نصرة الغزاة والمجاهدين، مقدم العساكر، عون الأمة، ذخر الدولــة، ظهير الملوك والسلاطين، حسام أمير المؤمنين ".

الدرجة الثالثة: المجلس، وفيها ثلاث مراتب:-

المرتبة الأولى: المجلس العالى إذا افتتحت بالدعاء [١١] وهى:

---

(١) الزعيمى، العونى، الغياثى، المثاغرى، المرابطى:التثقيف، ص ٨٩؛ صبح، ج٦، ص١٣٤.

(٢) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ ضوء، ص٣٧٤.

(٣) مؤيد: صبح، السابق.

(٤) أمراء: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه؛ التثقيف كالثغر، نفسه.

(٥) ناصر: صبح نفسه، نفسه؛ ضوء، نفسه؛ التثقيف كالثغر، نفسه.

(٦) جيوش الموحدين: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٧) التثقيف كالثغر، نفسه؛ وفى صبح زاد من بعدها " كافل السلطنة "، نفسه.

(٨) عضد: صبح، نفسه؛ والتثقيف كالثغر، نفسه.

(٩) النصيرى، العونى، الهمامى، المقدمى، الظهيرى: التثقيف، ص٩٥؛ صبح، ج٦، ص١٣٧؛ ضوء، ص٣٧١.

(١٠) لقد غيرها محقق التثقيف على غير أساس إذ أنها فى نسخ التثقيف، صبح، ضوء كالثغر، انظر: التثقيف، ص٩٥ هــ١.

(١١) أتى القلقشندي بهذه الألقاب مع " المجلس العالى وصدرت ". انظر: صبح، ج٦ ص١٣٩ــ ١٤٠.

" المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، المجاهدى، المؤيدى [العونى] [١] الأوحدى، النصيرى، الهمامى، المقدمى، الظهيرى، الفلانى، عز الإسلام والمسلمين، شرف [٢] الأمراء المقدمين، نصرة الغزاة والمجاهدين، مقدم العساكر، كهف الملة، ذخر الدولة، ظهير الملوك والسلاطين، حسام أمير المؤمنين ".

ويزاد فى ألقاب الخواجية والخدام الكبار " المؤتمنى "، و" مؤتمن الملوك والسلاطين ".

وعلى ما أورده فى التثقيف فى ألقاب أميرى مكة والمدينة النبوية:

" المجلس العالى، الأميرى [٣] الكبيرى، الشريفى، الحسيبى، النسيبى، العالمى، المجاهدى، المقدمى [٤]، الأوحدى، النصيرى، العونى، الهمامى، الأصيلى، العريقى، الظهيرى [٥]، الفلانى، عز الإسلام والمسلمين، سيد [٦] الأمراء الأشراف فى العالمين، نصرة الغزاة والمجاهدين، كهف الملة، عون الأمة، فخر السلالة الزاهرة، زين العترة الطاهرة، بهاء العصابة العلوية، جمال الطائفة الهاشمية، كهف [٧] الملوك والسلاطين، نسيب أمير المؤمنين ".

وعلى ما أورده فى ألقاب أمير آل فضل، ويعبر عنه بـ " أمير الملأ ":

" المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، المجاهدى، المؤيدى، الأوحدى، النصيرى، العونى، الهمامى، المقدمى، الأصيلى، الظهيرى [٨]، الفلانى، عز الإسلام والمسلمين، شرف أمراء [٩] العربان فى العالمين، نصرة الغزاة والمجاهدين، مقدم العساكر، كهف الملة، ذخر الدولة، عماد العرب، ظهير الملوك والسلاطين، حسام أمير المؤمنين ".

المرتبة الثانية: المجلس العالى، إذا افتتح بالإصدار، وهى:

---

(١) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص٩٥؛ ضوء، ص٣٧٥.

(٢) سيد: فى إحدى نسخ التثقيف، ض٩٥ هـ٨.

(٣) ساقطة من ضوء، نفسه.

(٤) المؤيدى: التثقيف، ص١٢٦.

(٥) الظهيرى، الأصيلى، العريقى، الشهابى: صبح، ج٦، ص١٤٠.

(٦) شرف: التثقيف، نفسه؛ صبح،نفسه؛ وفى إحدى نسخ التثقيف كالثغر، ص١٢٦هـ٥.

(٧) ظهير: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٨) الظهيرى، الأصيلى، السيفى: التثقيف، نفسه؛ الظهيرى الأصيلى: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٩) الأمراء: صبح، نفسه؛ ضوء كالثغر، نفسه.

" المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، المجاهدى، المؤيدى، الأوحدى، العضدى، الذخرى، النصيرى، الهمامى، المقدمى، الظهيرى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأمراء المقدمين، ركن الغزاة والمجاهدين [١٧٠ ب]، عضد الملوك والسلاطين ".

المرتبة الثالثة: المجلس السامى، وهى على ضربين:-

الضرب الأول: المجلس السامى بياء النسب، وهى:

" المجلس السامى، الأميرى، الكبيرى، الذخرى، النصيرى، الأوحدى، المجاهدى [١] المؤيدى، الفلانى، مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الأمراء، زين [٢] المجاهدين، عضد الملوك والسلاطين ".

ولأمير آل مرا:

" المجلس السامى، الأميرى، الكبيرى، المجاهدى، المؤيدى، العضدى، الذخرى، النصيرى، الأوحدى، الأصيلى، العريقى، الفلانى، مجد الإسلام، بهاء الأنام [٣]، شرف القبائل، زين العشائر[٤]، ملاذ العرب، عضد الملوك والسلاطين ".

وعلى ما أورده القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى بعض دساتيره فى ألقاب بعض الأشراف:

" المجلس السامى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، المجاهدى، المؤيدى، الشريفى، الحسيبى، النسيبى، الذخرى، النصيرى، الأوحدى، الأجلى [٥] الفلانى، عز الإسلام، زين الأنام، نسيب الإمام، شرف الأمراء، نقيب النقباء، جمال العترة الطاهرة، جلال الأسرة الزاهرة، ذخر الغزاة والمجاهدين، ظهير الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين ".

الضرب الثانى: المجلس السامى إذا جردت عن ياء النسب وهى:

---

(١) ساقطة من ضوء، ص٣٧٥.

(٢) أوحد:ضوء، نفسه.

(٣) ساقطة من ضوء، نفسه.

(٤) شرف الأمراء، زين القبائل، فخر العشائر: صبح، ج٦، ص١٤٢؛ ضوء، نفسه.

(٥) الأصيلى: صبح، ج٦، ص١٤١؛ ضوء، ص٣٧٦.

" المجلس السامي، الأثير [١]، الأجل، الكبير، الغازى، المجاهد، المؤيد، الأكمل، الأوحد، المرتضى، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الأمراء، زين المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين ".

ورأيت فى بعض الدساتير ألقاب بعض نقباء الأشراف:

" المجلس السامي، الشريف، الحسيب، النسيب، العالم، العامل، الورع، الكامل، الفاضل، الأوحد، النسابة، فلان الدين، جمال الإسلام، زين الأنام، فخر السادة الأشراف، ذخر الأسرة العلوية، جمال العصابة الفاطمية،رأس الدولة الهاشمية، أوحد الرؤساء، رئيس الفضلاء، زين النقباء، شرف العلماء، مجد العترة الطاهرة، واسطة السلالة الزاهرة، خالصة الملوك والسلاطين، نسيب أمير المؤمنين ".

وألقاب النائب بالينبع:

" المجلس السامي، الأمير، الأجل، المجاهد، المؤيد، الشريف، الحسيب، النسيب، مجد [١٧١ أ] الإسلام، بهاء الأنام، زين العترة، فخر الأسرة، جمال الذرية، فرع [٢] الشجرة الزكية، عمدة الملوك والسلاطين ".

وعلى ما أورده فى التعريف [٣] فى ألقاب أكابر عربان آل فضل:

" المجلس السامي، الأمير، الأجل، الكبير، الغازى، المجاهد، المؤيد، الأوحد، الأصيل، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، فخر القبائل، زين العشائر، عماد الملوك والسلاطين ".

الدرجة الرابعة: درجة مجلس الأمير، وهى " مجلس الأمير، الأجل، الكبير، الغازى، المجاهد، المؤيد، الأوحد، المرتضى، فلان الدين، فخر الأمراء، زين المجاهدين، مرتضى الملوك والسلاطين ".

الدرجة الخامسة: درجة الأمير الأجل، وتكون مجردة عن المضاف وهى " الأمير الأجل، الكبير، الغازى، فلان الدين ".

---

(١) الأمير: التثقيف، ص١٢٨؛ صبح، ج٦، ص١٤٣؛ ضوء، ص٢٧٢.

(٢) فخر: صبح، ج٦، ص١٤٤؛ ضوء، ص٣٧٦.

(٣) أتى به القلقشندي من التثقيف، ج٦، ص١٤٤؛ ضوء، ص٣٧٦.

الصنف الثانى

ألقاب أرباب الوظائف الدينية

وهى على خمس درجات:-

الدرجة الأولى [١]: درجة الجناب، وهى على مرتبتين [٢]:

المرتبة الأولى: مرتبة الجناب الكريم، وهى:

" الجناب الكريم، العالى، القاضوى، الشيخى، الكبيرى، العالمى، العـاملى، الأكملـى، الأفضلى، الأوحدى، الفريدى، المقتدى، النجيدى، العلامى، الحجـى، المحققـى، العابـدى، الخاشعى، الناسكى، الإمامى، الأصيلى، العريقى، البليغى، الـورعى، الزاهـدى، العابـدى، الحاكمى، الفلانى، حجة الإسلام والمسلمين، قدوة العلماء العاملين، سيد الرؤساء فى العـالمين، عمدة المحققين، فخر المدرسين، مفتى المسلمين، جلال الحكام، مقر السنة، مؤيد الملـة، شمـس الشريعة، خطيب الخطباء [٣] إمام البلغاء، نجل الأئمة المحققين، سليل الحكام المرشدين، رئـيس الأصحاب المتكلمين، حكم الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين ".

المرتبة الثانية: مرتبة الجناب العالى، وهى:

" الجناب العالى، القاضوى، الشيخى، الكبيرى، العالمى، العاملى، الأفضلى، الأكملـى، الأوحدى، البليغى، الفريدى، المفيدى، النجيدى، العلامى، المحققى، الحجى، الورعى، الزاهدى، الأصيلى، العريقى، البليغى، الحاكمى، الفلانى، جمال الإسلام والمسلمين، شرف العلماء العاملين، أوحد الفضلاء المفيدين، قدوة البلغاء، حجة الأمة، عمدة المحققين، فخـر المدرسـين، مفـتى المسلمين، جلال الحكام، بركة الدولة، معز السنة، مؤيد الملة، شمس الشريعة، رئيس الأصحاب، لسان [١٧١ ب] المتكلمين، خالصة الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين ".

---

(١) الدرجة الأولى عند القلقشندي درجة " المقر "، ولعل صاحب الثغر أسقطها لكونها غير مستعملة كما ذكر ذلك أيضاً القلقشندي. انظر صبح، ج٦، ص١٥٤؛ ضوء، ص٣٧٧.

(٢) هى على ثلاث مراتب عند القلقشندي، صبح، ج٦، ص١٥٦؛ ضوء، نفسه

(٣) فى هامش صفحة المخطوط " خطيب الخطباء من الألقاب المختصة بقاضى القضاة الشافعى بالديار المصرية".

الدرجة الثانية: درجة المجلس العالى، ومثالها على ما أورده فى التثقيف فى ألقاب القضاة الثلاثة [الحنفى، والمالكى، والحنبلى] (١) بالديار المصرية، وهى:

" المجلس العالى، القاضوى، الكبيرى، العالمى، العاملى، الأفضلى، الأكملى، الأوحدى، البليغى، الفريدى، المفيدى، النجيدى، القدوى، الحجى، المحققى، الإمامى، الأصيلى، العريقى، الحاكمى، الفلانى، جمال الإسلام والمسلمين، سيد العلماء العاملين، أوحد الفضلاء المفيدين، قدوة البلغاء، حجة الأمة، عمدة المحدثين، فخر المدرسين، مفتى المسلمين، جلال الحكام، حكم الملوك والسلاطين ".

وعلى ما رأيته فى بعض الدساتير وهى:

" المجلس العالى، القضائى، الأصيلى، الإمامى، الصدرى، الرئيسى، الفقيهى، العالمى، العلامى، الأفضلى، الأكملى، الأوحدى، الحاكمى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، فخر العلماء العاملين، تاج الحكام المرشدين، جمال الأمة، أوحد الأئمة، خالصة الملوك والسلاطين ".

الدرجة الثالثة: درجة المجلس السامى، وهى على مرتبتين:-

المرتبة الأولى: مرتبة السامى بالياء، ولم يذكر لها فى التثقيف مثالاً، ومثالها على ما رأيته فى بعض الدساتير وهى:

" المجلس السامى، القضائى، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الرئيسى، البليغى، المفيدى، القدوى، الأثيرى، الحاكمى، الفلانى، مجد الإسلام، بهاء الأنام، جمال العلماء، أوحد الفضلاء، شرف النبلاء، صفوة الملوك والسلاطين ".

المرتبة الثانية: مرتبة السامى بغير ياء، وهى:

" المجلس السامى، القاضى، الأجل، الكبير، الصدر، الرئيس، العالم، الفاضل، الكامل، الأثير، البارع، الأوحد، فلان الدين، مجد الصدور، زين الأعيان، أوحد المعتبرين، مرتضى الملوك والسلاطين ". وعلى ما رأيته فى بعض التواقيع (٢) وهى " المجلس السامى، القاضى، الأجل، الكبير، العالم، الفاضل، الكامل، الأوحد، الأثير، البارع، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، فخر الصدور، زين الأعيان، مرتضى الدولة، صفوة الملوك والسلاطين ".

---

(١) ما بين الحاصرتين من، ضوء، ص٣٧٨.

(٢) ذكر القلقشندي ذلك منسوباً إلى عرف التعريف، ضوء، ص٣٧٩.

الدرجة الرابعة: درجة مجلس القاضى، ومثالها على ما رأيته فى بعض الدساتير وهى:

" مجلس القاضى، الأجل، الكبير، العالم، الفاضل، الأوحد، الكامل، الصدر [١٧٢ أ] الرئيس، فلان الدين، مجد الرؤساء، زين الأعيان، فخر الصدور، أوحد المعتبرين، مرتضى الملوك والسلاطين ".

الدرجة الخامسة: درجة القاضى، وهى مجردة عن النعوت، وهى " القاضى الأجل، الكبير، الصدر، الرئيس، المحترم، فلان الدين ".

الصنف الثالث

ألقاب أرباب الوظائف الديوانية

وهى على خمس درجات:-

الدرجة الأولى: درجة الجناب، وهى على مرتبتين [١]:-

المرتبة الأولى: مرتبة الجناب الكريم، وهى على مهيعين:-

المهيع الأول: ألقاب كاتم السر بالأبواب الشريفة، وهى:

" الجناب الكريم، العالى، القاضوى، الأجلى، الكبيرى، العالمى، العادلى، العاملى، العلامى، الإمامى، الأوحدى، القدوى، الفريدى، المفيدى، المجيدى، البليغى، الأثيرى، الأثيلى، القوامى، النظامى، المفوهى، الأصيلى، العريقى، السندى، العونى، المتصرفى، المسددى، المنفذى، الملاذى، اليمينى، السفيرى، الرئيسى، الإمامى، المشيرى، الفلانى، صلاح الإسلام والمسلمين، سيد الرؤساء فى العالمين، قدوة البلغاء العارفين، أوحد العلماء المتقين، كبير الأدباء، كهف الفقراء، حجة الأئمة، ملجأ القاصدين، ملاذ الكتاب، بقية الأصحاب، لسان المملكة، سفير السلطنة، مدبر الدول، عين الملك، مشير السلاطين، ولى أمير المؤمنين ". فإن كان بارعاً فى العلوم زيد فى ألقابه " المحققى، الحجى " ونحوه، وفى نعوته " مفيد الطالبين، لسان المتكلمين، حجة العارفين" ونحو ذلك، وفى تعريفه ينسب إلى مذهبه.

وكتب زيادة فى ألقاب السيد الشريف شهاب الدين الحسينى [٢] فى عام ثلاث وثلاثين وثمانمائة:

---

(١) ثلاث مراتب: صبح، ج٦، ص١٤٨؛ ضوء، ص٣٨٠.

(٢) انظر عن كاتب السر شهاب الدين الحسينى، المقدمة ص٧٩.

" الشريفى، الحسيبى، النسيبى، طراز العصابة العلوية، فخر السلالة الهاشمية، فرع الشجرة الزكية، زين الأسرة الطاهرة، جمال الذرية الزاهرة ".

وكان يكتب له الجناب العالى على ما رأيته فى بعض الدساتير، وهى:

" الجناب العالى، القاضوى، الكبيرى، العالمى، العادلى، البارعى، الكاملى، الماجدى، القوامى، النظامى، الأصيلى، العريقى، البليغى، الرئيسى، النجيدى، الأثيرى، الأوحدى، السفيرى، اليمينى، المشيرى، الفلانى، جلال الإسلام والمسلمين، أوحد الرؤساء فى العالمين، رئيس الأصحاب، كبير الكتاب، تاج المنشئين، قدوة المتصرفين، خالصة الملوك [١٧٢ ب] والسلاطين، ولى أمير المؤمنين ".

المهيع الثانى: ألقاب الوزراء أرباب الأقلام، وهى:

" الجناب الكريم، العالى، الصاحبى، الكبيرى، العالمى، العادلى، الأكملى، الأفضلى، العارفى، المتصرفى، الرئيسى، الأصيلى، العريقى، الأثيلى، الأثيرى، القوامى، النظامى، الممهدى، العونى، المنفذى، المسددى، المشيرى، الوزيرى، الفلانى، جلال الإسلام والمسلمين، سيد الرؤساء فى العالمين، رأس الأعيان، عين الزمان، قوام الدول، نظام الملك، معتمد المصالح، مفيد المناجح[١]، قدوة الكتاب، جمال ذوى الألباب، رئيس الكبراء، أكبر الرؤساء، مدبر الدول، مشير الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين ".

قلت لو كتب " حفيظ الملوك والسلاطين " لكان أولى إقتداء بما ورد فى التنزيل عن سيدنا يوسف صلوات الله وسلامه عليه حيث قال ﴿ ٱجعَلنِى عَلَى خَزَآئِنِ ٱلأَرضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[٢].

وكان يكتب له " الجناب العالى " على ما أورده فى التثقيف وهى:

---

(١) مفيد المناجح، تعنى القائم والمنفذ للعمل الناجح.

(٢) يوسف، الآية ٥٥.

" الجناب العالى، الكبيرى، الصاحبى [١]، العالمى، العادلى، الأكملى، الأوحدى [٢]، القوامى، النظامى، الأثيرى، البليغى، [المفيدى، المتصرفى][٣] الممهدى، العونى، المدبرى، المشيرى، الوزيرى، الفلانى، صلاح الإسلام والمسلمين، سيد الوزراء فى العالمين، رئيس الكبراء، كبير الرؤساء، أوحد الأصحاب، ملاذ الكتاب، قوام الدول، نظام الملك، مفيد المناجح، معتمد المصالح، مرتب الجيوش، عماد الملة، عون الأمة، مشير الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين ".

وكتب فى زماننا ألقاب المقر الأشرف الزينى عبد الباسط [٤] وهو ناظر الجيش، وهى:

" الجناب الكريم، العالى، القاضوى، الكبيرى، العالمى، العادلى، الأكملى، الأفضلى، الرئيسى، الأصيلى، العريقى، البليغى، الأثيرى، الأثيلى، المفوهى، المسددى، المنفذى، الممهدى، الفريدى، النجيدى، القوامى، النظامى، الأوحدى، الزينى، جلال الإسلام والمسلمين، سيد الرؤساء فى العالمين، قدوة الكتاب، رئيس الأصحاب، إمام البلغاء، عين الأعيان، فريد الزمان، مرتب العساكر، مدبر الجيوش، خالصة الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين ".

الدرجة الثانية: درجة المجلس العالى، ومثالها على ما أورده فى التثقيف [١٧٣ أ] فى ألقاب كاتم السر قديماً وهى:

" المجلس العالى، القاضوى، الكبيرى، العالمى، العادلى، العلامى، الأفضلى، الأكملى، البليغى، المسددى، المشيدى، المنفذى العونى[٥]، السفيرى اليمينى[٦] الأصيلى، العريقى، المشيرى،

---

(١) الصاحبى الكبيرى: التثقيف، ص١٩٦؛ صبح، ج٦، ص١٤٩؛ ضوء، ص٣٨٠.

(٢) الأوحدى الأكملى: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٣) المنفذى، المسددى، المتصرفى: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٤) هو القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم، ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية، وهو دمشقى الأصل والمولد والمنشأ مصرى الدار والوفاة، بدأ حياته بدمشق وأتصل بالمؤيد شيخ وعاد معه إلى القاهرة وولاه وظيفة ناظر الخزانة الشريفة، وتولى فى عهد الظاهر ططر نظر الجيش، وظل بها خلال عهد الأشرف برسباى، ثم عزله الظاهر جقمق ونفاه إلى مكة ثم عاد إلى دمشق ثم إلى القاهرة وتوفى بها عام ٨٥٤ هـ. انظر: ابن تغرى بردى: المنهل، ج٧، ص١٣٦–١٤٣ ت رقم١٣٥٨.

(٥) المسددى، المنفذى، الممهدى، المشيدى، العونى: التثقيف، ص١٣٢؛ المنفذى، المشيدى: صبح، ج٦، ص١٥٠؛ ضوء، ص٣٨١.

(٦) المشيرى، اليمينى، السفيرى: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

الفلانى، صلاح الإسلام والمسلمين، سيد الرؤساء فى العالمين، قدوة العلماء العاملين، جمال البلغاء، أوحد الفضلاء، جلال الأصحاب، كهف الكتاب، يمين المملكة، لسان السلطنة، سفير الأمة، سليل الأكابر، مشير الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين ".

وما أورده أيضاً فى ألقاب ناظر الخاص:

" المجلس العالى، القاضوى، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الأوحدى، الأكملى، الرئيسى، البليغى، البارعى، القوامى، النظامى، الماجدى، الأثيرى [(١)] المنفذى، المتصرفى، المسددى [(٢)] الفلانى، جمال الإسلام والمسلمين، سيد الرؤساء فى العالمين، قوام المصالح، نظام المناجح، جلال الأكابر، قدوة الكتاب، رئيس الأصحاب، عماد الملة، صفوة الدولة، خالصة الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين ".

أما فى زماننا فإن ألقابه " الجناب العالى ".

وما أورده فى التثقيف فى ألقاب وزير الشام إذا صرح له بالوزارة على ما كان عليه الأمر قديماً وهى:

" المجلس العالى، الصاحبى، الوزيرى، [الأجلى] [(٣)]، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الأوحدى، الأصيلى، العريقى [(٤)] القوامى، النظامى، الماجدى، الأثيرى، المشيرى،الفلانى، صلاح الإسلام والمسلمين، سيد الوزراء فى العالمين، رئيس الكبراء، كبير الرؤساء، بقية الأصحاب، ملاذ الكتاب، عماد الملة، خالصة الدولة، مشير الملوك والسلاطين، خالصة أمير المؤمنين ".

وما أورده فى ألقابه إذا لم يصرح له بالوزارة بل كان ناظر النظار بالمملكة الشامية فهى:

" المجلس العالى، القضائى، الكبيرى، العالمى، العاملى، الكاملى [(٥)]، الأوحدى، الرئيسى،

---

(١) الأميرى:صبح، ج٦، ص١٥١.

(٢) المنفذى، المسددى، المتصرفى: التثقيف، ص ١٣٣؛ صبح، نفسه؛ ضوء، ص٣٨١.

(٣) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص١٣٤؛ الأصيلى: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٤) ساقطة من التثقيف، ص١٣٥؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٥) ساقطة من صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

الأثيرى، القوامى، [النظامى] [١]، المنفذى، المتصرفى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الرؤساء [٢] فى العالمين، أوحد الفضلاء، جلال الكبراء، حجة الكتاب، صفوة الملوك والسلاطين، خالصة أمير المؤمنين ".

الدرجة الثالثة: درجة المجلس السامى، وهى على مرتبتين:-

المرتبة الأولى: مرتبة المجلس السامى بالياء، ولم يذكرها فى التثقيف مثالاً، ومثالها على ما رأيته فى بعض [١٧٣ ب] الدساتير وهى:

" المجلس السامى، القضائى، الأجلى، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الكافلى، الرئيسى، الأوحدى، الأصيلى، الأثيرى، البليغى[٣] الفلانى، مجد الإسلام، شرف الرؤساء، فخر الأنام، زين البلغاء، جمال الفضلاء، أوحد الكتاب، فخر الحُساب، صفوة الملوك والسلاطين ".

وعلى ما رأيته فى بعض التواقيع وهى:

" المجلس السامى، القضائى، الأجلى، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الكاملى، البليغى، الرئيسى، الأصيلى، العريقى، المنشئ، الفلانى، مجد الإسلام، شرف الرؤساء، أوحد الكتاب، جمال البلغاء، مرتضى الملوك والسلاطين ".

المرتبة الثانية: مرتبة المجلس السامى بغير ياء، ومثالها على ما هو مذكوراً فى " التذكرة الآمدية " فى توقيع بكتابة درج وهى:

" المجلس السامى، القاضى، الأجل، الكبير، الصدر، الرئيسى، الأوحد، البارع،[الكامل][٤]، الأصيل، الفاضل، فلان الدين، جمال الإسلام، بهاء الأنام، شرف الأكابر، زين الرؤساء، أوحد الفضلاء، فخر [٥] الكتاب، صفوة الملوك والسلاطين ".

الدرجة الرابعة: درجة مجلس القاضى، ومثالها ما رأيته فى بعض التواقيع وهى:

---

(١) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص١٣٤؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٢) الأمراء: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٣) ساقطة من ضوء، ص٣٨٢.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج٦، ص١٥٣؛ ضوء، نفسه.

(٥) زين: صبح، نفسه. ضوء كالثغر، نفسه.

" مجلس القاضى، الأجل، الكبير، الفاضل، الأوحد، الأثير، الرئيس، البليغ، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الرؤساء، زين الكتاب، مرتضى الملوك والسلاطين ".

الدرجة الخامسة: درجة القاضى الأجل، وهى:

" القاضى الأجل، الكبير، الصدر، الرئيس، الأكمل ". ونحو ذلك.

الصنف الرابع

ألقاب مشايخ الصوفية

وهى على ست [١] درجات:-

الدرجة الأولى: درجة الجناب [٢]، ومثالها على ما هو فى بعض التواقيع وهى:

" الجناب العالى، الشيخى، الإمامى، العالمى، العاملى، الفاضلى، الورعى، الزاهدى، العابدى، الناسكى، السالكى، الخاشعى، المسلكى، المحققى، المدققى، الربانى، الفلانى، صلاح الإسلام والمسلمين، جمال الأصفياء العاملين، خالصة الأنام، صفوة الأتقياء، قطب العباد، مرشد الزهاد، المسلك على الحقيقة، والمالك أزمة الطريقة، بقية السلف، وقدوة الخلف، مفيد الطالبين، أوحد المحققين، ركن الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين ". [١٧٤ أ]

الدرجة الثانية: درجة المجلس العالى، ومثالها على ما أورده فى التثقيف وهى:

" المجلس العالى، الشيخى، الكبيرى، العالمى، العاملى، السالكى، الأوحدى، الزاهدى، العابدى، الخاشعى، الناسكى، الورعى [٣] القدوى، المفيدى [٤]، الإمامى، النظامى، الملاذى، الفلانى، جمال [٥] الإسلام والمسلمين، شرف الصلحاء فى العالمين، شيخ شيوخ الإسلام، أوحد العلماء فى الأنام، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين ".

وعلى ما رأيته فى بعض الدساتير وهى:

---

(١) الصواب: خمس، طبقاً لترتيبه.

(٢) جعل القلقشندي كالعادة بداية الألقاب بـ " المقر ". صبح، ج٦، ص١٦١.

(٣) ساقطة من، صبح، ج٦، ص١٦٣؛ ضوء، ص٣٨٣.

(٤) المفيدى، القدوى: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٥) جلال:صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

" المجلس العالى، الشيخى، الأجلى، الإمامى، العالمى، العـاملى، الزاهـدى، العابـدى، الخاشعى، الناسكى، الورعى، القدوى، الفلانى، خيرة الإسلام، شرف الأنام، زين العباد، نـور الزهاد، ذخر الطالبين، كنز التقى، ملجأ المريدين، بركة الملوك والسلاطين ".

وفى بعض التواقيع:

" المجلس العالى، الشيخى، الكبيرى، العالمى، العاملى، الورعى، الزاهـدى، العابـدى، الناسكى، الخاشعى، المسلكى، المحققى، المدققى، الفلانى، صلاح الإسلام والمسـلمين، خالصـة الأنام فى العالمين، صفوة الأتقياء، قطب العباد، علم الزهاد، المسلك على الحقيقـة، المسـلك ملازمة الطريقة، سير السلف، وقدوة الخلف، ملاذ المريدين مفيد الطـالبين، بركـة الملـوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين ".

وعلى ما هى فى عرف التعريف:

" المجلس العالى، الشيخى، الإمامى، العالمى، العاملى، الفاضلى، الكـاملى، الزاهـدى، العابدى، الخاشعى، الناسكى، الورعى، المحققى، القدوى، المسلكى، العارفى، المدققى، الفريدى، المفيدى، الربانى، الفلانى، ضياء الإسلام والمسلمين، قدوة المشايخ الأعلام فى العـالمين، علـم الزهاد، حجة العباد، إمام الناسكين، مسلك المريدين، شيخ شيوخ العـارفين، بركـة الملـوك والسلاطين، صفى أمير المؤمنين ".

الدرجة الثالثة: درجة المجلس السامى، وهى على مرتبتين:-

المرتبة الأولى: المجلس السامى بالياء، ومثالها على ما أورده فى التثقيف وهى:

" المجلس السامى، الشيخى، الأجلى، العالمى، العاملى، الكاملى، الفاضلى، الزاهـدى، العابدى، الورعى [١]، الخاشعى، الناسكى، القدوى، الأوحـدى، الفـلانى، مجـد الإسلام، [١٧٤ب] بهاء [٢] الأنام، بقية السلف الكرام، فخر الصلحاء، أوحد الكبراء، زيـن الزهـاد، عماد العباد، قدوة المتورعين، ذخر الدول، ركن الملوك والسلاطين ".

وعلى ما ذكره المقر الشهابى ابن فضل الله فى توقيع:

---

(١) الورعى، العابدى: التثقيف، ص٦٩؛ صبح، ج٦، ص١٦٣؛ ضوء، ص٣٨٤.

(٢) ضياء: صبح، نفسه؛ ضوء كالثغر، نفسه.

" المجلس السامي، الشيخي [١] ، الإمامي، العالمي، العاملي، الخاشعي، الورعي، الناسكي، السالكي، العارفي، القدوي، البليغي، الأصيلي، الفلاني، مجد الإسلام، شرف العلماء، قدوة الفضلاء، فخر الصلحاء، جمال النساك، ذروة [٢] السلاك، أوحد العارفين، بركة الملوك والسلاطين ".

ويزاد في ألقاب الخطباء " المفوهي، المصقعي، الفصيحي، الخطيبي "، وفي نعوته " جمال الأئمة الفصحاء، محيي قلوب الأولياء والصلحاء، لسان البيان، ترجمان الرحمن "، ونحو ذلك. ويزاد في ألقاب الوعاظ " أوحد الوعاظ، لسان الحفاظ، مذكر القلوب، منبه الخواطر، الداعي إلى سبيل الرشاد، الساعي في مصالح العباد " ونحو ذلك.

المرتبة الثانية: مرتبة المجلس السامي بغير ياء، ومثالها على ما هو في بعض الدساتير وهي:

" المجلس السامي، الشيخ، الصالح، الزاهد، العابد، الورع، الخاشع، الناسك، السالك، فلان الدين، مجد الصلحاء، زين المشايخ، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين ".

الدرجة الخامسة: درجة الشيخ، ومثالها " الشيخ الصالح، الورع، الزاهد " ونحو ذلك.

الصنف الخامس

ألقاب التجار الخواجكية

وهي على ثلاث [٣] درجات:-

الدرجة الأولى: درجة المجلس العالي [٤]، ومثالها على ما كتب به للخواجا فخر الدين عثمان المارداني [٥] في مسموح أيام الظاهر برقوق، وهي:

" المجلس العالي، الصدري، الكبيري، المحترمي، المؤيدي، الأوحدي، الأكملي، المؤتمني، الرئيسي، العارفي، المقربي، الفلاني، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأكابر في العالمين، أوحد

---

(١) ساقطة من، صبح، ج٦، ص١٦٤؛ ضوء، نفسه.

(٢) قدوة: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٣) أربع: صبح، ج٦، ص١٦٥؛ وضوء كالثغر، ص٣٨٤.

(٤) بدأ القلقشندي الألقاب بدرجة " الجناب ". انظر: صبح، ج٦، ص١٦٥؛ ضوء، ص٣٨٤.

(٥) هو أحد التجار الكبار عصر الظاهر برقوق، وكان يجلب له معظم ما يحتاجه من العبيد والإماء وكان يعرف بالخواجا عثمان. ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ص٣٥٢، ٣٦٤.

الأمناء المقربين، صدر الرؤساء، رأس الصدور، عين الأعيان، ثقة الدولة، كبير الخواجكية، مؤتمن الملوك والسلاطين ".

وعلى ما كتب به للخواجا شمس الدين [١٧٥ أ] بن المزلق [1] فى زماننا وهى:

" المجلس العالى، الصدرى، الكبيرى، الرئيسى، المحترمى، المؤتمنى، الأوحدى، الأكملى، المقرى، المنتخبى، الماجدى، الأثيرى، الخواجكى، الفلانى، مجد الإسلام، شرف الأكابر، أوحد الأمناء، صدر الرؤساء، زين الأعيان، ثقة الدولة، مؤتمن الملوك والسلاطين ".

الدرجة الثانية: درجة المجلس السامى، وهى على مرتبتين:-

المرتبة الأولى: مرتبة المجلس السامى بالياء، ومثالها على ما أورده فى التثقيف وهى:

" المجلس السامى، الصدرى، الرئيسى [2]، الكبيرى، الكاملى، الماجدى، الأوحدى، المقربى، المنتخبى، الأمينى، الأثيرى، الخواجكى، الفلانى، مجد الإسلام، زين الأنام، شرف الرؤساء، أوحد الكبراء، تاج الأمناء، فخر الأعيان، مقرب الحضرتين [3]، مؤتمن الدولة [4] صفوة الملوك والسلاطين ".

المرتبة الثانية: مرتبة المجلس السامى بغير ياء، ومثالها على ما أورده فى التثقيف وهى:

" المجلس السامى، الصدر، الأجل، الكبير، الكامل، الماجد، الأوحد، المقرب، المنتخب، الأمين، الأثير، الخواجا [5]، فلان الدين، مجد الرؤساء، زين الأكابر، فخر [6] الصدور، جمال الأعيان، مقرب الدولة، صفوة الملوك والسلاطين ".

الدرجة الثالثة: درجة الصدر، وهى:

---

(١) الخواجة شمس الدين بن المزلق، أحد أعيان دمشق وكبير تجارها عهد المؤيد شيخ، والأشرف برسباى توفى عام ٨٤٨ هـ. انظر: ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٥، ص٤٨٢؛ السخاوى: الضوء، ج٨، ص١٧٣، ت رقم ٤٢٩.

(٢) ساقطة من التثقيف، ص٢٠٣-٢٠٤؛ صبح، ج٦، ص١٦٦؛ ضوء، ص٣٨٥.

(3) مقرب الحضرتين تطلق على التجار الأجانب بمعنى قربه من الحضرتين السلطانيتين بمصر والدولة الآتى منها التاجر.

(٤) الممالك، ثقة الدول: التثقيف، ص٢٠٤؛ الدول: ضوء، نفسه.

(٥) الخواجا: لفظ فارسى بمعنى السيد، وعند نسبته يقال له الخواجكى. البقلى: التعريف، ص١٢٤.

(٦) مجد: صبح، ج٦، ص١٦٧؛ والتثقيف، وضوء كالثغر، التثقيف، ص٢٠٤؛ ضوء، ص٣٨٥.

" الصدر، الأجل، الكبير، المحترم، المقرب، الأوحد، فلان الدين " ونحو ذلك.

الصنف السادس

ألقاب أرباب الصناعات

كرؤساء الأطباء، والكحالين، والجرائحية، والمجبرين. وفيها ثلاث[1] درجات:-

الدرجة الأولى: درجة المجلس، وفيها ثلاث مراتب:-

المرتبة الأولى: مرتبة المجلس العالى، ومثالها على ما كتب به لابن صغير وهى:

" المجلس العالى، القضائى، [العالمى] [2]، الفاضلى، الكاملى، الأوحدى، الفلانى، جمال الإسلام والمسلمين، سيد الرؤساء فى العالمين، أوحد الفضلاء المقربين، خالصة الملوك والسلاطين".

المرتبة الثانية: مرتبة المجلس السامى بالياء، وهى:

" المجلس السامى، الصدرى، الرئيسى، الأجلى، الكبيرى، الأوحدى، الفلانى، مجد الإسلام، شرف الرؤساء فى الأنام، أوحد المقربين، صفوة الملوك والسلاطين ".

المرتبة الثالثة: مرتبة المجلس السامى بغير ياء، وهى:

" المجلس السامى، الصدر، الأجل، الكبير، الرئيس، المحترم، فلان [١٧٥ ب] الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، أوحد المقربين، زين الرؤساء، مرتضى الملوك والسلاطين ". ونحوه.

الدرجة الثانية: درجة المجلس الصدر [3]، وهى:

" مجلس الصدر، الأجل، الكبير، الرئيس، المحترم، فلان الدين، مجد الرؤساء، فخر الأعيان، زين المؤتمنين، مرتضى الملوك والسلاطين ".

الدرجة الثالثة: درجة الصدر، وهى:

" الصدر، الأجل، الكبير، الأوحد، المؤتمن، فلان الدين ". ونحوه.

---

(١) درجتان: صبح، ج٦، ص١٦٨؛ ضوء كالثغر، نفسه.

(٢)ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٣) هذه الدرجة غير موجودة بالضوء، ص ٣٨٦.

الصنف السابع

ألقاب الحاشية السلطانية

كمهتارية البيوت، ومهندس العمائر، ورئيس الحراقة، وهى على درجتين:—

الدرجة الأولى: مجلس الصدر، ومثالها على ما أورده فى التثقيف فى ألقاب المهندسين والرؤساء وهى:

" مجلس الصدر، الأجل، الكبير، المحترم، المؤتمن، الحاج [١]، فلان ".

الدرجة الثانية: درجة الصدر، وهى:

" الصدر، الأجل، الكبير، المحترم، فلان ".

الصنف الثامن

ألقاب النساء

وهى على مرتبتين:—

المرتبة الأولى: مرتبة الجهة الشريفة، ومثالها على ما ذكره فى التثقيف فى ألقاب بنت الناصر محمد بن قلاوون [٢] وهى:

" الجهة [الشريفة] [٣]، العالية، المحجبة، الدارية [٤]، عصمة الدين، جلال النساء، شرف الخواتين، سليلة الملوك والسلاطين ".

وعلى ما أورده أيضاً فى ألقاب " أم أنوك " زوجة الناصر محمد [٥]، وهى:

" الجهة الشريفة العالية، المحجبة المعظمة [١] [المصونة] [٢]، الكبرى، خوند خاتون، جلال النساء فى العالمين، سيدة الخواتين [٣]، قرينة الملوك والسلاطين ".

---

(١) ساقطة من، صبح، ج٦، ص١٧٠؛ ضوء، ص٣٨٦.

(2) هى ابنة الناصر محمد زوجة الأمير أبى بكر بن أرغون. ابن ناظر الجيش: التثقيف، ص١٣٦.

(٣) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص١٣٦؛ صبح، ج٦، ص١٧١؛ ضوء، نفسه.

(٤) المصونة الولدية: التثقيف، نفسه؛ ضوء، نفسه؛ المصونة، الولدية، العصمية: صبح، نفسه.

(٥) هى طغاى الخوند الكبرى، كانت من جملة إماء السلطان الناصر فأعتقها وتزوجها، وأنجبت له ولده أنوك، وكانت ذات مكانة أثيرة لديه، توفيت عام ٧٤٩ هـ/١٣٤٨م لها خانقاه كبيرة بالقاهرة مازالت قائمة إلى الآن تحت رقم٨١. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٤٢٥ ــ ٤٢٦.

وعلى ما ذكره فى ألقاب أخت الناصر حسن عنه وهى:

" الجهة الشريفة، العالية، الكريمة، المحجبة، المصونة، الكبرى، الخاتون، جلال النساء فى العالمين، جميلة المحجبات، جليلة المصونات، كريمة الملوك والسلاطين ".

وعلى ما ذكره فى ألقاب الست حدق [٤] وهى:

" الجهة الشريفة، العالية، الكبيرية، المحجبية، المصونية، الحاجية، الوالدية، جلال النساء فى العالمين، بركة [الدولة، والدة] [٥] الملوك والسلاطين ".

وعلى ما ورد فى بعض الدساتير فى ألقاب والدة الأشرف شعبان[٦] وهى:

" الجهة الشريفة، العالية، الكبرى، المعظمة [٧]، المحجبة، العصمى، الخاتون [٨]، جلال النساء فى العالمين، سيدة الخواتين، جميلة المحجبات، جليلة المصونات، والدة الملوك والسلاطين ".

المرتبة الثانية: مرتبة الجهة الكريمة [١٧٦ أ] ومثالها على ما أورده فى التثقيف فى ألقاب دلشاه زوج الشيخ حسن الكبير[٩] صاحب بغداد وهى:

---

(١) المعظمة المحجبة: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٢) التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ المحجبة، المصونة: ضوء، نفسه.

(٣) ساقطة من صبح، نفسه.

(٤) هى مربية السلطان الناصر محمد ولها مسجد قائم إلى الآن تحت رقم٢٥٢. المقريزى: الخطط، ج١، ص٣١٣.

(٥) التثقيف، ص١٣٧؛ صبح، ج٦، ص١٧٢؛ ضوء، ص٣٨٦.

(٦) هى خوند بركة أم السلطان الأشرف شعبان، كانت أمة مولدة، فلما تسلطن ابنها الأشرف شعبان أصبحت ذات مكانة عالية فى البلاط السلطانى، توفيت عام ٧٧٤ هـ. المقريزى: السابق، ج٢، ص٤٠٠.

(٧) ساقطة من ضوء، نفسه.

(٨) الخاتون: صبح، نفسه؛ ضوء كالثغر، نفسه.

(٩) الشيخ حسن الكبير هو الحسن بن حسين بن أقبغا بن أيلكان النوين، صاحب بغداد وهو من أحفاد هولاكو،كان ذا علاقات طيبة بمصر عهد المماليك، توفى عام ٦٥٧ هـ. الصفدى: الوافى، ج١١ص٤٠٥؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٥، ص٦٩ ــ ٧١، ت رقم ٨٩٣.

" الجهة الكريمة، المحجبة، المصونة، العصمية، الخاتونية، المعظمة [١]، سيدة [الخواتين، زينة نساء العالمين، جميلة المحجبات، جليلة المصونات، قرينة نوين] [٢] الملوك والسلاطين ".

أما الدار والستارة فهما للتعريف لما ينسب إليه رتبة دون رتبة فيقال " الدار الفلانية " أو " الستارة الفلانية ".

تنبيه لا يصرح باسم المرأة إذا كتب إليها لما فيه من الكشف، بل يقتصر على الألقـــاب، وعلى ذلك جرى الأمر فى التثقيف وغيره.

الصنف التاسع

ألقاب بطاركة النصارى ورؤساء اليهود

وهو على ثلاث درج:–

الدرجة الأولى: درجة الباب، فعلى ما أورده فى التثقيف فى ألقاب الباب برومية فهى:

" الباب، [الجليل] [٣]، القديس، الروحانى، الخاشع، العامل، بابا رومية، عظيم الملـــة المسيحية، قدوة الطوائف العيسوية، مملك ممالك [٤] ملوك النصرانية، حافظ البحار والخلجـــان، ملاذ البطاركة والأساقفة والقسوس والرهبان، تالى الإنجيل، معرف طائفته التحريم والتحليـــل، صديق الملوك والسلاطين ".

قلت لا يلقب الكافر بالعاقل لأنه لو عقل لما كفر بدليل قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَـــو كُنَّـــا نَسمَعُ أَو نَعقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصحَـــٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [٥]. فيحكى عن الكفار أهل النار عدم التعقل.

الدرجة الثانية: درجة البطرك، وهى على مرتبتين:–

المرتبة الأولى: مرتبة بطرك اليعاقبة، ومثالها على ما أورده فى التثقيف فى ألقاب البطـــرك بالديار المصرية وهى:

---

(١) المعظمية: التثقيف، وفى إحدى نسخه المخطوطه كالثغر، ص٧٠ هـــ ٨.

(٢) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ ضوء، ص٣٨٧.

(٣) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص٢٧؛ صبح، ج٦، ص١٧٣؛ ضوء، نفسه.

(٤) ساقطة من التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٥) الملك، الآية ١٠.

" البطرك الجليل، [القديس، الروحانى، المتبتل] [(١)]، الخاشع، قدوة النصرانية ". ثم قال ومن نسبة ذلك.

وما رأيته فى بعض الدساتير:

" البطريرك المحتشم، المبجل، العارف، الحبر، فلان، العالم بأمور دينه، المعلم لأهل ملتـــه، ذخر الملة المسيحية، كبير[(٢)] الطائفة العيسوية، المشكور بفعله عند الملوك والسلاطين ".

المرتبة الثانية: مرتبة بطرك الملكانية، وهى:

" الحضرة السامية، الشيخ الرئيس، المبجل، المكرم، الكافى، المعزز، المفخـــر، القـــديس، فلان، شمس الرئاسة، عماد بنى المعمودية، كبير الطائفة الصليبية ".

الدرجة الثالثة: ألقاب اليهود، ولم يكن فيها غير مرتبة واحدة وهى:

" الرئيس الأوحد، الأجل، الأعز، الأخص، الكبير، الفلانى، شرف الـــدواوين، قـــدوة الإسرائيليين [١٧٦ ب].

وما رأيته فى بعض الدساتير، وهى:

" الرئيس، الأجل، الكبير، الأوحد، المحتشم، مجد الملـــة الإســـرائيلية، كـــبير الطائفـــة اليهودية". ونحو ذلك.

النوع الرابع

فى ذكر أصول يعتمدها الكاتب فى ترتيب الألقاب والمناسبة بين الفروع والأصول من الألقاب

وهى على ثلاثة أصول:-

الأول: أن يعرف رفيع الألقاب ومنحطها ليلحق كل واحد منها بما يناسبه من الأصول، كإلحاق " العالمى، والعادلى، وممهد الدول، ومشيد الممالك " وما شاكل ذلك بـــ " من المقر [(٣)]، والجناب "، وكإلحاق " العضد، والذخر "، وما أشبههما بـــ " المجلس ".

(١) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص٣٧؛ ولكنها تنقص فى صبح، وضوء: القديس. صبح، ج٦، ص١٧٣؛ ضوء، ص٣٨٧.

(٢) كثر: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٣) الصواب: المقر، ضوء، ص٣٨٨.

الثانى: أن يعرف ما هو من الألقاب حقيقى لصاحب ذلك اللقب كـ " العالمى " للعلماء و" العابدى " لأهل الصلاح، وما هو منها مجازى كـ" العالمى " لأرباب السيوف وأرباب الوظائف الديوانية حيث لا اتصاف لصاحب السيف والقلم فى العلم، و" الأصيلى " لمن ليس له أباء فى الرئاسة ولا عراقة فى النسب ونحو ذلك.

الثالث: أن يعرف الألقاب الخاصة ببعض دون بعض كـ " الشريفى، الحسيبى، والنسيبى " للأشراف أولاد على من فاطمة، و" الكافلى " لنائب سلطنة، ولوزير كبير، و" المدبرى " للوزير وناظر الخاص، و" المشيرى " للدوادار وكاتم السر، وكان من ألقاب أمير حاجب، و" العريقى " لذوى العراقة والنسب، و" الأصيلى " لمن له ثلاثة أباء كبار متوالية.

والنعوت كـ " والد الملوك " لمن له ولد فأكثر من الملوك، و" والد أو سليل الملوك والسلاطين " لأولاد الملوك. و" ظهير وعضد الملوك والسلاطين " للمقدمين، و" الآمرى، مجند الجنود " لنائب السلطنة بالأبواب، و" الكفيلى " إلى نائب الشام، و" كافل الممالك " للنائب الكافل، و" الكافلى " للنواب بحلب، وحماة، وطرابلس، وصفد. و" المقدمى " لنائب ثغر الإسكندرية، وغزة، والكرك، وسيس، ونائبى الوجهين القبلى والبحرى.

و " سفير الدولة ولسان المملكة " للدوادار وكاتم السر، و" عين الملوك والسلاطين " لهما. و" مرتب الجيوش " لناظر الجيش. و" والدة الملوك والسلاطين " لمن يكون من النساء لها ولد ملك. و" كريمة الملوك والسلاطين " لمن يكون من إخوتها [١٧٧ أ] ملك. و" قريبة الملوك والسلاطين " لمن تكون زوجة ملك. و" قريب الملوك والسلاطين " لمن يكون من أقارب الملك. و" مدبر الملوك والسلاطين " لملوك الكفر. و" غرس الملوك والسلاطين " لنوابهم. و "حامى البحار والخلجان " لملوك جزائر بالبحر، فيختص كل منهم بلقبه اللائق به.

